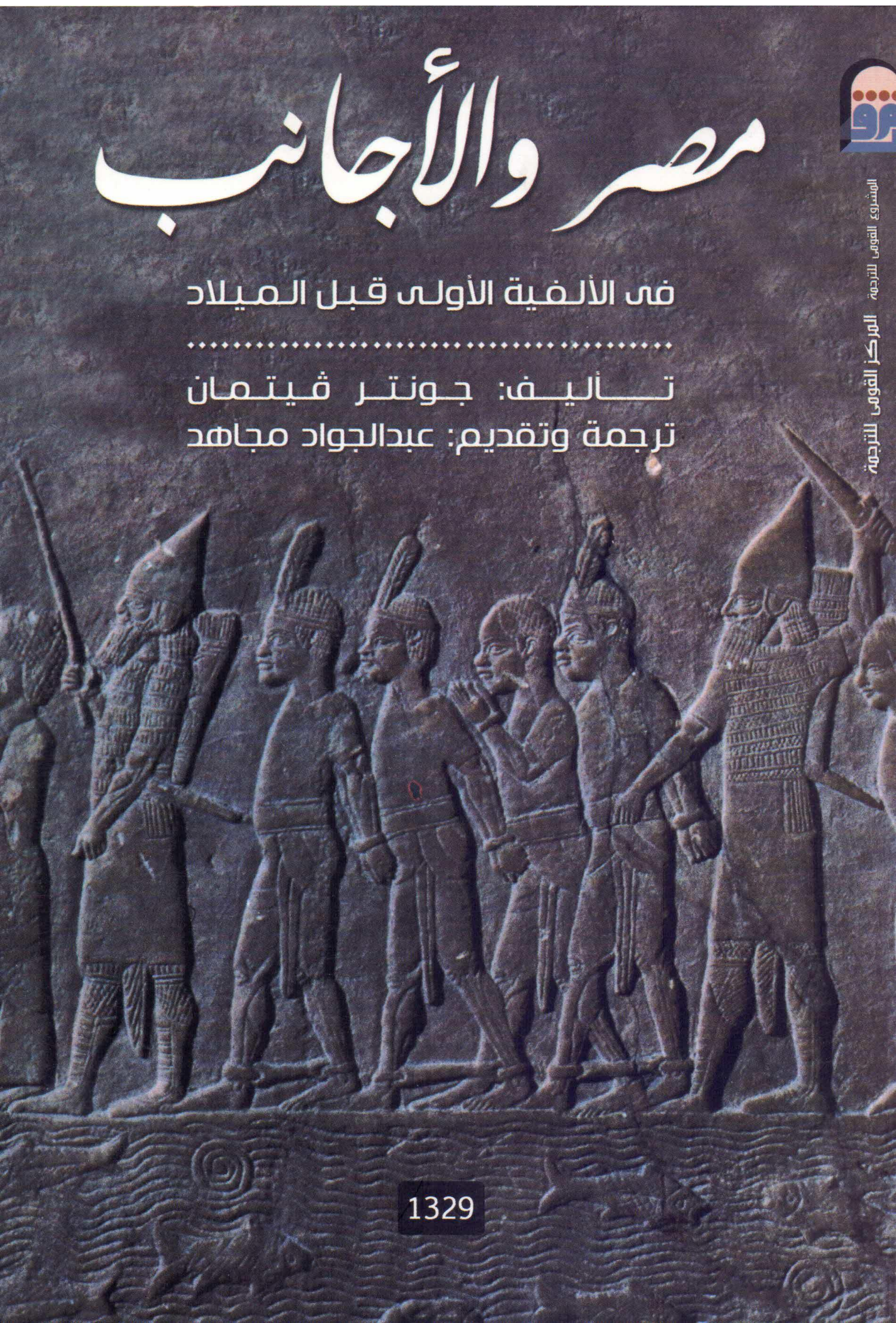


مصر والأجانب
فى الألفية الأولى قبل الميلاد
تأليف: جونتر ڤيتمان
ترجمة وتقديم: عبدالجواد مجاهد
1329
المشروع القومى للترجمة
المركز القومى للترجمة

شهدت مصر العديد من الأجانب على مدار الألفية الأولى قبل الميلاد أكثر من أى وقت مضى. ومن هؤلاء ليبيون تولوا السلطة من الداخل، وآشوريون وفرس من الخارج. كذلك أقام فينيقيون، وآراميون، وعرب، ويهود، وكاريون، ويونانيون، وآخرون فى البلاد قبل غزو الإسكندر الأكبر لمصر بفترة طويلة، فعملوا جنودًا مرتزقة تارة، وتراجمة تارة أخرى، بل مغامرين أو رحالة استكشافيين؛ وبعض منهم مكث لفترة قصيرة، ثم عاد بعد إنجاز مهمته إلى وطنه حاملاً فى حقائبه تحفًا تذكارية. وبعضهم الآخر - وهم ليسوا قلة - استوطنوا مصر بشكل دائم، فتزوجوا نساءً مصريات، واتخذوا عادات المصريين وتقاليدهم من دون أن يتنكروا لأصولهم الأجنبية. وبالرغم من وجود شواهد على هذا التعايش السلمى فيما بينهم وبين المصريين، نجد فى المقابل شواهد على وجود احتكاكات ومشاحنات؛ فلم يختلف الأمر كثيرًا عما هو عليه الآن، حيث بزغ بينهم العديد من الظواهر بدءًا من النزعة الشعوبية نحو التحرر من المغالاة فى القومية أو الانتماء المحلى، فيعتبر المرء العالم كله وطنًا له، ومرورًا بالإيمان بتعدد الثقافات، وانتهاءً بتطرف دينى مبتذل فى أضيق الحدود.

ويستند المؤلف على مصادر كثيرة ومتنوعة تكاد تكون غير معروفة حتى الآن، فيعرضها بالنص والصورة والتقويم العلمى والتقييم النقدى موضحًا الظواهر المختلفة للتجانس والتفاعل الحضارى والنزوع نحو الاستقلالية.

مصر والأجانب

فى الألفية الأولى قبل الميلاد

تأليف: جونتر ڤيتمان

ترجمة وتقديم: عبدالجواد مجاهد



٢٠٠٩

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٣٢٩
- مصر والأجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد
- جونتر ڤيتمان
- عبدالجواد مجاهد
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب
Ägypten und die Fremden im ersten vorchristlichen Jahrtausend
von
Günter Vittmann
"Published by arrangement with Philipp von Zebern, Mainz"

"Author, translator and editor are grateful to following copyright-holders for the generous permission to use their photographs for the Arabic edition of this book.
Berlin, Staatliche Museen (Dietrich Wildung) colour pls. 1, 3a; figs. 33, 34, 44, 56a, 60, 65, 84, 111, 112, 118.
Buruxelles, Musées royaux d' Art et d' Histoire (Luc Limme) colour pl. 11; fig. 68b.
Cambridge, Fitzwilliam Museum (Emily Higgins) figs. 87-88
Hamm, Gustav-Lübcke-Museum (Ellen Schwinzer) colour pl. 13a.
Karlsruhe, Badisches Landesmuseum (Aletta Seiffert) colour pl. 16a.
Leiden, Rijksmuseum van Oudheden (Maarten Raven) colour pl. 21.

London. British Museum (Richard Parkinson) colour pls. 2a and 7a; figs. 86a, 109, 117.
London. Egypt Exploration Society (Patricia Spencer) colour pl. 24b; fig. 72 and 86b.
Madrid, Museo Arqueológico Nacional (Archivo Fotográfico) colour pl. 7b.
München, Staatliche Sammlung Ägyptischer Kunst (Alfred Grimm) colour pl. 19c.
New York, Brooklyn Museum (Edward Bleiberg) colour pls. 14b-c; figs. 70 and 91a. c.
Oxford, Ashmolean Museum (Helen Whitehouse) colour plate 14a; fig. 74a.
Trier, Rheinisches Landesmuseum colour pl. 10.
Verviers, Musées Communaux (Marie-Paule Deblanc-Magnée) colour pl. 23.
Würzburg, Martin von Wagner Museum (Irma Wehgartner) colour pl. 22a; fig. 32a.
Ursula Höckmann (Mainz) fig. 107.
Günther Hölbl (Vienna) colour pl. 22b-d; plates complementing fig. 103.
Frank Kammerzell (Berlin) Figs. 79; 81; 85.
Katja Lembke (Hildesheim) colour plate 24a; fig. 9.
Jürgen Liepe (Berlin) fig. 58.
Most of the other illustrations were produced by the author, in a few cases on the basis of older publications".

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة - ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ - فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St.. Opera House. El Gezira. Cairo
Tel.: 27354524 – 27354526; Fax: 27354554

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ڤيتمان، چونتر
مصر والأجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد
تأليف: چونتر ڤيتمان؛ ترجمة وتقديم: عبدالجواد مجاهد؛
ط ١ ـ القاهرة: المركز القومى للترجمة ٢٠٠٨
٤٩٢ ص، ٢٤ سم
١ ـ مصر القديمة ـ تاريخ
(أ) العنوان
(ب) مجاهد، عبدالجواد (مترجم ومقدم) ٩٣٢

رقم الإيداع: ٥٤١٤ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى: ISBN 977-437-662-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

محتويات الكتاب

تقديم المترجم ٧

مقدمة المؤلف للطبعة العربية ١٧

مقدمة المؤلف للطبعة الألمانية ٢١

الفصـــل الأول: مصر والليبيون ٢٥

الفصـــل الثانى: علاقات مصر بآشور وبابل ٤٩

الفصـــل الثالث: مصر والفينيقيون ٨١

الفصـــل الرابع: الوثائق الآرامية ١١٧

الفصل الخامس: مصر والفرس ١٥٧

الفصل السادس: الكاريون فى مصر ١٩٩

الفصـــل السابع: مصر والعرب القدماء ٢١٩

الفصـــل الثامن: اليونانيون والمصريون قبل العصر الهلينستى ٢٣٥

الفصـــل التاسع: تأملات متممة وموجزة ٢٧٩

هوامش الفصول ٢٩٧

اختصارات ٣٤٥

المراجع ٣٤٩

مراجع إضافية ٣٥٩

جدول زمنى للحوادث ٣٦٣

ملحق الأشكال ٣٦٧

ملحق اللوحات ٤٦١

تقديم المترجم

تعرفت إلى جونتر ڤيتمان، مؤلف هذا الكتاب، فى مستهل الثمانينيات من القرن الماضى، أى منذ ما يزيد عن ٢٥ سنة مضت، حين كنت طالبًا أدرس الآثار المصرية القديمة ولغات الشرق الأدنى القديم بجامعة يوليوس ماكسيمليان، بمدينة ڤورتسبورج، فى إقليم باڤاريا بألمانيا. حينئذ كان المؤلف عضوًا علميًا فى مشروع «كتاب الأسماء الديموطية». ومنذ ذلك الوقت ربطتنى به كل صلات الزمالة والود فى معهد المصريات بڤورتسبورج، فهو صديق وفىٌّ مخلص ومجامل لزملائه، يُعرف عنه تواضعه، وأدبه الجم، ودماثة خلقه، وابتعاده عن المظاهر والأضواء. وتظهر خصاله على أكمل وجه فى أبحاثه ومؤلفاته الكثيرة المتنوعة التى تحتل مكانًا مرموقًا فى البحث العلمى، فهى لا تتميز بالدقة والعمق الشديدين وكذلك الموضوعية فحسب، بل بالنقد والتشكيك فيما لا نملكه من قرائن أثرية، حتى إن اتصل الأمر بفقرات تاريخية وردت فى العهد القديم والرد عليها بدلائل أثرية دامغة. ومن ثمَّ، فإن هذا الكتاب الذى بين أيدينا هو صورة حقيقية لخصال مؤلفه.

ويُعَدُّ الأستاذ ڤيتمان أحد أبرز العلماء الكبار فى اللغة المصرية القديمة وكتاباتها، والديموطية على وجه الخصوص. وقد تجاوزت مواهبه حد اعتباره باحثًا مرموقًا فى قراءة النصوص الديموطية ونقدها ونشرها، لتصل إلى اهتمامه بالفروع الجانبية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته، ومعرفة لغاته القديمة وكتاباته، بدءًا باللغة العربية الفصحى التى شرع فى تعلمها وهو فى الرابعة عشرة من عمره، ثم اللهجة المصرية العامية العربية التى قام كذلك بتدريسها فى معهد ولهجاتها، والعبرية، والآرامية، والفينيقية، مرورًا بالبابلية والآشورية فى مراحلهما الزمنية المتعددة، وانتهاءً بالفارسية ولغة الأناضول، بل وصلت اهتمامات المؤلف بكتابات الشرق الأقصى القديم ولغاته، إلى درجة إلمامه بالسنسكريتية والصينية القديمة. وهكذا جاء هذا الكتاب من عالِم غربى بارز عارف بالشرق القديم وحضاراته من أدناه إلى أقصاه، بل بلغاته القديمة المتنوعة.

وقد هيَّأت الظروف بعد انتهاء دراستى فى ألمانيا أن ألتقى بالمؤلف، وأن نتحاور بين الحين والآخر فى زياراتى لأوربا، أو كلما اتجهت أقدامى إلى ڤورتسبورج، مدينة دراستى القديمة، فضلاً عن لقائنا فى القاهرة، كلما واتته الفرصة للاشتراك فى مؤتمر علمى، أو فى زياراته شبه السنوية لصعيد مصر وواحاتها. وقبل أعوام قليلة سنحت الفرصة أن نشترك معًا فى بحث خطابين ودراستهما من المتحف البريطانى فى لندن بالخط الديموطى المبكر موجهين إلى الإله تحوتى، حيث قمنا بنشرهما فى إحدى الدوريات الفرنسية المتخصصة. بعد ذلك بأشهر قليلة، وجدت نفسى ثانية فى لقاء حتمى آخر لا مفر منه مع المؤلف، وذلك حين بعث لى بنسخة من كتابه المعروض هنا الذى ظهر توًّا آنذاك مع صديق وزميل ألمانى قديم دعوته لزيارتى. فهممت بقراءته وأدركت من فورى أن من واجبى أن أقوم بترجمته لأهميته الشديدة، لتعم فائدته، وليتسنى لقراء العربية الذين يعنون بتاريخ مصر التعرف على موضوعات متميزة لم يسبق الحديث عنها من قبل فى البحث العلمى بهذه الصورة التحليلية الشاملة والجامعة، ومن زاوية لم نألفها من قبل إطلاقًا. إذ يعالج جونتر ڤيتمان فى فصول مستقلة موضوعات كثيرة ممتعة، خلت منها مكتبتنا العربية فى مجال الدراسات المصرية القديمة.

ففى «الفصل الثالث» من بحثه عن مصر والفينيقيين، لا نتعرف فقط على صلات مصر التجارية والتاريخية القديمة بفينيقيا أو وساطتهم فى نقل الأبجدية إلى اليونانيين، بل على ما يظهر جليًّا فى الإنجاز الحضارى المهم للفينيقيين من خلال نشرهم لأشياء مادية مصرية أو متمصرة فى منطقة البحر المتوسط. وفى هذا المقام، يقدم المؤلف عددًا هائلاً من الآثار المصرية الكبيرة الحجم والصغيرة، والعاديات التى عُثر عليها ليس فى وطنهم الأصلى فى فينيقيا فحسب، بل أيضًا فى المراكز الحضارية فى المنطقة السورية الفلسطينية، واليونان، وإيطاليا، وإسپانيا، وقرطاجة. كذلك يميط المؤلف اللثام عن الوجود الفينيقى فى الواقع الحياتى لمصر التى عاش فيها هؤلاء الساميون بوصفهم جنودًا مرتزقة وتراجمة فى جيش الصاويين من جانب، وبصفتهم تجارًا فى أنحاء متفرقة من البلاد من جانب آخر، إضافة إلى ظهورهم حجاجًا فى أبيدوس وسيراپيوم سقارة. كما يلقى الضوء على وجود عائلة فينيقية الأصل فى واحة البحرية.

ويتناول المؤلف فى «الفصل الرابع» الكم الهائل للوثائق الآرامية التى أخرجتها الحفائر المصرية والأجنبية فى مصر، ومصادرها الجغرافية المتفرقة التى جاءت منها، ودلالتها التاريخية على استيطان أعداد كبيرة من الآراميين واليهود فى جاليات كبيرة منظمة، وفى أنحاء مختلفة من البلاد إبَّان تاريخ مصر فى عصرها المتأخر، وهو موضوع غاب فيه البحث العلمى عندنا، فلم يُعالج باستفاضة وتدقيق حتى الآن من قِبل الباحثين فى مجال علم المصريات فى مصر وحتى إصدار هذا الكتاب. كما يضع المؤلف أمام القارئ صورة تفصيلية كاملة لتنوع مضمون موضوعات المادة الوثائقية الآرامية، مشيرًا إلى الباحثين الذين عكفوا على دراستها ونشرها فى لغات متعددة، فأظهرت لنا محتوياتها من نواحٍ عديدة مظاهر اجتماعية، وثقافية، واقتصادية، ودينية، وحضارية لتلك الأقليات الأجنبية وتفاعلها الثقافى مع المصريين، إضافة إلى الخلفية العسكرية لوجودهم فى مصر باعتبارهم جنودًا مرتزقة فى العصر المتأخر. ولا يفوت المؤلف الحديث عن الموروث الأدبى الآرامى، فيشير إلى مجموعة من النصوص الأدبية الآرامية مثل النقوش الملونة فى إحدى مقابر مصر الوسطى، وقصة حور ابن پونيش، وقصة الحكيم أخيقار.

ويمضى بنا المؤلف فى رحلته مع أقوام أخرى وفدت إلى بلادنا من جنوب آسيا الصغرى، وتدفقت بأعداد ضخمة فى فترات متفاوتة، وهو فى ذلك يتحدث عن الكاريين فى «الفصل السادس»، الذين عاشوا فى مصر واستقروا بها إلى الأبد فى جاليات كبيرة منظمة، وخلَّفوا آثارًا كثيرة فى أنحاء متفرقة من البلاد. ولعل موضوع الكاريين يمثل أهم فصول هذا الكتاب. ففى أثناء تتبعه لتاريخهم وآثارهم بصفتهم جنودًا مرتزقة فى المقام الأول، يرسم لنا المؤلف ملامح الاندماج التدريجى لبعض هؤلاء الكاريين من خلال شواهد أثرية عديدة ومن خلال تسمية الأسماء. وهو إذ يتناول فى أثناء ذلك قصة فك طلاسم الأبجدية الكارية منذ بدايتها المتواضعة فى مطلع القرن العشرين ونشاط المتخصصين من باحثى علم المصريات فى العقود الثلاثة الأخيرة، إنما يتعرض لموضوعه من مداخل تاريخية وفيلولوچية محضة، يكشف فيها النقاب عن إشكالية الوضع الراهن فى فهم اللغة الكارية فى البحث العلمى وبوصفها لغة هندوجرمانية.

وبرؤية جديدة، نتعرف فى «الفصل السابع» على علاقات مصرية قديمة ببلاد العرب فى معناها الواسع، فيعرضها من منظور الباحث فى علم المصريات. ففيما عدا المصادر التقليدية المعروفة التى يستشهد بها المؤلف مثل نقوش تابوت زيدئيل المعينى ونقوش المخربشات النبطية والثمودية فى سيناء والصحراء الشرقية وما جاء عند الرحالة والمؤلفين الكلاسيكيين واستقرار جالية عربية من عرب القيدارية فى شرق الدلتا منذ فترة غزو قمبيز، يقدم جونتر ڤيتمان مادة علمية دسمة لأول مرة من خلال الوثائق البردية الديموطية، يثبت من خلالها وجود «عرب» واستيطانات عربية فى مصر الوسطى منذ الفترة المتأخرة للقرن الـــرابع ق. م، بل فى مناطق أخرى متفرقة ورد فيها ذكر «عرب». كذلك يبرهن من خلال برديات يونانية على وجود «عرب» فى مصر، إضافة إلى نقوش مخربشات معينية جديدة بالقرب من إدفو ووادى الحمامات.

ولا أغالى إذا ما زعمت أن ما عالجه المؤلف فى «الفصل الثامن» حول الوجود اليونانى الذى ظهر واضحًا فى شكل جاليات كبيرة منظمة فى مناطق متفرقة من أنحاء البلاد فى الفترة قبل البطلمية، بدا جليًا فى هذا الكتاب أكثر من أى وقت مضى، وذلك لقيام المؤلف بعرض شامل لأحدث آثارهم المختلفة التى وصلتنا قبل فترة قصيرة. ويستزيد فى مقاله بالحديث عن الاشتقاقات التاريخية لمسميات غاية فى الأهمية، كثيرًا ما كانت ولا تزال موضع جدال بين الباحثين فى الببليوجرافيا، مثل مصطلحات أيجوپتوس فى الموروثات الشرقية والغربية، وطيباى، ونايلوس. كذلك يسهب المؤلف فى النقاش حول مدينة ناوقراطيس، وبما كانت تضمه من معابد لآلهة اليونان وآلهاتها، خاصة البناء المعروف باسم الهيلِّينيون، ومصنع الجعارين، والإمپوريون، تلك المحطة التجارية الشهيرة، ومنشآت أخرى. إضافة إلى ذلك، يتناول المؤلف بالتحليل والدراسة الخلفية العسكرية للوجود اليونانى كعنصر أساسى فى جيش الفراعنة الصاويين وأثرهم فى الحياة الاقتصادية. ويختتم المؤلف حديثه فى هذا الفصل بعرض مجموعة رائعة من الآثار التى تركها إغريقو مصر والتى تنحدر من أماكن متفرقة فى أنحاء البلاد.

وإلى جانب تلك البانوراما الشاملة لوجود أجانب بمصر فى جاليات كبيرة منظمة من شتى الإثنيات ومن أنحاء متفرقة من العالم القديم، يسلط المؤلف الضوء فى فصول مستقلة أخرى على الموجات الإمبريالية المتتالية فى الشرق القديم بوجه عام، فيعالج فى هذا السياق الوجود الأجنبى المحتل متعدد الأشكال والألوان الذى حلَّ بمصر خلال شيخوختها المتأخرة فى الألفية الأولى قبل الميلاد، والظروف السياسية الخارجية التى أحاطت به، والأسباب التى مهدت له وواكبته، بدءًا بتسلل الليبيين فى جماعات مهاجرة كبيرة حتى وصولهم إلى سدة الحكم فى نهاية الأمر «الفصل الأول»، ومرورًا بالغزوات الآشورية العابرة لمصر وتداخلها مع غزوات الكوشيين، والصراعات الحربية مع دولة بابل الفتية «الفصل الثانى»، وانتهاءً باحتلال الفرس الأخمينيين لمصر مرتين «الفصل الخامس»، وما ترتب على الغزوات الآشورية والفارسية من عمليات سلب ونهب واسعة النطاق لثروات البلاد المادية والترحيل المنظم لطاقاتها البشرية المتخصصة.

وفضلاً عن ذلك، ينتقل بنا المؤلف بعيدًا عن أرض النيل، ليلقى الضوء أيضًا على «مصريين فى الغربة»، فيستشهد بوجودهم فى جاليات منظمة فى بلاد العرب والشام، بل كأسرى حرب فى بابل وآشور وفارس، موضحًا أنشطتهم المختلفة وبعض مظاهر حياتهم الاجتماعية، فيتطرق بذلك إلى العلاقات بين مصر وجيرانها الأجانب فى الشرق القديم. وفى السياق نفسه، يعرض المؤلف كذلك بعض مظاهر النفوذ المصرى العابر خارج حدودها، فيتحدث عن هيمنة مصر السياسية والحربية كقوة عظمى صاعدة فى بعض مراحل شيخوختها الزمنية المتأخرة خلال الألفية الأولى قبل الميلاد.

وهو إذ يتحدث إجمالاً عن تاريخ «مصر والأجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد»، يستعين جونتر ڤيتمان – كعادته – بكم هائل من الشواهد الأثرية المتعددة الأشكال فى موضوعاتها الفنية المختلفة، فيضعها بين يدى القارئ مشفوعة بلغات أصحابها أنفسهم وكتاباتهم. ولا يفوته فى هذا الصدد الاستشهاد بما تواتر من أخبار ذلك عند الرحالة والمؤلفين الكلاسيكيين الذين زاروا مصر أو كتبوا عنها فى أعمالهم، أو ما جاء فى الآداب القديمة، بل يستكمل هذه الشواهد بما ورد من تلميحات أسطورية صريحة فى الملاحم الشعرية الهومرية ومصادر كلاسيكية

أخرى، أو بما جاء عن ذلك فى أسفار العهد القديم. وبذا يرسم صورة وثائقية كاملة واضحة المعالم عن تأريخه لهذه الفترة. وفى ذلك كله يستعرض المؤلف فى ثنايا فصول كتابه التسعة الصراعات الدولية فى الشرق الأدنى القديم وهيمنة القوى العظمى الإمبريالية وجبروتها، إضافة إلى الهجرات الشعوبية المختلفة التى لاحت على مسرح الأحداث بين الفينة والأخرى، وبات خطرها وتهديدها يتربص بمصر وسائر بلدان الشرق القديم، وكأن التاريخ القديم فى هذا وذاك يكرر نفسه اليوم فى أنماط ووجوه جديدة مختلفة عن وجوه الأمس القريب البعيد فى آنٍ معًا.

وخلال تتبعه تاريخ مصر والأجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد، لم يسقط المؤلف من اعتباره الحديث بحس مرهف عن تعدد الثقافات فى المجتمع المصرى، وتأثيرات مصر فى مجال الأدب، والفن، ومعتقدات البعث والخلود على الأجانب الذين عاشوا بين ظهرانيها، حتى فى نطاق تسمية الأسماء، ليصل فى حالات عديدة إلى زواج مختلط لأجانب من شتى الإثنيات بنساء مصريات، بل اجتاز المؤلف حدود مصر، ليرسم صورة هذه التأثيرات لدى جيرانها الأجانب فى الشرق الأدنى القديم، ثم عرج إلى أوربا حين لامست الثقافة المصرية بلاد اليونان، بوابة أوربا فى بواكير فجر حضارتها، فقدم للقارئ صورة وثائقية واضحة المعالم للتفاعل الحضارى بين الثقافات وتشابكها، وانصهار المعتقدات الدينية المختلفة. وهو فى ذلك يرسم صورًا عديدة للتعايش السلمى بين المصريين والأجانب. ولم يفته فى المقابل تصوير بعض الشواهد المادية الملموسة التى تشير إلى وجود احتكاكات ومشاحنات، يغلب عليها تطرف دينى مبتذل، وإن كان ذلك فى أضيق الحدود.

وفى كثير من المواضع، لم يتردد المؤلف فى تصحيح قراءات أو ترجمات لنصوص قديمة سبق نشرها، كان عليه أن يستشهد بها، فعرضها بالتقويم العلمى والتقييم النقدى. ويستند المؤلف إلى مصادر كثيرة ومتنوعة، بعضها يكاد يكون غير معروف حتى الآن.

ويستشهد المؤلف فى كثير من الأحيان بفقرات وآراء لزملاء أجلاء بلغاتهم الأم التى كتبوا بها أبحاثهم: بالإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية. فرأيت من واجبى وضعها أمام القارئ بلغاتها الأصلية مشفوعة بترجمتها العربية، ليس لكى يدرك قارئ العربية أهمية اللغات الأوربية التى صار لا مندوحة للباحث فى علم

المصريات اليوم من تعلمها وإتقانها – وهو أمر بدهى! –، لكن أيضًا ليعلم القارئ فى أى سياق وردت تلك الاصطلاحات أو الفقرات بلغة غير اللغة الأصلية التى كتب بها المؤلف كتابه. ولم أستثن من هذه الاستشهادات كذلك المصطلحات والفقرات اللاتينية واليونانية القديمة التى استعملها المؤلف كثيرًا ليلمس القارئ بنفسه مدى أهمية اللغات الأوربية القديمة فى لغة البحث العلمى؛ إذ يتوجه الكتاب فى المقام الأول إلى الأكاديميين المتخصصين، وبوجه خاص طلاب الدراسات العليا، قبل أن يكون للقارئ العادى، ليصبح عملاً مرجعيًا حقيقيًا لمن يريد التعرف على الوجود الأجنبى فى ألفية مصر الأولى قبل الميلاد. كذلك، لم يكن هناك بُد من الاستشهاد بتعبيرات أو مصطلحات ألمانية مهمة، بعضها مستحدثة وتُعَدُّ جديدة فى متن اللغة الألمانية ذاتها ولا يوجد مكان لها فى قواميس اللغة – ربما عدا القواميس اللغوية المتخصصة – وهى تعبيرات ليست بالضرورة من استحداث المؤلف، لكنه استشهد بها عن آخرين.

ويختتم المؤلف بحثه بفهرس غنى بالهوامش والحواشى التى تقرب فى مجموعها من الألف لفصول الكتاب، ثم ثنى بفهرس آخر بالمراجع والدراسات والمقالات العلمية المتخصصة فى الموضوعات التسعة المختلفة التى تناولها كتابه، ولكل فصل على حدة. ولم يضنّ المؤلف على قرائه بفهرس ثالث إضافى للمراجع والأبحاث التى نشرت بعد ظهور كتابه حتى اليوم، وكان قد بعث بها إلىَّ قبل ظهور الطبعة العربية بفترة قصيرة. وفى خاتمة كتابه، وضع المؤلف بين يدى القارئ جدولاً زمنيًا مهمًا للحوادث والتواريخ والحكام، مقارنًا بجدول زمنى مماثل للأمم الشرقية القديمة فى الهلال الخصيب.

ولم أشأ إضافة أية تعليقات أو حواش إلى النص الألمانى الأصلى حتى لا ينصرف ذهن القارئ عن متابعة كتاب متميز، وليخرج الكتاب كما أراد له مؤلفه أن يظهر، اللهم إلا بعض الملاحظات القليلة الشارحة أو النقدية فى أنحاء متفرقة من فصوله وجدتها ضرورية للتوضيح فقط، قمنا بتذييلها بوصفها للمترجم. إلا أن بعض الجمل الاعتراضية الطويلة للمؤلف نفسه أو تلك التى وضعها بين قوسين داخل متن النص، كان يمكن أن تصرف الذهن قليلاً؛ لذا، اضطررت كذلك إلى إدراجها كحاشية شارحة، وميزناها بكونها للمؤلف.

وحرصت فى أثناء ترجمة الكتاب على التزام الأمانة العلمية فى نقل النص الأجنبى بحذافيره من دون اللجوء إلى الحذف أو التعديل، بالرغم من رغبة المؤلف فى بعض المواضع القليلة، ليس لأن الكتاب يتوجه فى المقام الأول إلى القارئ الغربى، لكن لأن الكتاب يُنسب فى نهاية الأمر إلى مؤلفه، ومن ثمَّ يجب أن يكون صورة أمينة طبق الأصل، حتى لو كان على حساب رشاقة الجملة وجمال التعبير، بحيث لم تطغ على المعنى بأية حال من الأحوال. غير أننى قلما اضطررت فى مواضع صعبة المراس جدًا إلى إضافة كلمة واحدة (أو نادرًا جدًا كلمتين على أكثر تقدير) لتتواءم عربيًا، نظرًا إلى الاختلاف الشاسع تمامًا بين تراكيب اللغة الألمانية ولغتنا العربية، أو فى بعض الأحيان، نظرًا إلى اختلاف تصور وفهم بعض العبارات أو المصطلحات عن تصورنا وفهمنا لها، لاختلاف ثقافة الغرب عن ثقافتنا الشرقية.

على أننى فضلت ترجمة بعض المصطلحات بطريقة مختلفة عما هو شائع الآن، مثل تعريب كلمتى Hieratisch(e) وDemotisch(e) بكلمتى هيراطي(ة) وديموطي(ة)، لكونهما أصح من تعريبهما الشائع خطأ حتى اليوم فى المكتبة العربية بكلمتى هيراطيقي(ة) وديموطيقي(ة)، حيث تكفى ياء النسبة العربية للتمييز عن مقطع النسبة فى التسمية اليونانية أو المسميات الأوربية المختلفة التى اشتقت منها. وكان المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالعزيز صالح هو أول من نبَّه إلى التعريب الصحيح للكلمتين المذكورتين سالفًا.

كذلك استبعدت تعريب Naukratis بكلمة «نقراطيس» أو «نوقراطيس» الشائعتين فى العربية، وفضلت تعريبها بكلمة «ناوقراطيس»، بحيث تظهر بطريقة صحيحة الدلالة الصوتية للمقطع الأول (ناو -ναυ) للكلمة، بمعنى «بحر» فى اليونانية. ويسرى الأمر كذلك بالنسبة إلى تسمية المعبد الإغريقى المعروف باسم «الهيلِّينيون»، عوضًا عن التسمية اللاتينية «الهيلِّينيوم» الشائعة فى بعض الكتب العربية الكلاسيكية.

وبما أن نقل الدلالات الصوتية فى بعض اللغات السامية القديمة – وبخاصة اللغة العربية الجنوبية القديمة – إلى الحروف اللاتينية، يشير بوضوح ظاهر للعيانِ إلى عدم الدقة فى بعض الأحيان، حيث تستعمل اللاتينية على سبيل المثال حرفًا واحدا فقط (D̲) للتعبير عن ثلاث دلالات صوتية فى العربية الجنوبية القديمة (ج، ذ، ز) فى آنٍ معًا، لذا، فإننى فضلت فى كثير من الأحيان استعمال حروفنا الأبجدية العربية فى نقل سائر الدلالات الصوتية فى اللغات السامية، بحيث تفصل شرطة رأسية بين حروف الكلمة الواحدة – وهى طريقة طبقها باحث السبئيات السعودى سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، وأخبرنى بها مؤلف الكتاب –، أو حين يتعلق الأمر بجملة أو بعبارة استشهد بها المؤلف، بل استعملت فى أحيان أخرى حروفًا عربية متصلة ببعضها من دون استخدام الشرطة الرأسية، حسبما تراءى لى فى السياق الذى وردت فيه هذه الجملة أو تلك. واستبعدت تطبيق هذا النظام فى نقل الحروف اللاتينية إلى الحروف العربية فيما يتصل باللغات غير السامية (الفارسية القديمة والكارية واليونانية)، باستثناء بعض المواضع القليلة فى الفصل الرابع المختص بالوثائق الآرامية، وكذلك ملحقى الأشكال واللوحات.

* * *

وأخيرًا لا يسعنى فى هذا الصدد إلا أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسهم فى إخراجِ هذا الكتاب على النحو المعروض، وأبدأ بالمؤلف نفسه الذى بعثت له – وفقًا لرغبته – فى أثناء زيارة قصيرة لى فى ألمانيا بالنسخة العربية المترجمة قبل مرحلة تنقيحها، وقيامه بقراءة نقدية لفصول الكتاب وإسهامه بملاحظات قيِّمة.

وفضلاً عن ذلك، أعبر عن عميق شكرى وامتنانى وتقديرى لزميلى وصديقى المؤلف جونتر ڤيتمان، عالمِ المصريات الكبير، لمساعيه الحثيثة من دون كلل لدى شخصيات عديدة من الباحثين وهيئات ومتاحف مختلفة فى شتى أنحاء العالم، من أجل الحصول على الترخيص بنشر الصور والأشكال؛ ولولا جهده فى ذلك لما ظهرت صورة واحدة أو شكل واحد، أو بالأحرى لما ظهر هذا الكتاب مطلقًا ضمن برنامج المركز القومى للترجمة. إضافة إلى ذلك، تنازله عن كافة حقوقه المادية لدار النشر الألمانية (فيليپ فون تصابرن) فى مدينة ماينتس، صاحبة حق النشر والترجمة، ليكون كتابه بين أيدينا الآن!

كما أقدم خالص شكرى وامتنانى، باسمى وباسم المركز القومى للترجمة، إلى مؤلف الكتاب، وإلى كل الزملاء والزميلات والمسئولين فى الهيئات والمتاحف وأصحاب المجموعات الخاصة التى قامت بإرسال الصور والرسوم والترخيص بالنشر من دون مقابل مادى.

كذلك، فإننى مدين بالشكر العميق والامتنان إلى الزميل والصديق الحميم والإنسان الفاضل الذى كان يفيض كرمًا دائمًا، المؤرخ الكبير المرحوم الدكتور رءوف عباس، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب، جامعة القاهرة، ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سابقًا، لتعاونه الكريم فى إدراج هذا الكتاب ضمن برنامج النشر فى المركز القومى للترجمة. لكن لم يشأ له القدر أن يرى الكتاب الذى كان يود قراءته.

وختامًا، أهدى هذه الترجمة العربية إلى روح شقيقتى الحبيبة المرحومة الدكتورة فاطمة الزهراء، الأستاذ المساعد الأسبق بهيئة الطاقة الذرية، التى لم يمهلها القدر لقراءتها قبل نشرها بأشهر قليلة. وكانت أول من سعدت بحماسة شديدة عن شروعى فى ترجمة هذا العمل، فكان لتشجيعها ولا يزال أبلغ الأثر فى نفسى.

والله من وراء القصد

القاهرة، خريف ٢٠٠٨ عبدالجواد مجاهد

مقدمة المؤلف للطبعة العربية

يسعدنى أن تظهر هذه الطبعة العربية من كتابى «مصر والأجانب فى الألفية الأولى قبل الميلاد». وفى هذا الصدد، أود أن أعبر عن خالص الشكر لزميلى وصديقى عبدالجواد مجاهد الذى أخذ على عاتقه ترجمة هذا العمل الصعب والشاق. وقد سُررت بوجه خاص للتعاون الودّى والمستمر مع الأستاذ مجاهد خلال عمله فى ترجمة جميع فصوله. وفضلاً عن ذلك، فقد لفت انتباهى عدة مرات لوجود بعض الأخطاء، أو عدم الدقة فى بعض المواضع التى ظهرت فى الطبعة الألمانية الأصلية، وقد رُوعى تصحيحها فى الطبعة العربية حيثما كان ذلك ممكنًا.

كذلك أقدم خالص الشكر إلى المركز القومى للترجمة بالقاهرة لقيامه بنشر هذا الكتاب، إسهامًا منه بكل تأكيد فى إيضاح الاتصالات والعلاقات الوثيقة بين مصر وجيرانها الأجانب فى العصر المتأخر أو بالأحرى فى الألفية الأولى قبل الميلاد، وليصل إلى دائرة واسعة من القراء والباحثين. كما ألفت انتباه القارئ الكريم إلى الفهرس الإضافى للمراجع فى نهاية الكتاب.

ڤورتسبورج، يونيو ٢٠٠٧ — جونتر ڤيتمان

(إهداء المؤلف)

إلى برينيكه وكلمنس وزوجتي، من دونهم ما تحقق هذا العمل

BERENICEI ET CLEMENTI ET UXORI
SINE QUIBUS NON

مقدمة المؤلف للطبعة الألمانية

اتصلت مصر على مدار الألفية الأولى قبل الميلاد بشعوب أجنبيـــة مختلفة – وقد حدث ذلك من قبل. وقد اعتمدت طبيعة تلك الاتصالات ودرجتها بقدر كبير على أصحاب تلك الحضارات الأجنبية المعنية الذين ظهروا كمجموعات مختلفة توافدت على مصر، تارة غزاة وحكامًا، وتارة أخرى تجارًا وجنودًا مرتزقة وحرفيين إلخ.

ويُعَدُّ الليبيون والآشوريون والفرس من الفريق الأول، لكن ما يجب ملاحظته أن الليبيين كانوا يتسللون عبر الحدود منذ فترات طويلة حتى تمكنوا من تولى زمام الحكم من الداخل، على العكس تمامًا من أولئك الآشوريين والفرس الغزاة الذين قدموا من الخارج.

بينما يمثل الفينيقيون والآراميون والكاريون والعرب واليونانيون – قبل الغزو المقدونى لمصر – الفريق الثانى، حيث نتعرف بصورة جلية على شواهد مدهشة للاندماج الثقافى وانصهار الأجانب فى الحضارة المصرية.

ولعل ما نفتقر إليه هنا هو دراسة الكوشيين وعلاقتهم الحضارية والسياسية بمصر، لكن هذا النمط من الدراسة بالغ الغزارة والسعة، بحيث لا يمكن معالجته فى إطار مدخل مبسط على النحو الذى يقدمه هذا الكتاب.

تعود فكرة هذا الكتاب إلى سلسلة محاضرات حملت عنوان الكتاب نفسه، كنت قد ألقيتها فى الفصل الدراسى الصيفى لعام ١٩٩٨ بجامعة ڤورتسبورج، ذلك أن الضرورة المستمرة لاجتياز الحدود – وهى النتيجة التى خرجت بها تلك الدراسة بالنسبة إلى المتخصص فى علم المصريات – تُعَدُّ فرصة سانحة لرؤية ما هو خلف الأسوار، بل حث آخرين على القيام بالمحاولة نفسها. أجل، لهذا

السبب لم يكن هناك بُد من تجنب ثغرات فى ذكر المراجع، وربما كانت هناك تفسيرات متفرقة غير صائبة نوعًا ما؛ ويرجع ذلك إلى التنوع الكبير فى الفروع العلمية الأخرى القريبة والمتصلة بموضوعنا. وبإزاء مثل هذه الأخطاء، فإنه يُؤمل من القارئ أن يلتمس العذر للمؤلف، وذلك حين يعاين بنفسه المصادر الأصلية *ad fontes* للوثائق الأدبية والمخطوطة بلغاتها القديمة المباشرة وغير المباشرة المستشهد بها، متحررًا بذلك من ترجمات آخرين وتفسيراتهم. إن الرجوع إلى المصادر الأصلية وكذلك الرغبة والضرورة بأن يشارك القارئ المهتم الواسع الأفق ليعاين بنفسه وبصورة جلية تنوع تلك المصادر، كانت بالنسبة إلىَّ تشويقًا وإثباتًا حقيقيًا فى نهاية المطاف للشروع فى كتابة مثل هذا العمل.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يتوجه إلى جمهور عريض، فإننى لهذا السبب ذاته لم أدخر وسعًا بإضافة الهوامش والحواشى، إذ لم أرغب فى منع القارئ المهتم من إتاحة الفرصة بأن يتمكن من نقد آرائى، وأن يتوجه بنفسه أيضًا – إذا اقتضى الأمر – إلى المصادر الأصلية.

وفى هذا الصدد، أود أن أتوجه قلبيًا بأصدق الشكر والامتنان إلى عدد من المتخصصين فى مجالات مختلفة لكرمهم فى القيام بالمراجعة النقدية لفصول معينة فى مرحلة صياغتها الأولى والإسهام بملاحظات قيِّمة، وهم: أورزولا هوكمان Ursula Höckmann (الفصل الثامن)، وجونتر هولبْل Günther Hölbl (الفصل الثالث والثامن)، وكارل يانسن-ڤينكِلن Karl Jansen-Winkeln (الفصل الأول والثانى)، وكاتيا لمبكه Katja Lembke (الفصل الثامن)، وڤالتر ڤ. مولِّر Walter W. Müller (الفصل السادس)، وڤولفجانج رولِّيج Wolfgang Röllig (الفصل الثالث)، وديتِر شور Dieter Schürr (الفصل السابع). كما أننى شاكر الجميل لفرانك كامِّرتسِل Frank Kammerzell، الذى وضع تحت تصرفى – بكل روح الزمالة – مادة الصور المتعلقة بفصل الكاريين من مخلفات و. ماصُّون O. Masson. وإنى لأشكر فضلاً عن ذلك شخصيات عديدة من المذكورين آنفًا (وهم أورزولا هوكمان، وصديق الدراسة القديم فى ڤيينا جونتر هولبْل، وكاتيا لمبكه) لإرسالهم

عددًا من الصور الفوتوغرافية أو الصور الزجاجية، وأيضًا إرما ڤهجارتنر Irma Wehgartner وكارل-تيودور تصاوتسيش Karl-Theodor Zauzich لصورتى قطعتى الأوشبتى الخاصة بإغريقى مُتمصر واللوحة الفينيقية المحفوظة فى متحف مارتن-فون-ڤاجنر Martin-von-Wagner-Museum، إضافة إلى مارتن فون فالك Martin von Falck من متحف جوستاف-لوبكه Gustav-Lübcke-Museum فى مدينة هام Hamm (ألمانيا)، لمساعدته فى تصوير شاهد قبر مصرى آرامى لم يكن معروفًا من قبل.

وليس آخرًا، أوجه شكرى الخاص إلى دار النشر فيليپ فون تصابرن Philipp von Zabern، وخاصة مديرة الدار السيدة الدكتورة أنِّته نونيريش-آسموس Annette Nünnerich-Asmus، والسيدة ر. برودهِكر R. Brodhäcker، لإدراجهما هذا العمل ضمن برنامج النشر بالدار، وكذلك للمساعدة الفعالة والكريمة فى الحصول على نماذج الصور والأشكال، بالإضافة إلى الشخصيات والهيئات التى قامت بإرسال الصور والترخيص بالنشر عن طريق المساعى الودية لدار النشر.

* * *

تُفهم ضمنًا كل السنوات التاريخية الواردة فى هذا الكتاب بوصفها تأريخًا للسنين «قبل الميــلاد»، إلا إذا لم تتضمــن صراحــة وعلى وجه التحديد رمــز «الميلادى» أو «بعد الميلاد».

ڤورتسبورج، نوفمبر ٢٠٠٢ جونتر ڤيتمان

الفصـل الأول

مصـــــر والليبيون

كان الليبيون من أوائل الأجانب الذين حكموا مصر فى الألفية الأولى، وهو ما نجح فيه الهكسوس فقط قبل ذلك. وبطبيعة الحال، فقد بدأت تتوثق الاتصالات بين المصريين والليبيين مع شوشنق الأول، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، الذى يبدأ به غالبًا «عصر الليبيين»، وانتهى مع الأسرة الثالثة والعشرين. وكانت قد قامت منذ العصر السحيق علاقات وثيقة وتداخلات حضارية. فعلى سبيل المثال ووفقًا لرأى شائع، ينحدر الإلهان حا وآش من أصول ليبية. وتوجد فى مصر خلال عصرها السحيق أيضًا بعض الخصائص المميزة للزى الليبى مثل حافظة العضو الذكرى. كما توجد خصائص أخرى استمرت حتى العصر المتأخر.

إن أقدم اصطلاحين استخدما للتعبير عن ليبيا والليبيين هما تِحنو وتِمحو. ويُعَدُّ الأول تسمية مكانية بالدرجة الأولى، تشير إلى الصحراء الغربية، بل استعمل ككلمة عتيقة فى العصر المتأخر. أما المصطلح الثانى فهو تسمية عرقية، كانت قد ظهرت منذ الدولة الوسطى، لتشير إلى اسم ذلك الشعب. وقد حدث أحيانًا خلط فى استعمال أحد المدلولين مكان الآخر[١]. وبدأت مسميات جديدة لقبائل مختلفة تظهر خلال الدولة الحديثة مثل مشوش منذ عهد أمنحوتب الثالث، وليبو منذ عهد رمسيس الثانى، وإزبت، وهِس[٢]، وتسميات أخرى. ويُفترض أن هؤلاء الليبيين الجدد «يختلفون عرقيًا (...) بوضوح أيضًا عن المصريين، وكذلك فى لغاتهم، طبقًا للأدلة القليلة المتاحة»[٣]. وكان أهم هؤلاء الشعوب هما الليبو والمِشوش، حيث عاش أولهم فى الأصل فى قورينيقة، وأعطوا اسم ليبيا، وهو اسم الدولة العربية الحديثة، بينما وقع موطن المِشوش بعيدًا إلى الغرب. وطبقًا لهيرودوت (الكتاب الرابع ١٨٦)، يُشكل البدو الذين عاشوا فيما بين مصر وبحيرة تريتون (حاليًا خليج

قابس فى تونس) الشعوب الليبية. أما الشعوب التى عاشت إلى الغرب منهم، فلم يكونوا بدوًا؛ فقد كانت لهم أيضًا عادات وتقاليد أخرى. وكتب هيرودوت عن الماكسيين، الذين يكمن وراءهم أغلب الظن المِشوش فى المصادر المصرية: «إلى الغرب من نهر تريتون يتاخم شعب الأوسيين ليبيون عاديون يمارسون حرفة الزراعة ويمتلكون بيوتًا، ويُسمَّى هؤلاء ماكسيون. وهم يطيلون شعرهم على الجانب الأيمن من الرأس ويحلقونه على الجانب الأيسر. ويلونون أجسامهم باللون البرتقالى» (الكتاب الرابع ١٩١). ويَتبَعُ ذلك وصف عن البلاد وثروتها الحيوانية. ويتطابق وصف تسريحات شعرهم مع المناظر المصورة المعروفة لنا. وإذا كان المِشوش فى موطنهم الأصلى أيضًا بدوًا، فإنه من الأحرى أن يُربط بينهم وبين الماخليين عند هيرودوت على النحو المعروض فى البحث العلمى. لكن من المفترض اليوم أن فى قورينيقة لم يقع موطن الليبو فحسب، بل أيضًا موطن المِشوش الذى لم يكن بعيدًا إلى الغرب، مثلما أشار هيرودوت إلى ذلك فيما يتعلق بالماكسيين وبالماخليين.

وينتمى إلى الليبيين أيضًا البسيلُوى، كما سمَّاهم الإغريق، الذين اشتهروا من خلال فنهم فى السحر بواسطة الثعابين. فتُذكر فى وثائق ديموطية لعصر البطالمة تلك الخاصية بوصفها اسم علم بالنطق الصوتى نفسه[٤].

إن مصادرنا الرئيسية عن الألفية الثانية التالية تنحصر فى تقارير سيتى الأول، ورمسيس الثانى، ومرنپتاح، ورمسيس الثالث عن حروب الليبيين؛ ومن المفيد لفهم السياق العام عن كثب فى الألفية الأولى تناول الظروف السياسية خلال عصر الدولة الحديثة، ولا سيما حروب مرنپتاح ورمسيس الثالث، إضافة إلى التصريحات التى وردت عن الليبيين فى وثائق إدارية. ففى ذلك الحين، وُضعت الأسس التى أدت فى نهاية الأمر إلى تولى الحكام الليبيين للأسرات ٢١-٢٤ مقاليد السلطة.

وبينما كان الليبيون حتى نهاية الأسرة الثامنة عشرة لا يمثلون فى الحقيقة تهديدًا جادًا، فقد تغير الوضع بعدها بقليل: ابتداءً من عصر سيتى الأول كانت توجد «مشكلة ليبية»، كما يسميها ب. هارينج B. Haring[٥]. ففى العام الخامس

لمرنپتاح (حوالى عام ١٢٠٩)، اكتسح الليبيون الحصون الحدودية الغربية التى كانت فيما يبدو مهملة تقريبًا، فاندفعوا بنسائهم وأطفالهم وماشيتهم إلى الدلتا، لسبب بسيط هو الجوع، كما ذكرتها مصادر مصرية بشكل صريح، «فكانوا يهيمون خلال النهار، وهم يجوبون الأرض، ويقاتلون لملء بطونهم يومًا بيوم، ثم وصلوا أرض مصر يتلمسون فيها طعامًا لأفواههم»[٦]. لذا، لم يكن الأمر مقصورًا على اجتلاب الغنائم فحسب، بل كسب أماكن جديدة للاستيطان أيضًا، حتى إن بعضهم نزل فى واحة الفرافرة «أرض البقرة»[٧].

وانضمت بعض الجماعات المعروفة باسم «شعوب البحر» Seevölker إلى الليبيين، وبالتأكيد لم يكن من قبيل المصادفة أن النوبيين أيضًا كانوا قد بدءوا يتقدمون من الجنوب نحو البلاد فى الوقت ذاته. ومن المؤكد أيضًا أن ذلك لم يكن سوى اتفاق مدبر على النحو الذى عرفناه من قبل فى لوحة كاموزا[٨]. لكن لم يساعد ذلك الليبيين فى شيء، فقد حقق المصريون النصر بعد ست ساعات من القتال فى شمال غرب الدلتا. وتصف «لوحة إسرائيل»[٩] Israel-Stele الشهيرة للملك مرنپتاح فى عبارات فصيحة، كيف أن زعيم الليبيين هرب تحت جنح الظلام وحيدًا تمامًا، حافى القدمين، من دون ريشة النعام التقليدية التى كانت تزين رأسه، وذلك بعد أن اختُطفت زوجاته وجُرِّد من الماء والزاد. وفَقَدَ أهله كل احترامهم له؛ فتنكروا له وتهكموا عليه فى كل مكان بقولهم: «الأمير الذى قَدَّر له مصيره السيئ أن تُسرق ريشته». إن ريشة النعام تلك، التى تزين الصورة الهيروغليفية لمخصص «الجندى»، كانت سِمَة مميزة للأمراء الليبيين (شكل ٢). وإلى جانب ذلك، فإن المصادر المصرية تشير أيضًا إلى ريشة الزينة تلك عند بدو سيناء والنوبيين[١٠] (لوحة ٢ أ وصورة غلاف الكتاب).

وخلال عهود خلفاء مرنپتاح الضعاف فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة، خيمت فترة سكون استمرت نحو عشرين سنة، تسلل فى أثنائها الليبيون (ليبو ومِشوش) بحرية إلى غرب الدلتا، فنهبوا مدنًا هناك وفق «الفصل التاريخى» لبردية هاريس P. Harris، حتى تلاطمت خلال عهد رمسيس الثالث موجة جديدة من المهاجرين، تدعمها جماعات من جزر بحر إيجة[١١]. ومن المرجح أن منطقة

الاستيطان الليبية الأصلية فى مصر قد وقعت فيما بين كوم الحصن (إيماو) وأوسيم (ليتوپوليس)، أى أنها كانت على أية حال فى شمال البلاد.

ويُفترض أن هذه الهجرات كانت مرتبطة بزيادة سكانية كثيفة فى ليبيا وجزر بحر إيجة، نتيجة لتقدم تقنى فى الزراعة، وصناعة السلاح، والطب من خلال الاتصال مع الحضارات القديمة فى مصر، وبلاد الرافدين، ومع الحيثيين. وقبل ذلك كان يمكن تعويض العجز فى وسائل الإنتاج الطبيعية الذاتية إلى حدٍّ معين من خلال حيل مُجَرَّبة قديمة مثل غارات السلب أو القرصنة البحرية. بيد أن حلول مرحلة جفاف مناخية حوالى عام ١٢٠٠ قد أخلت بهذا التوازن، فأدت إلى أن يتّجه الليبيون و«شعوب البحر» بكثافة وبأسلحتهم إلى البحث عن مواطن أخرى جديدة للحياة(١٢). ففى عام حكمه الخامس (حوالى عام ١١٨٠)، ووفقًا لما ذكرته نقوش أثرية، هزم الفرعون مرنپتاح تحالفًا من المشوش والسپد والليبو، عندما كانوا فى طريقهم إلى غارة من غارات السلب(١٣). وبالرغم من تأكيد التقرير الرسمى بأن العمود الفقرى للتمِحو قد كُسِر إلى الأبد، فقد كان عليه بعد ست سنوات أن يقاتل المِشوش من جديد، أى فى العام الحادى عشر من حكمه، حوالى عام ١١٧٤، أى بعد ثلاث سنوات من صده هجوم شعوب البحر. وبذا تم إبعاد خطر غزوهم إلى حين.

ومما له دلالة كبيرة بالنسبة إلى الموقف المتأزم وتطور الأحداث المستجدة، هو الكيفية التى تمَّ التعامل بها مع المهزومين. وطبقًا للنقوش، فقد قتل مرنپتاح ٦٣٥٩ ليبيًّا، باستثناء المتحالفين معهم، وقام بأسر ٩٣٧٦ منهم. وفى الحرب الليبية الأولى لرمسيس الثالث، كان يوجد، كما قيل، ما يزيد عن ٢٨٠٠٠ قتيلاً فى معسكر الأعداء! وفى الحرب الليبية الثانية، قُتِل ٢١٧٥ ليبيًّا وأُسر ٢٠٥٢ منهم. ومن هؤلاء الأخارى كان هناك ١٢٠٠ جندى فقط، والباقون كانوا من النساء والأطفال. والأكثر من ذلك أن المنتصرين استولوا على عدد ضخم من المواشى (٤٢٧٢١ من الرؤوس، من أبقار، وخراف، وخيول إلخ)(١٤). إن عرض الأرقام المقارنة التى تتحرك فيها البيانات عن القتلى والأسرى تُشعِر بجدية الموقف، ولا يوجد سبب قاطع لاعتبار هذه الأرقام غير واقعية(١٥). ومبدئيًّا، فإن اللافت للانتباه – بوجه عام – أن حروب رمسيس الثالث ضد الليبيين وشعوب البحر كانت

حروبًا دفاعية، على العكس من المشاريع الحربية للأسرة الثامنة عشرة وكذلك الفترة المبكرة للأسرة التاسعة عشرة التى كان هدفها التوسع الإقليمى.

واستُخدم عدد من أسرى الحرب كيدٍ عاملة فى المؤسسات الحرفية للمعابد، وأُسكن عدد آخر منهم كجنودٍ فى حصون وحاميات عسكرية. ولنستشهد هنا بما جاء فى «الفصل التاريخى» لبردية هاريس الكبيرة[١٦] P. Harris: «أحضرت أولئك الذين استبقاهم سيفى من الأسرى الكثيرين، مكبلين ببعضهم مثل الطيور أمام خيولى، وكان نساؤهم وأطفالهم تُقدر بعشرات الآلاف، وماشيتهم بأعداد تُقدر بمئات الألوف. وأسكنت قادتهم فى حصون باسمى، وولَّيت عليهم قادة الفرق ورؤساء العشائر الذين سُيِّموا بوصفهم عبيدًا فختُموا باسمى؛ وعُومِل نساؤهم وأطفالهم المعاملة نفسها. ووهبت ماشيتهم دار آمون، فأصبحوا قطيعًا له إلى الأبد».

إن الأعداد الضخمة من غنائم الماشية هى دليل واضح على أن تربية المواشى قد لعبت دورًا بارزًا فى الاقتصاد الليبى. ولا شك أن العنصر البدوى، وهو ما كشف عنه هيرودوت، يُشَكِّل العرق الأساسى للشعوب الليبية التى عاشت فيما بين مصر وبحيرة تريتون، لكن النصوص تشهد بوجود «مدن» أيضًا. ومن الملاحظ كذلك أن الحضارة المادية لهؤلاء الليبيين قد تجاوزت مجرد مستوى مجتمع الرعاة. ففى الحرب الليبية الثانية لرمسيس الثالث، سلب المصريون من الغنائم ٦٠٣ من الأقواس و٢٣٩ من السيوف ذات الطراز الموكينى – نصفهم تقريبًا يزيد طوله عن مترين – و٩٢ من العربات الحربية[١٧]. وكانت تجارة نبات السلفيوم المستخدم فى العقاقير الطبية قد شجعت فى ذلك الوقت على النمو الاقتصادى[١٨].

ويحسن بنا فى هذا الصدد كذلك إعطاء بعض التوضيحات عن المنشآت العسكرية المذكورة سالفًا[١٩]. وبغض النظر عن الحاميات العسكرية المصرية فى غرب آسيا وفى النوبة، كانت توجد مثيلات لها فى مدن مهمة مثل منف، وطيبة، وفى شرق الدلتا فى پى-رمسيس وتل اليهودية. وفضلاً عن ذلك، فقد استُخدمت

منشآت حصينة لحماية الحدود ومراقبة تحركات الهجرات فى المناطق الحساسة التالية: فى جزيرة بيجَة إلى الجنوب من جزيرة إلفنتين، وفى قفط عند مدخل وادى الحمامات المؤدى إلى البحر الأحمر، وعلى وجه الخصوص فى الفيوم بوصفها معقلاً حصيناً ضد الليبيين، وفى الحدود الشرقية عند سيلة وتل المسخوطة. يُضاف إلى ذلك وجود شبكة تحصينات عسكرية كانت تؤدى إلى طريق فلسطين وسوريا (المعروف باسم طريق حورس) من ناحية، وإلى طريق قورينيقة من ناحية أخرى. أما فيما يتعلق بالطريق الغربى الذى يهمنا هنا بطبيعة الحال وله الأولوية، فكان هناك الحصن المعروف بوجه خاص فى زاوية أم الرخم، على مسافة ٢٥ كم إلى الغرب من مرسى مطروح، ويرجع تاريخه إلى عصر رمسيس الثانى. وبعد انقضاء عدة قرون، تمكن هؤلاء الليبيون من غزو بعض تلك الحصون وتشغيلها، التى كانت قد شُيدت فى الأصل للحماية منهم – لكننا نسبق بذلك تطور الأحداث المرسومة (قارن الصفحات التالية)!

ومنذ عصر رمسيس الثالث، نجد فى الجيش المصرى إلى جانب المصريين أيضًا نوبيين، وليبيين، وآسيويين، وإيجيين، وحيثيين. وبسبب نزاعاته الحربية مع الليبيين، تباهى قبله رمسيس الثانى بترحيله نوبيين إلى الشمال، وآسيويين إلى تاستى فى النوبة، وبدو الشاسو فى سيناء إلى الغرب، والليبيين التحنو إلى أرض التلال الشرقية[٢٠]. ويُعبِّر نقش لرمسيس الثالث، معروف باسم «اللوحة البلاغية» Rhetorische Stele عند دير المدينة، عن ذلك بصورة أوضح[٢١]: «نَهَبَ بلاد [التمحو]، والليبو، والمشوش. وأمر بأن يعبروا النهر، وأن يُساقوا إلى مصر. وأُسكِنوا فى حاميات عسكرية للملك القوى، وسمعوا لغة الناس (أى اللغة المصرية!)، ليكونوا فى خدمة الملك. وعمل على أن تختفى لغتهم، فقلب لهم ألسنتهم. واتجهوا إلى طريق لم ينحدروا فيه من قبل». وفى هذا ما يعنى ربما حرفيًا ومجازيًا كذلك ما يلى: حرفيًا نظرًا إلى ترحيلهم إلى أجواء غير مألوفة، ومجازيًا لكونه «طريق الحياة» السليم، إشارة إلى التمصير[٢٢]. ومن ثَمَّ، فإن السلطة الظافرة لم تتعامل مع الأجانب بأشد مما تفعله اليوم دول بعينها مع أقلياتها. فقد كان على أكبر عدد ممكن من غير المصريين أن يغتربوا عن حضارتهم

الأصلية، وأن يصبحوا أداة سهلة وطيعة للسلطة الحاكمة، بانصهارهم وتخليهم عن لغتهم الأصلية وثقافتهم.

لكن إلى أين تم ترحيل الليبيين من عصر رمسيس الثالث؟ فمن بردية ويلبور الكبيرة P. Wilbour، التى تنحدر من العام الرابع لحكم رمسيس الخامس (حوالى عام ١١٤٤)، نفهم أن أعدادًا ضخمة من أسرى الحرب السابقين ذوى الأصول المختلفة قد أُسكنوا عند المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية الممتدة من الفيوم حتى مصر الوسطى فى القلاع والمستعمرات العسكرية، بل بدءًا من عهد رمسيس الثانى، وبوجه خاص بعد حروب رمسيس الثالث. فنحن نصادف على سبيل المثال شردانا، وهم أقوام من «شعوب البحر» الذين أعطوا جزيرة سردينيا اسمها، وشكلوا منذ عصر رمسيس الثانى فرقة عسكرية مختارة تَكَوَّن منها الحرس الملكى الشخصى[٢٣]. وعاش هؤلاء فى أوقات السلام مع أسرهم، وفلحوا الأرض الزراعية المخصصة لهم. أما الليبيون الذين نحن بصدد الحديث عنهم، فنحن نعرف عنهم النزر اليسير؛ فهناك شعب الجوك، ومنهم حاملو الأعلام[٢٤]. ويُرَجِّح كيتشن Kitchen أن أسرى الحرب من الليبيين بخاصة قد أُسكنوا فى شرق الدلتا (بوباسطيس)[٢٥]. ويبدو هذا الرأى معقولاً بالنظر إلى المغزى السياسى لبوباسطة فيما بعد.

كنا نود معرفة مصير الأقوام الذين بقوا فى الناحية الغربية من الأراضى الزراعية لدلتا النيل. وأكبر ظننا أن بعض جماعاتهم قد عادوا إلى الهجرة من جديد فى اتجاه الغرب، أى فى المنطقة التى تُسمَّى اليوم ليبيا وتونس؛ بيد أنه ليست لدينا للأسف شواهد أثرية على ذلك. وفيما يبدو أن جماعات أخرى منهم قد اتجهت بموازاة طريق الواحات إلى الجنوب حتى النوبة. ففى عهد رمسيس الثانى، نستدل على وجود للتمحو فى الواحات. ولمَّا كان عدد محدود منهم – بالطبع – قد استطاع أن يجد سبيلاً للحياة هناك، فقد انحرف بقيتهم شرقًا ثانية على الطريق الصحراوى فى اتجاه وادى النيل، حيث نجدهم فى طيبة خلال عصر الرعامسة المتأخر، أى فى الربع الأخير من القرن الثانى عشر تقريبًا، على الرغم من كل وسائل المراقبة الحدودية.

وهكذا نجد أنفسنا مع الوثائق الإدارية التى نوهنا بقيمة مصادرها، إلى جانب تلك النقوش التاريخية الكبيرة التى ذكرناها بداية. وهى عبارة عن شذرات بردية منشورة بصورة غير كاملة من دفاتر حساب معابد ذات علاقة ما مع إدارة المقابر الملكية من عهد رمسيس التاسع[٢٦]. ومن المرجح أن تمييز الليبيين كان على أساس سِمَات خارجية بوصفهم مِشوشًا وليبو، أو كان يُطلق عليهم بصفة عامة خاستيو، أى «سكان الصحراء» أو «أجانب»؛ وبقيت الاصطلاحات التقليدية تِحنو وتِمِحو فى النقوش الكبيرة ونصوص أدبية. ولا شك أن وجود الجماعات الليبية المتجولة من جديد المذكورة سالفًا كان يعنى تهديدًا أمنيًّا مستمرًا، على الرغم من عدم وجود أى ذكر عن صدامات مباشرة. ففى النصوص المعروفة اصطلاحًا باسم «خطابات الرعامسة المتأخرة» Late Ramesside Letters، يرد الحديث عن صرف مخصصات الغلال لأناس من المِشوش خلال عهد رمسيس الحادى عشر، كذلك طلب القائد الليبى پايعنخ[٢٧] مساعدة المِشوش له فى حملة عسكرية ضد نائب الملك النوبى پانحسى، بل لم يستطع الفرعون الحاكم رمسيس الحادى عشر فيما يبدو الاستغناء عن تعاون الليبيين معه.

خلاصة القول، ابتداءً من الآن تمثل الوضع مع نهاية الأسرة العشرين، كما يلى: فقد تغلغل ليبيون فى الدلتا والمنطقة الممتدة حتى هيراكليوپوليس بصورة كثيفة من دون رقابة، بل فى مصر العليا التى يسكنها أساسًا مصريون، اخترق ليبيون متمردون (وربما أيضًا جنود مرتزقة أجانب آخرون) شتى التحصينات التى باشرها الرعامسة حتى طيبة، يشيعون الاضطراب وعدم الاستقرار، فسبَّبوا فى نهاية الأمر انهيار الدولة الحديثة فى أواخر الأسرة العشرين، ووصول الليبيين إلى تولى مقاليد السلطة، وبداية «عصر مظلم» dark age استمر من عام ١٠٧٠ تقريبًا حتى القرن الثامن، «حيث تُعَدُّ المائة والخمسون سنة الأولى من أكثر الفترات غموضًا»[٢٨].

إن من الصعب ترتيب أحجار الفسيفساء المختلفة لإعطاء صورة كاملة وأمينة عن الأوضاع فى ذلك الوقت، ونادرًا ما تمدنا المصادر فعلاً بمعلومات واضحة وصريحة. على أية حال، علينا أن نستنتج من ذلك أن الليبيين كانوا قد غزوا البلاد فعلاً فى ذلك الوقت وليس بعده، أى فى عهد شوشنق الأول مثلاً، كما اعتقد دائمًا حتى قبل وقت قصير، وذلك لوجود انفصام تام فى نواحٍ عديدة فيما بين الفترة المتأخرة لعصر الدولة الحديثة والأسرة الحادية والعشرين، وليس فيما بين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين قط[٢٩]. وعلى العكس تمامًا من ذلك ومقارنة بالعصور الأكثر قدمًا والمتتالية، فإن الأسرة الثانية والعشرين تشترك مع الأسرة الحادية والعشرين فى خصائص جوهرية غريبة لم يُسْمَع بمثلها من قبل. لكن مع تولى حكام أجانب مقاليد السلطة، كان يُتوقع بالأحرى حدوث تغييرات وتحولات جديدة. ولمَّا كانت الخصائص المشتركة المتنوعة للأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين واضحة تمام الوضوح، وإن كان قد جرى العرف على أن الحكم الأجنبى يبدأ بشوشنق الأول على اعتبار انصهار الليبيين إلى حدٍّ بعيد، فقد عكست تلك الرؤية بشكل تلقائى استمرارية التواصل فى المرحلة الانتقالية من النظام «الوطنى» إلى النظام «الليبى»، وهى استمرارية لم تكن قائمة فى حقيقة الأمر.

ومبدئيًا، يُطرح هنا سؤالان يتصل كل منهما بالآخر بشكل رئيسى، وهما: ما وجه الاختلاف بين عصر الليبيين والعصور السابقة؟ إلى أى مدى تَمَصَّر حقًا ليبيو الألفية الأولى؟ نحن نخلص عادة إلى أن التفاعل الحضارى قد سار سريعًا وشاملاً، وتحديدًا لسببين: فمن ناحية، لم يُستدل أثريًا على شىء ما يدل على ثقافة «ليبية» أصلية وحقيقية، ومن ناحية أخرى، لأن الحكام الليبيين لم يُشَر إليهم بوصفهم أجانب، سواء فى النصوص المصرية أو عند مانيتو.

ويُرَجَّح الدليل الأول، نظرًا إلى صعوبات الحفائر الأثرية المعروفة فى الدلتا، حيث عاشت هناك غالبية الليبيين، وإن كان علينا أن نتوقع فى أى وقت أن اكتشافات أثرية جديدة يمكن أن تغير الصورة التى لدينا الآن. لكن الدليل الثانى

أيضًا ليس مقنعًا، من حيث إن الانطباع بالتمصير الكامل لليبيين يُستخلص بصفة أساسية لاتخاذهم المناظر الملكية المصرية. وفى الواقع، ليست هناك أية تعديلات فنية ملموسة، مثلما هى الحال عند الكوشيين، وإلا لخطر لخيال أى شخص أن البطالمة قد تمصَّروا، لأنهم لعبوا الدور التقليدى للفرعون على جدران المعابد. لكن فيما يتصل بمانيتو، فقد انتفع بمصادر من الدلتا لم تضع بكل تأكيد الليبيين بوصفهم مغتصبين أجانب. وفى نهاية الأمر، لا توجد حالة واحدة يُستنتج منها أن الليبيين قد مُثلوا فيها حكامًا أجانب. فلم يكن الليبيون غزاة يمكن طردهم، لكنهم حكموا من الداخل. على أية حال، فإن زعماء الليبو والمِشوش كانوا لا يزالون عند منتصف القرن الثامن يحملون فى شعرهم الريشة المميزة (شكل ١)، كما كانت أسماء وألقاب ليبية مازالت مستخدمة، عندما أوشك العهد الليبى على النهاية. لذا، فإنه من دون شك لم يكن اندماج الليبيين كاملاً.

ومن هذه الخلفية التاريخية، عرض أ. ليهى[٣٠] A. Leahy عام ١٩٨٥ فى مقالة منشورة – فى مجلة بعيدة عن حقل المصريات – نظرية جديرة بالتقدير، يُثبت فيها تأثيرًا ليبيًا حقيقيًا من خلال أربعة مظاهر أساسية لهذه الحقبة، أى من القرن العاشر حتى النصف الأول من القرن السابع، وبعبارة أدق، حتى تأسيس الدولة المركزية الصاوية الموحدة فى عهد پسمَّاتيك الأول. ولا نستطيع أن نفعل شيئًا أفضل من أن نعرض تلك الأوجه الأربعة:

أولاً: إن تشرذم Zersplitterung («تفتت» fragmentation) البلاد فى عدد من الأقاليم المستقلة هو الشكل المميز واللافت للنظر لتلك الحقبة. ولعل أوضح مصدرين لذلك هما لوحة پيعنخى الكبيرة ونقوش آشوربانيپال. فقد رسم كل من الغازى الكوشى والآشورى صورة أمينة للظروف السياسية، فذكرا قسمًا كبيرًا من هذه الأقاليم وحكامها بأسمائها وبنظرة الناظر غير المتحيز لأى جانب. وسوف نشاهد فى الفصل التالى قائمة آشوربانيپال تلك بشكل أفضل؛ لكن علينا أن نذكر الآن أن ألقاب الحكام المتنوعة تمامًا فى اللغة المصرية يُشار إليها فى قائمة

أشوربانيبال كلها إجمالاً على نحو مميز بصيغة واحدة، وهى شارُو، أى «ملك»، نظرًا إلى القوة الحقيقية لمعناه الفعلى. أما پيعنخى أو پيى فيقدم فى هذا الصدد صورة مختلفة للغاية (شكل ٢): عندما ننظر إلى الجزء الجملونى للوحة النصر (حوالى عام ٧١٥)[٣١]، فإننا نشاهد فى المنتصف ذلك الغازى الكوشى وأمامه فى صفين أربعة حكام ممثلين فى وضع خاشع مستضعفين وبالكوبرات الملكية، وبصفة نيسوت، أى «ملك»، وتبعًا لذلك، فقد نُقشت أسماؤهم فى خانات ملكية. وقد أمكن التعرف على اسم كل إقليم على حدة لهؤلاء الحكام من خلال نص البيانات فى متن اللوحة، حيث لم تُذكر هذه الأقاليم فى الجزء الجملونى. وهؤلاء الحكام بالتفصيل هم:

- نمرود[٣٢]، ملك هيرموپوليس.
- أوسركون (الرابع)، ملك بوبسطة (وهو الحاكم الأخير للأسرة الثانية والعشرين).
- يوپوت، ملك ليونتوپوليس.
- پيفچاو-عوى-باستت، ملك هيراكليوپوليس.

ونشاهد على يسار اللوحة أربعة أمراء ليبيين تزين رؤوسَهم الريشة الملازمة فى الوضع ذاته، مثل الملوك المذكورين سالفًا، وهم اثنان من حكام الأقاليم «حاتيو-عا»، واثنان من «رؤساء الما»، يحمل أحدهما الاسم الليبى أكانوش (فى سمنود)، حيث نجده كذلك فى عهد پسمَّاتيك الأول[٣٣]. إن هؤلاء يُعَدُّون قلة قليلة من مجموع الحكام لتلك الفترة؛ ففى نقوش اللوحة الكبيرة، تُذكر أسماء أخرى كثيرة لحكام، إلا أنه لا يُشار فيها إلى «ملوك» آخرين. ويُعَدُّ «رئيس الما» تفنخت أهم شخصية، فهو والد الملك الشهير بوكوريس ومؤسس الأسرة الرابعة والعشرين التى تكونت منهما فقط فى سايس، لكن أيضًا پتيسيه أمير أتريب، الذى كان ينتمى إلى أسرة معروفة لنا جيدًا[٣٤].

ويطلعنا العمل المرجعى ليويوت Yoyotte على هذه الأقاليم المختلفة[٣٥]. لكن ما يهمنا فيه هنا على وجه الخصوص الآتى: مقارنة بعصر الانتقال الثانى، عندما انقسمت البلاد إلى قسمين منفصلين، فحكم القسم الشمالى بالمثل عدة ملوك انحدروا من صفوف أولئك المتسللين الأجانب (من غرب آسيا)، وإن كان هذا التقسيم وضعًا لم يمكن احتماله لكونه لا يتفق والإيديولوچية الملكية المصرية، فإن ما حدث فى عصر الانتقال الثالث هو أن الأسر الملكية ومناطق السلطة المختلفة قد تعايشت فيما يبدو سلميًّا واعترفت ببعضها. فقد كانت اللامركزية واستقرار هذا الوضع نموذجًا مختارًا للحكم، ولم تكن ببساطة فوضى Chaos نجمت عن محاولة فاشلة لاتخاذ المثال المصرى التقليدى. ومن ثمَّ، فإنه لا يحسن بنا التحدث عن ذلك بوصفه «فوضى ليبية» libysche Anarchie، مثلما حدث عادة فى الماضى؛ لكن الأصوب هو الأخذ بتشخيص أسمان Assmann المحايد فى تقييمه، بوصف هذه الفترة «مَلَكيات متعددة» Polyarchie[٣٦]. وهى سِمَة جوهرية فى بنيات الحكم الإقطاعية، وتُعَدُّ من صميم عصر الليبيين[٣٧].

ثانيًا: (وهذا المظهر مرتبط بالأول). لقد تغير مفهوم المَلَكية فى عهد الليبيين. فإذا كان الفرعون المصرى التقليدى إلهًا على الأرض، فإن «زعيم ما الكبير» شوشنق الأول قبل اعتلائه العرش كان فقط الشخصية الأولى بين نظرائه *primus inter pares*. فقد تبنى الليبيون ظاهريًّا الإيديولوچية الملكية الفرعونية، لكن إذا ما خدشنا السطح، إن جاز هذا التعبير، فإن تركيبات السلطة غير المصرية تظهر تحته بوضوح. ودلائل ذلك أن الطبقات الحاكمة نفسها لم تكن قد تمصَّرت كثيرًا، إضافة إلى أن التصور التقليدى للملكية المصرية لدى الليبيين كان فى واقع الأمر قليل الشأن، وهو ما تعرف عليه ليهى Leahy على سبيل المثال فى حالة إسقاط الخانات الملكية بوصفها رمزًا من رموز الملكية على لوحات الهبات، وإحلال تصوير زعماء الما، عوضًا عن الملك بصفته صاحب عطاء أمام الآلهة.

إن مثل هذا الرأى الفريد من نوعه يتضح ولا سيما فى دعاء النبوءة لأوسركون الثانى، إذ يلتمس من آمون من بين أشياء أخرى ما يلى: «[أنت سوف] تُشَكِّل

نسلى، النطفة التى تخرج من أعضائى، [حكامًا] كبارًا لمصر، وأمراءً، وكهانًا أول لآمون-رع-ملك-الآلهة، وزعماءً كبارًا للما، و[زعماءً كبارًا] للأجانب، وكهانًا (للإله) حارسافيس» إلخ(٣٨).

ثالثًا: يفترض ليهى Leahy تأثيرًا ليبيًّا غير مباشر فى استخدام أنواع معينة من الكتابة وتطويرها فى عصر الانتقال الثالث. فمن ناحية، يُستدل بصورة لافتة للنظر على وجود خلط قوى فى مجالات التطبيق المختلفة التقليدية للهيروغليفية والهيراطية. إذ إن لوحات الهبات (قارن شكل ١، ١١٢) التى بدأ ظهورها بكثرة منذ هذا العصر، ولا سيما فى الدلتا، قد نُقشت غالبًا بالهيراطية، على الرغم من أن اللوحات الحجرية المنقوشة كانت تستعمل فى العادة الهيروغليفية. إضافة إلى ذلك، فإنه يبدو – طبقًا لرأى ليهى – أن وجود نظامين مختلفين للكتابة المائلة، المعروف باسم الهيراطى المائل أو الهيراطى الشاذ فى طيبة والديموطية التى شقت طريقها من مصر السفلى نتيجة لذلك طبقًا للرأى السائد، إنما يعكس الوضع السياسى والإدارى والعرقى: أجل، كانت طيبة قد احتلها الليبيون لبعض الوقت، لكنها بقيت «مصرية» جملة، وبقيت مستقلة عن الشمال فى عصر الليبيين.

وإنها فى نهاية الأمر لمسألة تقديرية أن نتجه للأخذ بافتراض ليهى، من حيث إن تنوع الكتابات المائلة كان فى واقع الأمر «نتاجًا للتقسيم العرقى فى مصر» a product of the ethnic division of Egypt، لكن علينا أن نقر بوجود علاقة غير مباشرة بذلك، حيث نلاحظ أيضًا تطورًا قانونيًّا وإداريًّا مختلفًا فى الشمال والجنوب. بيد أن زميلة مصرية قد رأت أن الكتابة الهيراطية المائلة يُستدل عليها أيضًا فى مصر السفلى، وتحديدًا فى لوحات السيرابيوم، وذلك على عكس الافتراض القائم إلى الآن بحدوثها فى الفترة المتأخرة للأسرة الثانية والعشرين(٣٩). لكن الأمثلة التى قدمتها تبدو لى مقنعة قليلاً، وفضلاً عن ذلك، فهى لم تتعرض للأسف لشروحات ليهى Leahy. على أية حال، فإن البحث العلمى يستمر ليؤدى دوره فى ذلك.

وهذا ما يسرى كذلك عند التحقق من صدق نظرية ما أو رفض أخرى على جانب كبير من الأهمية عرضها ليهى Leahy، من حيث إن ذلك الميل المتزايد الذى ظـــهر أيضًا فى الكتابات الصوتية، عوضًا عن الكتابات التاريخية التقليدية فى نصوص هيروغليفية وهيراطية، إنما يكشف عن جوهر للغة ليبية فرعية libysches Substrat. فالصفوة الليبية حاولت تبعًا لذلك اكتساب كتابة اللغة الأجنبية التى نشأت عليها بطريقة مبسطة. وكان يمكن أن يشير ليهى هنا كذلك إلى الحقيقة الواقعة بأن الكتابة الديموطية بوجه خاص التى نشأت فى مصر السفلى، تُكتب غالبًا بالطريقة الصوتية وليس بالطريقة التاريخية التقليدية، وهو ما نلاحظه فقط عندما نقوم بتحويل النصوص إلى هيروغليفية!

وللأسف، فإنه لا يوجد سوى عدد قليل جدًّا من حصيلة مفردات لغة ليبية فى الموروثات المصرية، فليست هناك آثار أدبية ليبية معاصرة من تلك الفترة يمكن أن تساعدنا فى تفسير ذلك. وفيما يبدو أن لغة الغزاة قد استخدمت فى التواصل الشفهى فقط، بينما استعملت الكتابة أو الكتابات المصرية فى تصريحاتهم المكتوبة. لذا، تقدم اللغات التشادية البربرية الحديثة فحسب المساعدة فى أغراض المقارنة. وفيما عدا مسميات عرقية ذكرنا غالبيتها من قبل (مثل تسميات الشعوب الليبية وما شابه)، ومجموعة من أسماء الأعلام (بالطبع بدءًا بأسماء الملوك المعروفين مثل شوشنق، وأوسركون، وتاكليوتيس)، إضافة إلى بعض أسماء أخرى لبعض الشخصيات، توجد ثلاثة ألقاب صُنفت بوصفها ألقابًا ليبية:

- مس، بمعنى «سيد، أمير» (وهى كلمة تُنطق فى البربرية مِس وماس، أى «سيد»[٤٠]).
- مك (لم يمكن تحديد معنى تلك الكلمة بصورة تقريبية)[٤١].
- متوهر (وردت هذه الكلمة فى لوحة الداخلة الكبيرة)[٤٢].

وبالطبع يمكن أن تكون هنا وهناك كلمات ليبية أخرى مستترة غير معروفة. وإننى لأتساءل على سبيل المثال عن التصنيف اللغوى للصفة العسكرية تمرجن، التى تظهر فى تلك الوثيقة المعروفة اصطلاحًا باسم «خطاب موسكو الأدبى»

Moskaur Literarischer Brief، إضافة إلى ظهورها فى خطاب شخص بالخط الهيراطى المائل (لم يكن معروفا حتى الآن) من عهد تاهَرقا[٤٣]، وهى بكل تأكيد كلمة غير سامية بأية حال من الأحوال!

رابعًا: فى شئون دفن الموتى نلاحظ حدوث تغييرات جذرية، سواء فى النطاق الملكى أم فى المحيط الشخصى. فقد تعارض منذ ذلك الوقت التقليد المصرى فى انفصال الجبَّانة الملكية مع المفهوم الجديد للدفن فى «مقبرة فى فناء المعبد»[٤٤]. ونشهد ذلك بداية فى تانيس ومنف (مقبرة ولى العهد شوشِنق)، لكن فى طيبة أيضًا، ولا سيما فى الراميسيوم ومدينة هابو (مقابر الزوجات الإلهيات، ومقبرة حارسائيسة، الملك المُبَجَّل فيما بعد[٤٥]). ويُعَدُّ الميل الواضح إلى تشييد مدفن الأسرة المتواضع، بدلاً من الدفن الفردى باهظ التكاليف، ابتداعًا جديدًا آخر فى مظاهر الدفن. فقد أُعدت منشآت قديمة بسرعة لأصحابها الجدد بشىء من عدم الاكتراث، من دون الاجتهاد بشكل خاص لوضع أعمال زخرفية جديدة بالتفصيل. ومن المؤكد أن سبب كل ذلك لم يكمن فى نقص ثرواتهم – وإننا لنتذكر فقط كنوز المقابر الملكية فى تانيس – ولا بسبب قصور تقنى، لكنه يعكس موقفًا آخر من الموت، وهو شىء من عدم الاكتراث تجاه الاستعدادات الباهظة فى الموروثات القديمة. بيد أنه يتناسب وعادات المجتمع شبه البدوى، مثل مجتمع الليبيين.

هذا ما يتصل بشروحات ليهى Leahy. وثمة بعض النقاط – الثالثة بوجه خاص – يجب تعديلها بالتفصيل؛ وإن كانت لملاحظاته وتفسيراته الدقيقة قيمة بالغة، فكان لها تأثير حافز ومثمر على المزيد من البحث. فاعتبر روبرت ريتنر R. Ritner مقالة ليهى Leahy الرائدة «مطلوبة للغاية بوصفها تصحيحية لافتراضات تقليدية»[٤٦] a much-needed corrective to conventional assumptions.

وترتب على عرض ليهى أن قام كارل يانسن-ڤينكلن K. Jansen-Winkeln بالتعمق والتطوير فى البحث[٤٧]. ولعل النتيجة الشديدة الأهمية، بل تُعَدُّ ثورية فى حد ذاتها، قد أصبحت واضحة الآن: لم يبدأ عصر الليبيين بشوشنق الأول، الملك الأول للأسرة الثانية والعشرين، لكن لا يعنى ذلك أيضًا ببساطة، أن بعض الحالات

الفردية من الليبيين قد وصلت قبل ذلك إلى أعلى مراكز السلطة، ولا سيما إلى العرش، بل الأرجح أن عصر الليبيين قد بدأ بالأسرة الحادية والعشرين. وبعبارة أخرى: لقد حلّ الليبيون محل حكم الرعامسة! فقد توصل يانسن-ڤينكِلن إلى ما تشترك فيه الأسرتان الحادية والعشرون والثانية والعشرون وما تتخالفان فيه تفصيليًا منذ عصر الدولة الحديثة (المتأخر) من ناحية، والعصور المتعاقبة من ناحية أخرى. وبدهيًا، فقد لعب العمل الرائد الذى قام به ليهى دورًا رئيسيًا. لكن يانسن-ڤينكِلن قام بإبراز مظاهر أخرى مختلفة ومهمة:

(١) من المعروف أن الأسرة الحادية والعشرين قد «قسَّمت البلاد إلى دولة فى مصر السفلى ودولة فى مصر العليا»[٤٨]. ففى الشمال كان يقيم الملك، بينما كان الجنوب – بدءًا من هيراكليوپوليس تقريبًا – عليه مسحَة «الدولة الثيوقراطية» Gottesstaat، وإن كانت فى حقيقة الأمر ومن دون شك ديكتاتورية عسكرية تُحكم بواسطة «قيادة عسكرية عليا» Generalissimus قائمة بذاتها شكلاً، وتابعة لملك مصر السفلى فعلاً. وبما أن الوجود السكانى الليبى فى الجنوب كان أقل كثافة كثيرًا عنه فى الشمال، فقد كان من اللازم إحكام السيطرة على البلاد من خلال مجموعة من التحصينات التى أُعيد بناؤها من جديد، وعلى وجه الخصوص فى تلك المنطقة بين الحيبة وهيراكليوپوليس[٤٩].

(٢) هناك سِمَة جوهرية تربط كلاً من الأسرتين ببعضهما، وهى ذلك الجمع بين وظائف متناقضة تمامًا لبعضها فى أيدى شخصية واحدة، فهو فيما عدا ذلك شكل غير مألوف فى مصر. فقد أصبح توزيع الوظائف طبقًا لتنوعها وما تحتاجه لتدريب من نوع خاص يتطلبه الاختصاص ليس معيارًا فارقًا، لكن «الغلبة الشخصية فى امتلاك وسائل السلطة»، وهى من صميم الأنظمة الإقطاعية، كانت أهم من غلبة المؤسسات نفسها وتعلوها[٥٠]. وهكذا، كان پايعنخ وحريحور «قائدًا عسكريًا» و«كبير كهنة آمون» فى شخص واحد. لقد انهارت الإدارة المدنية التقليدية وفقًا لملاحظات يانسن-ڤينكِلن Jansen-Winkeln[٥١]؛ بالنظر إلى تلك الطبقة الراقية، نجد أنفسنا حيال أرستوقراطية عسكرية ليبية من ناحية، وكهنوت مصرى من ناحية أخرى.

(٣) تقع مقابر حكام الأسرتين ٢١ و٢٢ فى تانيس فى مجموعة معمارية واحدة صغيرة نوعًا ما، وهو ما يشير وحده إلى ارتباط وثيق لهاتين الأسرتين ببعضهما (شكل ٣، ٤).

(٤) على الرغم من تمصير ظاهرى (بزى مصرى)، فإن أمراء محليين فى عهد الليبيين يُصَوَّرون بريشة الزعماء الليبية المعهودة (شكل ١، ٢).

لم يتكرر كثيرًا ذكر ليبيا والليبيين فى النصوص بصورة صريحة فى عصر الانتقال الثالث، باستثناء مسميات «كبار المِشوش».

وفى عهد تاهَرقا، أُحضر تِحِنو لأعمال فى معبد صنام[٥٢]، وهو ما يوحى بأن مواجهة عسكرية كانت قد سبقت ذلك. وفى هذا الصدد، يجب الإشارة إلى دلالة طريفة للغاية، وهى أن تصوير المنظر المعروف باسم «العائلة الليبية»[٥٣] بوصفه جزءًا من مجموعة مناظر فى قاوا (شكل ٥)، يعود فى موضوعه نفسه إلى أمثلة له فى المعابد الجنائزية الملكية للأسرتين الخامسة والسادسة (بوجه خاص ساحورع وپيپى الأول / الثانى) أقدم بحوالى ١٦٠٠-١٨٠٠ سنة، بل تحمل أيضًا أسماء الأفراد من الأعداء أنفسهم تمامًا. إن تلك العودة إلى الموضوعات القديمة قِدَم الزمان تحيى واقعًا مضى منذ زمن بعيد، لكنها لا تعنى تلقائيًا مساواة هذه المناظر بالدرجة نفسها بتلك المناظر التقليدية التى تُصَوِّر الفرعون وهو يطرح الأعداء أرضًا على صروح المعابد. كما يجب تقدير الاحتمال بأن حافزًا تاريخيًا ملموسًا كان يكمن فى تسجيل تلك المجموعة من الصور - ولا سيما عندما تكون هناك دلائل أخرى فى هذا الاتجاه. ومن ناحية أخرى، فلا يخفى عن النظر ظهور شعوب صغيرة لأعداء يُدَّعَى إخضاعهم فى قوائم متأخرة، ولم يكونوا فى ذلك الوقت موجودين منذ زمن بعيد، مثلما هى الحال بالنسبة إلى ذكر الحيثيين فى معبد كوم أمبو، حيث يوجد فيه أيضًا إلى جانب ذلك ذكر للمِشوش[٥٤]، وهو ما يُعَدُّ أحدث إشارة لهم (شكل ٧١).

انتهى عصر حكم الليبيين فى مصر بوحدة البلاد فى عهد پسمَّاتيك الأول، الذى لم يضع نهاية لحكم الآشوريين والكوشيين خلال السنوات الأولى لفترة حكمه الطويلة (٦٦٤-٦١٠) فحسب، بل قضى على إمارات الدلتا الكثيرة أيضًا، واستبدل فى سياق إصلاح إدارى «كبار الما» بموظفين مدنيين مصريين. وتراجع ربط المناصب والوظائف الكهنوتية والعسكرية، الذى كان من صميم عصر الليبيين ما سلف ذكره، ليخضع للتنوع التقليدى للوظائف، وليصبح فى أيدى بعض الأتباع المقربين للملك، حيث عاد بشكل متزايد استخدام ألقاب عتيقة جدًّا لعهود مضت منذ زمن بعيد. وتولى المصريون أمور الكهنوت والإدارة، أما الجيش فكان إلى حدٍّ كبير مهمة الليبيين. وفيما يتصل بالعمل فى التحصينات الحدودية وإرسال حملات عسكرية مثل تلك الحملة إلى النوبة فى عهد پسمَّاتيك الثانى، فقد اعتمدت الدولة بصفة خاصة على جنود مرتزقة أجانب. فالقدرات العسكرية لليبيين وآخرين من غير المصريين كانت لهم الأفضلية فيما يبدو عن قدرات أهل البلاد الأصليين. وبطبيعة الحال، استحوذ ليبيون كذلك على الرتب العليا[٥٥]. ويبدو أيضًا وجود بعض التشابه فى هذا الصدد مع أسرة چينج Ch'ing الصينية (١٦٤٤-١٩١١). فحكام المانشو كيَّفوا أنفسهم ثقافيًا مع عادات البلاد الخاضعة لهم وتقاليدها مثل الصاويين، وإن كانوا قد شعروا بأنهم فى المجال العسكرى متفوقون بشكل قاطع[٥٦]. لكن لتوسيع المقارنة قليلاً إلى مستوى آخر، فكما تظاهر الچينج بولعهم بالديانة البوذية التيبتية والعناية بها، وفى الوقت نفسه كانوا يمارسون فى الباطن طقوسهم الشامانية السحرية التقليدية[٥٧]، فإننا يمكن أن نتصور كذلك أن الحكام الصاويين إلى جانب ممارستهم شعائر ديانة مصر الرسمية، كانوا يقيمون شعائر أسلافهم الليبيين أيضًا، وإن كان «فى الخفاء» ...

ويعود تأسيس بعض التحصينات الحدودية المتفرقة إلى پسمَّاتيك الأول، وطبقًا لما أطلعنا عليه هيرودوت، حيث كانت لا تزال تعمل فى عصره، إذ قال: «فى عهد الملك پسمَّاتيخوس وُضعت حاميات فى مدينة إلفنتين تجاه الإثيوبيين، وأخرى فى دافناى البلوزية تجاه العرب والسوريين (أو الآشوريين)، وفى ماريا (حامية) أخرى تجاه ليبيا» (الكتاب الثانى ٣٠، ٢). وتقع بلدة ماريا (كوم الإدريس)

تلك بعيدًا إلى الغرب، بالقرب من بحيرة المريوطية، ويُحدد مكانها بالمنطقة الإدارية المسماة «منطقة صحراء الليبيين التمِحو» (خاسْت ثِمحو) التى قام بتأسيسها پسمَّاتيك الأول. ولعل ما يثبت بشكل قاطع تطابق موقعها مع خاست ثِمحو هو ظهور تسمية المكان «مدينة حِستِمِح (ح|س|ت|م|ح)» موطنًا لأسرة آرامية على لوحة من عصر الفرس. وفيما يبدو أن الرجل صاحب اللوحة كان مرابطًا عند هذا المكان الحدودى (قارن شكل ٤٧)[٥٨].

ولعل ثمة علاقة بين جنود مرتزقة ليبيين فى الصحراء الغربية وكبير الأطباء و«رئيس التمحو» و«رئيس الأجانب التِحنو» المدعو پسمَّاتيك، الذى عاش فيما بين نهاية الأسرة السادسة والعشرين وبداية الأسرة السابعة والعشرين وكانت له مقبرة بالقرب من هرم أوناس فى سقارة[٥٩].

وعندما ضم پسمَّاتيك طيبة فى عام حكمه التاسع (عام ٦٥٦) بطريقة دبلوماسية[٦٠]، كانت قد اكتملت إعادة وحدة البلاد. والآن نتساءل عن أصله الحقيقى هو نفسه؛ إذ إن اسمه ليس مصريًا ولا اسم أبيه نيخو أيضًا. وأحيانًا ما يُكتب «پسمَّاتيك»، كما لو كان يعنى «رجل الأبريق الممزوج أو النبيذ الممزوج»[٦١] (شكل ٦)، ونادرًا ما توجد صيغة مؤنثة لهذا الاسم بطبيعة الحال[٦٢]، لكن كل ذلك مسائل ثانوية. وليس هناك أى سبب لاعتبار الاسم اشتقاقًا من لغة الأناضول؛ فالاسم بلا شك ليبى، وپسمَّاتيك الأول كان ليبيًا[٦٣]! وفى طموحه لإعادة وحدة البلاد ومركزيتها، فقد وضع نهاية كذلك للمبدأ الليبى القديم المتمثل فى الممالك المتعددة Polyarchie.

وفى عام ١٩٥٧، اكتشفت واحدة من لوحات عديدة على الطريق الصحراوى الغربى عند دهشور (شكل ٧)، وهى مؤرخة من العام الحادى عشر من حكم پسمَّاتيك الأول (عام ٦٥٤)[٦٤]، أى بعد سنتين فقط من ضمه طيبة. ففى الجزء الجملونى من اللوحة، يُلقب الحاكم باسم «واحئيبرع الذى يضرب (أهل) التِحنو». وربما «يقع هذا اللقب هنا موقعًا غريبًا، لأن پسمَّاتيك نفسه كـان ليبى الأصل»، لكن كما يفترض جوديكه Goedicke – ولعله على حق –، فإن «النوازع 'القومية'،

كانت تمثل معيارًا أقل من متطلبات السلطة السياسية»[٦٥]. وبغض النظر عن ذلك، فإن تاريخ الإنسانية يعطى أمثلة كافية لأفراد من جماعات عرقية قريبة حاربت ضد بعضها، ولا سيما عندما نشاهد الأمر من بُعْد مكانى وزمانى وحدة واحدة – وفى الحالة الملموسة «ليبيون» –، حيث كانت توجد كثرة من القبائل المتنافسة أمكن بقاؤها موالية من خلال حكومة مركزية قوية فقط.

ففى صياغة أدبية، تُروى فى نقوش لوحة متعارف على تسميتها اصطلاحًا «أقصوصة ملك»، كيف علم الملك بتمرد الليبيين الغربيين (ما وتِمحو). ولا يزال فهم تلك النقوش بالتفصيل تكتنفه صعوبات كبيرة؛ لكن ما يتضح بجلاء أنه كان لا بد من مواجهة العصاة بالقوة العسكرية[٦٦].

وبالنظر إلى مثل هذه الإجراءات، فإنه يبدو ربما مفاجأة أن «كبار الما» كانوا لا يزالون نشطين حربيًا فى المرحلة المتأخرة لحكم پسمَّاتيك الأول. وتُعَدُّ لوحة الهبة من العام الثامن من عهد پسمَّاتيك الأول (عام ٦٥٧) هى أحدث دليل على وجود «زعيم كبير»، حيث يظهر شخص يُدعى پتخونس بلقب صريح بوصفه صاحب هبة لعشر أرورات من الأراضى الزراعية فى فاربَيْتوس فى شرق الدلتا[٦٧]. واستطاع ريتنر[٦٨] Ritner تحديد قراءة اسم «كبير الما»، فقد كانت قراءته خاطئة حتى هذا التاريخ، ويعود إلى العام الحادى والثلاثين من عهد پسمَّاتيك الأول (عام ٦٣٤) فى منطقة الحيبة. بيد أنه من الغريب أن «كبير الما فى تا-قحى»[*] المذكور فى النص أصبح لا يتعامل من تلقاء نفسه، لكن بتكليف من ممثلين من سلطة الدولة فقط. ولحماية بيت أحد الأشخاص، نراه يستدعى ضباط الكالاسيريس[٦٩] بكامل أسلحتهم. بعد ذلك بقليل، يظهر مع خمسين من المقاتلين فى الحيبة متلقيًا تعليمات بالبحث فى أوكسيرونخوس (البهنسا) وحارداى (فى محيط إهناسيا) عن أناس بعينهم، لضمان عدم معاقبتهم بالحبس. وبعد إنجازه تلك المهمة، قَدَّم – وهو خاشع – تقريرًا عن ذلك. بعدها لم نسمع عنه شيئًا البتة.

(*) تعنى تا-قحى «المنطقة»، وهى فى الوقت نفسه اسم مكان (المؤلف).

وفى النصف الثانى من الأسرة السادسة والعشرين، قرب نهاية فترة حكم أبريس (حوالى عام ٥٧٠)، بحثت قبائل ليبية مضطهدة فى قورينية فى عهد ملكهم أديكران عن مساعدة المصريين. فبعث أبريس بجيش إلى قورينية، لكنه هُزم. وأرجع هيرودوت (الكتاب الرابع، ١٥٩) السبب الرئيسى فى ذلك إلى التذمر المتزايد للمصريين من أوضاع الحكم والسقوط الوشيك لأبريس بواسطة أمازيس.

وبعد الغزو الفارسى لمصر على يدى قمبيز فى عام ٥٢٥، خضع الليبيون طواعية خشية ما هو أسوأ من ذلك، «فأقروا بدفع الجزية وبعثوا بهدايا» (هيرودوت، الكتاب الثالث ١٣، ٣). وفى عهد داريوس، فُرضت على ليبيا ومصر معًا جزية سنوية بلغت إجمالاً ٧٠٠ تالنت (هيرودوت، الكتاب الثالث ٩١، ٢)، وهى فى الأحوال العادية قيمة غير مفرطة، إلى جانب القيام بأعمال خاصة معينة[٧٠]. وفى قوائم الشعوب الصغيرة التى كانت تتبع الإمبراطورية الفارسية، تظهر ليبيا باسم پوتايا؛ أما على تمثال سُوسَه (شكل ٨)، فإنها تُذكر بالاسم القديم «أرض التِمحو»[٧١].

وإلى جانب ذلك، يُذكر الما(كسيون)، الذين سبق الحديث عنهم قبل قليل، أيضًا فى بردية ديموطية من هذه الفترة من إلفنتين[٧٢]. فقد كان عليهم فى عام ٤٨٦ – وهى فترات اضطراب – أن يتولوا حراسة حمولة غلال. وفى مرة تالية، كانوا يعملون بتكليف من سلطة الدولة الفارسية فى مهمة شرطية أو عسكرية.

وسنضطر إلى تجاوز تلك الأخبار التى تعاقبت فيما بعد عن الليبيين فى مصر مثل قصة حاكم أسرة الدلتا إيناروس، الذى ثار عام ٤٦٢/٤٦٣ ضد حكم الفرس، فقام أرتاكسيركسيس بصلبه[٧٣]، لكننا نود أن نلقى نظرة على الوضع فى واحة سيوة و«الدولة الثيوقراطية» للأمونيين هناك، الشهيرة بوحى آمون، الذى زاره الإسكندر الأكبر لاستشارته[٧٤]. وكما أثبت كولمان Kuhlmann، «لم تقع سيوة مطلقًا تحت أى تأثير إدارى مصرى أو حتى إغريقى بصورة مباشرة، لكن حكمَها ملوك من أهلها، وإن كانوا متمصرين»[٧٥]. وفى الأسرة السادسة والعشرين لعهد أمازيس، كان هناك «ملك مصر العليا والسفلى» (!) و«كبير البلاد الأجنبية»

المدعو ستيرديس[٧٦]، الذى عدَّ نفسه - مع تأكيد مرتبته الدينية - حاكمًا للدولة الثيوقراطية الآمونية، وأيضًا بوصفه «كاهنًا أول لآمون». إن اتخاذه اللقب الملكى ولقب كبير كهنة آمون يعيد إلى الأذهان صلات وثيقة سابقة بطيبة، ويُذكِّر بوضوح بـ «كبير الكهنة» حريحور فى نهاية عصر الرعامسة، الذى كان ينحدر من المؤكد أيضًا من سلالة ليبية، كما سبق القول.

لكن أقدم حاكم معروف لسيوة هو والد ستيرديس، المدعو ريرواتيك، ولا يبدو اسمه مصريًا، وأغلب الظن أنه ليبى[٧٧]. وإبَّان الأسرة الثلاثين، كان يحكم هناك «أمير كبير للبلاد الأجنبية»، المدعو ونآمون (شكل ٩). وتثبت ريشة النعام المميزة فى شعر الرأس أن كليهما ليبى. كذلك سمح ونآمون بتصوير نفسه متزيًا بالكامل على نهج فرعون مصرى، بل عدَّ نفسه ذات مرة «ابنًا جسديًا محبوبًا» لآمون-رع[٧٨]. وفى عام ٢٠٧ تقريبًا، أى فى الفترة «عندما كانت قورينيقة تتبع دولة البطالمة منذ وقت طويل» وتخضع تحت إدارة مملكة ليبية، يتواتر إلينا عن المؤلف الكلاسيكى الرومانى سيليوس إيتاليكوس اسم قائد يُدعى نابيس بوصفه «ملكًا» و«كاهن آمون»[٧٩]. ومن المشكوك فيه للغاية فيما يبدو أن اسمه مصرى فعلاً، ولا يمكن أن يكون مشتقًا من تعبير 'نبف' المصرى، أى «سيده»، فهو اسم غير ثابت مرجعيًا أصلاً حتى الآن. ومن ثمَّ، فإنه يجوز أن يكون اشتقاقًا منطقيًا لاسم ملك من إسبرطة حمل أيضًا الاسم نفسه!

ويتحدث هيرودوت فى الكتاب الثانى (٣٢-٣٣) عن ملك للآمونيين يُدعى إتيارخوس، الذى ينطوى خلفه طبقًا لكولمان Kuhlmann، كما هو فى حالة الملكة المروية «كنداكة»، ليس اسم علم حقيقى، بل لقب حاكم. ويفترض كولمان أن إتيارخوس هذا هو ترجمة للقب شرفى يعنى «سيد (حاكم) حقيقى» لونآمون المذكور سالفًا. لهذا السبب، فهو يَعُدُّ حكام سيوة المحليين إجمالاً «إتيارخونيين»[٨٠]. ويبدو هذا الاقتراح مريبًا، لأن إتيارخوس فيما عدا ذلك اسم معروف على أفضل وجه، ليس فقط لدى هيرودوت (الكتاب الرابع ١٥٤)، وصلته بأحد ملوك أواكسوس فى جزيرة كريت وابنته فرونيما، التى كانت أم باتُوس، فأصبحت بذلك الجدة البعيدة للملوك الليبيين، لكن أيضًا صلته باسماء شخصيات أخرى كثيرة غير ملكية[٨١].

بعد نهاية حكم الليبيين وفى وادى النيل نفسه، فإن العنصر الليبى واقع ملموس فى ثلاثة مجالات مباشرة على الأقل: تسمية الأسماء، والأدب، وأخيرًا الديانة. فأسماء حكام الأسرات مثل أوسركون وشوشنق وپسمَّاتيك يمكن الاستدلال عليها فى عصر البطالمة[٨٢]. وفى الأدب، فقد شهد عالم الفروسية الإقطاعى لعصر الليبيين بعثًا فى القصائد الشعرية الملحمية المعروفة باسم مجموعة إيناروس وپتوباستيس، التى تواترت كتابة مخطوطاتها فى فترة متأخرة جدًا[٨٣].

وختامًا، نسوق بعض الجمل عن معنى ليبيا فى الديانة المصرية فى الألفية الأولى وبعد ذلك. فقد كان علينا أن نذكر هنا منظر نمتى (أنتايوس) الليبى الممثل بريشة الزعماء المميزة فى قاو الكبير[٨٤] (شكل ١٠). إضافة إلى ذلك، نصادف كثيرًا فى نصوص ديموطية «حتحورة ليبيا»[٨٥]، وهى فيما يبدو «أفروديت الليبية»، التى ذكرها سِكستوس إمپيريكوس. وليس هذا تطورًا خاصًا جاء متأخرًا، لأن «حتحور ليبية» كانت توجد من قبل فى الأسرة التاسعة عشرة[٨٦]. على أن هذا لا يعنى أننا بصدد استيراد معبودة ليبية حقيقية، مثلما هو فى حالة الإلهين القديمين آش وحا المذكورين سالفًا فى بداية هذا الفصل[٨٧]. ومن المرجح أن هذه الصلة مع ليبيا ترجع إلى أن حتحور ارتبطت من قديم الزمان بالغرب بوصفها أرضًا ميتة، فهى «حتحور سيدة الغرب» أو «حتحور، التى وُضِعَ الغرب تحت إمرتها»[٨٨]، ولم تكن تلك الصفة الأخيرة نادرة كذلك فى الألفية الأولى.

وفى العصر الليبى، يبدو أن اسم آمون، الذى يعنى أصلاً «خفى»، قد أصبح متساويًا مع الكلمة الليبية آمان، أى «ماء». «ويُحتمل أن الليبيين فسروا لون بشرة الإله الزرقاء بأنها لون الماء، عوضًا عن 'الهواء'»[٨٩].

وفيما بعد، وفى ضوء دراسة الأسماء الديموطية، وخاصة فى سوكنوپايونيسوس بالفيوم، نصادف أيضًا كثيرًا «حورس الليبى» (هارپاجَتيس)[٩٠]. أما شِهِديت[٩١] فيمكن أن تكون إلهة حقيقية، فهى معروفة حتى الآن من خلال أسماء الأشخاص فقط فى الفترات المتأخرة، إلا أنها فى تلك الحالة تكون فى صيغ متنوعة وكثيرة. إلى جانب ذلك، يجوز القول فى هذا الصدد إن الأسماء المصرية، ولا سيما تلك التى تنحدر من العصر المتأخر، تمثل مصدرًا مهمًا لبحث الديانة المصرية، سواء الهيروغليفية منها أو الديموطية، فهى لم تُقيَّم باستفاضة منذ وقت بعيد حتى الآن.

الفصـل الثانى

علاقات مصـر بآشور وبابل

بينما تظاهر الحكام الأجانب الليبيون والكوشيون بالاندماج فى الحضارة المصرية، سواء بدرجة أكثر (لدى الكوشيين) أم أقل (لدى الليبيين)، حيث ظهروا كفراعنة شرعيين على الآثار، فإننا نستمد معلوماتنا من الفاصل المسرحى الآشورى مبدئيًا من خلال شواهد الغزاة فقط. فالوثائق الوطنية تطبق الصمت كلية عن هذه الحقبة. ولا يوجد نص مصرى معاصر واحد يُؤرِّخ بأى ملك آشورى أو حتى يُلَمِّح بطريقة واضحة إلى تلك الأحداث، وحتى هيرودوت وديودوروس، بل مانيتو أيضًا لا يعلمون شيئًا عن ذلك. أما المعالجات الكثيرة اللاحقة فى الأدب الديموطى التى يُذكر فيها على الأقل كل من أسماء آسرحدون وأبيه سيناخريب[١]، فسوف نضطر هنا إلى عدم الالتفات إليها. ولن يُلتفت كذلك إلى أية مناظر مصورة يمكن أن تكون لها علاقة بطريقة ما مع هؤلاء الغزاة.

فحسبنا فقط فى هذا السياق هو تفسير بعض إشارات غامضة نوعًا ما ومتناثرة تمامًا هنا وهناك: عن ذلك يتحدث مونتومحات، أقوى رجل فى طيبة عند منتصف القرن السابع فى معبد موت بالكرنك، بأنه قد «وضع مصر العليا على طريق ربه (أى الطريق الصحيح)»، «عندما انبطحت البلاد كلها على رأسها»[٢]. وقد طاب للبعض أن يرى فى ذلك تلميحًا إلى فترة خلو العرش الآشورى، حتى اعترض لوكلان Leclant على ذلك لأسباب زمنية باعتباره بعيد الاحتمال، حيث إن الملك المصور هو تاهَرقا وليس تانواتآمانى، ومن ثَمَّ، فإن المقصود كان بالأحرى «عصر النهضة الإثيوبية» فى نهاية القرن الثامن[٣]. لكن كما أوضح أسمان Assmann[٤]، فإن توصيف مظاهر الفوضى المصرية له من دون شك أسس عملية غالبًا، فلم يثبت بعد أن التفسير القديم خطأ، كما أنه لا يمكن أن يَرمُز ذلك إلى زحف أولئك الآشوريين، الذين لم يكونوا على «طريق الله» قبل عام ٦٦٤ – أى عصر تاهَرقا[٥].

ولعل بردية رايلاندز ٩ الديموطية[٦] (Papyrus Rylands 9)، التى كُتبت قبل عام ٥٠٠ بفترة قصيرة تستعيد ذكرى هذه الفترات؛ إذ يشير بسمّاتيك الأول (عام ٦٦١) مرتين فى ذكراه عن العام الرابع من حكمه إلى «أوقات المحنة تلك»، عندما أُكرهت «المعابد العظيمة» للبلاد التى كانت معفاة من الضرائب حتى ذلك الوقت على أداء الضرائب وأشياء أخرى مشابهة.

ونشاهد أيضًا صدى السلب والنهب الآشورى لطيبة فى الإلياذة، مثلما هو الأمر فى شكايات النبئ ناحوم[٧].

ولفهم كيف وصل الأمر إلى حملات آسرحدون الثلاث على مصر فى السنوات ٦٧٣ و٦٧١ و٦٦٩، علينا أن نلقى نظرة على تطور العلاقات السياسية لمصر بغرب آسيا خلال العقود السابقة.

ففى عام ٨٥٣، أى فى عهد أوسركون الثانى (حوالى ٨٧٥–٨٣٧)، ووفقًا لرأى شائع بصفة عامة، وإن كان غير مؤكد[٨]، سبق أن حاربت فصيلة عسكرية مصرية مكونة من ألف رجل فى اتحاد لتحالف من دويلات سورية كانت قد انضمت إليه جُبيل، شريك مصر التجارى القديم، إضافة إلى أخآب ملك إسرائيل، فى قرقر عند نهر العاصى ضد شلمانصَّر الثالث (٨٥٨–٨٢٤) لصد الزحف الوشيك للآشوريين. صحيح أن المعركة لم تُحسم، غير أن نهوض آشور لم يكن من الممكن القضاء عليه. ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا، قام أوسركون الثانى أو خليفته شوشِنق الثالث (حوالى ٨٣٧–٧٩٨) بإرسال هدايا دبلوماسية إلى البلاط الآشورى. بعد ذلك ببعض الوقت، نشاهد رسلاً مصريين مقيمين فى آشور. وفى العقود التالية بعد موقعة قرقر، لم نسمع شيئًا البتة عن مشاركة مصرية فى الصراعات الحربية السورية والفلسطينية مع الآشوريين؛ فالظاهر للعيان أن البلاد كانت ترزح بمشاكلها الداخلية.

ولا شك فى أن النزعة الإقليمية السورية التقليدية التى لم يمكن كبح جماحها بسبب مطامع دمشق الواسعة، قد أسهمت أيضًا فى تمهيد الطريق للآشوريين صوب البحر المتوسط وإلى حدود مصر. فتحقق الاختراق الحاسم للهجوم

الآشوري في عهد تيجلاتپيلِسَر الثالث[٩] (٧٤٤-٧٢٧). وبعد عدة حملات، قام هو وخلفاؤه تباعًا، وبخاصة سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥)، بغزو الدويلات السورية التي أصبحت دولاً تابعة، وتحول جانب كبير منها في نهاية الأمر إلى ولايات آشورية. ولم يبقَ هذا الوضع بالنسبة إلى علاقات مصر التجارية في تلك المنطقة من دون عواقب. فقد قام تيجلاتپيلِسَر في عام ٧٣٤ بتشييد بيت كاري[١٠]، وهو معقل تجاري بالقرب من الحدود المصرية، فيما بين المكان المسمَّى «قناة مصر» وغزة. وفيما بين عامي ٧٣٥ و٧٣٢، تلقى مفتش التاج الآشوري (قيپو) في صُوْر التعليمات بعدم توريد خشب إلى مصر وفلسطين[١١]. ويقول أوناش[١٢] Onasch في هذا الصدد: «لكن للأسف، سوف يظل غامضًا الهدف الذي كان يُراد تحقيقه بهذا الإجراء. بيد أن المرسوم الآشوري يُبَيِّن أن العلاقة بمصر كانت تئن في هذا الوقت بشيء من التوترات». ولم تقل هذه التوترات بفرار حانون أمير غزة إلى مصر، بعد تمرد فاشل ضد الآشوريين. فقد نُهبت غزة وفُرضت عليها جزية سنوية؛ بل أبعد من ذلك، عُهد إلى زعيم قبيلة عربية كان قد تم إدماجه في الإدارة الآشورية بمراقبة حركة المرور عند الحدود. لذا، فإن التهديد الصادر عن آشور من الآن فصاعدًا بات متربصًا وكأنه على الأبواب.

ونعلم من العهد القديم (الملوك الثاني ١٧، ٤) أن هوشع ملك إسرائيل تآمر على شلمانصَّر الخامس (٧٢٦-٧٢٢)، «فأرسل رسلاً إلى سُو ملك مصر» - وقد كان ذلك في عام ٧٢٤ تقريبًا - وتوقف عن أداء الجزية السنوية إلى ملك الآشوريين. وقد كُتب كثيرًا عن المقصود بهذا السُو[١٣]، إذ اعتقد بأنه يعني غالبًا أوسركون الرابع (حوالي٧٣٠-٧٢٢)، وهو الحاكم المقيم في تانيس من الأسرة الثانية والعشرين. وفي حين لم يُؤخذ في الاعتبار بجدية لأسباب لغوية ذلك الافتراض بأن سُو ليست شيئًا آخر سوى كلمة تعني «ملك»، فإن النظرية الغريبة نوعًا ما من الوهلة الأولى القائلة بأن أوسركون يمكن تحريفه إلى سُو، لا يجوز من البداية رفضها لكونها غير معقولة، إذا ما أمعنا التفكير مثلاً في شِش بالنسبة إلى اسم شُوشِنق أو في سِسي بالنسبة إلى اسم رمسيس. وقبل سنوات كثيرة،

عرض جوديكه Goedicke[١٤] اقتراحًا لقى منذ ذلك الوقت ترحيبًا كبيرًا المرة بعد المرة، مفسرًا سُو بأنها «سايس»؛ لذلك، فإن السياق من وجهة نظره هو: «أرسل رسلاً إلى سايس <إلى> ملك مصر». وفى هذه الحالة، فإن ملك مصر كان تِفنخت، وهو أقوى حاكم فى الشمال، الذى سيطر على المنطقة من ساحل البحر المتوسط إلى الجنوب من منف. لذا، لم يكن يلعب دورًا عما إذا كان مقر أوسركون فى تانيس أقرب كثيرًا إلى الحدود السورية الفلسطينية منه فى سايس، بل حاول البعض لتأييد هذا الاقتراح استبعاد ما تواتر عن ديودوروس وپلوتارخ من رواية خرافية وأخذها حقيقة تاريخية، وهى أن تِفنخِت قد آثر الحياة البسيطة فى حملته على العرب عندما بدأ يشح مخزونه من المؤن تدريجيًّا فى أثناء عبوره شمال سيناء فى الطريق إلى فلسطين[١٥].

لكن هذا التطابق لكلمة سُو مع كلمة سايس كان لا بد أن ينتهى. فقبل فترة قصيرة أوضح ب. شيپر[١٦] B. Schipper بحجج مقنعة أن سُو، التى وردت بعد عبارة «أرسل رسلاً إلى...» (شَالَح مالآكيم إل ...)، تعنى فى السياق اللغوى فقط اسم علم، وليس اسم مكان. ومن هذين الاقتراحين السابقين، فإن مطابقة سُو مع أوسركون الرابع هى الأكثر احتمالاً، فقد كان من وجهة النظر المصرية إجمالاً حاكمًا ضعيفًا، لكن لأسباب جغرافية فهو الأكثر ترجيحًا، بوصفه شريكًا فى التحالف بالنسبة إلى إسرائيل. وإذا لم نقبل بذلك الحل وهذا الاقتراح، فإنه يبقى الاحتمال النظرى الوحيد فى اعتبار سُو اسمًا لأى حاكم محلى غير معروف من مصادر مصرية.

على أية حال، فإن التماس هوشع لم ينفعه أو يفيده فى شىء. فبعد ثلاث سنوات من الحصار، سقطت السامرة فى نهاية عام ٧٢٢، وكما يُقال، فى عهد سرجون الثانى خليفة شلمانصَّر؛ وانتهى بذلك وجود دولة إسرائيل الشمالية بصفة نهائية، حيث تكونت فى النهاية من دويلة إفرايم فقط مبتورة الأطراف، التى أبقى عليها الآشوريون.

فى هــذه الفترة تقريبًا وفى عام ٧٢٠، كان قد ظهر على الساحة تحالف معادٍ للآشوريين، إذ توصل حانون حاكم غزة إلى ضمان مساعدة جيش مصرى له تحت قيادة القائد رئيه. إن شخص رئيه أو ريّا(١٧) غير معروف فى المصادر المصرية؛ ويُطلق عليه فى الآشورية تورتانو، وهو لقب ورد كذلك فى العهد القديم بصيغة تَرتان(١٨)، ويُفهم بمعنى «قائد حرب». وقد انهزم الحلفاء عند رفح، إلى الجنوب الغربى من غزة، واضطر القائد المصرى إلى أن يلوذ بالفرار إلى بلاده. ونستدل على اشتراك مصر فى المعارك الحربية لعام ٧٢٠ أيضًا من نقوش فى قصر فى خورسباد، وإن كان قد صُوِّر هناك كوشيون، وهو ما ينطوى على مفارقة تاريخية(١٩).

بعد ذلك بسنوات قليلة وفى عام ٧١٦، خرج سرجون الثانى إلى فلسطين لتهدئة القبائل العربية فى الجنوب. وفى إطار توسيع المعاملات التى كان قد بدأ إجراءاتها تيجلاتبيليسَر الثالث، افتتح سرجون مركزًا تجاريًا لآشوريين ومصريين بالقــرب من حدود كلتــا القوتين العظميين، فى «مدينة من الوادى/ قنــاة مصر» (آل نَخَل مُصُر) المذكورة فى العهد القديم، ووقعت عند العريش، وهى رينوكولورا فى المصادر الإغريقية. فجاء فى الحوليات الآشورية: «فتحت الحدا المختوم لمصر، ومزجت [سكان] آشور ومصر معًا، وجعلتهم يمارسون التجارة»(٢٠). ولا يزال الموقع الدقيق لتلك المحطة التجارية غير واضح، وكذلك عما إذا كان متطابقًا مع بيت كارى، ذلك المكان الذى قام بتأسيسه تيجلاتبيليسَر الثالث قبل نحو عقدين من السنين. ومن المحتمل أن يكون قطيف على ساحل البحر، إلى الجنوب من غزة وتل أبوسليمة، إلى الشرق من العريش فى الطريق إلى مصر(٢١). فهناك اكتشف بترى Petrie وقتذاك بقايا منشأة تُفسر الآن بأنها قلعة آشورية ومعبد. ومن البدهى أنه من خلال مثل هذه المشاريع، زاد تأثير آشور على علاقات مصر التجارية التقليدية بسوريا وفلسطين. وللمرة الثانية عُهد إلى شيخ عربى (ناسيكو) بتأمين منطقة الحدود التى اتخذت بوصفها منطقة لترحيل غير المرغوب فيهم.

وقد استجابت مصر بطريقة مختلفة، مثلما جاء فى نصوص سرجون: «[انتاب] شيلكانى، ملك مصر، [أرض بعيدة]، الخوف من هول (ملامُو) آشور، سيدى، فأحضر اثنى عشر جواذا مصريًا عظيمًا، مما ليس له مثيل فى البلاد، هديته (تامرتو)»[٢٢]. إن التحقق من هوية هذا الشيلكانى متنازع عليها، إذ يُفترض غالبًا بأنه أوسركون المذكور سالفًا. واعتقد يويوت[٢٣] Yoyotte أن شيلكانى – بحيث تنطق الشين بصورة منتظمة، عوضًا عن السين – لم يكن «فرعونًا»، لكنه كان أحد أصحاب السلطة الليبية المحلية الكثيرين فحسب. كما أن النص الآشورى لم يستخدم الدلالة الصوتية پرنو، لكن لفظ شارُو، أى «ملك»، كما يحلو أن يُتسم به كل أمير محلى مصرى. والنظرية الأكثر ترجيحًا أن المقصود هنا هو أوسركون الرابع كما سبق القول[٢٤]، إذ إن پيعنخى / پيى غزا مصر فى هذا الوقت تحديدًا، فى نحو عام ٧٣٤[٢٥]، حيث صُوِّر على لوحة النصر الكبيرة الخاصة به أوسركون (الرابع) بوصفه أحد أربعة حكام محليين فى الهيئة الملكية (شكل ٢)[٢٦].

ولئن كانت النقوش المصرية تطلعنا صراحة وبفخر منذ القدم على أن كل البلاد الأجنبية تؤدى جزيتها للملك فى خشوع، فالآن هو عكس ذلك. فيوجد خطاب من نمرود مؤرَّخ من تلك الفترة يُخبر فيه الملك الآشورى بأن الرسل من مصر، وغزة، ويهوذا، وموآب، وآمُّون قد وصلوا بجزيتهم[٢٧]. ويُذكر فى خطاب آخر استشهد به ردفورد Redford (حاشية ٢٧) خمسة من الخيول المصرية بوصفها جزءًا من دفعات عينية مصرية. ونعرف من حوليات سرجون أنه تلقى ذهبًا، وأحجارًا كريمة، وعاجًا، وشتلات توابل، وخيولاً، وإبلاً من «پرنو، ملك مصر»، ومن سامسى ملكة العرب، ومن إيتامار السبئى[٢٨]. إلى جانب ذلك، يتضح لنا أن لقب الحاكم المصرى پرعا، المشتق منه لفظ «فرعون»، قد فهمه الآشوريون فى توازٍ كامل مع الصيغة التوراتية «فرعون ملك مصر» (پرعوه ملِخ ميصرايِم)، وكأنه اسم علم. لكن يبقى هنا غير واضح تمامًا كيفية فهم التعبير ماداتُو، الذى يُترجم عادة بمعنى «جزية»[٢٩] (ضريبة الدولة التابعة)، وهى كلمة مشتقة من نَدانو، أى «يعطى». وفى نهاية الأمر، فإن مصر لم تكن قد غُزيت بعد.

وقد اعتُرض كذلك فى حالة إيتامار السبئى، بأنه لم يكن بكل تأكيد خاضعًا لسيطرة آشورية مباشرة، حتى وإن كان قد عاش فى مستعمرة سبئية عربية شمالية، وليس فى وطنه الأصلى فى الجنوب. إذن، هل كان أوسركون الرابع مضطرًا إلى الخضوع للأمير الآشورى وأداء الجزية حقًّا[٣٠]؟

لقد قلنا من قبل إن مصر قد استجابت بطريقة مختلفة، وذكرنا أن پيعنخى فى هذا الوقت كان قد غزا البلاد. وعلى عكس شيلكانى (أوسركون الرابع)، فإن پيعنخى لم يرسل خيلاً إلى الآشوريين، فقد استهوته بشغف هو نفسه اصطبلات الملك الهيرموپوليتى نمرود، التى عَدَّها ملكه الشخصى، لكنه تقدم حتى سوريا وفلسطين، أى فى منطقة حماية آشورية. إذ تُظهر نقوش پيعنخى فى جبل البرقل جنودًا من الأعداء بخوذات من الطراز الآشورى[٣١] (شكل ١١) تردها على أعقابها قوات مصرية أو كوشية. كما أن وثائق هيراطية ذات الخط المائل، فيما بين العام ٢١ والعام ٢٢ من عهد پيعنخى - تُؤرخ حملته الكبيرة فى العام ٢١! - تتناول بيع «رجال من المنطقة الشمالية» بوصفهم عبيدًا. والظاهر للعيان أنهم أسرى حرب من أولئك الذين أسرهم الكوشيون فى مجريات أنشطتهم الحربية منذ ذلك الوقت فصاعدًا فى المنطقة الحدودية السورية والفلسطينية الخاضعة للسيادة الآشورية. ففى وثيقة مشابهة من العام العاشر لشاباكا (حوالى عام ٧١٠)، يُذكر «رجل من المنطقة الشمالية» بأنه قچوچ، وهو اصطلاح كان يبدو غير واضح فى بادئ الأمر. وقام قواجبير[٣٢] Quaegebeur فى أحد أعماله الأخيرة بإيضاح ذلك الأمر بإقناع، من حيث إنه تعبير حرفى لا يعنى شيئًا آخر سوى «ساكن غزة»، وإن تطورًا مشابهًا قد حدث فى كلمات أخرى، مثل الكلمة الأكثر شيوعًا خار، أى «سورى»، و«عبد سورى»، و«خادم»، وأيضًا «صبى». وفى نهاية الأمر، يجب الإشارة إلى ما جاء فى ختام نقوش لوحة پيعنخى الكبيرة (سطر ١٥٣ وما يليه) من ذكر «سفن محملة بفضة، وذهب، ونحاس، وملابس، وكل شىء من بلاد الشمال، وكل جزى سوريا (خارو)، وكل بقول وتوابل بلاد الله» وعودتها إلى الوطن - ولا يبدو ذلك فى السياق مجرد عبارات طنانة جوفاء!

عندما زال لبعض الوقت الحكم الكوشى فى الشمال مرة ثانية، بعد سنوات قليلة من انسحاب بيعنخى، استعاد أخوه الأصغر شاباكا غزو الدلتا بالكامل فى عام حكمه الثانى (عام ٧٢٠). أما خليفة تفنخت المدعو بوكوريس، فإنه، وفقًا لمانيتو، قام ساباكون، كما يُسميه المؤرخ الرسمى لشاباكا، بحرقه حيًا - وهى نوعية من العقوبة ليست نادرة تمامًا نجدها فى المصادر المصرية[٣٣]. فى هذه السنوات اغتصب شخص يُسمى يمانى[٣٤] عرش أشدود، وهى إحدى خمس مدن كبيرة للفلسطينيين (المدن الأخرى كانت عسقلون، وعقرون، وجات، وغزة)، فحاول دون سدى أن ينال مساعدة «پرنو ملك مصر» لتكوين حلف معادٍ للآشوريين[٣٥]، وهو فرعون لم يُذكر اسمه للأسف - وأيهم كان يُذكر دومًا! وعند اقتراب الآشوريين فى عام ٧١١[٣٦]، هرب يمانى إلى مصر، لكن لم يأتِ بعدها أى ذكر عن پرئو. وتُذكر فى الأكَّادية جهة هروبه، بأنها «آنا إيتا مُوصرى شا پاط ملوخًا». ويوجد لذلك تفسيران محتملان: (١) «حتى حدود مصر، التى تقع عند أرض النوبة»[٣٧]. وتبعًا لذلك، فإن يمانى قبل أن يقوم شاباكا بغزو الشمال، كان قد عَبَر البلاد كلها حتى الحدود الجنوبية التقليدية، ريثما وصل إلى منطقة سيادة كوشية. (٢) «حتى حدود مصر التى تقع فى نطاق ملوخًا (أى النوبة)»[٣٨].

وبدهيًا وحتى فترة قصيرة، أمكن الخروج بافتراضين منطقيين: الأول، وهو أن المصطلحين الأكَّاديين پرئو «فرعون»، وشار ملوخًا «ملك ملوخًا» يعكسان انتقال السلطة الداخلية المصرية، أى الانتقال من حكم أوسركون الرابع وبوكوريس إلى الحكم الكوشى. والافتراض الثانى هو أن الحاكم الكوشى الذى قام بتسليم اللاجئ، الباحث عن مأوى، مقيدًا من رقبته، ومكبَّل اليدين بالأصفاد، ومقيد القدمين إلى آشور، كان فعلاً شاباكا، الذى كان قد استعاد غزو مصر قبل ذلك بسنوات قليلة. ولم يكن ذلك تعاطفًا مع القوة العظمى، لكن لإطلاق يديه من أجل توطيد سلطته. إلى جانب ذلك، فقد عُثِر على طبعات ختم شاباكا فى قصر سيناخريب فى نينوى[٣٩].

لكن من خلال النشر العلمى الحديث العهد لنقش صخرى يعود تأريخه إلى عام ٧٠٦ لسرجون الثانى (٧٢١-٧٠٥) فى منطقة تنك ڤار[٤٠] Tang-i Var الإيرانية، فقد انهار ذلك الرأى السائد حتى الآن جملة. فالحاكم المذكور اسمًا للمرة الأولى الذى قام بتسليم يمانى، لم يكن شاباكا (شكل ١٢)، لكن خليفته شابَتَاكا! أجل، إن عام ٦٩٠، وهو سنة اعتلاء تاهَرقا العرش، يظل باقيًا لكونه نقطة ثابتة من الناحية الزمنية، بيد أن تولى شابَتَاكا الحكم يعود إلى الوراء أربع سنوات على الأقل عن العام المفترض غالبًا حتى الآن، وهو عام ٧٠٢[٤١].

بعد موت سرجون الثانى، تسلم ابنه سيناخريب (٧٠٤-٦٨١) إرثًا ليس سهلاً، فقد كانت فتوحات تيجلاتيپيلِسَر الثالث وسرجون فى خطر دائم أن تضيع ثانية. فالغليان كان فى كل مكان: فى بابل، وأوراتو، وعيلام، وسوريا، وفلسطين. وبالنظر إلى الظرف التاريخى، لم تكن مصادفة أن بدأت تنشأ منذ حكم سيناخريب فصاعدًا تلك «المغالاة الوحشية فى الوطنية» brutale Chauvinismus بوصفها خاصية مميزة للآشوريين، وبمثابة «رد فعل دفاعى غريزى»[٤٢] بعد عقود طويلة لسياسة مزج الشعوب ببعضها.

وفى سوريا وفلسطين تكتلت صيدا، وعسقلون، وجُبيل، وموآب، وأدوم، وبعض الدويلات الأخرى، للتخلص من النير الآشورى. وسُلِّم پادى ملك عقرون، صديق الآشوريين إلى حزقيا ملك يهوذا. فلجأ أهل عقرون إلى مصر لخشيتهم من الانتقام. وفى تقرير الحملة الثالثة لسيناخريب[٤٣]، الذى كان قد تقدم فى عام ٧٠١ بخطوات حثيثة للوقوف على الوضع، يُقرأ ذلك: «ملوك مصر[*]، والنبَّالة، والعربات الحربية، وخيول ملك ملوخا، قوات حربية دون حصر، أحضروهم مستغيثين، فكانوا فى عونهم. وفى محيط منطقة التيكه (التاقو) وقفوا أمامى فى نظام القتال، وهم يشحذون أسلحتهم. ولنقتى فى آشور، سيدى، تقاتلت معهم وألحقت بهم الهزيمة. ومقاتلو العربات الحربية وأمراء مصر، إلى جانب مقاتلى العربات

(*) أى حكام الدلتا المحليون الذين تركهم شاباكا تابعين له (المؤلف).

الحربية لملك ملوخا أسرتهم يداى أحياءً خلال المعركة. وحاصرت، وغزوت، ونهبت التيكه وتمنا». وعُيِّن پادى ثانية حاكمًا لعقرون[٤٤]، أما حزقيا ملك يهوذا، فقد قُطِّعت أوصال بلاده إلى أجزاء واسعة، وضُمَّت إلى دويلات مدن تابعة مختلفة فى فلسطين. واستطاع حزقيا أن يدرأ شرًا أشد، بأن أدى جزية باهظة. وكان قد حُذر بذلك: «فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، على مصر، التى إذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها. هكذا هو فرعون، ملك مصر لجميع المتكلين عليه» (الملوك الثانى ١٨، ٢١؛ وما يُنسب إلى الآشوريين فى سفر إشعياء ٣٦، ١٦). ومما يُؤخذ بعين الاعتبار فى التقرير الآشورى أن له صبغة إيديولوچية ودعائية مثل روايات مشابهة على الجانب المصرى كذلك. إذ إنه من الواضح للعيان أن الاستيلاء على أورشليم لم يكن ممكنًا؛ فلم يحرز سيناخريب نجاحًا هائلاً، وقوة مصر الحربية لم تكن قد ضعفت بعد بشكل عميق.

ومن نقش تنك قار الإيرانى، نخرج بنتيجة يُطمأن إليها، وهى أن «ملك ملوخا» المجهول والمعاصر لسيناخريب هو فى الواقع شابتاكا وليس عمه شاباكا[٤٥]. بيد أننا نقرأ فى سفر الملوك الثانى (١٩، ٩) أن «ترْهاقة ملك كوش» قد خرج فى ذلك الوقت ليحارب سيناخريب. وبما أن تاهَرقا فى ذلك الوقت لم يكن قد وصل إلى الحكم بعد، فقد استُشهد وسوف يُستشهد المرة بعد المرة بهذا النص التوراتى، لكونه دليلاً على مشاركة محتملة لتاهَرقا فى الحكم مع شابَتاكا الذى لم تعنه المصادر الآشورية فى أى الأحوال، كما سبق القول. إذن، فقد كان تاهَرقا قائدا عسكريًا عامًا لفرقة مصرية هُزمت بعد ذلك فى التيكه. وللربط بين التقرير الآشورى والرواية التوراتية، اختُلقت كذلك معركتان، إحداها مصرية والأخرى كوشية، موجهتان ضد سيناخريب، لكن لا يجوز الأخذ بشهادة الكتاب المقدس بمبالغة دائمًا والتصديق بألفاظها المكتوبة بنصها الحرفى، إذ إن الإشارة لتاهَرقا المنطوية على مفارقة تاريخية يمكن تفسيرها ببساطة، بأن تاهَرقا كان فعلاً أشهر ملك كوشى - والوحيد بصفة عامة أيضًا - وأن الإخبارى كان على علم به، فاعتقد خطأً بأنه كان قد اعتلى الحكم فى ذلك الوقت[٤٦].

لكن بعد سنوات قليلة وعلى وجه التقريب فى عشية الغزو الآشورى، ظهر بالفعل تاهَرقا فى سوريا وفلسطين، إذ كان يحكم منذ عام ٦٩٠. وتُعَدُّ قوائم جرد المعابد فى قاوا بالنوبة هى أول دليل غير مباشر على ذلك[٤٧]. فلم يُذكر فيها شيء ما يمكن تفسيره بأنه جزية أو غنيمة من البلاد الأجنبية حتى العام الثامن. فعلى تمثال للملك من عام حكمه الثامن، نشاهده وهو يضرب البلاد الأجنبية – فيما يبدو فى علاقة ما بالعمليات الحربية ضد الليبيين المذكورة سالفًا فى الفصل الأول (صفحة ٤١) –، وبالنسبة إلى عام حكمه العاشر (عام ٦٨١)، سُجِّل برونز آسيوى، وحدائق المنتيو فى آسيا، وأرز لبنان. وتوجد أيضًا إشارات مشابهة عند مونتومحات، الذى كان حاكمًا لمدينة طيبة فى عصر تاهَرقا، كما نصادفه فى مصادر آشورية. لذلك، فقد اختلف الوضع تمامًا عما كانت عليه تعليمات تيجلاتپيلِسَر الثالث، قبل حوالى نصف قرن، بعدم السماح لمصر بالحصول على خشب (انظر صفحة ٥١).

وفى نقش من الكرنك[٤٨] فى حالة سيئة من الحفظ للأسف، ومن دون بيان تاريخ عام الحكم، يتوجه تاهَرقا إلى آمون فى ثقة بجمل مثل: «ليتنى أفعله[*] بجزيتك من أرض سوريا التى مُنِعَت عنك (أو ما شابه)». قبل ذلك بقليل جاء: «سوف تطرد من أجلى الـ[**] [...]. لا يوجد شخص يستطيع أن يمنعهم[***]». «يا أنت، ذلك الذى لا يترك ما يفعله وهو نصف»، أى الذى لا يتوقف فى منتصف الطريق. وطبقًا لرأى سپالينجر Spalinger، فإن كل شيء يبدو – بلا شك غير مألوف بالنسبة إلى الظروف المصرية – بمثابة اعتراف بأخطاء وفشل فى عمليات حربية فى سوريا وفلسطين، حيث كان لا بد من أن يُتضرع إلى آمون من أجل الهداية إلى الطريق الصحيح. ويعتقد سپالينجر الذى اقتفى بشيء من التردد أثر المحتوى التاريخى الملموس للنقش، أنه قد وُضع بعد كارثة فى فلسطين مباشرة وقبل هجوم آخر، تأسيسًا على قوائم الجرد فى قاوا بعد عام حكمه العاشر، أى بعد عام ٦٨١[٤٩]، الذى كنا قد أشرنا إليه قبل قليل.

(*) ليس واضحًا هنا ما يشير إليه الضمير المتصل (المؤلف).

(**) فى صيغة الجمع (المؤلف).

(***) ربما بما يعنى: سواك (المؤلف).

وتفصيلاً، فإنه من الممكن أن يكون هذا مبالغًا فى تأويله: فالحقيقة مهما كانت الظروف هى أن تاهَرقا كان يسيطر على تجارة فلسطين فى الثمانينيات من القرن السابع، ولم يقم علاقات الصداقة مع المدن الساحلية الفينيقية فحسب، مثل صُور وصيدا، بل مع يهوذا فى المناطق المجاورة أيضًا. غير أنه من الواضح أيضًا أن تحولاً كان لا بد أن يقع بعد ذلك بقليل، وإن كان من دون شك ليس لصالحه. وربما كان تاهَرقا متفائلاً، فاعتقد أن إمبراطورية الآشوريين سوف تُسحق فى مجرى أحداث الحرب الأهلية التى استمرت زهاء ثلاثة أشهر وعصفت بالبلاد بعد اغتيال سيناخريب فى عام ٦٨١ بواسطة أفراد من عائلته. لكن بعد نهاية الاضطرابات استقر ابنه آسرحدون[٥٠] (٦٨٠-٦٦٩) على عرشه وانتظر الساعة للاستيلاء على مصر.

وفيما يبدو أن علاقات تاهَرقا الممتازة بأمير صيدا عبدى ميلكوتِّى قد بدت فى عينى آسرحدون مبررًا كافيًا للحرب *casus belli*، وإن كانت المصادر الآشورية لم تدع شيئًا واضحًا عن ذلك. لكنه انتقم أولاً من الأمير الفينيقى. ففى عام ٦٧٧، دُحرت صيدا، وولَّى ملكها هاربًا إلى أعالى البحار، «فأخرجته مثل سمكة من البحر وضربت عنقه»[٥١]. وخُصصت منطقة حكمه إلى بعل أمير صُور، الذى ظل مواليًا فى بادئ الأمر. أما غنيمة الحرب من قصر عبدى ميلكوتِّى، فسوف نبحثها فيما بعد فى سياق علاقات مصر بالفينيقيين (لوحة ٣ أ).

وفى عام حكمه السابع، بداية ربيع عام ٦٧٤، حاول آسرحدون بوصفه أول حاكم آشورى غزو مصر، لكنه هُزم. أما حملته الثانية فى عام ٦٧١، فقد كانت ناجحة. وفى أثناء ذلك، أفقد آسرحدون بعل أمير صُور، الذى «اتكل على تارقو (أى تاهَرقا) صديقه ملك كوش»، من دون أن يتدخل الكوشى لمساعدته لإنقاذ عرشه. وإننا لنتذكر هنا ثانية صورة القصبة المرضوضة. وعند مكان على الحدود الشرقية لم يُعرف موضعه يُسمى إيشخوپرى[٥٢]، دُحر الجيش المصرى. وفى خلال أيام قليلة، مثلما جاء فى رواية بابلية، «وقعت مذابح ثلاث مرات فى مصر»، وبرواية مختلفة، «حدثت أعمال السلب والنهب، وأُخرجت آلهته بعيدًا»[٥٣].

ومنذ وقت غير بعيد، أوضح ڤينيتسكى[٥٤] Winnicki بالتفصيل أن ترحيل الآلهة، أى تماثيل الآلهة، ليست عبارة جوفاء، وأن هذا يتوافق بصورة منطقية كذلك مع التقارير المتواترة التى وردت فيما بعد فى نقوش ملكية بطلمية عن إعادة تماثيل الآلهة المسروقة. فقد أصبح المهزومون من دون آلهتهم عُزَّلاً تمامًا، وبكل معنى الكلمة بعيدين عن الله.

وفى مجرى أحداث تلك الحملة، غُزِى المقر الملكى فى منف. واستطاع تاهَرقا الهرب، لكن زوجته وأولاده وقعوا فى الأسر، ومن بينهم ولى العهد الذى أُشير إليه باسم أوشانخورو، أى نِس-إينيحِرت (أى «هو ينتسب إلى أنوريس»). والأثر المعروف باسم لوحة زينچيرلى Zincirli-Stele (لوحة ١)، التى يمسك فيها آسرحدون ابن تاهَرقا بحبل مخزوم من أنفه، وهو راكع، ورافع ذراعيه متوسل إليه[٥٥]، ينسب إلى آسرحدون القول[٥٦]: «أمواله، وممتلكاته، وخيوله، وماشيته، وخرافه أحضرتها بكميات لا تُعَدُّ ولا تُحصى إلى آشور. واقتلعت جذور كوش من مصر، ولم أبقِ أحدًا فيها لمبايعتى. وولَّيت ملوكًا من جديد فى سائر أنحاء مصر، ومندوبين، وحكامًا، ومفتشى موانئ، ومفوضين، ومديرين. وحددت قرابين ثابتة لآشور وللآلهة العظيمة، سادتى، باستمرار. وألزمتهم بدفع ضرائب وجزية سنويًا إلى سيادتى من دون انقطاع». وفى استعادة للماضى، يُشار فى حوليات خلفه آشوربانيپال إلى إعادة تنظيم تلك الأمور، وتضيف اللوحة تفاصيل جديدة لها دلالة كبيرة: فقد قام آسرحدون «بتغيير أسماء المدن السابقة وأعطاها أسماءً جديدة. وولَّى خدمه فيها ملوكًا، وحكامًا، ومندوبين»[٥٧].

إذن، فقد قام آسرحدون بتغيير أسماء الأماكن، وبطريقة مشابهة لما فعله غازٍ آخر عابر لمصر بعد عدة قرون، وهو السيلوقى أنتيوخوس الرابع فى عام ١٦٨[٥٨]. ولدينا مثالان واضحان لتلك السياسة. فقد أطلق الآشوريون على سايس اسم «ميناء سيد البلاد» (كار بيل ماتاتى). كما يبدو انعكاس لقب الحاكم المصرى «سيد الأرضين» فى كنية آسرحدون التى يُستدل عليها فيما عدا ذلك فى أوجه أخرى. إذ يُربط بطريقة منطقية بين اللقب الملكى «ملك البلاد» (شار ماتاته) الذى

يظهر لأول مرة لأسرحدون وغزوه لمصر. وسُميت أتريب منذ ذلك الوقت «ليت يتألق أمير مدينة آشور» (ليمِّر-إيشاك-آشور). ومن البدهى أن تلك المسميات قد استخدمت من قِبَل المحتلين أنفسهم فقط، وإن كان ذلك أيضًا ليس دائمًا. فنحن من ناحية، لدينا مجموعة كبيرة من أسماء الأماكن الآشورية التى لم نتحقق من تحديدها، وتشير فيما يبدو إلى مدن مصرية طرأت عليها إعادة تنظيم الإدارة. إلى جانب ذلك، يوجد بعض الموظفين ممن لديهم أسماء مصرية، وهؤلاء إما أنهم قد نُقلوا من الجهاز الإدارى المحلى عندما بدوا موالين بصورة كافية وإما عُيِّنوا من جديد، وآخرون حملوا أسماءً آشورية. وفى تلك الحالة الأخيرة، فنحن على الرغم من ذلك لسنا على يقين عما إذا كانوا دومًا آشوريين، لأنه من الثابت أن المصريين فى ذلك الوقت حملوا أسماءً بلغة سادتهم الجدد. لكن من ناحية أخرى، فإننا لا نزال نحتفظ فى حوليات آشوربانيپال بقائمة الحكام المحليين الوطنيين وحكام المدن الذين اعتمدهما آسرحدون وآشوربانيپال فى مناصبهم، حيث تُستخدم هنا الأسماء التقليدية فقط. وسوف نتمعن فى هذه القائمة عن كثب بعد قليل.

بعد سنوات قليلة من الحملة الثانية المظفرة فى عام ٦٦٩، وجد آسرحدون نفسه مضطرًا إلى الخروج من جديد إلى مصر؛ ولا نعلم السبب. ومن المحتمل أنه أراد أن يشن هجومًا على مصر العليا؛ لكنه لقى نحبه متأثرًا بمرض وهو فى الطريق. واستغل تاهَرقا انتقال العرش الآشورى فى محاولة استعادة غزو مصر السفلى. وفى عام ٦٦٧، كان قد زحف آشوربانيپال (٦٦٨–٦٢٧) يسانده «٢٢ ملكًا من ساحل البحر، ووسط البحر، والبر» إلى كار-بانيتى التى تتطابق فى الغالب مع پلوزيوم، إلا أنه قد اعترض على ذلك قبل فترة قصيرة، لكونه افتراضًا غير قاطع[٥٩]. وأرسل تاهَرقا من مقره الملكى فى مدينة منف قواته لمواجهة الآشورى، لكنها هُزمت هزيمة ساحقة، ففر هاربًا على أثر ذلك إلى طيبة، «هذه المدينة»، هكذا يتحدث آشوربانيپال، «غزوتها، وأدخلت قواتى فيها، وأسكنتهم فيها»[٦٠].

وتُعَدُّ حوليات آشوربانيپال عن حملاته إلى مصر[٦١] من أشهر النقوش التاريخية الآشورية؛ إن مقتطفات كثيرة نسبيًا منها لا تكاد تخلو منها أية مختارات

أكادية[٦٢]. وتمثل القائمة المذكورة سالفًا قبل قليل[٦٣] عن أمــراء المدن المعينين (أو المُعتَمَدين) بواسطة آسرحدون ومناطق نفوذهم قيمة ثمينة، ولا سيما بما تحتويه، سواء من الناحية الموضوعية أو من الناحية اللغوية. وهى تُقارن من ناحية المضمون بالبيانات المتشابهة تمامًا، مع لوحة پيعنخى الأقدم منها حوالى ٥٠ سنة[٦٤]. فالقسم الأكبر من الأسماء التى تحتويها قائمة آشوربانيپال يمكن التعرف عليه؛ إلى جانب ذلك، تُعَدُّ تلك النسخ ذات قيمة فائقة فى إعادة تصحيح طريقة نطق اللغة المصرية المتأخرة.

ويُذكر فى القائمة عشرون من الحكام المحليين فى ترتيب من الشمال إلى الجنوب إلى حدٍّ بعيد (شكل ١٣). وقد أُرفقت بشكل أساسى صفة شارُو لكل واحد منهم، على الرغم من أنه وفقًا للمفهوم المصرى، لم يكن جائزًا الحديث عن «ملك»[٦٥]. لكن يتضح من خلال ذلك أن بعض هؤلاء الحكام لم يكونوا فى الواقع أقل سلطانًا من الملوك. وكنا قد تحدثنا من قبل فى الفصل الأول عن هذا التشرذم، بوصفه خاصية مميزة لـ «العصر الليبى». ونكتفى الآن بهذا القدر لنشاهد بعض هؤلاء الملوك الصغار *reguli* وفقًا للمصادر الآشورية:

– يقف «نيخو (نيكو)، ملك سايس ومنف» على رأس القائمة، وهو الجد الأعلى للأسرة السادسة والعشرين، الذى كان على ابنه پسمَّاتيك الأول (٦٦٤–٦١٠) أن يعيد وحدة البلاد بعد سنوات قليلة.

– يلى بعد ذلك شخص يُدعى شارُو-لو-دآرى[٦٦]، ملك صِينو، وهو الحاكم المحلى الوحيد باسم آشورى. كما أنه اسم لشخص مُطوش، وفى هذه الحالة الملموسة، فإنه من المحتمل أن يكون مصريًا. فقد ذكرنا من قبل أن بعض المصريين فى ذلك الوقت اتخذوا أو تلقوا غالبًا أسماءً آشورية. وكان يُدعى ملك عسقلون أيضًا شارُو-لو-دآرى، وهو ذلك الشخص الذى أوصله الثوار إلى العرش عشية معركة التيكه فى سنة ٧٠١. وغالبًا ما تتطابق منطقة نفوذ ذلك الحاكم مع

بلوزيوم. وقبل فترة قصيرة، صيغت نظرية طريفة تقول إنه كانت توجد فى الأصل قائمتان لحكام أُدمجتا ببعضهما لاحقًا، وإن صينو هى فقط كتابة أخرى لصَنُو، أى «تانيس». وتبعًا لذلك، فقد كان شارُولو-دآرى هو الأمير المحلى السابق الذى رُحِّل بعد ثورة عام ٦٦٧، وحلَّ محله بعد ذلك بقليل المذكور پوطوبيشتى (انظر الصفحات التالية)[٦٧].

– جاء فى الترتيب الرابع پاقرورو، أى «الضفدع»، وهو اسم شائع فى العصر المتأخر[٦٨]، وكان حاكمًا فى پرسوپدو (پيشاپتو) بشرق الدلتا، وتآمر فيما بعد مع الاثنين المذكورين سالفًا ضد آشوربانيپال. ففى إحدى الذكريات الأدبية لهذه الفترة لعب پاقرور، «كبير الشرق»، لقرون تالية دورًا فى سلسلة حكايات البطل الأسطورى پتوباستيس الديموطية[٦٩].

– والتالى فى القائمة هو بوكونانيئپى – أو باكنَّانف، أى «خادم الرياح» – وهو ملك أتريب، وكان ينتمى، وفقًا لمصادر أخرى، إلى أسرة معروفة حكمت هناك حوالى ١٥٠ سنة[٧٠]. ويُذكر جده الذى كان يحمل الاسم نفسه، وكذلك أبوه پتيسيه على لوحة پيعنخى.

– پوطوبيشتى، ملك صَنُو، وهو پتوباستيس الثانى، ملك تانيس، الثابت اسمه على بعض الآثار، وهو أيضًا ذلك الملك الصغير الذى سُميت باسمه مجموعة كاملة من الأعمال الأدبية الديموطية المتأخرة.

– سوف نتجاوز السلسلة الطويلة لبقية أمراء الدلتا وكذلك شخصية حاكم غير معروف تمامًا من حكام الأسرات فى أسيوط، لنصل إلى الحكام الثلاثة الأواخر الذين عملوا فى طيبة: فالأول هو لامينتو، ملك هيرموپوليس، وعلى أساس تسميته التى تشير إلى العادة المنتشرة لتكرار اسم الجد، فإنه كان أكبر الظن حفيدًا لنمرود، ذلك الملك الذى ينحدر من هيرموپوليس، الذى اضطر إلى احتمال تأنيب پيعنخى له لإهماله خيول الاصطبلات الملكية. والجدير بالملاحظة للغاية هو تسجيل كلا الاسمين الأخيرين: ففى اسم إشپيماطو، ملك تيَّانى، تعرَّفَ ليهى[٧١]

Leahy على نسپامدو الذى وُلد ومات فى أبيدوس (إقليم ثِنى)، وتولى هناك على الأرجح منصب الوزير أيضًا. وأخيرًا «مانتيمانخه ملك نى»، وهو مونتومحات الشهير[٧٢]، أقوى رجل فى مصر العليا فى ذلك الوقت، الذى استطاع الحفاظ على منصبه طوال حكم الكوشيين والآشوريين حتى ظهور عصر پسمَّاتيك الأول. إن «نى» هى التسمية الآشورية لطيبة، التى تتطابق مع نيوت فى المصرية، أى «مدينة (آمون)»، وهى بلا منازع نو آمون فى الكتاب المقدس.

وفى تصريحات آشوربانيپال نفسه، يُشار فى القائمة إلى الذين أُعيد تعيينهم من قِبله «ملوكًا (شارَّانى)، وحكامًا (پاخاته)، ومفتشين (قيپانى)، الذين تمَّ تكليفهم من قبل فى مصر بواسطة أبى، الذى أنجبنى، وتركوا نطاق إدارتهم قبل هجوم تارقو وملأوا البرية»[٧٣].

بعد أن أعاد ملك الآشوريين بناء الإدارة واستحلاف قسم الولاء، «عاد أدراجه سالمًا إلى نينوى بكثير من أسرى الحرب وغنيمة طائلة». وما تبع ذلك من حديث هو أفضل ما روته مصادر تاريخية فى وضوحها بالذات. والتقرير المحفوظ فى نسخ عديدة يسترسل فى الحديث: «بعد ذلك أثم ضد القسم هؤلاء الملوك، ممن وسع لى تعيينهم، فتنكروا لقسم الآلهة الكبرى. ونسوا المعروف الذى أُسدى لهم، ودبروا فى قلوبهم شرًا. وتحدثوا أحاديثًا كاذبة، وأعدوا فيما بينهم خطة فاشلة. فعندما يطردون تارقو من مصر، فأين يكون سكننا؟ فأرسلوا رسلهم إلى تارقو، ملك كوش، لأداء يمين القسم وعقد سلام، (قائلين): 'نُريد أن نعقد تحالفًا بيننا وأن نكون مطيعين لبعضنا. ونريد أن نقسم البلاد فيما بيننا، ولا ينبغى أن يكون بيننا سيد آخر'»[٧٤]. وتميط لنا نسخة أخرى اللثام عن أسماء المتآمرين المعروفة لنا من قبل، وهم: نيخو ملك سايس، وشارُولو-دآرى ملك پلوزيوم، وپاقرور ملك پرسوپدو. وقد عُوقبت كذلك شعوب المدن التى انضمت إليهم بقسوة شديدة. وبالنسبة إلى نيخو الذى رُحِّل إلى نينوى، فقد عامله الحاكم الآشورى برفق غير مألوف، «على الرغم من أنه قد أثم». فحمَّله بالهدايا، وأعاده إلى سايس برفقة حرس خاص، حيث ثبَّته فى حكمه[٧٥]. وفى هذا الصدد، تستحق بعض التفاصيل الانتباه. فقد مُنح نيخو

وساما معروفا باسم أللو (ألُّو)، بوصفه «سمة ملَكيته» (سيمات شارُّوتيشو)، وهى ربما كانت دلالة صوتية آشورية مشتقة من المصرية إيعرت، أى «الكوبرا»، وهى رمز الحكم المصرى بلا منازع[٧٦]. وقد عُيِّن نابو-شيزبانى ابن نيخو، الذى لا يمكن أن يكون شخصا آخر سوى پسمَّاتيك الأول، أميرًا على أتريب، حيث حلَّ فيما يبدو محل أسرة باكنانف الموجودة هناك وسلف ذكرها قبل قليل.

بعد هروب تاهَرقا، اعتلى تانواتآمانى[٧٧] ابن شاباكا العرش فى عام ٦٦٤، فجهز للحرب ضد سلطة الاحتلال فى منف. إن أخبار هذه الحملة من الجانب المصرى نعلمها من الأثر المعروف باسم «لوحة الحلم»[٧٨]. وطبقًا لها، فقد اتجه تانواتآمانى من نپاتا إلى الدلتا لاستعادة السيادة المفقودة، إلا أن الأمراء المحليين تحصنوا فى حامياتهم. وبما أن الكوشى لم يكن تحوتمس ثالثًا جديدًا، ولا حتى آشوريًا خبيرًا بالحصار، فقد تبقى له فقط الانسحاب إلى منف. أجل، فقد ظهر فيما بعد عدو الآشوريين پاقرور، أمير پيسوپدو، المعروف لنا من قبل الذى خضع لتانواتآمانى، لكن كان لا بد أن تفشل طموحاته السياسية فى مجملها. وفيما يبدو أن الإمارات المختلفة قد شعرت بالثقة الكافية، حيث لم يروا ضرورة فى المغامرة باستقلالهم النسبى. غير أنه أصبح من الثابت تقريبًا أن تانواتآمانى قد نجح فى القضاء على عدوه الرئيسى المصرى نيخو المقرب من الآشوريين. فالحقيقة مذهلة، حين نشاهد تزامن اختفاء شخص وصعود نجم شخص آخر فى آن معًا. فقد نقل هيرودوت هذا الاغتيال السياسى، وإن كان قد نسبه خطأً إلى شاباكا (الكتاب الثانى، ١٥٢).

وزحف آشوربانيپال للمرة الثانية إلى مصر على أثر نبأ مشروعات تانواتآمانى (لوحة ٢ أ وغلاف الكتاب)، مما جعل الكوشى طبقًا للتقرير الآشورى يلوذ بالفرار من مقره الملكى فى منف إلى طيبة. أما أولئك الذين أُعيد تعيينهم بواسطة آشوربانيپال من «الملوك والحكام والمفتشين»، فقد بقوا على ولائهم للغازى الآشورى. وطارد الآشوريون تانواتآمانى حتى طيبة؛ لكنه هرب إلى مدينة تُسمَّى كيپكيپى، التى لم يُتعرف عليها حتى الآن. وقد وصل الأمر فى طيبة إلى عمليات نهب فادحة، فنُقلت فى

مجرياتها مسلتان من البرونز المذهب إلى نينوى. إلى جانب ذلك، يمكننا الاستدلال على وجود مثل هذه المسلات من خلال المناظر المصورة المصرية[٧٩] (شكل ١٤). بيد أنه اعترض مؤخرًا على أن سلب طيبة ونهبها – وهى بالطبع حقيقة تاريخية مؤكدة لا شك فيها – لم يكن من شأنه تدميرها تدميرًا شديدًا، وأنه لم يكن فى الحقيقة حدثًا عنيفًا، كما أنه لم يؤد إلى تغيرات جذرية لسياسة السلطة الحاكمة[٨٠].

وربما يُنسب للغزاة الآشوريين خوذة رأس (شكل ١٥) وبعض أدوات اكتشفهم بترى Petrie فى عام ١٨٩٦ فى غرب طيبة، إلى الشمال من معبد تاوسرت[٨١]. وهى عبارة عن بقايا مادية لعصر قصير نسبيًا، لكنه حافل بالأحداث، وتطبق عنه الصمت المصادر الرسمية.

كان سلب طيبة ونهبها هو الحدث التاريخى الأخير الذى تتحدث عنه المصادر الآشورية فيما يتصل بالولاية الجديدة التى استولوا عليها. لكننا سنضطر أيضًا إلى الحديث بإيجاز عن جيجيس ملك ليديا[٨٢]. فبعد أن استطاع صد الهجوم الأول للكيمِّريين[٨٣] بنجاح، كان بإمكانه أن يبعث فى حوالى عام ٦٦٠ إلى پسمَّاتيك الأول بقوات من الجنود المرتزقة، التى كانت عونًا له فى توطيد حكمه فى مصر السفلى. ولم تكن هذه الأعمال موجهة بالضرورة ضد آشوربانيپال؛ فلم تكن علاقة پسمَّاتيك به فى أسوأ أحوالها، فقد كان فى نهاية الأمر مدينًا للآشوريين بحياته وبعرشه، مثلما هو مدين لهم كذلك بالتحرر من عدوه الكوشى اللدود. لكن مع مرور الزمن لم يكن هناك بُدٌّ من السقوط. ويكتب أوناش[٨٤] Onasch فى هذا السياق: «لا بد أن يظل غامضًا، ما كان لدى الفرق العسكرية الآشورية المتبقية فى مصر من قوة، ومتى فقدوا السيطرة على مصر نهائيًا». وهذه الحقيقة لم تتجاهلها المصادر الرسمية الآشورية نفسها على وجه الخصوص، فالتقرير المذكور عن علاقات جيجيس بالصاويين يشير إلى أن پيشاميلكى، أى پسمَّاتيك، قد «تحرر من نير سيادتى»[٨٥].

ومع أن موضوع هذا الكتاب في المقام الأول هو «مصر والأجانب»، فإنه لا ينبغي أن نغض النظر تمامًا عن الجانب المتمم له أيضًا، وهو «مصريون في الغربة». وكما نوهنا من قبل، فقد كان يوجد مصريون ليسوا بالقلة في الدولة الآشورية الأم. ويُستدل على هؤلاء الأفراد من وثائق آشورية فحسب، وذلك في الأغلب، بدءًا من زمن انقضاء فترة خلو العرش الآشوري مرة ثانية. وبالتأكيد، فإن معظم هؤلاء الأشخاص قد جاءوا إلى بلاد الرافدين في سياق الترحيل البشع الشهير في عهد آسرحدون. وتُعَدُّ وثيقة من عهد سيناخريب، وعلى وجه الدقة من العام ٦٩٢، من أقدم المصادر في هذا الأمر، إذ تبرهن على شراء كاتب مصري يُدعى صيلِّي-آشُور لبيت في نينوى. ومن بين الشهود توجد شخصيات بأسماء مصرية وبمسميات ذات صلة بالأسرة الملكية المصرية، ومن بينهم شوشَنقو، «صهر الملك» (خاتنو شارّي)، وهو فيما يبدو أحد أفراد أسرة ملكية حاكمة في الدلتا ممن تمَّ ترحيلهم[٨٦].

وبوجه عام، فإن هذه الوثائق تلقي أضواءً جانبية على حياة المصريين في البلاد الأجنبية. وحين يحمل الأفراد أسماءً مصرية[٨٧]، فإننا نستدل بموجب أسمائهم على موطنهم الأصلي في هذه البيئة الجديدة؛ لكن يوجد أيضًا، كما نعلم، مصريون بأسماء أكّادية، لا نستطيع تصنيفهم من دون بيانات مميزة عن الموطن الأصلي. ولنشاهد الآن بعض الأمثلة القليلة[٨٨]: على لوحة طينية من نينوى نقرأ على سبيل المثال أن پوطونيشي (پتيسيه) اشترى من شخص يُدعى پوطومخيشي (پادي ماحييسا) جاريته ألخاپيمپي (عرحپر>مننفر)، وجعلها زوجة له. وكما نرى في الأسماء، فهي مشتملة فقط على مصريين. وطبقًا لوثيقة أخرى من المصدر نفسه، فقد قام شخص بعينه يُدعى پو-طي-آت-خي-إيش – وهو مصري بالتأكيد، وإن كان اسمه لم يُفسَّر بشكل كامل ـ بتبني طفل ينحدر من دعارة المعبد، ويُدعى أخو-إيدِّينا، وهو حفيد لشخص يُسمَّى أبدي-كورًا. والشهود هم أناس بأسماء مصرية وآشورية. وبالرغم من الحقيقة المذكورة سالفًا، بأن المصريين حملوا في ذلك الوقت أيضًا أسماءً أكّادية، فإننا نعتقد أن عائلة الطفل كانت من أهل البلاد – ليست مصرية على أية حال. وإلى جانب ذلك، فإن كل صيغ هذه الأسماء المكتوبة

بالمسمارية وكذلك تلك القوائم المذكورة سالفًا فى حوليات آشوربانيپال، تُعَدُّ مصدرًا ذا قيمة كبيرة للغاية فى إعادة تصحيح نطق اللغة المصرية المتأخرة؛ وفضلاً عن ذلك، فهى تزود مجال معرفتنا فى علم الأعلام التى تنحدر من العصر المتأخر. وقد أتقن هيرمان رانكه H. Ranke الأكادية، لذا، كانت لديه القدرة على تقييم مادة الأسماء المكتوبة بالمسمارية على نحو كاف ووضعها فى تقديره، كما أنه وضع مؤلفًا لا غنى عنه ولا يُعوض عن أسماء الأشخاص المصرية، على الرغم من النمو المستمر الذى لا ينقطع للمادة العلمية[٨٩].

كان يحكم علاقات مصر بآشور حتى عهد آشوربانيپال كثير أو قليل من الخوف وسوء الظن والعداء. وفى العقود التالية بعد نهاية السيادة الأجنبية، تغير ذلك تدريجيًا. ومن المشكوك فيه أن شعورًا ما بالولاء والتضامن قد انبثق تجاه ذلك الذى كان ذات يوم السيد الأعلى، حين استجاب پسمَّاتيك الأول فى سنوات حكمه التالية للعملاق الآشورى المنبطح، فأرسل معونة عسكرية له. وبالأحرى فقد حسم الأمر حساب سياسى: كان لا بد من صد الأبواب أمام الصعود المستفحل للدولة البابلية الفتية، وإن كان فى المحصلة النهائية من دون جدوى، كما ظهر بعد ذلك.

وبلا شك، فإن قليلاً من الروح الإمبريالية التى كانت لدى تحوتمس الثالث أو الغازى الآشورى، لم تكمُن فقط فى تانواتآمانى، لكن أيضًا فى پسمَّاتيك الأول وخلفائه المتعاقبين، باستثناء ذلك الأخير سيئ الطالع نيخو الثانى بالطبع. ففى عبارات ذات مغزى، شخَّص سپالينجر[٩٠] Spalinger الالتزامات المصرية فى شرق البحر المتوسط منذ النصف الثانى للقرن السابع حتى الربع الأول من القرن السادس، بأنها كانت «ذات غرض تجارى، وخيرية فى تطبيقها، وتقوم على مبدأ سياسة عدم التدخل فى طبيعتها، وقصيرة فى دوامها» commercial in intent, benevolent in application, laissez-faire in nature, and short in duration. وبطبيعة الحال، فإن ذلك لا يعنى مطلقًا أن الليبى پسمَّاتيك كان قد أهمل الجيش، فعلى العكس تمامًا: فقد أحضر إلى البلاد جنودًا مرتزقة كاريين وليديين وأيونيين، وشُيِّدت استحكامات عسكرية، كما هو فى دفنة. ونجد مستوطنات سورية فى مِجْدول وأتريب ومنف وطيبة وأسوان، إضافة إلى أماكن متفرقة فى الدلتا.

قبل أن يصل الأمر إلى استعراض القوة مع بابل بفترة طويلة، كانت جحافل الكيمِّريين الذين تدفقوا كالهدير من أقاصى السهوب الروسية الجنوبية قد اكتسحت الشرق الأدنى. واستطاع جيجيس ملك ليديا صد الهجوم الأول، لكنه لقى حتفه فى الهجوم الثانى حوالى عام ٦٤٤. وبعد سنوات عدة، انتهى الخطر الكيمِّرى بسبب السكيثيين الذين عاثوا بدورهم فسادًا فى البلاد لمدة ٢٨ سنة طبقًا لهيرودوت، قتلاً وسلبًا وحرقًا، حتى سقوط نينوى فى عام ٦١٢، فاندفعوا بعدها حتى الحدود المصرية. وفيما يبدو أن پسمَّاتيك الأول قد استطاع دفعهم إلى الانسحاب فقط مقابل عطايا مالية، وهو بلا شك كان أسلوبًا مألوفًا فى عصور وأماكن أخرى؛ واستعاضوا عن خسارتهم بسلب ونهب عسقلون. وبعد انسحاب السكيثيين استولى پسمَّاتيك على أشدود[٩١].

وعند منتصف القرن السابع، حين بدأ نجم إمبراطورية الآشوريين يأخذ فى الأفول، كانت استعادة قوة النفوذ المصرى فى غرب آسيا تتجه نحو الصعود بالقدر نفسه، وبعبارة أخرى: بدأ استرجاع الهيمنة المصرية المفقودة بشكل ملحوظ. وعندما تأتى فى موضع من بردية رايلاندز ٩ من الفترة حوالى عام ٦٥٠ عبارة «كانت على علاقة طيبة مع البلاد الجنوبية (مصر العليا)»[٩٢]، فإننا نشير فقط متممين على ذلك بأن الشأن المصرى فى الشرق الأدنى لم يكن فى أسوأ حال. ففى نهاية حكم پسمَّاتيك الأول (عام ٦١٠ تقريبًا) والسنوات الأولى لخليفته نيخو الثانى، كانت السيادة المصرية على سوريا وفلسطين قد عادت على مراحل.

ومن خلال نقش على لوحة من السيرابيوم من العام ٦١٣[٩٣]، يُفترض سيطرة پسمَّاتيك الأول على الساحل الفينيقى. ففى سياق تحنيط ثور آپيس المقدس ودفنه، يأتى أيضًا ذكر أخشاب ثمينة، من بينها خشب الأرز، ثم يأتى ذكر «يكون كبارهم[*] / أمراؤهم أتباع القصر؛ يرأسهم سمر-نيسوت (صديق الملك). ضرائبهم مثبوته للمقر الملكى مثل مصر»، ويعنى ذلك أن المنطقة غير المذكورة

(*) أى كبار الحرفيين الذين سلف ذكرهم فى متن النص قبل هذا الموضع (المؤلف).

اسمًا تُعَدُّ وكأنها جزء من مصر. كما أن النقش الدعائى الموجود على صخرة فى مكان ظاهر للعين فى وادى بريسا، الذى كان نبوخذنصر قد أمر بوضعه بعد غزوه فلسطين وسوريا، يقدم شهادة بابلية على السيادة العليا المصرية فى تلك الفترة، إذ يُلمح فيها إلى تلك الفترة البعيدة للسيطرة المصرية. ففى ذلك الوقت – هكذا جاء فى النقش – سيطر عدو أجنبى على لبنان، وجبل الأرز، والغابة الوارفة الغناء لمَردوك، فسلب البلاد ثرواتها، حتى إن الناس ولوا هربا(٩٤).

وقد أُعيد أيضا تأريخ تمثال «رسول كنعان وفلسطين» پتيسيه فى الفترة حوالى عام ٦٠٠(٩٥) (شكل ٢١). لكن تفاصيل معينة متصلة بالنقوش(٩٦) تشير إلى التقدير الزمنى المُقترح من الناشر الأول شتايندورف Steindorff للتمثال قبل ما يزيد عن ٦٠ عامًا، الذى كان قد أيَّد تأريخًا فى الأسرة الثانية والعشرين – أى أنه أقدم ٢٠٠ سنة على أقل تقدير. وإلى جانب ذلك، فإن المكتشفات الأثرية المتناثرة من هنا وهناك من العصر الصاوى، التى اكتشفت فى أشدود وقرقميش ومِجدُّو، ليست شهادة تاريخية قوية. لكن على أية حال، فهى تبرهن على علاقات تجارية قوية، كما هو مألوف بالنسبة إلى مثل هذا النوع من المكتشفات.

ويستوجب اهتمامنا الآن، وإن كان بإيجاز على الأقل، استعراض التاريخ الحافل بالأحداث منذ نهاية الإمبراطورية الآشورية. ففى عام ٦٢٧ تقريبًا، مات آشوربانيپال، الملك الآشورى الأخير والشهير، وكذلك كاندلانو ملك بابل(٩٧). وبعد فترة استمرت لمدة سنة من دون ملك فى بابل التى كانت تتبع آشور من الناحية النظرية، أصبح نابوپولاسَّر ملكًا على سيپار فى بادئ الأمر، ثم أُعترف به أيضًا فى بابل ملكًا على «أكَّاد». وفى العقدين التاليين، نجح البابليون والميديون متضافرين بعد معارك طويلة فى تركيع الآشوريين: ففى عام ٦١٤ سقطت آشور، وفى عام ٦١٢ نينوى – وهلل أنبياء العهد القديم. وتراجع آشورأوباليط إلى حرَّان، وهو خليفة سين-شارًا-إيشكون الذى ربما سقط فى القتال، وأسس هناك دويلة مبتورة الأطراف. وتعقبه الميديون والبابليون المتحالفون، فلاذ بالفرار إلى الجانب الغربى من الفرات، وحاول استعادة مقره الملكى بمساعدة فرقة عسكرية أرسلها له

نيخو الثانى، خليفة بسمَّاتيك منذ عام ٦١٠. وقد فشل ذلك ولم نسمع شيئًا البتة عن آشور أوباليط. وخمَّن بأن المصريين كانوا قد اغتالوا حليفهم الضعيف، عندما أصبح لا فائدة منه لهم فى شىء. «على أية حال، لم تعد هناك آشور منذ الآن. فواجهت بابل قوات مصر مباشرة، وكانت مصر قد حلت محل آشور فى دورها على الفرات»(٩٨).

ونعرف من العهد القديم حادثة جديرة بالاهتمام: فعندما زحف نيخو فى بداية حكمه مباشرة إلى الفرات، اعترضه فى عام ٦٠٩ فى مِجدُو(٩٩) يوشيا شخصيًا، ملك يهوذا، الذى ذاعت شهرته لإصلاحه أمور العبادة. وتتضارب الدوافع عن سبب ذلك؛ فثمة تخمين بأنه أراد أن يمنع أن تقتفى مصر أثر الآشوريين بممارسة هيمنتها فى سوريا وفلسطين. وهناك تفسير آخر لعله أكثر ترجيحًا، يَدَّعى أن يوشيا، الذى كان قبل ذلك ودودًا تمامًا للمصريين، قد أدرك عن صواب علامات الوقت: فقد كانت آشور فى النزع الأخير ولا شفاء لها، وكانت مصر جبانة وضعيفة، مثلما تَبَيَّن قبل ذلك بعام واحد فى حرَّان، أما المستقبل فكان لبابل. لذا، انحاز ملك يهوذا إلى الجانب «الصواب»، لشعوره بالمصلحة السياسية المشتركة مع بابل. لكن الدوافع الحقيقية لتصرفات يوشيا تبقى فى نهاية الأمر غامضة، بل رَجَّحَ شيپر(١٠٠) Schipper أن عبارة «فصعد الملك يوشيا للقائه (نيخو)» فى سفر الملوك الثانى (٢٣، ٢٩) لا ترمز مطلقًا إلى نزاع حربى، لكن ربما تشير ببساطة إلى «لقاء ودى ليوشيا، الذى كان لا يزال أغلب الظن تابعًا مصريًّا، وأنه أراد فقط زيارة الفرعون الجديد للتعرف إليه».

وأيًّا كان الأمر، كان يوشيا لا بد أن يفقد حياته. وعزل نيخو ابنه وخليفته يهوأحاز وجعل ابنًا آخر ليوشيا ملكًا جديدًا على يهوذا. وغَيَّر نيخو اسم ألياقيم ذلك إلى يهوياقيم – وهو استعراض واضح للسلطة يظهر أنه أصبح ملكًا مِنَّة من نيخو؛ وفضلاً عن ذلك، فإن كلا الاسمين لهما المعنى نفسه («الله / يهوه يقيم»). وبعد عشر سنوات، طبَّق نبوخذنصر الثانى الإجراءات نفسها بالضبط، عندما استبدل

يهوياكين الذى قام بترحيله إلى بابل بمَتنيا، فغيَّر اسم هذا إلى صدقيا. ويشير تغيير الأسماء هذا قليلاً إلى الأسلوب الذى تعامل به الآشوريون فى مصر مع الناس والأماكن – وكنا قد تحدثنا من قبل عن ذلك. والاختلاف الجوهرى هو أن الآشوريين استخدموا بشكل منطقى عند تغييرهم الأسماء لغتهم، بينما كيَّف نيخو ونبوخذنصر أنفسهما على لغة المغلوبين على الأقل. وقد كان يمكن لكل منهما أيضًا منحهما اسمًا مصريًّا أو بابليًّا.

فى السنتين ونصف السنة التاليتين بعد الإطاحة بيوشيا، نفذ نيخو سلسلة من المشروعات الطموحة. ولنستشهد بهيرودوت (الكتاب الثانى ١٥٨، ١): «هو أول من شرع فى (بناء) القناة المؤدية إلى البحر الأحمر، التى حفرها (أى أتمها) داريوس الفارسى للمرة الثانية». وهذه هى «قناة الشرق»، التى تُذكر على لوحة بيتوم البطلمية[١٠١]. وأسس المدينة الحدودية الحصينة پرآتوم، على مسافة حوالى ٢٤ كم على الشاطئ الشمالى من خليج السويس، وهى بيتوم التوراتية (الآن تل المسخوطة)، التى ربط الكتاب المقدس بينها وبين سُخرة الإسرائيليين فى سفر الخروج. ولعل سفنًا إغريقية من ذوات الصفوف الثلاثة من المجاذيف، كانت قد سهَّلت نشاطات تجارية وحربية، فأبعدت خطر المد البابلى.

لم تتأخر طويلاً مواجهة مصر مع بابل. فبعد نجاحات فى بادئ الأمر، لقى نيخو فى عام ٦٠٥ عند قرقميش هزيمة منكرة[١٠٢]. وكانت النتيجة ما جاء صريحًا فى سفر الملوك الثانى (٢٤، ٧): «ولم يعد أيضًا ملك مصر يخرج من أرضه، لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر». وكان النبئ إرمياء الذى قضى سنوات شبابه على ضفاف النيل ولا يجد لأرض الفراعنة فى نفسه موضعًا، قد اغتبط لذلك ورأى فى نبوخذنصر أداة الله. وانتهت سيطرة مصر فى سوريا وفلسطين، قبل أن تنفتح آفاقها على الوجه الصحيح. بيد أن مصر لم تُطرد تمامًا من المنطقة، فكان لا يزال يوجد هناك أمراء محليون صغار موالون لها، يتوسمون فى المصريين استقلالاً نسبيًا أكثر منه فى البابليين.

وقد شاهدنا من قبل كيف اعتمد الأمراء السوريون والفلسطينيون فى القرن الثامن على نجدة مصرية من دون جدوى؛ ولم يتغير فى أثناء ذلك شىء كثير. وقد عُثِر فى سقارة على شذرة بردية تحتوى على خطاب كُتب بالأرامية – وهى لغة الدبلوماسية فى ذلك الوقت – لأحد الأمراء التابعين يُدعى عَذون[١٠٣]. ولم يمض على ذلك فترة طويلة، حتى أمكن تحديد الاسم المفقود فى نص الخطاب لدويلة عدون هذا، تأسيسا على ملاحظة العنوان الديموطية، حيث جاء فيها: «ما أعطاه كبير (أى أمير) عقرون لـ ...». وعقرون هى إحدى خمس مدن كبيرة للفلسطينيين؛ وقد تعرفنا عليها من قبل بوصفها مقرًا لپادى الذى عزله حزقيا. وفى تلك البردية التى لحق بها الضرر بصورة شديدة للأسف، نقرأ التالى: «إلى سيد الملوك، الفرعون[١٠٤]، خادمك عدون، ملك [عقرون]» إلخ. «[قوات (أو ما شابه)] ملك بابل قد جاءت ووصلت آفق[*]». «لقد أخذوا [...]، لأن سيد الملوك، الفرعون، يعرف أن خادمك [...]، لإرسال جيش لنجدتى. لا تتركنى [...] وعلاقاته الطيبة (أو ما شابه، حرفيًا «خيراته») قد حفظت خادمك». ويُشار فى البقايا الهزيلة التالية للنص إلى «حاكم فى البلاد». ونرى بوضوح أن حاكم عقرون كان فى موقف حرج للغاية، وأنه عقد أمله فى تدخل مصرى. تلك هى الشهادة المكتوبة الوحيدة من هذا النوع من مصر من هذه الفترة؛ وهنا نتذكر بإحساس لا إرادى تلك الالتماسات الأقدم ٨٠٠ سنة تقريبًا من مراسلات تل العمارنة عديمة الفائدة كذلك من الأمراء السوريين والفلسطينيين إلى الفرعون.

كانت خطة نبوخذنصر هى تمهيد الطريق للانقضاض على مصر. ومن المؤكد أنه بعد فترة قصيرة من استيلائه على عقرون سقطت عسقلون فى نهاية عام ٦٠٤، وسُويت بالأرض وأُخليت من سكانها. وفى عام ٦٠١ زحف البابلى من سوريا وفلسطين إلى مصر، لكن المصريين كانوا على معرفة بتقدم نبوخذنصر من خلال دوريات حراستهم؛ فعندما وصل إلى مِجْدول، كانوا فى انتظاره. ونجح نيخو

(*) توجد أسماء أماكن كثيرة بهذا الاسم (المؤلف).

فى هزيمة البابليين وانتزاعه غزة منهم، وسقط يهوياقيم ثانية الذى كان قد عيّنه نيخو وقتذاك، وكان قد تحول إلى الجانب البابلى. وكانت عاقبة ذلك أن حاصر البابليون أورشليم للمرة الأولى فى عام ٥٩٧؛ أما يهوياكين، خليفة يهوياقيم الذى كان قد مات فى أثناء ذلك، فقد رُحِّل إلى بابل ومعه آلاف من الناس. وفى أورشليم، توَّج البابليون متنيا ملكا جديدًا سموه صدقيا.

وفى مصر قاد پسمَّاتيك الثانى، ابن وخليفة نيخو المتوفى فى عام ٥٩٥، فى عام حكمه الثالث، حملة فاصلة ضد النوبة. وتجرأ فى عامه الرابع (عام ٥٩٢) على الخروج إلى فلسطين فى تظاهرة سلام فيما يبدو، وثوقًا منه على الأرجح أن نبأ ذلك قد تسرب أيضًا إلى البابليين، ومعرفته على وجه الخصوص بأن صدقيا ملك يهوذا كان فى أثناء ذلك قد شق عصا الطاعة على بابل. إن مصدرنا الوحيد لذلك هو بردية رايلاندز ٩ الديموطية، والمغرضة كلية إلى جانب ذلك، لكننا نخرج منها بأن الموضوع يستند إلى واقع، وفضلاً عن ذلك، فإن الإطار الزمنى والجغرافى ينسجم تمامًا مع ما نعرفه كالمعتاد. وبالاستغناء عن كل التفاصيل والدوافع غير المهمة بالنسبة إلى مؤلف الوثيقة، فهى تروى باقتضاب[١٠٥]، أنه «فى العام الرابع للفرعون پسمَّاتيك نفرئيبرع، أُرسل إلى المعابد الكبيرة فى مصر العليا والسفلى الخطاب: 'سوف يخرج الفرعون إلى بلاد السوريين، فليت [الـ]كهنة يجيئون بباقات زهور آلهة مصر، ليأخذوها مع الفرعون إلى بلاد السوريين!'». ثم يواصل فى إسهاب، كيف نجح كهنة تويچوى (الحيبة) فى مصر الوسطى فى إقناع منافس سيئ الطالع، بأنه الرجل المناسب لذلك تمامًا للتخلص منه، بيد أن هذا لا يتصل إطلاقًا بتاريخنا.

بعد نهاية عصر پسمَّاتيك الثانى القصير، واصل ابنه أپريس (٥٨٩-٥٧٠) المطامح نفسها للاحتفاظ بالنفوذ المصرى فى شرق البحر المتوسط. ولم تقف بابل فى هذه الأثناء جامدة مكتوفة الأيدى وهى تراقب ذلك؛ فحُوصرت أورشليم للمرة الثانية. ومن أوستراكا لخيش Lachisch-Ostraka الشهيرة، التى يعود تاريخها إلى الأيام الدرامية الأخيرة لدولة يهوذا، نعلم أن كونياهو، وهو القائد العام للجيش فى

ذلك الوقت، قد ذهب إلى مصر[١٠٦]، من دون شك بالنية المبيتة من أجل طلب مساعدة عسكرية. وفى الواقع، فإن أپريس المذكور فى العهد القديم باسم هوفرا[*]، كان قد أرسل جيشًا حاول من دون نجاح إنقاذ العاصمة اليهودية المحاصرة من قِبَل البابليين. وفى عام ٥٨٦ صارت أورشليم خرابًا يبابًا، فكان هناك ترحيل من جديد، إضافة إلى إعدام الوجهاء من ذوى المقام الرفيع. ولحق البابليون بالملك صدقيا مع عائلته وهم فى طريقهم إلى الهرب، وبعد أن كان عليه أن يرى أولاً قتل أولاده، فُقئت عيناه. وترك البابليون دويلة مبتورة الأطراف تحت حكم جَدَليا وعاصمتها ميزباح التى استمرت لفترة قصيرة فقط، ثم سقط جَدَليا بعدها بقليل بيد شخص متعصب ينحدر من بيت داوُد. وبذا، انتهى أيضًا فى عام ٥٨٦ تاريخ الدولة الجنوبية يهوذا[١٠٧].

ومن المفترض أن حروب أپريس قد وقعت فى فينيقيا بعد نهاية يهوذا. فيتواتَر عن هيرودوت (الكتاب الثانى ١٦١، ٢) أن أپريس حارب ضد صور وصيدا. على أن ذلك لا يتفق تمامًا والحقيقة الواقعة عن خوض نبوخذنصر من جانبه حرب حصار طويلة ضد صور (٥٨٦-٥٧٣)، يبدو أنها انتهت بانتصار وهمى. وكانت مصر تستحوذ على أسطول بحرى له اعتباره، فنحن نعرف مجموعة كاملة من أدميرالات هذه الفترة[١٠٨]. بيد أن هذا الازدهار لم يرتبط فى كثير أو قليل بأن مصر كان عليها أن تخرج من الضيق بفرج. ففى البر كان البابليون فى الزحف إلى الأمام. وقد تأزم الموقف إلى تلك الدرجة، حين أغار نبوخذنصر فى عام ٥٧١ على مصر، كما يُستنتج من سفر حزقيال. لكن للأسف ليست لدينا تفاصيل دقيقة عن ذلك. كما أنه ليس معروفًا، بأية كثافة كان الهجوم البابلى حقًا، وإلى أى حد توغل نبوخذنصر إلى داخل البلاد بصفة عامة. إن من المستحيل أيضًا التحقق من صدق النبوءات القائمة لحزقيال المصبوغة بالطبع

(*) ورد اسمه "حوفرع" فى النسخة العبرية الأصلية للتوراة، وهو بذلك يكون قريبًا جدًا من النطق المصرى القديم واحئيبرع (المترجم).

بأحلام الشماتة والتمنى وكراهية الأنبياء اليهود التقليدية لمصر، واعتبارها نبوءات صحيحة تقريبًا قبل حدوثها *vaticinia post eventum*، من دون شواهد أخرى موثوق بها ويُستند عليها. فقد تنبأ حزقيال بإبادة كاملة من مجْدول حتى سوينه (أسوان)، فجاء هناك (٣٠: ١٠، ١٣-١٤): «هكذا قال السيد الرب: أبيد جموع شعب مصر بيد نبوخذراصر، ملك بابل (...) ولا يكون بعد أمير من أرض مصر، وألقى الرعب فى أرض مصر. وأخرب فتروس[١٠٩]، وأضرم نارًا فى صوعن (أى تانيس)، وأجرى أحكامًا فى نو (آمون، أى طيبة)»، وهكذا يسترسل فى إسهاب وفى نبرات قوية. ومهما كان الأمر، فإنه من المؤكد أن نبوخذنصر لم يصبح آشوربانيپال ثانيًا بالنسبة إلى مصر؛ فلم تقع مصر مطلقًا ولو لفترة قصيرة بصورة حقيقية تحت السيطرة البابلية[١١٠].

ونعلم من مصدر أكّادى عن مواجهة نبوخذنصر فى عام حكمه السابع والثلاثين (٥٦٨/٦٧) مع أمازيس. وللأسف بقيت شذرات قليلة فقط من اللوحة المتعلقة بهذا المصدر فى المتحف البريطانى[١١١]؛ لكن اسم الفرعون يمكن تحديده عن يقين من خلال البقايا الموجودة، فجاء: «[أخم]اسو، ملك مصر، اجنًد قواته!، [قـ]ادة مدينة پوطو-يَامَن، [قادة] المناطق البعيدة فى البحر وقادة كثيرين فى قلب مصر، [و]حاملى الأسلحة، والخيول، والعر[بات الحر]بية حشدها [بسرعة] لنجدته [...]». واسم المكان الغريب پوطو-يَامَن يعنى «ليبيا الأيونى»، ويتطابق موضعه - كما بيَّن إيدل[١١٢] Edel - مع المستوطنة الإغريقية قرينية (برقة)، التى عقد أمازيس تحالفًا معها (هيرودوت، الكتاب الثانى ١٨١). لذا، فإنه لا يوجد ذِكر عن أنه المكان الذى يمكن أن تكون قد حدثت فيه معركة بين البابليين والمصريين.

الآن، وبفضل اجتهادات إيدل، تتكشف لنا بصورة أفضل خلفيات سياسة أبريس وأمازيس. فقد أدرك العَالِم الكبير أن النص المسمارى المُستشهد به يُشير إلى الوقائع نفسها، التى ذكرتها أيضًا لوحة ضخمة من جرانيت أسوان[١١٣]، معروفة منذ فترة طويلة. إن هذا النقش المهم الذى كان يوجد من قبل فى متحف

القاهرة، معروض الآن فى حديقة متحف النوبة الجديد فى أسوان. وللأسف، فإن اللوحة صعبة القراءة جدًا، إذ إنها استخدمت عتبة باب لقصر فى القاهرة وقتذاك، لكن إيدل قارنها بنصوص أخرى بدقة - مع تصحيح فارق لتاريخ السنة - واستخرج منها أقصى حد من معلومات تاريخية. فجاء هناك فى ٢٠ مارس عام ٥٦٧، أى العام الرابع لأمازيس، وليس الثالث أو الثانى (!)، أن «جعل المرء ليقول لجلالته: 'ثار الآسيويون (سِتّيو) فى استكبار قلبهم، إلى درجة أنهم يسيرون على طريق حورس. الآلاف هناك ويهاجمون البلاد، ويغطون كل طريق؛ أولئك الذين يوجدون على السفن ويخطط قلبهم لإسقاط بلادنا'». إن «طريق حورس» هو التسمية التقليدية إما لطريق المواصلات من مصر إلى سوريا وفلسطين، وإما أنه - كما برهنت ڤالبل[١١٤] Valbelle - تسمية للمنطقة الحدودية فى شرق الدلتا عند فرع النيل البلوزى. وفيما يبدو أنه وصف لعملية برية وبحرية مشتركة، ومشابهة لما نعرفه من هذا النوع من «حرب شعوب البحر» لرمسيس الثالث فى عام حكمه الثامن.

ويتصادف أن العام ٣٧[*] لحكم نبوخذنصر قد انتهى بعد حوالى ثلاثة أسابيع، فى ١٤ إبريل. ولا يمكن أن يتطرق شك فى أن المقصود بـ «الآسيويين» المذكورين على لوحة أسوان هم القوات البابلية. ففى السياق التالى للنقش، يرد ذكر عاصفة ثلجية أنزلها الله فأبادت فيما يبدو أسطول الأعداء المتسلل عبر أحد فروع النيل. ومن وسط الأعداء، لمح أمازيس أبريس المذكور آنفًا بتسمية وهمية «المتعجرف»[١١٥]، حيث سقط فى القتال، فاندفع فى تيار الماء. بيد أن أمازيس عنى بدفنة جديرة بغريمه. وطبقًا لهيرودوت الذى لم يكتب شيئًا البتة عن البابليين، فقد وقعت المعركة الفاصلة على عكس ذلك عند مومفيس، وأن أبريس بعد علاجه جيدًا فى بادئ الأمر، كان تحت رحمة الشعب المتذمر، فشنقوه (الكتاب الثانى ١٦٩). بيد أن هيرودوت قد نوه أيضًا بدفنه فى مقبرة أسلافه بمعبد نَيت فى سايس.

(*) غير مثبوت بيان شهر أو يوم (المؤلف).

ما الذى حدث؟ فكما ذُكر من قبل فى الفصل الأول، أن أبريس قد استجاب لاستغاثة الملك أديكران وأرسل جيشًا ضد المستوطنة الإغريقية قرينية، لكنه أُبيد هناك. وكانت عاقبة ذلك عزله في عام ٥٧٠. ففى الجزء الأول المؤرَّخ بالعام الأول لأمازيس من اللوحة الكبيرة، تُروى محاولة أبريس الأولى الفاشلة لانتزاع السلطة لنفسه ثانية من «المغتصب» أمازيس؛ فقد كان أمازيس دمًا جديدًا *homo novus* وليس قريبًا مع البيت الملكى للأسرة السادسة والعشرين[١١٦]! وعلى ما يبدو أن أبريس قد توجه نتيجة لذلك إلى نبوخذنصر، لحثه على التدخل فى مصر. ويبدو أن أمازيس قد اشتم مكائد أبريس فى الوقت المناسب. لذا، قام على عجل لحماية ظهره بعقد حلف مع قرينية، توَّجه بزواجه من الأميرة لاديكا.

وكما قِيل من قبل، لم تطأ بابل قدمًا فى مصر. ومن العبث التفكر فيما لو حدث أن أبريس قد لقى نجاحًا، لكان أغلب الظن ملكًا عميلاً تحت رحمة بابل، مثلما فعل من قبل سيئ الحظ صدقيا ملك يهوذا، ولكان الغزو الفارسى، الذى حدث ٤٥ سنة فيما بعد قد وقع على الرغم من ذلك. ومن بين خلفاء نبوخذنصر، يُعَدُّ نابونيد الشخصية الأجدر بالاهتمام، وكان قد انزوى لنحو عشر سنوات لأسباب غير معروفة حتى الآن إلى تيماء فى الجزيرة العربية[١١٧]. ولا يُذكر أى شيء البتة عن مصلحة ما للصراع مع مصر. ولم تكن هناك أيضًا فرصة سانحة لذلك؛ فالفرس كانوا فى تقدم عسكرى مستمر: ففى عام ٥٤٧ هَزَم قورش ملك ليديا الأسطورى كرويسوس وضَمَّ دولته. وفى عام ٥٣٩ زَحَف إلى بابل، حيث استولى على حواضرها الكبيرة، وأخيرًا على بابل نفسها من دون مقاومة تُذكر، فلم يكن نابونيد محبوبًا. وبعد سنوات قليلة فقط، استسلمت مصر أيضًا لهجوم الفرس (عام ٥٢٥).

وفى عصر لاحق، تناولت أعمال أدبية الغزو البابلى لمصر، فخلطت رواية قمبيز[١١٨] القبطية الأحداث مع الغزو الفارسى الذى وقع بعد نحو نصف قرن. ونتحقق من مزج مشابه فى أخبار الأيام الإثيوبية ليوحنا أسقف نيكيو[١١٩]، وهى ترجمة لعمل أصلى عربى مفقود من عصر الفتح الإسلامى. ومن الغريب أنه فى

عديد من تلك الأعمال المتأخرة – أيضًا المؤرخ المسلم الطبرى – يُزعم أن نبوخذنصر قد قتل الملك المصرى، لكنه ليس صحيحًا. فلم يمت أبريس بيد بابلية، بل الأرجح أنه لقى حتفه إبَّان اضطرابات الحرب الأهلية، كما شاهدنا من قبل.

وختامًا، نسوق بإيجاز بعض الجمل فيما يتصل بموضوع «مصريون فى بابل»؛ وعكس ذلك، أى «بابليون فى مصر»، فلا يوجد شيء يُذكر قط، لأنه ليست لدينا هناك أية مصادر تاريخية بقدر معرفتى. وكنا قد ناقشنا من قبل وجود مصريين فى آشور. كما سبق أن تناولنا احتمال سعى أبريس للشكاية لدى البلاط البابلى. وقد يبدو ذلك فقط من النظرة الأولى خرقًا للمألوف. ففيما مضى لاذ پسمَّاتيك الأول بالفرار إلى آشوربانيپال هربًا من الكوشيين، لكنه على العكس من أبريس استطاع أن يعود منتصرًا إلى الوطن. ولدينا نصوص مسمارية، ولا سيما من عهد نبوخذنصر، تتعلق بإطعام مَنْ تمَّ نفيهم من يهود ومصريين فى قصر نبوخذنصر. ويُذكر هنا ليس يهوياكين ملك يهوذا[١٢٠] فحسب، بل توجد أسماءٌ لشخصيات مصرية أيضًا مثل پسمَّاتيك، ونيخو، وآخرون. وفضلاً عن ذلك، فإننا نقابل أيضًا مصادفة من حين إلى حين مصريين فى نصوص بابلية[١٢١]. ففى وثيقة بالخط المسمارى من العام الأول لحكم قمبيز (عام ٥٢٩)، يُسَجَّل بيع حقل وصهريج مياه فى مكان بالقرب من بابل «عند جمع شيوخ المصريين»[١٢٢]. إذن، فقد كانت توجد فى ذلك الوقت – قبل غزو الفرس لمصر – جالية مصرية منظمة، تكونت فى الأرجح من نسل أسرى الحرب نتيجة لمعركة قرقميش (عام ٦٠٥)[١٢٣]. وإذا ما أوجزنا مصادر آشورية وبابلية عن وجود مصريين فى بلاد الرافدين، لوجدنا من بينهم أطباء ورائين (فلكيين) وخارطيبى (سحرة)[١٢٤] وحواة الثعابين ومطربين وصاغة الذهب ونحَّاسين وصانعى الجعة وخبَّازين وصيادين وآخرين كثيرين، بل كتبة أيضًا.

الفصـل الثالث

مصـر والفينيقيون

قد يثير موضوع «مصر والفينيقيون» عديدًا من الخواطر والأفكار المتباينة لدى أى باحث فى علم المصريات، إذا ما كان الأمر يستهويه فعلاً. فبينما يتحتم علينا ربط الآشوريين والفرس بفترات الحكم الأجنبى، ونلصق الكاريين دون عناء بلقب «جنود مرتزقة»، ونتذكر عند موضوع الآراميين على الأرجح وفى المقام الأول تلك المستعمرة العسكرية فى إلفنتين والبرديات التى عُثِر عليها هناك، فإن الوجود الفينيقى الضئيل فى البلاد من حيث العدد يدركه بالطبع أيضًا باحث الآثار المصرية القديمة. ولعل سبب ذلك هو عدم وجود مصطلحات مترجمة بوضوح لكلمة «فينيقى» أو «فينيقيا». وفيما مضى، كان يحلو لنا التعرف على الفينيقيين لغويًا فى متون الأهرام، حيث ظهرت هناك فنخو، لكن هذا التطابق الصوتى سطحى تمامًا وجاء فقط بمحض الصدفة[1]. وعلينا أن نوضح بأن تسمية «فينيقى» تعود إلى الإغريق وأنها ترمز إلى الاشتغال بحرفة الصبغ الأرجوانى الذى تميز به الفينيقيون. إن هوميروس هو أول من يتحدث عن فوينيكس Φοίνικες، إلى حد أنه لم يستعمل التعبير صيدُونيوى Σιδόνιοι فى معناه الأكثر شمولاً. بيد أن النصوص الموكينية تعرف الصفة المؤنثة پو-نى-كى-يا[2] فى سياق يعنى عربة «حمراء»، المتطابقة من حيث دلالتها واستخدامها اللغوى فى السامية مع المدلولين «كنعان» («أحمر أرجوانى») و«الكنعانيين»، غير أنه يُقصد بهما فى المرتبة الأولى المنطقة السورية-الفلسطينية بأسرها، لكن يُراد بها تسمية الفينيقيين بصفة خاصة فى العهد القديم. إن الفينيقيين لم يسموا أنفسهم «فينيقيين» ولا «كنعانيين»، لكن تبعًا للفرد بوصفه «رجلاً من صور»، أو «رجلاً من أرواد»، أو «سيدة من صيدا» إلخ – وهى ظاهرة مميزة للنزعات الإقليمية السورية-الفلسطينية. ففى مرسوم كانوپوس[3] من العام ٢٣٨، نجد الاختلافات التالية: فى الجزء اليونانى «سوريا وفينيقيا» Συρία καὶ Φοινίκη، وفى الجزء الديموطى «منطقة السورى /

الآشورى»، و«منطقة أهل خارو (أى فينيقيا)». أما فى الجزء الهيروغليفى لنسخة تانيس، فإن الحديث عن سوريا تستخدم فيه تسمية تعود إلى عصور قديمة مضت منذ زمن بعيد، بوصفها «رتنو الشرقية»، وتذكر فينيقيا بأنها «أرض الكفتيو». لكن هذه التسمية الأخيرة مضللة، لأن كفتيو تعنى عادة الكريتيين. ويتحدث مرسوم رفح من العام ٢١٧ بصورة أكثر وضوحا عن «أرض الفنخ(و)» (قارن كذلك صفحة ٢٨٣).

بعد هذه المقدمة الموجزة عن المصطلحات الفنية، نود إلقاء نظرة إلى الموقع الجغرافى (شكل ١٦): يقع وطن الفينيقيين، أى الأرض الفينيقية الأم، على الشريط الساحلى السورى الفلسطينى الممتد من شوكشو فى الشمال (تل سوكاس) حتى عكا فى الجنوب. وفى هذا المنحى يجب ملاحظة أن الحديث عن ثقافة وحضارة فينيقية مميزة، وفقًا لرأى شائع، يبدأ حوالى عام ١٢٠٠، أى مع بداية عصر الحديد. وبطبيعة الحال، فقد كانت جُبيل توجد قبل ذلك بزمن طويل، لكنها لم تكن «فينيقية» بصورة حقيقية. ففى ذلك الوقت، لم تكن هناك اختلافات جوهرية بين الساحل وظهير البلاد: كانت لا تزال لغة المنطقة جنوب أوجاريت وديانتها، وفنون الحرف اليدوية وصناعاتها واحدة نسبيًا. فنحن بالأحرى إزاء ثقافة «سورية» أو «سورية فلسطينية» أقرب منها إلى ثقافة «فينيقية». لكن لا يجوز لنا أن نخفى السؤال المطروح فى السنوات الأخيرة، عما إذا كان يوجد أصلاً شيء من قبيل «شعب فينيقى»، ومنذ أى وقت بدأ يوجد – فالبعض يعتقد أنه كان هناك ابتداءً من عام ٨٠٠. وإذا ما كنا ننشد ذلك، فإن الفينيقيين القدماء على أقل تقدير يُعَدُّون بصفة عامة «كنعانيين»(٤).

وقد أدى انهيار سيطرة القوى العظمى (مصر، وبلاد الرافدين، والحيثيين) فى سياق غزوات شعوب البحر حوالى عام ١٢٠٠، إضافة إلى استيطان شعوب صغيرة جديدة فى ظهير البلاد (مثل الآراميين والعبرانيين) إلى ارتفاع شأن دويلات المدن الساحلية، وتقوية علاقاتها المتبادلة وتوجهها نحو التجارة وإقامة المستعمرات إلى الغرب من حوض البحر المتوسط. فالميل نحو الهيمنة الاقتصادية اقتضته ظروف الموقع الساحلى من ناحية، والصعوبات نحو التوسع فى ظهير البلاد من ناحية أخرى.

إن المدن الفينيقية الكبرى هى فى ترتيب من الشمال إلى الجنوب كما يلى: أرْواد، وجُبيل، وبيروت، وصيدا، وصرفا، وصُوْر. وكانت جبيل هى أهم مُورِّد خشب لمصر منذ العصور القديمة. وبتأثير مصرى فيما يبدو، طورت هذه المدينة كتابة مقطعية[٥] خاصة بها، لا تزال حتى اليوم فى بداية فك طلاسمها، ومن المعروف أنها تحوى للأسف أربعة عشر من النقوش فقط، يوجد جانب منها فى حالة سيئة من الحفظ. وقد استعملت تلك الكتابة فى عهد الدولة الوسطى، وانتهى استخدامها بسرعة فيما بعد على ما يبدو. وبينما وقعت مدن مهمة مثل أوجاريت والآلاخ وقادش ضحية لاجتياح شعوب البحر لها، فهلكت نهائيًا، كانت جُبيل قد بدأت تستعيد قواها بسرعة. ولم تكن حملة تيجلاتپيلسر الأول فى سوريا وفلسطين حوالى عام ١١٠٠ سوى غارة سلب أكثر من كونها شيئًا آخر، إذ اضطرت جُبيل إلى دفع الجزية، لكنها لم ترضخ إطلاقًا. وفى ذلك الوقت تقريبًا، وبتكليف من الحاكم الطيبى حريحور فى نهاية الدولة الحديثة، كان على ونآمون تدبير خشب الأرز أو الصنوبر – أهم صادرات الفينيقيين فى بلادهم الأصلية – اللازم لزورق آمون-رع-ملك-الآلهة. كما كان على ونآمون أن يعرف أن أميرًا واثقًا من نفسه لا يمكن أن تخدعه عبارات طنانة: نعم لأداء عمل، ليس مقابل ثواب عند الله، مثلما أراد أن يفعل ونآمون مع الأمير، لكن مقابل أداء عمل مماثل وملموس. فالأهمية الفائقة لتصدير الأخشاب إلى مصر تتضح لنا أيضًا، عندما تلقى مفتش التاج الآشورى فى صُوْر بعد عدة قرون (فيما بين عامى ٧٣٥–٧٣٢) تعليمات، بعدم توريد خشب إلى مصر وفلسطين (قارن صفحة ٥١).

إن قصة رحلة ونآمون[٦] تُعَدُّ من أوجه عديدة وثيقة واضحة جلية للغاية لعلاقات مصر بالعالم الفينيقى فى نهاية الألفية الثانية، وفضلاً عن ذلك، فهى مسلية. ولا يزال هناك أمر غير واضح بصورة نهائية ومؤكدة، وهو اعتبار القصة إنتاجًا أدبيًا خالصًا، كما تبدو فى مجملها، أو أنها تقرير لوقائع، وهى فى تلك الحالة من الناحية الأدبية من دون شك، لكانت واسعة المطامح[٧]. ولا نستطيع بالطبع الخوض بالتفصيل فى هذا الموضوع، لكن نود أن نسجل أمرين:

أولاً: بقدر معرفتى، لم ينل مطلقًا موضوع قصة رحلة ونآمون تقييمًا تامًا، بوصفه عملاً أدبيًا فى معناه الضيق، أو كونه غير ذلك، على أساس الحقائق الآتية، إذ تنحدر من المكان نفسه فى الحيبة، التى يأتى منها «ونآمون»، ليس فقط تلك الوثيقة المسماة «خطاب موسكو الأدبى» Moskauer literarischer Brief، بل أيضًا بردية رايلاندز ٩ الديموطيقية[٨] Papyrus Rylands. وفى الواقع، تُعَدُّ تلك الأخيرة لوحة فنية حقيقية متعددة الألوان والتنوع لثقافة العصر الصاوى وعاداته وتقاليده، وكذلك الفترة المبكرة لعصر الفرس، وتستحق الرؤية لذاتها فقط فى سهولة ويسر، بافتراض أنها عمل أدبى خيالى على الأرجح، وإن كانت ترتكن على الحياة الحقيقية لتلك الفترة. والحقيقة المجردة فى كونها جزءًا من أرشيف مغلف بداخله قائمة مفهرسة تثبته وحده طبيعتها الوثائقية فى نهاية الأمر. فهل يسرى ذلك أيضًا على «ونآمون»، كما افترض ياروسلاف تشيرنى Jaroslav Černý آنذاك بالنسبة إلى بردية رايلاندز ٩؟ لكن علينا أن نسلم بأن بعض الأشياء تدل على أنه عمل أدبى «خيالى» fiktional، وهو ما تشير إليه على سبيل المثال بصورة لافتة للنظر تسمية الأسماء الإنسانية الموجهة لآمون أو خطبة المديح لأمير جُبيل عن الحضارة المصرية.

ثانيًا، وهو فى نهاية الأمر الحاسم فى الموضوع: مع أن شخصية قصة «ونآمون» فى المقام الأول «أدبية» و«خيالية»، فإنه على الرغم من ذلك، يحق لنا الخروج بأن الخلفيات الواقعية ليست ممسوخة تاريخيًّا بصورة قوية بأكثر مما تصف مكانة مصر الدولية المترنحة قليلاً فى شرق البحر المتوسط، وهى بذلك ليست مغرضة. ولا يوجد أفضل من آلَن جاردنر Alan Gardiner فى عرض وجهة نظره عن هذه الوثيقة من حيث إنها «ترسم صورة خالية من الزخرفة ومقنعة، بحيث لا يحتاج السؤال الذى طال النقاش حوله إلى جواب أصلاً، فيما إذا كان ونآمون يمثل تاريخًا حقيقيًا، أو أنه رواية قامت على أساس من الوقائع»[٩].

ويا حبذا لو نظرنا الآن إلى شخصية قصة «ونآمون» عن كثب، وهو موضوعنا الأصلى! فقد أبحر بطل القصة انطلاقًا من تانيس إلى «بحر سوريا العظيم» على سفينة مصرية، كان قبطانها فيما يبدو سوريًا أو فينيقيًا، وهو ما نستدل عليه من اسمه السامى[١٠]. وتلك خاصية مميزة، فالفينيقيون كان يُطمأن نوعًا ما إلى اختيارهم فى أمور الملاحة لكونهم من سكان المدن الساحلية، فيذكرهم هوميروس[١١] بأنهم «مشهورون بالسفن». وتجدر الإشارة هنا إلى أن الملاحة قرب الشواطئ كانت شائعة فى ذلك الوقت.

كانت دُوْر هى أول مكان وصله ونآمون، وهى مدينة الـ «زكار». وهؤلاء الزكار كانوا ينتمون إلى تلك الأقوام المعروفة باسم «شعوب البحر» Seevölker، الذين طردهم رمسيس الثالث من مصر، فيما عدا أولئك الذين أُدرجوا منهم كقوات إضافية فى الجيش. وأدى ظهورهم فى شرق البحر المتوسط إلى تغييرات جذرية وتحولات فى البنية السياسية والاجتماعية. وقد افترض أن الزكار يرتبطون بتويكروس، وهو الأب الأول للطرواديين، الذين غالبًا ما يُسمى هؤلاء الزكار باسمهم[١٢]. وهو أمر عسير من حيث التطابق الصوتى؛ لذا، فإنه من الأفضل مطابقة هؤلاء الزكار مع الشيكالايو فى مصادر الكتابة المسمارية[١٣]، أو مع السيكِلوى Σικελοί فى المصادر اليونانية.

ويمكن الاستدلال على وجود «شعوب البحر» فى دُوْر من الناحية الأثرية: فقد دُمِّرت مدينة الزكار الكبيرة الحصينة قرب منتصف القرن الحادى عشر، وسكنها الفينيقيون[١٤]. بعد ذلك بكثير من الوقت وفى القرن الخامس، أُضيفت دُوْر ويافا إلى منطقة سيادة صيدا بتوجيهات ملكها العظيم[١٥].

وتَعَرَّض ونآمون فى أثناء إقامته فى دُوْر للسرقة بواسطة أحد رجاله، لاذ بعدها بالفرار. وأصرَّ ونآمون على اعتقاده، وفقًا لقانون سارٍ، بتحميل حاكم المنطقة المعنية المسئولية عن سرقته وإرغامه على تعويضه. لكن أمير دُوْر أطلع ونآمون فى غير لبس ولا إبهام، أن ذلك يجوز فى حالة ما إذا كان اللص أحد رعاياه فقط – أو قد يمكن لنا أن نضيف إلى ذلك، إذا لم يمكن تحديد شخصية اللص،

فكان لا بد أن يؤخذ فى الحسبان أنه أحد رعاياه. لكن لأن الجانى فى تلك الحالة كان أحد رجال ونآمون نفسه، فإن طلبه كان مثيرا للسخرية. ومع ذلك، أظهر الأمير استعداده للبحث عن اللص، وكما هو متوقع بالطبع، من دون نجاح. ونتيجة لذلك، لجأ ونأمون إلى الاعتماد على نفسه، باستعاضة خسارته بسفينة للزكار، إلى حين أن تُحضر له الأشياء المسروقة ثانية، ثم واصل السفر إلى جُبيل. وكان من الطبيعى أن يتعرض بسبب هذا التصرف غير المسئول لغضب الزكار. ولا غرو أن هؤلاء أرادوا حينئذ إلقاء القبض عليه، وهو على وشك الإبحار عائدًا. إن عبارات أمير جُبيل إلى قومه من الزكار تشعرنا – إلى حدٍّ غير قليل – بمكره، حين يقول: «لكننى لا أستطيع إلقاء القبض على رسول آمون فى أرضى، دعونى أطلق سراحه، ثم تسعون وراءه للقبض عليه!» (٢، ٧٣–٧٤). ومن ثمَّ، فإن الحاكم طبقًا لقانون دولى سائد فى ذلك الوقت كان مسئولاً فى منطقة سيادته فقط عن أمن الرسل الأجانب وحصانتهم، أما ما يحدث خارجها، فكان لا يعنيه فى شيء قط.

وبطبيعة الحال، فقد كان لتصرف زكاربعل الحذِر والمتحفظ تجاه ضيفه أسبابًا أخرى. وقبل أن يتفقا معًا، كان أمير جُبيل قد طالب ونآمون بعد وصوله مباشرة، وبصفة يومية أن يغادر ميناءه. ولا شك أن السبب فى ذلك الموقف غير الودى – لكنه بالتأكيد لم يكن أيضًا السبب الوحيد – هو أن مصر لم تكن قوية فى ذلك الوقت، مثلما كانت من ذى قبل، إذ جاءت فى خطاب من عصر الرعامسة المتأخر[١٦] مقولة: «أى سيد هو الفرعون إذن؟». وفى نهاية الأمر، فقد كانت مصر على الرغم من ذلك لا تزال أهم شريك تجارى بالنسبة إلى الدول السورية والفلسطينية الصغيرة، حتى إن زكاربعل نفسه كان حريصًا تجاه ونآمون على التأكيد بأن لديه ٢٠ سفينة للتجارة مع سمندس. وفى مقالة دسمة بالمعلومات، برهن ج. بوننس G. Bunnens[١٧]، وإن كان قد قلل كثيرًا بقدر ما فيما لا يُشك فيه من فقدان مصر مكانتها الدولية، بأن الأسباب فى المعاملة المزرية، التى اضطر المصرى إلى احتمالها، تكمن ولا سيما فى خرقه المتكرر قواعد السلوك واللياقة Etikette. والسبب الأول هو إنصافه لذاته Selbstjustiz السالف ذكره تجاه أهل الزكار الذين لا ذنب لهم. وكان قد سبق وصول ونآمون إلى جُبيل نبأ ذلك،

فلم تسجل له بالتأكيد رصيدا من التعاطف. والسبب الثانى مركب بعض الشيء؛ وعلينا أن نخوض فيه عن كثب، لأن الأمر لا يقل أهمية حول فهم تنظيم العلاقات التجارية الدولية فى ذلك الوقت. ولا بد أن يثير الدهشة أولاً، حتى وإن لم يُعَبَّر عنه فى النص، وهو أن ونآمون قد وصل من دون حرس. وإذا كانت خطابات تل العمارنة لم تذكر أيضا شيئا من ذلك قط، فإننا نعرف من أرشيفات مارى أن أفراد حراسة من أرض الوطن أو البلد المضيف كانت تُستصحب، وهو أمر طبيعى، نظرا إلى المتاعب والأخطار التى كانت تنتظر المرء فى الغربة. يُضاف إلى ذلك أن ونآمون كان يُعدُ «رسول (دولة)» أو «مبعوثًا (فوق العادة)» (ويوتى)، وإن لم يتمكن من إثبات شخصيته ومهمته، وبذلك فقد أثار حنق أمير جُبيل. ويذكر ونآمون أنه كان عليه أن يترك مكتوبا بهذا الشأن من حاكم طيبة الذى كلفه بالمهمة إلى سمندس، حاكم الشمال (١، ٥٣). وفيما يبدو أنه خطاب توصية من حريحور – أو على وجه الدقة كما يُذكر فى النص من 'ذات آمون العُليا'، الذى كان نظريًا الحاكم الفعلى «للدولة الثيوقراطية» Gottesstaat الطيبية – يُوصَّى فيه بحماية سمندس وقرينته تنتآمون لونآمون. إن مثل هذا النوع من خطابات التوصية نعرفه على سبيل المثال من مراسلات تل العمارنة. ففى خطاب رقم ٣٠، كتب ملك لم يُذكر اسمه (ربما كان توشراتا ملك ميتانى) إلى «ملوك كنعان» بأن يسمحوا لرسوله القائم فى خدمة الفرعون بالمرور بحرية وتقديم حراسة أمنية له[١٨].

لكن أمير جُبيل ما كان ليستقبل أيضا هذا الخطاب إطلاقًا، لأنه كان لا يعنيه، على الأقل بشكل مباشر. كذلك لم تساعد كثيرا احتجاجات ونآمون بأن سفينته مصرية وليست سورية، كما تجنى عليه زكاربعل. فقد كان على ونآمون أن يقدم خطاب اعتماد، يثبت لزكاربعل أنه يعمل وفقًا لتكليف. فقد حدثت المرة بعد الأخرى، أن مزاعم الرسل أو المبعوثين قد شُكِّكَ فيها؛ وهو ما نعرفه من فترة العمارنة ومن بقية مراسلات الشرق الأدنى. بيد أن مثل هذا الخطاب لم يكن فى جعبته. وبما أن النص يتحدث عن خطابات عديدة، فعلينا أن نفترض بأن سمندس قد احتفظ لأى سبب من الأسباب بخطاب الاعتماد الواجب تقديمه لدى زكاربعل.

وإلى جانب المخالفتين لقواعد السلوك واللياقة – وهما إنصافه لذاته بغير حق، وعدم قدرته على إثبات شخصيته ومهمته – تأتى مخالفة ثالثة، وهى بالتأكيد أثقلها إلى حدٍّ بعيد، فى كون ونآمون قد وصل إلى جُبيل صفر اليدين. وبطبيعة الحال، فإنه كان يعرف أن ذلك لا تقتضيه اللياقة، وأنه كان عليه أن يأتى ومعه الأشياء ذات القيمة المالية الضرورية، لكنها كانت قد سُرقت منه فعلاً. ولم يتضح الأمر بشكل نهائى، عما إذا كانت البضائع المطلوبة يتم الحصول عليها من خلال نظام تبادل الهدايا، أم من خلال الشراء الحقيقى. إذ إن ما نسميه علاقات تجارية دولية، قام حتى الفترة المتأخرة من الألفية الأولى على أساس تبادل الهدايا. ومن المشكوك فيه عما إذا كان القرن الثامن يُعَدُّ تحولاً من «اقتصاد القصر» Palastwirtschaft، كما كان سائدًا حتى ذلك الوقت فى فينيقيا، إلى «نظام التزام» Unternehmertum خاص (مزعوم) فى الملاحم الشعرية الهوميرية[١٩]. وعلى أى الأحوال وفى نهاية الأمر، فقد كان لا بد من شراء خشب الأرز المطلوب فعلاً بعد مساومات طويلة[٢٠]، حتى لو كان ذلك لم ينسجم مع النسخة المصرية الرسمية (لوحة ٢ ب).

على أية حال، فإن استياء الأمير كان يرجع فى الأساس إلى عدم قدرة ونآمون على تقديم مقابل. فلم تكن فى جعبته حتى مجرد تقديم هدية تحية (شولمَانو)، مثلما يقتضيه العرف! وعندما يقول زكاربعل: «أنا لست خادمك، ولست خادمًا كذلك لمن أرسلك» (٢، ١٢–١٣)، فلا نحتاج إلى أن نستنبط الشك فى شرعية نظام الحكم فى طيبة. ومن العبث التفكير فيما إذا كان أفضل لونآمون لو كان قد سافر بتكليف من سمندس. إذ إننا عند مطالعة النص، نخرج بالانطباع بأن الأمير كان يشعر باستقلاليته عن مصر عمومًا، حين يقول: «هل حاكم مصر هو سيد أملاكى، وأنا خادمه أيضًا!؟ فقد اعتاد (من قبل) أن يرسل ذهبًا وفضة، وهل قال مثلاً: 'نفذ أمر آمون!'؟ وهل كان إرسال الهدايا الملكية لأبى قد اعتادها؟ (وليس فى الأرجح الدفع العادى)؟» (٢، ١٠–١٢)[٢١]. ومن تلك الأقوال التهكمية، تتضح قناعة زكاربعل بأن الفراعنة طالبوا بخشب الأرز اللازم، ليس بمثابة خدمة مجانية من أمير جُبيل عليه تأديتها لآمون. على أية حال، فلم يبقَ لونآمون خيار آخر سوى أن يرسل فى طلب العطاء المقابل المتوقع من مصر. ولم تتحسن علاقاتهما ببعض إلا بعد ذلك.

ولم يُشر بالقصة عما يكون عليه ذلك العطاء المقابل، إذ إن ونآمون كان يعرف ما يقدره مضيفوه وما ينتظرونه منه. ويمكننا أن نعطى صورة عن ذلك من مصادر أخرى. فقد كانت الغلال فى المقام الأول، وكانت مصر أهم مورد لها (ولنتذكر دورها كصومعة غلال للدولة الرومانية). كما كان الكتان والدمور من السلع المهمة؛ وهو ما لم يُشِر إليه النبئ حزقيال (٢٧) فى قصيدته الشاكية عن زوال صُوْر فحسب، وإنما يتضح أيضًا بصورة غير مباشرة من عبارة فى النقش الفينيقى لكيلاموا، ملك سامأل / يانودى (زينچيرلى Zincirli، حوالى عام ٨٢٥). ففى سلسلة منِ الصيغ اللغوية، تُصَوِّر فكرة انبطاح كل الأشياء على رؤوسها – وهو ما يُذَكِّر باحث المصريات من فوره بشكايات إيپوور – يرد ذكر الكتان: «ومَنْ لم يشاهد منذ شبابه كتانًا، فسوف يغطيه الدمور فى تلك الأيام»[٢٢]. وكان يأتى هذا القماش الثمين من دون شك عبر الوساطة الفينيقية من مصر إلى الدويلات الحيثية الآرامية الواقعة إلى الشمال من سوريا ومركزها التجارى الدولى المهم المسمى الميناء. يُضاف إلى ذلك استيراد الفينيقيين أيضًا حيوانات معينة من مصر، كانت تُخصص بصورة رئيسية للبلاط الآشورى[٢٣].

ولنعد ثانية إلى قصة ونآمون. فمع تصميم زكاربعل الدائب على استقلاليته، فإن اعترافه صراحة بالأسبقية الحضارية لمصر يُعَدُّ قرينة للطبيعة الأدبية الخيالية للرواية، على الأقل فى الشكل المعروض أمامنا، كما سبق أن أشرنا، وهو ما يتضح فى قوله: «نعم، أسس آمون كل البلدان. وأسسها بعد أن أسس أولاً أرض مصر، التى تأتى أنت منها، لأن المهارة أتت من هناك إلى هنا، حيث أكون، وأتت الحكمة من هناك إلى هنا، حيث أكون» (٢، ١٩–٢٢). لكن خلف هذا المديح الدعائى الذى يعطى الانطباع بالتزلف، على نمط مقولة «يا سلام على مصر، أم الدنيا»[٢٤]، تنطوى الفكرة الكامنة «وانتهى الأمر، بلغنا الرشد الآن ونقف على أرجلنا». إذ يتبع ذلك مباشرة الملحوظة اللاذعة، وهى «ما هذه الرحلات السخيفة التى جعلوك تفعلها؟» (٢، ٢٢).

ويقدم حديث ونأمون مجموعة كاملة لتفاصيل أخرى مثيرة، ونتوقعها بالطبع. فقد كان يمكن حدوث سوء شديد للمبعوثين والرسل أكثر مما تعرض له بطلنا. فقد نبّه زكاربعل ونأمون أنه كان يمكنه أن يتصرف معه بطريقة أخرى، حين قال له: «أنا لم أسئ إليك حقًا، كما فُعل برسل خعمواس [رمسيس الحادى عشر]، بعد أن قضوا ١٧ سنة فى هذه الأرض. لقد ماتوا حيثما كانوا» (٢، ٥١-٥٢). وقد رفض ونأمون العرض المخلص بأن يجعله يرى بنفسه قبر هؤلاء التعساء. وكانت الوفاة فى الغربة وعدم الدفن فى الوطن بالنسبة إلى مصرى شريف فكرة لا يمكن تحملها!

إن وصف المحيط الذى وقع فيه ونأمون ليس مُختلقًا بالكامل، حتى لو لم يكن تقريرًا عن وقائع حقيقية. فقد كان لدى زكاربعل خادم يُدعى پنأمون (أى «الذى هو لآمون»)[٢٥]، وهو اسم شائع فى مصر بأسرها. كذلك يمكننا تصور أن الرجل كان على الأرجح مصريًا فعلاً، وإن كان ذلك الافتراض ليس ملزمًا على الإطلاق. أما إذا ما كان النص خياليًا، فإن الاسم ربما كان اختيارًا دعائيًا، نظرًا إلى دور آمون بوصفه «ناقل حضارة»، وهو دور اعترف به الأمير لآمون، ولا يستلزم بالضرورة أن تكون التسمية لشخص مصرى المولد.

أما المرأة التى قيل إنها سرّت عن نفس ونأمون، التى أصابها أهل الزكار بالكرب، بناء على طلب الأمير القليل العطف وبعد وصول الهدايا المقابلة، فقد كانت فى كل الأحوال مصرية أصيلة تُدعى تِنتنويت، أى «التى هى من طيبة» - فهل كان اختيار هذا الاسم مقصودًا كذلك؟ - وهى «مطربة مصرية كانت لديه / معه (زكاربعل)» (٢، ٦٩).

فيما بعد «ساقت الريح» ونأمون إلى الآشيا (٢، ٧٤ وما يليه)، التى يتطابق مكانها أكبر الظن مع قبرص أو جزء منها[٢٦]. ويُحتمل أنه كان يوجد هناك فى ذلك الوقت فينيقيون (أو أوائل الفينيقيين). ويمكننا أيضًا إدراك ذلك الاستعمار الفينيقى هناك فى فترة مبكرة[٢٧]. ويُفسر معنى اسم الملكة حاطيبا بوصفه اسمًا

ساميًا، يعنى «قاطعة الخشب» أو «حمّالة الحطب»[٢٨]، وهو ما يعطى انطباعا غير مألوف، وخاصة لسيدة، لكن بلا شك، توجد هناك تراكيب مشابهة فى تسمية الأسماء السامية. وقد وجد سؤال ونآمون عن شخص يعرف اللغة المصرية ردًا إيجابيًا؛ وهو ما يُعدُّ ولا شك لمسة واقعية للقصة. فنحن نتذكر التأكيد لسنوهى فى فلسطين وسوريا بأنه سيسمع الحديث باللغة المصرية؛ ومن ثمَّ، فهى ليست مجرد عبارات تقليدية جوفاء. فالأهمية الكبيرة التى احتلتها مصر حتى الألفية الأولى بالنسبة إلى حركة التجارة الدولية ونفوذها غير اليائس فى المجال الثقافى، كان لا بد أن يتمخض عنه بصورة بدهية وجود أناس فى كل المراكز المهمة كانوا يتكلمون المصرية – سواء كان هؤلاء أنفسهم مصريين أو أجانب تعلموا هذه اللغة.

ومؤخرًا، اقتُرحت أسباب ترجِّح أن مؤلف قصة «ونآمون» جعل من أخطاء لغوية معينة للفينيقى أداة للسخرية[٢٩] مثل إدلاء زكاربعل بجمل تماثل مَنْ يقول: «أنت سوف تعطينى من أجل You shall give me for *done it*. and I will *done it*! *فعله*، وأنا سوف *فعلته*!». على أنه يُفضِّل تفسيرًا على أساس مستوى لغوى صحيح[٣٠].

وفى حقيقة الأمر، فإن اسم زكاربعل فينيقى خالص، ويعنى «تذكر بعل» أو ما شابه[٣١]. ويوجد نقش فينيقى مبكر جدًّا على نصل سهم من الفترة نفسها تقريبًا (القرن الحادى عشر)، يُذكر فيه اسم «ملك آمورو» المدعو زَكاربَعَل[٣٢] (شكل ١٧)؛ وختامًا، فإنه ربما يكون فعلاً الأمير المذكور لدى «ونآمون» هو المقصود! وقد كانت آمورو مملكة صغيرة معـــروفة جيدًا من فـــترات مراسلات تل العمارنة.

وعلى مقربة زمنية من زكاربعل، يأتى أثر شهير معروف باسم تابوت أحيرام، ملك جُبيل، ويعود تاريخه إلى عام ١٠٠٠ تقريبًا (شكل ١٨). والجدير بالملاحظة فى هذا الصدد، أنه يوجد عليه أحد أقدم النقوش الفينيقية بالمعنى الصحيح للكلمة[٣٣]. ونستشهد هنا بوجهة نظر س. ف. بوندى S. F. Bondi[٣٤] التى وردت فى المجلد الكـــبير «الفينيقيون»، الذى أصــــدره سَبَتينو موسكاتى S. Moscati:

«إن انصهار معتقدات دينية مختلفة وتوفيقها ببعضها Synkretismus، هى سمة مميزة للتطورات الفنية الفينيقية المتعاقبة، حيث نشاهد هناك انسجام موضوعات مصرية (مثل الملك الجالس على العرش يحرس جانبيه أبو الهول، وممسكًا بيديه زهرة اللوتس) مع تلك الموضوعات من المنطقة الحضارية السورية والحيثية (ملامح لأشكال على الغطاء تمثل أسودًا تحمل التابوت). إذن، فقد اختلطت تأثيرات وأفكار من مصادر مختلفة وتُرجمت بأسلوب حر. وأصبح ذلك من صميم تطور الفن الفينيقى لسنوات». وعلى سبيل المثال، نلاحظ أسلوبًا لخلط فنى مشابه فى المكان المخصص للصور للوحة يحاوميلك، وهو ملك تال لجُبيل، حيث يبرز عنصر التأثير المصرى بشكل قوى جدًّا، أكثر مما هو فى حالة تابوت أحيرام[٣٥] (شكل ١٩).

ومن مقبرة أحيرام المذكور سالفًا، تأتى إلى جانب ذلك آنيتان من الألباستر أكثر قدمًا، عليهما خانات ملكية لرمسيس الثانى[٣٦]، أى من فترة تعود إلى قبل الألفية الأولى.

ومن الناحية الأثرية، توجد بعض الأشياء المادية تشير إلى علاقات مصر بفينيقيا فى هذه المرحلة المبكرة. ونذكر، بوجه خاص، كسرات من تمثالين من جُبيل لشوشنق الأول وأوسركون الأول (شكل ٢٠)، وعليهما نقوش فينيقية للملكين المحليين أبيبعل وإيليبعل[٣٧]. وجاء فى نص النقش الأول: «[تمثال] أحضره أبيبعل، ملك [جُبيل، ابن ...، ملك] جُبيل من[٣٨] مصر لسيد[ة جُبيل، سيدته]». وفى الثغرة لمثل هذا النوع من النقوش النذرية، علينا إضافة الصيغة المألوفة بالاستجابة لرجائه بطول العمر. ويمكن تفسير النقش بأن أبيبعل تلقى التمثال هدية بمناسبة زيارته لمصر، فأمر بعد عودته إلى جُبيل بوضعه فى معبد الإلهة لزيادة هيبته. أما نقش إيليبعل فهو أفضل حالاً من حيث حالة حفظه من النقش الأول، بيد أنه يختلف عنه فى نقطة جوهرية، حيث جاء فى البداية «تمثال صنعه إيليبعل»، ولم يتحدث عن مصر. وعلى أساس هذه الصياغة، كان جيبسون Gibson قد افترض أن التمثال قد نُحت فى مصر بناء على رغبة الحاكم الجُبيلى فعلاً. وقد أبرز البحث

العلمى الإيطالى مظهرًا له دلالة معينة، وهو أن واقعة إعادة نقش التماثيل المصرية ثانية بواسطة حكام جُبيل وعلى طريقتهم الخاصة قد كشفت النقاب وحدها عن فقدان مصر قدرًا من هيبتها «السياسية المقدسة». على أن التماثيل لها قيمتها بالدرجة الأولى، نظرًا إلى تكاملها الفنى[٣٩].

ومن عصر الأسرتين ٢٣/٢٢، تنحدر من أرواد فى شمال فينيقيا كسرة من حوض للقرابين، حيث يُذكر «كبير الما والقائد پنأمون»[٤٠]. ومن الغريب أن الاسم يحمل مخصص البلاد الأجنبية. لكن لا يجوز أن نستنتج من ذلك أن الأمر هنا يتعلق بفينيقى ذى اسم مصرى، كما كانت الحال من الناحية النظرية بالنسبة إلى پنأمون المذكور آنفًا بالاسم نفسه فى قصة «ونآمون». ولعل الدافع إلى إدراج المخصص هو الأصل الليبى لحامل الاسم.

ويُؤرَّخ من الفترة نفسها تمثال صغير من عصر الدولة الوسطى، أُعيد استخدامه بواسطة كبير كهنة منف حارسائيسة، وكان قد اكتشف فى جُبيل[٤١]. لكننا لا نعرف كيف ولأى غرض وصل هذا التمثال إلى هناك.

وفى السامرة وآشور اكتشفت بعض أوانى الألباستر المصرية[٤٢]، من بينهم إناء من آشور عليه خانات تاكيلوت الثالث الملكية (لوحة ٣ أ). ومن النقش المسمارى[٤٣] على إحدى هذه الأوانى، نستنتج أنها كانت ضمن غنائم حرب، اغتنمها آسرحدون بعد قضائه على عبدى ميلكوتى ملك صيدا. وطبقًا للنقش الأكادى، كانت تحتوى الآنية على زيت راقٍ – غير أننا لا نود أن نتحدث عن ذلك – كان الفينيقيون يحفظونه بداخلها. لكن المصريين كانوا يملأونها فى الأصل بالنبيذ؛ وهو ما يُستدل عليه بشكل مؤكد من النقوش الأصلية على هذه الأوانى. وفيما عدا الآنية المذكورة آنفًا من آشور، توجد أيضًا آنيتان أخريان من الألباستر استخدمتا وعاءين للرماد بصورة ثانوية، ويعود تاريخهما إلى أوسركون (الثانى؟) وتاكيلوت الثانى، وعُثر عليهما بالجبانة الفينيقية فى المونييكار/ سيكسى Almuñécar / Sexi بجنوب إسپانيا، ويُفتتن بمشاهدتهما الآن فى متحف الآثار بغرناطة[٤٤]. إن نقوش هذه الأوانى مثل بعض نقوش أخرى، ليست لها علاقة بموضوعنا، تشير فى صيغة

شعرية تماما إلى ما تحتويه بداخلها. وتُعَدُّ بوجه خاص الآنية الأولى على جانب كبير من الروعة[٤٥]. إذ تتحدث الآنية، مثلما يحدث كثيرا فى «التحف الناطقة»[٤٦] oggetti parlanti الإتروسكية واليونانية المبكرة واللاتينية القديمة، أما فى مصر فهى غريبة تمامًا، إذ تقول: «أنا جئت من بلدى الأجنبية، بعد أن ظللت أجوب البلاد، وأُقيمت لى شعائرك منذ العصور الأولى للأرضين» إلخ. «أنا فى الآخيت مفعمة 'بالملذات' من البحرية والداخلة، بما أحضرته معى، فهو بئر الصحة والحياة بداخلى، وعلى حافتها (الآنية) يستقر الثعبان محن». إذن، فإن النبيذ قد جاء من الواحات إلى مصر، وفيما يبدو أنها آنية نبيذ كانت مخصصة لطقوس المعبد. بيد أن ذلك التفسير الخيالى الجامح والمفرط لپادرو ى پارثِريسا Padró i Parcerisa، يتعذر الدفاع عنه، فهو يعتقد أننا إزاء آنية كانت فى الأصل مخصصة لتصدير النبيذ، وأن النقش الناطق يمثل الشريك التجارى الذى أحضر تلك الآنية[٤٧].

وفى الآنية السالف ذكرها من قبل، التى تنحدر من آشور (أو من صيدا)، فإن الخطاب على عكس ذلك يُوجه للآنية[٤٨]: «رحبى بى (أنت) التى تأتى <من> البحرية بكل الأعناب الطيبة من الكرمات (؟)، ليتك تمنحيه للمحتاج والمكروب وصاحب الأحزان، من أجل روح (كا) كاهن حارسافيس إلخ، قائد القوات والحاكم المسيطر تاكيلوت»، وهو تاكيلوت الثالث المنتظر.

وإذا كانت تلك الآنية قد عُثِر عليها فى آشور من دون أن يغنمها الآشوريون قبل ذلك من صيدا، فعلينا أن نفترض ببساطة أن الغزاة قاموا بنقل تلك القطعة من مصر. لكن، بما أن الآنية أُخرجت من قصر عبدى ميلكوتّى، فنحن نعتقد أنها جاءت من مصر إلى فينيقيا فى وقت معين بوصفها «هدية ملكية» - ومن ثَمَّ، فمن المؤكد فعلاً أنها كانت فى إطار صفقات تجارية أو علاقات دبلوماسية. ولا نعلم عما إذا كان نقل النبيذ أيضًا قد حدث فى ذلك الوقت، أى فى العقود فيما بين عهد تاكيلوت الثالث والقضاء على عبدى ميلكوتّى، فالفينيقيون أنفسهم كانوا ينتجون نبيذًا جيدًا. وقد أُبدى أيضًا الرأى بأن أوانى الألباستر صالحة للزيت عند النقل وغير مناسبة للنبيذ[٤٩] - لكننا لا نستطيع أن نحكم على ذلك.

وفيما يتعلق بالأوانى من المونييكار Almuñécar، فإنه ليس واضحًا تمامًا، على أية طرق متشابكة وصلت إلى هذه الجهة البعيدة. وعبَّر لوكلان Leclant فى مقالته المستشهد بها كثيرا عن رأيه فى العلاقات بين فينيقيا ومصر منذ ونأمون حتى الإسكندر الأكبر، بأن هذه القطع تعكس أيضًا اتصالات الأسرتين ٢٢/٢٣ بسوريا وفلسطين، أى أنها كانت قد بدأت رحلتها انطلاقًا من فينيقيا إلى ساحل إسپانيا الجنوبى وليس قبل ذلك من مصر. غير أنه قبل بضع سنوات، بحث پرنيجوتّى Pernigotti فكرة أخرى(٥٠)، خرج منها بأن أوانى عصر الليبيين من المونييكار، إضافة إلى أوانٍ أخرى، وفيما عدا الآنيتين اللتين ذكرناهما من قبل، تؤلف مجموعة مترابطة مع وعاء من الحجر منفصلة زمنيًا تمامًا ومن المصدر نفسه بخراطيش لملك الهكسوس أپوفيس، قد سافروا أغلب الظن سويًا مع أوانى الألباستر الأحدثِ منها بألف سنة، أى منذ القرن الثامن أو بداية السابع. ويفترض پرنيجوتّى مثل لوكلان بأن الأوانى وصلت من فينيقيا إلى إسپانيا، مع الفارق الجوهرى – أنها لم تصل إلى فينيقيا بالطريق «العادى» لعلاقات تجارية أو دبلوماسية، لكن الأقرب أن الآشوريين قد غنموها فى إحدى غزواتهم لمصر، ثم انتقلت فيما بعد إلى تجار فينيقيين، بل نقرأ فى الكتاب المرفق لمعرض الفينيقيين الكبير فى ڤينيسيا، الذى ظهر فى العام نفسه مثل مقالة پرنيجوتّى عام ١٩٨٨ محاولة التفسير التالية: «وربما نهب الفينيقيون مقابر ملكية مصرية فى مصر، وربما أهدى الفراعنة أيضا أوعية الألباستر إلى مواطنى صُوْر»(٥١). ويبدو الاحتمالِ الأول غير معقول نوعًا ما، أما الثانى فيمكن مناقشته على الأقل. وتفسير پرنيجوتّى لا بد أن يبوء بالفشل كذلك، لأنه يبدو أن الغزو الآشورى كان متأخرًا جدًّا بالنسبة إلى القرينة الأثرية لمكان الاكتشاف؛ وإن كان حدوث النهب الآشورى قبلها، أى فى عهد شاباكا (حوالى عام ٧٢٠–٧٠٦) هو الأقرب احتمالاً(٥٢).

لكننا نرى فى أمثلة الأوانى من المونييكار – ولعله بالطبع أمر بدهى – أن عاديات مصرية Aegyptiaca فى منطقة البحر المتوسط لم تصل دائمًا من مصر مباشرة إلى مكان اكتشافها. ومن الواضح كذلك، أنه لا يجوز الحديث فى كل الأحوال عن اتصالات مباشرة لمصر بتلك البلاد والمناطق المعنية. فعلى سبيل المثال، عُثِر فى مقابر إتروسكية على عاديات مصرية(٥٣)، بل إلى جانب عدد وفير

من التمائم، نجد أيضا إناء مهشما كانوپى الطراز من الألباستر لپسمَّاتيك الأول[٥٤]!
لكن لا يجوز لأحد مطلقا أن يزعم بجدية أنه كانت توجد علاقات تجارية مباشرة بين مصريين وإتروسكيين. فقد كان الفينيقيون هنا كذلك وسطاء مهمين، وإن لم يكونوا الوسطاء الوحيدين إطلاقًا؛ فقد لعب يونانيو جزيرة أوبيويا على وجه الخصوص دورًا فى هذا الشأن.

ويُعَدُّ ازدهار صناعة البرونز[٥٥] منذ بداية الألفية الأولى تقريبا شهادة غير مباشرة، لكنها ذات تأثير قوى لعلاقات مصر التجارية مع الفينيقيين. ويجدر بنا التذكير فقط بالتماثيل البرونزية الصغيرة المعروفة باسم تاكوشيت فى أثينا والملكة كاروماما فى اللوڤر[٥٦]، لكن أيضا بصفة عامة، بذلك الكم الهائل للتماثيل البرونزية الصغيرة المثبوتة لآلهة بوصفها نذورًا لمعابد متنوعة (لوحات ٧؛ ٨). أجل، يوجد فى الصحراء الشرقية المصرية نحاس وقصدير، إلا أنهما لم يُستغلا فى العصر الفرعونى بقدر معرفتنا. ولا ريب أن المصريين قد استوردوا البرونز من الفينيقيين فى القرون الأولى للألفية الأولى، وبوجه خاص عن طريق قبرص، حيث كانت أجزاء واسعة منها مستعمرة فينيقيًا. وجدير هنا الربط بين المعالجة الملحوظة للفضة على نطاق واسع فى مصر فى ذلك الوقت مع العلاقات التجارية الفينيقية المصرية المتنامية[٥٧].

إن حملة فلسطين الكبيرة لشوشنق الأول حوالى عام ٩٢٦، التى كانت فيما يبدو أصلاً «عملية موجهة للسيطرة على الطرق التجارية»[٥٨] بكل تأكيد، لم تخفق فى أثرها على المدن الساحلية الفينيقية (لوحات ٣ ب، ٤)؛ فقد كانت مصر شريك تحالف وشريكًا تجاريًا مطلوبًا. ولا بد من العودة الآن إلى عصر ذلك التمثال الصغير المذكور فى الفصل الأول الخاص بالرسول پتيسيه[٥٩] (شكل ٢١)، الذى يُفترض أنه عُثِر عليه فى الدلتا، الآن فى بالتيمور، وقد صُنِع فى عصر الدولة الوسطى، وبعد حوالى ١٠٠٠ سنة حمل على وجهه الأمامى مناظر مصورة ونقشًا على الدعامة الخلفية، أى أنه شبيه تمامًا بالتمثال الصغير من جُبيل، الذى يخص الكاهن الأعلى لمنف المدعو حارسائيسة. ونقرأ هنا عن پتيسيه أنه «الرسول (أو المبعوث) البارع، والمستقيم، والمخلص، وغير المتحيز، لپا-كنعان وفلسطين».

وعلى الرغم من اسم هذا الرجل، فهو لم يكن مصريًا أصيلاً، ويدل على ذلك ملاحظة أن اسم أبيه عاپى قد كُتب بمخصص «البلد الأجنبى»[٦٠]. وبغض النظر عن ذلك، فإن اسم پتيسيه اتخذه بوجه خاص الفينيقيون أيضًا، فنذكر هنا على سبيل المثال نقش هذا الاسم على ختم من السامرة[٦١]، وكذلك على صندوق صغير من أور[٦٢]. وفضلاً عن ذلك، علينا أن نخرج من ذلك بحياد بأن «رسول كنعان فليستاس»، أى «من غزة فى أرض الفليستا»[٦٣]، هو رسول من المنطقة المعنية يعمل فى مصر وليس العكس. وفى الواقع، فقد زُعم أيضًا أن المقصود فعلاً بأنه كان «رسولاً إلى كنعان وفلسطين». والمشكلة الثانية هى تأريخ القطعة، إذ نقرأ المرة بعد الأخرى عن تأريخ التمثال فى الأسرة السادسة والعشرين، حين قامت، كما هو معروف، علاقات وثيقة بين مصر وسوريا وفلسطين. لكن علينا فى بداية الأمر أن نستخلص نتيجة البحث من خلال المصادر التى تبين أن رأى ناشر البحث شتايندورف Steindorff له الأفضلية بلا منازع، فقد استقر رأيه على الأسرة الثانية والعشرين على أساس قرائن النقوش. وكان پتيسيه فى تأديته لأعماله متمصرًا بصورة كافية، وحصل فيما يبدو على الامتياز بإقامة تمثاله فى معبد بمصر السفلى. وبالطبع، فإنه ليست لدينا معلومات أكثر دقة عن ذلك الأمر.

ونسمع كثيرًا فيما بعد عن تحالفات مصر مع سوريا وفلسطين ضد آشور التى قويت شوكتها. وقد سبق معالجة ذلك الأمر فى سياق الحديث عن علاقات مصر بآشور وبابل؛ ولسنا مضطرين إلى تكرار كل ذلك ثانية. ويسرى ذلك أيضًا على فترة السيطرة المصرية فى سوريا وفلسطين فى عصر الأسرة السادسة والعشرين. وتمثل الأسرة الثانية والعشرون المرحلة الأولى لعلاقات مصر مع سوريا وفلسطين فى النصف الأول من الألفية الأولى، وهى موثقة بالمكتشفات الأثرية. أما المرحلة الثانية، فهى تقع فى عصر الأسرة السادسة والعشرين.

وبداية، ينتمى تمثال صغير للكاهن نِفرسِخِتحُوتپ[٦٤] لبعض المكتشفات المصرية فى فينيقيا بالنسبة إلى هذه الفترة، إذ سافر التمثال من أتريب فى الدلتا إلى جُبيل. ولم يكن ذلك صدفة. فمن أتريب على فرع النيل التانيسى، كان الطريق عبر ساحل البحر المتوسط يؤدى إلى فينيقيا. لذلك، فإننا نفترض أن مصريين قد عاشوا هناك، وكانت لهم علاقات بجُبيل. ولا بد أن هذا كان تقليدًا عريقًا. ففى المكان

المعروف باسم «المعبد السورى» فى جُبيل، عُثِر على ختم أسطوانى لملك يُدعى أمنمحات من الأسرة الثانية عشرة بوصفه «محبوبًا / مختارًا من خنتيختاى»، وهو الإله المحلى لأتريب[٦٥]. وفى هذا الصدد، يجب الإشارة أيضًا إلى كسرة تمثال صغير لشخص يُدعى پاشيدحور كان كاهنًا لأوزيريس، وينحدر طبقًا للنقوش من أتريب كذلك، وكُشف عنه فى عام ١٩٧٥ فى «معبد الأسود المجنحة» المعروف فى البتراء[٦٦]. وفى العصرِ الصاوى الذى تنحدر منه تلك القطعة، لم تكن قد وُجدت البتراء والأنباط إطلاقًا بوصفهم قيمة تاريخية. لذا، فإننا نتساءل ما إذا كانت تلك القطعة لم تأتِ فى ذلك الوقت أولاً إلى فينيقيا مثل تمثال نِفِرسِخِتحُوتپ الصغير، ثم وصلت من هناك فيما بعد إلى البتراء، حيث استخدمت بعد عدة قرون تمثالاً نذريًا لعبادة أوزيريس فى المعبد المذكور سالفًا. وبالطبع، فإن ذلك مجرد احتمال لا يمكن إثباته.

وفى نهاية الأمر، فإن التوابيت البازلت المصرية ذات الهيئة الإنسانية، التى أُعيد استخدامها ثانية تمثل قيمة عالية خاصة، وقد كشفت عنها الحفائر فى القرن التاسع عشر فى الجبانة الملكية فى صيدا. ولدينا منها التابوت الموجود الآن فى إستانبول، وكان يخص أصلاً القائد المصرى پنپتاح، وبعد حوالى قرن من الزمان تقريبًا، حوالى عام ٤٩٠، دُفِن فيه ملك صيدا تابنيت[٦٧] (شكل ٢٢). وقد بقيت جميع الزخارف والنقوش الأصلية سليمة، وعند استخدام التابوت ثانية وُضِع نقش فينيقى من ثمانية أسطر عند نهاية القدم. وإنه لشىء من السخرية – وإن كان من الصعب أن يكون مقصودًا – أن مومياء صاحبها الشرعى المصرى، أيًا كان هذا الشخص، قد أُخرجت من التابوت دون تردد، فى حين أن نقش[٦٨] المنتفع الجديد أراد به بوجه خاص ردع الشخص الذى يتجرأ على إزعاجه فى مقره الأخير، فقال: «إيَّاك مَنْ تكون، أى رجل، أن تقع على هذا التابوت: لا تفتح(ه) علىَّ ولا تزعجنى، لأنى لم أُحط (؟) بالفضة[٦٩]، ولم يُجمَع من أجلى ذهب وثروات أخرى، أنا (وحدى) فقط أرقد فى هذا التابوت. لا تفتح(ه) علىَّ ولا تزعجنى، لأن مثل هذا الإثم فظيع لعَشتارت! لكن، إذا ما فتحت(ه) علىَّ فعلاً وأزعجتنى فعلاً، فلن تكون لك ذرية بين الأحياء تحت الشمس ولن يكون لك مثوى لدى أرواح الموتى!».

والأثر التالى الأكثر شهرة هو تابوت الملك إيشمونعازار الثانى[٧٠] ابن تابنيت (لوحة ٥)، ويوجد فى اللوفر الآن، ويؤرخ بحوالى عام ٤٧٥، وينحدر بلا شك مثل تابوت الأب من مصر السفلى، حيث نعرف أمثلة أخرى من ذلك الطراز. والجدير بالملاحظة أن التابوت لم يكن قد زُخرف أو نُقش فى مصر. لكن يُفترض أنه قد وصل إلى صيدا ولم يُستخدم قبلها، بل صنعة جديدة إن جاز هذا التعبير. وهناك، بعد أن اضطر إلى ترك العمل فيه عقب محاولة أولى بسبب أخطاء مختلفة عند نهاية الرأس، وُضع نقش فينيقى رائع على غطاء التابوت[٧١]، وهو يُعدُّ أحد أطول النقوش الفينيقية بصفة عامة، فهى مشابهة لنقوش تابنيت، بيد أنها أكثر تفصيلاً، فهى تتوجه إلى منتهكى حرمة المقابر المحتملين، لكن فضلاً عن ذلك، يُعلن فيها عن الأنشطة المعمارية للملك والتوسعات فى منطقة نفوذه التى منحها له السيد الفارسى الأعلى («سيد الملوك»).

ويوجد تابوت مصرى ثالث بنقوش هيروغليفية ممحاة، عُثر عليه سويًّا مع تابوت تابنيت، وهو أيضًا فى إستانبول[٧٢]. وبما أن التابوت ليست به كتابة، يبقى الافتراض بأن جثة السيدة التى وُجدت بداخله لقرينة تابنيت، وإن كان ذلك يبقى مجرد تخمين لا يمكن إثباته.

كيف وصلت هذه الآثار الثقيلة النقل إلى صيدا؟ لقد اقترح فى هذا الأمر تفسيران: الأول يقول إن القائد بنپتاح كان رجلاً عسكريًّا مصريًّا رفيع المستوى، وأقام خلال عصر نيخو أو أپريس فى صيدا، وفى إعداده العدة للحياة فى العالم الآخر أرسل فى طلب تابوت من مصر، إضافة إلى تابوتين آخرين لاثنين مجهولين من أفراد عائلته[٧٣]. وحين نُمعن النظر فيما كان ينتاب المصرى من مخافة الموت فى الغربة أو الدفن وفق «عادة البرابرة» (قارن قصة سنوهى!)، فإن هذا الاقتراح يبدو معقولاً إلى حدٍّ كبير. والتفسير الآخر ينطلق من احتمال أنه فى سياق الغزو الفارسى لمصر وصلت الأمور إلى عمليات نهب بواسطة ضباط البحرية الفينيقيين الذين كانوا فى حاشية قمبيز، وأن التوابيت نُقلت بهذه الطريقة إلى صيدا، ثم كُرست للحكام هناك. غير أنه فى الحالة الأولى قد أخذ هؤلاء ما كانوا يعتقدون أنه حقهم[٧٤].

وحين نغض الطرف عن هذه الآثار المصرية القليلة ذات الحجم الكبير، مثلما هو فى حالة توابيت صيدا الضخمة، فى الألفية الأولى من المنطقة السورية الفلسطينية وبعض المناطق الأخرى التى لا نستطيع الآن تناولها كلها، فإننا نؤكد أن المادة الوثائقية الأخرى المهمة فى مجموعها من حيث العدد، تتكون من فنون صغرى (تمائم وجعارين)، وهى نتيجة تنطبق فى واقع الأمر على العاديات المصرية فى كل نطاق البحر المتوسط[٧٥]. ويرتبط بذلك، بالطبع، هو رخص إنتاج تلك الأشياء أو الحصول عليها وسهولة نقلها، وفضلاً عن ذلك، فإن لها عند أصحابها قيمة سحرية خاصة لدرء أى مكروه. وسوف نأتى للحديث عن ذلك بعد قليل.

* * *

والآن نتوجه إلى الشواهد المباشرة للوجود الفينيقى فى مصر!

ففى أماكن متفرقة من البلاد، اكتشفت أوان فخارية فينيقية كثيرة من النصف الأول للألفية الأولى: فى تل الرتابة، وتل المسخوطة، والجيزة، وأبوصير، وسقارة، واللاهون، وطيبة[٧٦] (شكل ٢٣)، إضافة إلى هيراكليوپوليس (شكل ٢٤) والفنتين[٧٧].

وفيما يتعلق بهذا الأمر، فإن أقدم المصادر المعروفة باللغة الفينيقية تنحدر من بواكير القرن السادس. وهى عبارة عن بعض نقوش المخربشات، التى وضعها جنود مرتزقة فينيقيون على سيقان التماثيل العملاقة لرمسيس الثانى فى أبوسمبل[٧٨] (شكل ٢٥)، حيث رابط الجنود هناك فى أثناء الحملة النوبية فى العام الثالث لپسمَّاتيك الثانى (عام ٥٩٣)؛ وتشهد بذلك نقوش مخربشات يونانية وكارية أخرى (شكل ٧٨، ١٠٠، ١٠١). ويُفهم من مجرد وجود هذه النصوص فى هذا المكان، أن فينيقيين كانوا يخدمون فى الجيش المصرى خلال العصر الصاوى بوصفهم جنودًا مرتزقة، جنبًا إلى جنب مع جنود مرتزقة أيونيين وكاريين. ونقوش المخربشات فى العادة قصيرة نسبيًا، وفضلاً عن ذلك، فهى بشكل عام – للأسف – ليست واضحة الفهم دائمًا. فيوجد أحد الأفراد يُدعى عبدپتاح، أى «خادم پتاح»[٧٩]؛

ويُحتمل أنه كان من منف، حيث عاش هناك أيضًا فى وقت لاحق كثير من الفينيقيين. وفى سياق ذى ثغرات وغير واضح، يُذكر مع عبدپتاح هذا شخص يُدعى أحمس، قد تتطابق شخصيته مع قائد الفرقة المصرية أمازيس المُشار إليه فى نقش المخربشة اليونانية الكبيرة فى أبوسمبل[٨٠] (شكل ١٠٠). وتبعًا لذلك، لم يخدم عبدپتاح فى الفرقة التى كان يقودها پوتاسيمتو المعروفة باسم «المتحدثين بلغة أخرى»، وهم أيونيون وكاريون على وجه الخصوص، لكنه خدم فى فرقة المصريين! وبذا نتعرض للمشكلة التى تكرر النقاش حولها فى السنوات الأخيرة عن تركيبة القيادة فى حملة پسمَّاتيك الثانى للنوبة، وهى مشكلة من الأصوب معالجتها فى «فصل اليونانيين» (الفصل الثامن).

وكما سبق القول، فإن نقوش المخربشات ليست مفهومة بوضوح فى كل الحالات بسبب ثغرات وأضرار لحقت بها. وقد أعطت بريشانى Bresciani فى مقالتها أحيانًا تفسيرات مغالى فيها وصعبة المراس. ففى موضعين، قِيل إن أناسًا بعينهم قد وصلوا إلى «روضة الكوشيين (كِشو) فى حمه»، وإن ’حمه‘ بوصفها «(أرضًا) متوهجة حارة» لا بد أن تكون ترجمة مستعارة للكلمة اليونانية إثيوبيا Αἰθιοπία، أى كوش. بيد أن حُججًا قوية تحول دون قبول تفسيراتها تلك. لذا، سوف تبقى للأسف، كما يبدو، الفقرات المذكورة آنفًا غامضة. على أية حال، فإن كِشو لم ترد هنا، لكن جاءت بوضوح كِشِد.

ولعل الأكثر وفرة، بل أيضًا الأكثر ثراءً نوعًا ما من الناحية اللغوية والمضمون بالنسبة إلى كل النماذج التقليدية هى نقوش المخربشات الفينيقية فى معبد سيتى الأول فى أبيدوس، وتوجد تحديدًا على الجدران الجانبية لردهة السلم[٨١] (شكل ٢٦). ومَنْ يبحث اليوم فى المكان عن نقوش تلك المخربشات، فربما يلقى صعوبة فى ملاحظتها والتحقق منها عمومًا، فهى محفورة حفرًا ضعيفًا، إلى حد أنها تعطى الانطباع بأنها شخبطة فارغة لا معنى لها. وفى هذا الأمر، قَدَّمَ قبل بعض من الوقت ڤ. كورنفلد[٨٢] W. Kornfeld دراسة جديدة بصور توضيحية جيدة (شكل ٢٧)، لكنها تناولت جزءًا من نقوش هذه المخربشات فقط. والنقوش القصيرة نسبيًا التى تؤرخ فيما بين القرن الثالث والخامس تبدأ بالضمير «أنك»

(أى «أنا (أكون)»)، وأيضًا بلهجة أخرى «ألك»، ويتبع الاسم فى بعض الأحيان تسمية الموطن أو الوظيفة، وهو ما يُعَدُّ مفيدًا للغاية، لأننا بلا شك نستطيع أن نستخلص من ذلك صورًا متنوعة بعض الشىء عن نشاط الأجانب فى مصر.

ولن يُفاجأ أحد أبدًا، حين يجد من بين هؤلاء الأجانب ملاحين. والجدير بالملاحظة على سبيل المثال أن شخصًا يُدعى پسر(*) كان عازف طبلة. فهل عزف فى الفرقة الموسيقية العسكرية لكتيبة الأجانب؟ ومن البدهى أن يتذكر باحث الآثار المصرية القديمة ذلك الشخص المدعو إمحاب، الذى رافق خلال الأسرة السابعة عشرة مليكه بالطبلة فى أثناء الحرب[٨٤]. ومن نصوص «خطابات الرعامسة المتأخرة» المعروفة، نجد شخصًا بلقب «موسيقى القائد»[٨٥]، وهى كلها حالات يمكن مقارنتها فى هذا السياق.

ويُنسب نقش مخربشة رقم ١٦ لرجل يحمل بوضوح اسمًا ساميًا مثل أبيه، ويُدعى «الكرس» (كرس)، الذى رأى فيه راى Ray مؤخرًا أنه «كارى»[٨٦]. ويمكن تأييد مثل هذا الافتراض على أساس قواعد علم المصريات. وإذا صح هذا التفسير، لكان لدينا مثال فريد من نوعه لتلاقى العرقيات والثقافات المختلفة فى صورة شخص كارى مُتَفَينق[٨٧] عاش فى مصر وأدى «فريضة حج» فى معبد شهير هناك! ويوجد كاريون آخرون خلدوا أنفسهم فى المكان نفسه وبكتابتهم الأصلية (شكل ٧٧ أ–ب).

وفى نقش مخربشة رقم ١٧، يظهر مترجم يُدعى عبدرشپ. وعلَّق عليه مارك ليدسبارسكى Mark Lidzbarski[٨٨] آنذاك: «كان التراجمة מלצם (ملصيم) فى مصر مرشدين سياحيين مثل الترجمان اليوم والمترجمين ἑρμηνεῖς فى عهد هيرودوت (الكتاب الثانى، ١٢٥). وعلى الأرجح، كان يُشَكِّل الفينيقيون فى ظل هؤلاء طائفة كبيرة، لأن السكان الأصليين – على أى الأحوال – لم يبلغوهم فى معرفة اللغات والتلفيق».

(*) يُطابق اسمه مع «پا–أوزير»، أى «الذى هو لأوزيريس»[٨٣]؟ (المؤلف).

ويوجد كاتب لنقش مخربشة أخرى كان يعمل عطارًا، وآخر مربيًا للنخيل أو بالأحرى تاجرًا للتمور. ومن الطريف كذلك نقوش تلك المخربشات التى تبين مكان إقامة هؤلاء الزوار فى مصر وأصولهم، فهناك شخص بعينه يُدعى پعلوياسته (أى «باستت فعلت»)، يشير اسمه إلى الوسط المصرى الذى عاش فيه على خلاف اسم أبيه وجده، إذ يُعدُّ نفسه «الصورى الذى يسكن ... فى هليوپوليس المصرية (أون) بعد عتق (؟) عبدملقارت الهليوپوليتى» (نقش مخربشة رقم ٣٤). وبما أن كل هؤلاء الأفراد نادرًا ما عاشوا معزولين تمامًا عن أناس آخرين من بنى جلدتهم، فإنه يجوز لنا الافتراض بأنه كان يوجد أيضًا فى هليوپوليس حى يضم السوريين الفينيقيين (شكل ٢٧). أما حين يترك شخص توقيعه، وهو المدعو ماجون «الذى يكون لـ (أى خادم لـ ؟) حيصبَعَل (فى) ممفيس» (نقش مخربشة رقم ٣٦)، فعلينا أن نعرف بسهولة أنه كان يسكن فى «ثكنة الصوريين» المعروفة.

وإلى جانب ذلك، يوجد فى أبيدوس أيضًا عدد أقل من نقوش المخربشات الآرامية مع بردية آرامية مقلدة للأسف فيما يبدو ومحفوظة فى متحف مدريد، وتتناول كذلك رحلة حج لمجموعة من الساميين إلى معبد أوزيريس، وسوف تُناقش فى الفصل الرابع.

وينحدر من إلفنتين عدد كبير - ٦٠ قطعة - من نقوش الجرات الفخارية من القرن الخامس، ويُعَدُّ الجزء الأكبر منها فينيقية، والبقية آرامية[٨٩]. والجرات ذات الأحجام الكبيرة منها خُصصت فيما يبدو لنقل أو حفظ النبيذ، لغرض استخدام أفراد الحامية المحلية التى كان عليها حراسة الحدود الجنوبية المصرية. وعلى الرغم من حجم هذه المجموعة بشكل ملحوظ من حيث العدد، فإن نقوش كل هذه الجرات مقتضبة، كما هو مألوف عادة بالنسبة إلى نقوش الأختام. وهى تحتوى على اسم صاحب الجرة، وغالبًا اسم الأب فقط لا غير. وبمقارنة نقوش المخربشات فى أبيدوس، وخاصة مع تلك الموجودة فى أبوسمبل، فهى تميل إلى الحديث للغاية. وليس واضحًا حقيقة فى هذا الأمر، ولو فى حالة واحدة، عمن يشير إليه الاسم على الآنية: فهل هو المستلم فى إلفنتين أم التاجر الفينيقى؟ وقد أشرنا من قبل أن الفينيقيين كانوا يزرعون كرومًا جيدة، إذ يُذكر فى بردية آرامية عدة مرات

«نبيذ من صيدا» و«نبيذ من مصر» إلى جانب بعضهما[٩٠]. ماذا كان يُفضل من أى النوعين، فكانت ربما مسألة ذوقية فردية؛ فكلا النوعين كانت تقدَّر قيمتهما وكانا يُباعان كذلك.

وتنحدر من طيبة مجموعة صغيرة من الأوانى بنقوش فينيقية موجزة، وتؤرخ فى القرن الخامس تقريبًا[٩١]. إن تعبير «حقل الآلهة»[٩٢]، الذى يرد بها غالبًا ما يُفسَّر بوصفه ترجمة مستعارة من الكلمة المصرية «جبَّانة» (غر-نتر)، على أن ذلك غير مؤكد. وعلى جرة تنحدر من مقبرة طيبية من الدولة الحديثة، جاء اسم كلبى، أى الخاشع، بمعنى «خادم خاشع»[٩٣].

وإزاء العدد الكبير للوثائق البردية الآرامية من مصر، يوجد خطابان فينيقيان من البردى فقط[٩٤]. والخطاب الأفضل حالاً من حيث حالة الحفظ، هو رسالة شخصية قصيرة من سيدة إلى أخرى من سقارة (حوالى القرن السادس)، ويتضمن صيغة التبريك: «أباركك لدى بعل-صاپون وكل آلهة تاحپانِحِس». ويوجد اسم المكان فى صيغة مماثلة فى العهد القديم، ويتطابق مع دافناى اليونانية فى شرق الدلتا (تل دفنة، هيرودوت، الكتاب الثانى، ٣٠؛ ١٠٧). ولم تكن ترابط عند الحامية الحدودية هناك منذ عهد پسمَّاتيك الأول فرقة محاربة أيونية مدججة بالسلاح من المشاة فحسب، بل كان يوجد أيضًا طبقًا لشهادة العهد القديم يهود وفينيقيون، وهو ما نستنتجه من خطابنا ذلك. ولا يجوز بأية حال تمييز هذا الوجود للتعايش السلمى لليهود والفينيقيين، وبين وجود التعايش ذاته أيضًا بين آخرين، كما سنرى فى حالة خعحاپ. وتُعَدُّ لوحة تاحپانِحِس مثالاً لتوضيح صيغة التبريك المستشهد بها من خلال منظرها للإله بعل[٩٥] (شكل ٢٨).

ويُعَدُّ من الطرائف على نحو ما تمثال صغير بهيئة أبوالهول من السيراپيوم فى سقارة (شكل ٢٩)، إذ يحمل نقوشًا فينيقية وپونية حديثة إلى اليمين فيما بين الساق الأمامية والخلفية. كما أنه يُعَدُّ كذلك حالة فريدة من نوعها، إذ إنه نادرًا ما توجد نقوش ديموطية، وخاصة على تماثيل أبوالهول والأسود[٩٦]. لذا، فإنه يبدو أن القطعة نُذِرت مرتين فى معبد ما: ففى المرة الأولى من فينيقى عاش فى مصر، ومرة أخرى فيما بعد من رجل ينحدر من قرطاجة. ولا غرابة فى ذلك حين نمعن

النظر فى العلاقات المباشرة التى قامت بين قرطاجة ومصر. ففى جبانات قرطاجة، عُثر على كمية وفيرة من العاديات المصرية والمتمصرة، كما كانت توجد عائلة قضاة قرطاجية من أصل مصرى، أمكن اقتفاء أثرها عبر أجيال كثيرة، وهو ما تميط عنه اللثام أسماء مختلفة، إضافة إلى تسمية «مصرى»[٩٧].

وينبغى أيضا ذكر حوض قرابين ذى طراز مصرى، عُثِر عليه فى بئر بالقرب من هرم أوناس فى سقارة، ويُؤرخ فى الفترة ما بين القرنين الخامس والرابع. وفضلاً عن نقش فينيقى عليه (شكل ٣٠)، فإن القطعة تحتوى كذلك على نقش هيراطى (بالنطق نفسه؟)[٩٨]، لكن ذلك غير مؤكد إطلاقًا - لذا كان من الطبيعى أن يشكك مولِر Möller فى ذلك.

ومن أوائل الباحثين الذين شاهدوا نقوشًا سامية قديمة اكتشفت فى مصر مَنْ هم بصفة عامة من المتخصصين فى علم المصريات. لذلك، كان يمكن أن يحدث ذات مرة ألا يُتعرَّف على نقش ما على الوجه الصحيح. ففى مقبرة «المتعاون مع المحتل» المصرى الفارسى، الشهير لسوء سمعته، وچاحوررسنت، التى كشفت عنها فى أبوصير بعثة تشيكية قبل سنوات قليلة، عُثِر كذلك على شقفة فخارية (شكل ٣١)، أوردها الكتاب الرائع لصور الحفائر فى هذه المنطقة مع تذييل أسفل الصورة[٩٩]، نصه: «كسرة فخارية بنص ديموطى». لكن من الواضح أننا هنا إزاء شَقفة فخارية فينيقية[١٠٠]، فضلاً عن أنها لا تبدو ديموطية لكونها مُصَوَّرة فى الكتاب المذكور آنفًا مقلوبًا رأسها إلى أسفل.

وفيما عدا ذلك، فإن النقوش الفينيقية من أبوصير لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت، لكن التعرف على نوعية الشقفة المذكورة لا يفاجئنا، إذ إننا نعرف بعض النقوش الآرامية فى تلك المنطقة، كما كانت توجد أيضًا جبانات لمستوطنين يونانيين وكاريين فى المنطقة، لكن لم تُحدد أماكنها حتى الآن بدقة (قارن الفصل السادس والثامن)، وتتبع أبوصير النطاق الضخم لمدينة منف. وفى هذا الصدد، نستشهد بالحديث المتعلق بهذا الأمر عند هيرودوت (الكتاب الثانى ١١٢، ٢): «يسكن حول هذا الحرم (أى منطقة منف) فينيقيون صوريون، ويُسمى هذا المكان

كله 'ثكنة الصوريين' (Τυρίων στρατόπεδον). ويوجد فى حرم پروتيوس (ربما بعل هو المقصود) معبد يُسمى '(معبد) أفروديت الأجنبية' (أى عَشتارت)». وإلى جانب ذلك، فإنه من الثابت وجود مستوطنة سورية فلسطينية فى پرونفر / منف من عهد أمنحوتپ الثانى(١٠١).

وفى ڤورتسبُورج، توجد قطعة عجيبة تمامًا، وهى، مثلما ورد فى عنوان المقالة المنشورة، «لوحة كاتب مصرية بتعديل فينيقى» من مجموعة كِيزِلف(١٠٢) Kiseleff (شكل ٣٢ أ–ب). وتعود الملاحظات الهيراطية عليها إلى الدولة الحديثة، وتتناول تقريرًا حسابيًا عن غلال لمدة اثنى عشر يومًا متتالية. وعلى الوجه الأمامى، وُضع متأخرًا «نحت خشبى خشن بصورة طفل» يدعو إلى الاستغراب، ويوجد فوقه كذلك رأس صغير. ولا توجد أمثلة معروفة قط حتى الآن لهذه المناظر «المخالفة للقواعد الفنية المتعارف عليها». وتتوزع فوق المنظر المائل وفى الخلفية مجموعة من علامات كتابة فينيقية آرامية عتيقة، يُرجع ف. رولِّيج W. Röllig تاريخها على أساس كتابة الخط إلى القرن الثامن. وبالنسبة إلى هذه الفترة، كان التمييز بين الآرامية والفينيقية من حيث شكل الكتابة لا يزال غير ممكن. وإذا ما كان التعديل مع نقش الكتابة حقيقيًا فعلاً – بحيث لا تدل أشكال العلامات فعلاً على تزييف وكأنها مأخوذة من كتاب تعليمى –، لكنا هنا إزاء أقدم نقش لأبجدية سامية شمالية غربية من مصر، باستثناء النقوش السينائية الأولية بالطبع. والأحرف الخمسة الكاملة للسطر الأفقى فوق رأس الكائن الإنسانى مفهومة بوضوح، فهى تعنى «حياة وخيرًا» (ح|ى و|ط|ب). أما سلسلة الحروف إلى اليسار من الصورة، فهى صعبة الحل، ويقرأها رولِّيج من أعلى إلى أسفل، منوهًا بالطبع بأن ذلك «غير مألوف تمامًا فى النقوش السامية الغربية». وكيف كان يمكن القراءة خلاف ذلك؟ بيد أنه من الصعب للغاية الخروج بدلالة معقولة من ذلك. وبما أن اللوحة – شريطة عدم زيفها – استُخدمت فيما يبدو فى أغراض سحرية، نظرًا إلى الصورة الإنسانية، وكذلك اصطفاف ثمانى عيون إلى اليمين من المنظر، فتبدو بتكرار الحروف وكأن لها قوة تأثيرية سحرية بما تحمله من مقدرة، وليس بوصفها نصًا متصلاً، إذ إنه يجب أن ندخل فى تقديرنا أن النص إلى اليسار أو على الأقل

جزء منه لا يمكن قراءته بطرق تقليدية مألوفة، بحيث يكون ذا مغزى. وإنى لأعتقد بإمكانية الخروج بقرائن بأن النقش يقلد وفقًا لالتزامات معينة أجزاء متتالية للأبجدية السامية(١٠٣).

* * *

إن الاستدلال عن شواهد لوجود أناس ينحدرون من أصول فينيقية – ولنقل اقتضاء للحيطة – أو من أصول سورية وفلسطينية لا يمكن معرفته فقط من خلال مجرد مصادر لغوية، لكن يمكن أن تكون أيضًا موضوعات النحت ذات نفع فى هذا الصدد.

ويعرف كل باحث فى المصريات لوحة خعحاپ الشهيرة فى برلين، التى قام بنشرها هلموت برونر Helmut Brunner فى كتابه «مختارات هيروغليفية»(١٠٤) Hieroglyphische Chrestomathie (شكل ٣٣). وهو أجنبى ذو أصل سامى، شبيه بالمعينى زيدنيل الذى سنتحدث عنه فى الفصل السابع، فوصل إلى مراتب كهنوتية، إلا أنه كان يحمل اسمًا مصريًا. إذ يُدعى صاحب اللوحة خعحاپ(*) (حرفيًا: خعى-حپ، أى «ليت آپيس يتجلى!»)، وعاش وفقًا للملاحظة الديموطية فى ذيل اللوحة فيما بين عام ٢٧٣ وحتى عام ٢٠٣، وهو ممثل بوصفه فينيقيًا بلباس إغريقى منفى. وأهم لقب حمله هو «رئيس جيش الميديين(١٠٥) (أى الجنود)»، وكان أبوه پانيت قد تقلد أيضًا هذا المنصب. وفضلاً عن ذلك، كان يستحوذ خعحاپ على مجموعة كبيرة من مناصب الكهنوت، التى تشير إلى معابد فى نطاق منف. وفى سياق اللوحة المذكورة بالسطر الخامس (الكلمة الثانية)، يظهر كذلك مرة واحدة اسم المكان المهم پا-تا-يهت، الذى يعنى إما «أرض ياهو» وإما «أرض اليهود»(**)، ويبدو أنها تسمية لحى اليهود فى منف الذى ذُكر فى المصادر الكلاسيكية اليونانية Ἰουδαίων στρατόπεδον، والمصادر اللاتينية *castra Iudaeorum*.

(*) فيما يبدو أن اسمه كان يُنطق «شهاب» أو ما شابه، وهو اسم لا يزال شائعًا حتى الآن، وعلى وجه الخصوص، فى لبنان (المترجم).

(**) المقصود هنا "ثكنة اليهود" (المؤلف).

وبالقرب من اللوحة، يُفترض أنه قد عُثِر أيضًا على الرأس الأنثوى من تابوت فى الطراز الفنى الفينيقى من القرن الخامس[١٠٦] (شكل ٣٤). وقد استنتج من ذلك بشكل منطقى، وإن كان لا يمكن إثباته بصورة قاطعة، أن خعحاپ قد أمر بأن يُدفن فى تابوت أكثر قدمًا، فقد صُنع التابوت فى الأصل لامرأة بعادات الوطن وتقاليده. وتفترض كاتيا لمبكه K. Lembke، أن فنانين يونانيين فى صيدا قاموا بصنع التابوت، ثم جاء من هناك إلى مصر[١٠٧].

ومما يدعو إلى الاستغراب وجود تابوت محفوظ الآن فى متحف الإسماعيلية (لوحة ٦)، كان قد عُثِر عليه عام ١٩٨٣ فى تل المسخوطة، پاتوموس القديمة[١٠٨]. وقد صُنع هذا التابوت أيضًا فى الأصل لامرأة، ويرجع تاريخه وفقًا للأسلوب الفنى للرأس إلى ما بعد تابوت متحف برلين المذكور سالفًا ببعض الوقت. وتتراوح التواريخ المقترحة فيما بين نهاية القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع. وهناك سببان يشيران إلى إعادة استخدام التابوت ثانية: الأول، هو أن العظام التى أُخرجت من التابوت كانت لرجل، وهى مؤكد لذلك الشخص المذكور فى النقش الهيروغليفى المدعو چدحِر ابن رنپتنفرت، والسبب الثانى، هو أن أسلوب كتابة النقش يجعل تأريخه فى العصر البطلمى. وإلى جانب ذلك، فإن الأب يحمل اسمًا غير مصرى، ولا يعنى ذلك فى هذا السياق سوى اسم فينيقى، وهو ما يُستنتج منه وفقًا لذلك الأصل العرقى للمتوفى[١٠٩].

وتبعًا لبريشانى Bresciani[١١٠]، يوجد مثال آخر لوجود عائلة «فينيقية» فى واحة البحرية، وإن كان أقل شهرة بكثير - على الأقل فى سياقنا هذا. ويُدعى صاحب المقبرة وحفيده پاديعَشتارت، وهو ما يشير إلى العادة المفضلة فى تسمية الأحفاد لأجدادهم. وتعود المقبرة إلى العصر الصاوى، فهى مبدئيًا بذلك ليست مدعاة للشكوك، إذ إن معبودة الشـ ـ عشتارت قُدست أيضًا فى مصر منذ عصر الدولة الحديثة. ففى مكيالين من فئة خمسة دبن (حوالى ٤٥٠ جرامًا) فى ڤيينا، يُذكر كاهن لعَشتارت يُدعى پسمَّاتيك؛ بل نشاهد فى العصر البطلمى الملك وهو يقدم الأضاحى أمام هذه الإلهة. ومن الفترة نفسها تقريبًا، نعرف لوحة فى أمستردام لكاتب معبد الإلهة عَنات المدعو پاديِنمحوتپ[١١١]. ولا يوجد سبب مقنع لافتراض

أن پسمَّاتيك وپاديئمحوتپ لم يكونا مصريين أصليين. لكن ما يلفت الانتباه فى واحة البحرية هو الزى غير المصرى الذى ترتديه زوجة الأخ الأصغر المدعو پاديعَشتارت وأولادها (شكل ٣٥)، وهو ما يشير بقوة إلى المناظر الماثلة على تابوت أحيرام من جُبيل (شكل ١٨)، بل تكشف أيضًا مناظر القوارير (الأمفورا) عن مصدرها السورى والفلسطينى. وفضلاً عن ذلك، فإن برنامج مناظر مقابر أسرة الأعيان تلك هو مصرى صميم، إذ يحمل كل الأفراد عبر الأجيال السبعة الثابتة كلها أسماءً مصرية خالصة. ومن الجائز أن ثمة إرثًا ساميًّا كان لا يزال باقيًا، وإن كان خفيًّا، إذا جاز هذا التعبير، خلف الشكل الظاهرى المتمصر، وأنه من خلال الزواج بفينيقية قد ازداد قوة بعدها، وإن كانت بريشانى تعتقد ربما بسبب اسم باستت أنها سيدة من منف. وفى مثل هذه الحالات، التى يظهر فيها أشخاص أو ربما عائلات كاملة فى بيئة متمصرة تمامًا، وفى الوقت نفسه تشير تفاصيل المناظر مثل تسريحة الشعر والملابس وما شابه إلى أصول أجنبية، فإنه يجب مستقبلاً جمعها وبحثها باستفاضة وتدقيق أكثر.

وهؤلاء الساميون المندمجون مثل خعحاپ، الذين استطاعوا أن يصبحوا كهنة لآلهة مصرية هم فى مجموعهم أقرب إلى الاستثناء من أى شىء آخر. ففى العادة يظل ما هو متفق عليه أن الساميين – مثل أى أجانب آخرين – كانوا يقدسون معبودات مصرية إلى جانب آلهة أخرى من دون أن يتقلدوا بالضرورة مناصب كهنوتية[١١٢]. لكن طائفة كبيرة من الآثار تثبت تسلل المعتقدات الدينية المصرية إلى العالم الفينيقى البونى. فقد تحدثنا من قبل عن الحجاج الفينيقيين، الذين خلدوا أنفسهم فى معبد أبيدوس. وثمة بعض المصادر الأخرى ينبغى مناقشتها:

– فى العصر البطلمى أقام فينيقى فى منف أثرًا يُعرف باسم لوحة حورس التذكارية التى تحتوى على نصوص هيروغليفية وفينيقية أصلية[١١٣] (شكل ٣٦–٣٧). ولم يُرفق اسم صاحب اللوحة بأية ألقاب قط، فذُكر باسمه الفينيقى الحقيقى يعلعَشتارت («عَشتارت فعلَت»)، ويظهر الاسم بوجه خاص سواء فى النص الهيروغليفى أو فى النص الفينيقى! وفى القسم الفينيقى، وفى هذا فقط يُذكر أسلاف

صاحب اللوحة فى أجيال عدة، فيقول: «[هذا] النذر نذرته أنا، يعلَشتارت ابن عبدميلكات (إلخ) لسيدتى، المعبودة العظيمة إيزيس، وللمعبودة عَشتارت، وللآلهة الذين [... ليتهم] يباركوننى [وأبنائى]، عبدأوسير («خادم أوزيريس») وبنبعَل إلخ، [و]ليت[هم] يمنحونهم نعمة وحياة عند الآلهة وبنى آدم». ويظهر اسم الأم 'شمربى' الذى لم يمكن التحقق منه فى الجزء المصرى فقط، مثلما هو شائع فى النصوص السحرية.

– يوجد تمثالان برونزيان على هيئة حارپوكرات فى مدريد ولندن[١١٤] من القرنين الرابع أو الثالث (لوحة ٧، ٨)، ويُستهل التمثالان بصيغة «حارپوكرات[١١٥] يمنح الحياة لفلان ابن فلان»، وهى ترجمة للصياغة المصرية «دى عنخ» فى النقوش النذرية[١١٦]. إن صاحب التمثال البرونزى فى مدريد (لوحة ٨) يُدعى «خادمه عبدشمون» («خادم (حارپوكرات) عبدشمون»)، الذى يَذكر أسلافه عبر خمسة أجيال. وبينما يحمل الأب والجد أسماءً فينيقية، فإن أسماء الأجيال الثلاثة البعيدة مصرية[١١٧]، بدءًا بأبى الجد المدعو حِنتِس (وهو مشتق من حَنتُوس(*)، أى سحلية). ونود أن نخلص من أمر ذلك إلى أننا إزاء أسرة مصرية النشأة، وأن العنصر الفينيقى قد دخل فيها فقط بزواج هذا «السحلية» بفينيقية.

– يمثل وعاء برونزى فى پرينستون[١١٨] عملاً فينيقيًا بأسلوب فنى متمصر. ويُرجع ناشر هذه القطعة تاريخها إلى القرن السادس. ونشاهد هناك إيزيس ونفتيس ونيت وسلكت. إلى جانب ذلك، يتضمن النقش الفينيقى التالى: «إيزيس تمنح نعمة وحياة لعبدپتاح ابن عبدو» (شكل ٣٨ أ). ومصدر الوعاء مجهول، وإن كان يُفترض منف على نحو ما، حيث كانت توجد هناك جالية فينيقية.

– تُعَدُّ نقوش تمثال برونزى للمؤله إيمحوتپ مبتكرة وطريفة[١١٩]، فهى – من ناحية – مصرية بمضمونها على لفة البردى التى يمسكها إيمحوتپ بيديه: «إيمحوتپ ابن پتاح يمنح حياة»، وهى – من ناحية أخرى – فينيقية، حيث وردت عبارة «من أجل واحنِيبرع ابن إشمونياتون» (شكل ٣٨). ونعرف حالات مشابهة

(*) لا يزال اسم حنتُوس باقيًا حتى الآن فى اسم حندوسة (المترجم).

لذلك من الكاريين؛ قارن صفحة ٢٠٤. ومن الملاحظ أن صاحب النذر يحمل اسمًا مصريًا تمامًا.

– عُثِر فى مالطة على شذرة بردية[١٢٠]، كانت محفوظة فى الأصل داخل علبة برونزية برأس صقر لحفظ تميمة، ويتلاءم منظر إيزيس مع نص دينى فينيقى (شكل ٣٩)، يُفترض أنه تعويذة للقضاء على عدو، وإن كان النص فى حالة حفظ سيئة ولا يزال يعوزه تحقيق أمين. وإننا لنتذكر الدور المصرى لإيزيس بوصفها ساحرة كبيرة («فياضة بالسحر») وحامية.

– ثمة خاتم ذهبى غير معروف المصدر (ربما تارُوس فى سردينيا؟)، كان فى ملكية فرد رومانى، ويُبيِّن صورة لزورق فى أسلوب فنى فينيقى بقرص الشمس لرع وفوقه نقش فينيقى (شكل ٤٠). ولأسباب تتعلق بطريقة الكتابة، يؤرِّخه ناشره جاربينى Garbini[١٢١] فيما بين عامى ٦٥٠ و٥٥٠، ويترجمه بما يلى: «سوف تنير لرع وصوله» Tu illuminerai a Ra la sua venuta. وتبدو الترجمة فى بعض نواحيها غير مؤكدة، عدا ما هو مهم جوهرى بالنسبة إلينا، أى تلك التسمية الصريحة لإله الشمس رع. وبطبيعة الحال، فإن ذلك يتناسب ببراعة ومنظر الزورق. ومن الصحيح كذلك أن الكلمة الأولى هى فعل ماض مستمر للشخص الثانى المخاطب المفرد، وبذلك يكون جاربينى على صواب فى تفسيره من حيث المبدأ، فى اعتبار تلك الجملة بمثابة دعاء من أجل متوفى. لكن لا يجوز أن نفترض بالضرورة أن يتساوى الميت مع رع، إذ يكفى القول بأن رغبة المتوفى هى مصاحبة رع فى رحلته إلى العالم الآخر حسب التصورات المصرية. وفى ذلك ما له علاقة، دون شك، بما عُثِر عليه فى مقابر قرطاجية من نماذج لمراكب.

– تسربت أيضًا فكرة محكمة الموتى إلى العالم الفينيقى اليونى، وشواهد هذا، كما يبدو، هو ذلك النقش اليونى على شريط فضى لعلبة كانت تحوى تميمة من جبانة تارُوس فى سردينيا[١٢٢]: «احم عبدو ابن شَمشَى من أصحاب[*]

(*) من المحتمل أن تكون كلمة «صاحب» مفردة بدلاً من «أصحاب» (المؤلف).

الميزان». فقد أوضح هولبْل Hölbl أن «شريط التميمة كان عليه حماية الميت كلية فى محكمة العالم الآخر»، وأنه «وفقًا لنموذج مصرى لعب الميزان وقضاة الموتى الدور المركزى فى ذلك. وبالنظر إلى الاتخاذ المتعمد لفكرة الموضوع كلها على رقاقتنا المعدنية والعلبة من مصر، فإنه لا يساورنا الشك فى أن النقش البونى يقدم لنا دليلاً مؤكدًا على أن فكرة محكمة الموتى قد انتقلت إلى العالم البونى. لكن لا يمكن الجزم بما إذا كان هذا التخيل موجودًا هناك فقط عند قلة الناس، أو أنه قد تسرب بشكل أعمق لدى طبقات سكانية معينة».

كما تتبع هولبل(١٢٣) فى مكان آخر موضوع اقتباس التصورات الدينية المصرية فى نطاق المناظر الفنية. فكان موضوع البحث هو إلى أى مدى يسير جنبًا إلى جنب الاقتباس الظاهرى للأمثلة الفنية المصرية، مع تفهم حقيقى للأفكار الدينية التى تنطوى خلفها. وكما هو متوقع، فإن الأمثلة المناظرة توجد بكثرة فى المحيط العام مثل وجود السحر المتصل بالخصوبة، حين يظهر على سبيل المثال «الإله الممثل على الزهرة» بوصفه حاملاً أو ناقلاً للنمو. إذ تأكد أن أغلب العاديات المصرية، من تمائم وجعارين صغيرة، وعيون وجات، وأشياء أخرى كثيرة فى العالم الفينيقى البونى، لها علاقة ما بالسحر المتعلق بالخصوبة(١٢٤)، سواء عُثِر على هذه الأشياء فى مقابر خاصة بسيدات وأطفال، كما هو شائع فى هذه الحالة، أو كانت نذورًا لعدد ما من السيدات البسطاء فى المعابد (مثلما هى الحال فى صرِفا). بل قيل كذلك إن الجعارين المصرية والمتمصرة التى عُثِر عليها فى منطقة حوض البحر المتوسط قد استخدمت فى الغالب أختامًا(١٢٥).

وقبل بضع سنوات، بحث پرنيجوتّى(١٢٦) Pernigotti مثالاً رائعًا جدًّا استمده من المناظر الدينية (شكل ٤١). وهو عبارة عن جُعران من سردينيا عليه مناظر تشير إلى الموطن الذى يسكنه الجعران فى محيط لاهوت هيرموپوليس. فنشاهد المعبودات من خلال أسمائها الهيروغليفية المشار إليها بالهوامش، وهم إيزيس وخونسو، طفل الآلهة المحبوب ممثلاً على الزهرة، وأسفل ذلك النقش الفينيقى ذى السطرين «بودشِمُون ابن حيميلكو». ومن المؤكد أنه لم يكن رجلاً من طبقة

بسيطة، لكن بالطبع ليس لهذا السبب استخدم الجعران ختما، لأنه فى هذه الحالة كان لا بد أن يُوضع النقش بصورة منعكسة. وبينما تقرأ النصوص الهيروغليفية بحسب اتجاه نظر صور الكتابة من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين، فإن مثل هذا الشيء غير جائز فى الأبجديات السامية الشمالية الغربية. فالمنظر المصرى مع الهوامش وكذلك النقش الفينيقى كانوا يشكلون بجلاء من حيث النشأة أجزاء من برنامج الزخرفة أُعد له سلفا.

وإذا صح أن مناظر ذلك الجعران لها علاقة بلاهوت هيرموپوليس، فإنه من الضرورى فى هذا السياق ذكر قصة سانخونياتون الفينيقية الشهيرة التى تواترت إلينا من خلال الكاتب الهلينستى فيلو الجُبيلى، واستخلصها منه ثانية المؤرخ الكنسى يوسيبوس(١٢٧). ففى نظرية نشأة الكون لهذا العمل، نلاحظ تأثيرات نظرية هيرموپوليس بصورة ملموسة. وتبعًا لذلك، فإنه يبدو وجود علاقة ما لم تُقيَّم تماما حتى الآن بين الشواهد الأثرية والأدبية. فلا يزال من الضرورى بذل المزيد من البحث العلمى.

ومن حيث إن العمارة الدينية الفينيقية قد تأثرت بمصر بشكل قوى جدًا، سواء تمثل ذلك فى معابد أو مقابر بعناصرها الزخرفية مثل العصا المستديرة، والحلية ربع الدائرية، والشمس المجنحة، وإفريز الكوبرات(١٢٨)، فليس هناك تأكيد بالطبع على وجود معرفة عميقة لدى الفينيقيين فى اتخاذ تصورات دينية حقيقية بوظائفها الملائمة. إذ إن التعامل مع بعض النماذج الفنية المصرية التى نشعر فيها بشيء من اللامبالاة، نشاهده على سبيل المثال فى استخدام التاج المعروف باسم الآتف. ففى حين أن له فى مصر خاصية إلهية، ولا سيما لأوزيريس، فإننا نجده أيضا فى فينيقيا وسوريا لدى أناس من البشر(١٢٩). ويتفق وقوع عدم الاكتراث ذلك وملاحظة الصور الهيروغليفية على بعض الأوعية الفينيقية والمتمصرة، التى تحذو فعلاً وبصدق كامل حذو الأمثلة المصرية، مثلما هو فى آثار پرينسته(١٣٠) Praeneste بالقرب من روما، حيث تُشاهد لذاتها، بل نتعرف هناك أيضا على مجموعة «ابن رع» أمام الخانة الملكية، لكن وظيفتها مجردة لغرض الزخرفة ولا تسفر فى مجموعها

عن نص ذى مغزى، وإن كان يجب بحث ذلك بصورة أدق وعلى أية حيثيات يستند هذا التأكيد.

وفيما يتصل بدرجة اقتباس الفينيقيين للتصورات الدينية المصرية، فإن وعاءً مصريًا نُشر قبل فترة غير بعيدة يستأثر بالاهتمام فى هذا الموضوع، وهو ينحدر من معبد جبل الأربعين(١٣١) فى الجليل، ووُضع عليه بصورة ثانوية النقش النذرى الفينيقى التالى: «(نذر) من عكبو(ر) ابن بودِشمون، عمله من أجل عَشتارت، لأنها استجابت لندائه». وبمقارنة وعاء برينستون، الذى دار حوله الحديث قبل قليل، فإن نقش وعاء الجليل يُعَدُّ «بنسبة زمنية متقدمة مُتفينق»(١٣٢). ويغلب الظن على بعض التماثيل البرونزية الصغيرة لأبيس، وأوزيريس، إضافة إلى ثالوث إيزيس-أوزيريس-حورس، التى عُثِر عليها فى المحيط الأثرى نفسه، أن صاحبها كان يعرف قيمة محتوى تلك التماثيل النذرية بدرجة ما تقريبًا وبالأسلوب نفسه مثل أى مصرى، فقد قُربت عشتارت وإيزيس لبعضهما أو أصبحتا متماثلتين(١٣٣).

على أية حال، فإن الميل الشديد فى البحث العلمى خلال السنوات الأخيرة يتجه إلى الرأى بأنه سويًا مع تمائم مصرية (بس، وإيزيس، وحَتحور ...) تَمَّ أيضًا استيراد محتواها الدينى «الذى تضمنته»، وإن كان على أقل تقدير فى مظاهر وملامح أكثر خشونة(١٣٤).

إذن، فقد وُجدت عبادات لآلهة مصرية فى العالم الفينيقى. وبغض النظر عن المكتشفات الأثرية، تشهد أيضًا بذلك أسماءُ الأعلام. ولا غرابة كذلك أن يحمل الفينيقيون فى مصر غالبًا أسماءً مركبة مع أسماء آلهة مصرية، فقد تعرفنا من قبل إلى عبدپتاح، أى «خادم پتاح»(١٣٥). إن النسبة المئوية إلى مثل هذه الأسماء على نقوش الأوانى الفخارية من إلفنتين تُعَدُّ مرتفعة للغاية؛ لكننا نجد أيضًا أشياءَ من هذا القبيل من خارجها. وفى هذا السياق، نود لفت الانتباه إلى إحدى الطرائف التاريخية العلمية المسلية. ففى سنة ١٨٩٢، نُشر نقش فينيقى ينحدر من النبى يونس (فيما بين يافا وأشدود)(١٣٦)، ويحتوى على أسماء أعلام فينيقية مصرية مشتركة مثل عبدوباستة «خادم باستت»، وعبدآمون «خادم آمون»، فضلاً عن شتى الأسماء الأخرى المركبة

غير المألوفة بالنسبة إلى هذه المنطقة، إلى حد أن أعتقد لفترة طويلة بأنها مزيفة. ومن ثمَّ، لم يضع مرجع أسماء الأعلام الفينيقية الذى ألفه بنتس Benz[١٣٧] فى حسبانه هذه الوثيقة الزاخرة. لكن عندما اكتشفت شيئًا فشيئًا هذه الأسماء وأسماء أخرى مركبة مع آلهة مصرية فى مصادر أخرى، تبينت قبل حوالى عشرين سنة أصالتها، بل يعود هذا النقش إلى القرن الثالث أو ربما القرن الثانى.

وفى نقش من لارناكس لاپيثو Larnax Lapethou فى قبرص (حوالى ٣٤٥-٣١٥)، يتحدث فينيقى عن أشياء عديدة من بينها ما يلى[١٣٨]: «وفى هذا الشهر كارار من هذا العام (ذكر قبل ذلك فى النص)، أعطيت فى معبده پرم، سيدى أوزيريس فى لاپيثوس [مصباحًا] ذهبيًا وزنه ١٠ طبعم ٨ أرطال». وتبعًا لذلك، فقد كان لأوزيريس معبد خاص به هناك.

وما هو غائب من الآثار حتى الآن، لوحات جنائزية مصرية للفينيقيين وفقًا لنوعية الأمثلة التى نعرفها للآراميين. لكن لوحظ أن عناصر الديانة المصرية إجمالاً توجد فى نطاق المعتقدات الشعبية (كما يتضح من التمائم والجعارين) وفى نزعة الورع الدينى للفرد أكثر منه فى الديانة الرسمية المحافظة.

* * *

يُذكر القليل عن السمعة الخاصة للفينيقيين فى عيون المصريين. فلم يتمتع الفينيقيون بسمعة طيبة فى العالم القديم[١٣٩]، فجاء فى العهد القديم (هوشع، ١٢، ٨): «فى يد كنعان كفة ميزان الغش»، وبالنسبة إلى هوميروس، فإن الملاح الفينيقى مخادع مغسول بكل مياه الخبث[١٤٠]. وبطبيعة الحال، فإن مثل هذه الأحكام تحمل فى طياتها قبل أى شىء الغيرة والحسد للموهبة التجارية والنجاح لهذا الشعب، فوجدت تلك الصورة السلبية صدى لها فى عبارات مبتذلة فى الأدب الكلاسيكى، فنجدها على سبيل المثال عند الخطيب والكاتب الرومانى شيشرون (Pro Scauro 42): «تواتر إلينا من كل آثار العصور القديمة ومن كل أعمال التاريخ، أن جنس الفينيقيين خبيث جدًا. والپونيون الذين انحدروا من هؤلاء أظهروا فى ثورات كثيرة للقـرطاجيين، ومن خلال نقض وخرق العهود، أنهم منحطون على نحو ما»(*).

(*) «Fallacissimum genus esse Phoenicum omnia monumenta vetustatis atque omnes historiae nobis prodiderunt. Ab his orti Poeni multis Carthaginiensium rebellionibus, multis violatis fractisque foederibus nihil se degenerasse docuerunt» (المؤلف).

ولا يتضارب ذلك فيما ذكره أيضًا العهد القديم وعند هوميروس بالثناء على المهارة الفنية للفينيقيين في الحرف. ولا ريب أن مثل هذه الإهانات قد وجدت تشجيعًا بسبب الفزع من العادة البشعة، بتقديم الأطفال أضاحى، وهو تقليد كان يمارسه كنعانيون، وفينيقيون، وقرطاجيون. ومع أن هذه العادة لا ينبغى غض الحديث عنها[١٤١]، فإن مناظر مصرية فى الأقصر والكرنك أراد البعض تفسيرها بهذا المعنى، تُفهم بالأحرى على أنها تقديم الأطفال أضاحى إلى الفرعون بوصفه تعبيرًا عن التراضى والخضوع له[١٤٢].

وفيما يتصل برداءة سمعة الفينيقيين (أو الكنعانيين)، يوجد على أية حال دليل من الجانب المصرى، يعود تقريبًا إلى الفترة التى نحن بصددها، وهى أيضًا شهادة تُنسب تحديدًا لأحد أصحاب هذه الحضارة. فعندما فطن زكاربعل أمير جُبيل أن ونآمون يبحر مع ربان «سورى»، سأله بسخرية: «أين سفينة خشب الأرز (أو الصنوبر) التى أعطاها لك سمندس؟ وأين بحاراتها السوريون؟ ألم يسلمك إلى هذا الربان الأجنبى ليقتلك ويُقذف بك فى البحر؟» (١، ٥٤-٥٥). ومن ثمَّ، لم يعتد زكاربعل بأخلاق بنى جلدته فى منزلتهم من نفسه، فلم يستبعد مطلقًا على الربان الغدر وأحط درجات السقوط والنذالة، التى رُبطت فى العصور القديمة بالفينيقيين واليونيين. لكن من الجائز أيضًا أن يكون ذلك تصور الشعور بالتفوق الذاتى وكأنه حقيقة بواسطة مؤلف القصة. فالازدراء المتغطرس تجاه الأجنبى هو بطبيعة الحال تقليد مصرى قديم.

ليست مهمتنا هنا استنباط ما تنطوى وراءه حقيقة مثل هذه الاتهامات، ولن يكون ذلك أيضًا ممكنًا على أية حال. وعوضًا عن ذلك، علينا من الأفضل أن نقدر الإنجاز المهم للفينيقيين. ولا نقصد فى هذا الصدد وساطة نقل الأبجدية إلى اليونانيين فقط[١٤٣]، لكن ذلك: لم يتحقق من خلال أى شعب آخر سوى الفينيقيين، أن انتشرت فى الألفية الأولى أشياء مادية مصرية أو متمصرة فى منطقة البحر المتوسط بأسرها. وكما سبق القول، فقد أسهم فى ذلك أن لغة الصور والأشكال الأدبية الفنية للفينيقيين اصطبغت بصبغة مصرية قوية جدًا، أكثر ببعيد مما كانت عليه الحال عند أى شعب آخر.

الفصل الرابع

الوثائق الآراميـة

عندما نغض النظر عن الشواهد اليونانية المكتوبة التى أضحت بدهيًا وفيرة العدد مع عصر البطالمة، فإن الوثائق الآرامية من مصر تتفوق بمراحل فى كثرتها الشديدة على كل الموروثات الأخرى المكتوبة بلغات أجنبية فى الألفية الأولى. وحتى لو تأملنا التاريخ المصرى القديم كله، لأمكن أن تتنافس معها فى وفرتها فقط لوحات الخط المسمارى من تل العمارنة التى جاءت من المراسلات الملكية الدولية فى القرن الرابع عشر. وبينما تؤخذ وثائق تل العمارنة بعين الاعتبار دائمًا فى البحث العلمي للدراسات المصرية القديمة، فإن المصادر الآرامية الغنية تقف بعيدة منفردة تقريبًا. وربما يعود ذلك بصفة جوهرية إلى سببين: فمن ناحية، تبدو أهمية الوثائق الآرامية بالنسبة إلى بحث الحضارة المصرية والتاريخ المصرى من الوهلة الأولى وربما أيضًا من النظرة الثانية ضئيلة، ذلك أنها تمس فى المقام الأول الظروف المعيشية لأجانب فيما بينهم. ومن ناحية أخرى، تنحدر تلك الوثائق من فترة زمنية تُعَدُّ برؤية تقليدية أقرب إلى الانحطاط والانهيار، وهى رؤية لم يتم تجاوزها تمامًا – على الرغم من أنه من المسلم به أن هذه الوثائق يمكن أن تلقى ضوءًا على قضايا علمية فى نطاق الدراسات المصرية القديمة.

ومع أن البرديات والنقوش الآرامية تسهم بصورة قليلة فى الموضوعات الوفيرة والمحببة الحالية فى الدراسات المصرية القديمة عن الإيديولوچية الملكية وديانة المعابد وطقوسها، فليس من الحكمة على الرغم من ذلك تجاهلها إجمالاً. فنحن نتعرف، كما سبق القول، على أمور كثيرة عن حياة الأجانب فى مصر خلال عصر الفرس، بل على بعض أمور أخرى فى علاقاتهم بالمصريين – ومن ثمَّ، نتحرك بصورة أكثر فى قاع الحياة اليومية إجمالاً، مثلما تكشفه لنا البرديات الديموطية لهذه الفترة، وقبلها بقرون سابقة على سبيل المقارنة وثائق دير المدينة. وفى هذا المنحى لا يصبح المظهر التاريخى المحدود زمنيًا غير قصير تمامًا.

يضاف إلى ذلك، أن البرديات الآرامية لا تتحدث عن ساميين ومصريين فحسب، بل أيضًا عن شتى الأجانب الآخرين. فالتنوع العرقى الكبير فى مصر فى الألفية الأولى يتجلى هنا بوضوح. لذا، سيكون علينا فى الفصول التالية لهذا الكتاب أن نستشهد بمصادر آرامية. وعلى النقيض العجيب من الديموطية الأكثر قدمًا، فقد تقبّلت الآرامية إلى جانب ذلك عددًا جديرًا بالاعتبار من المفردات الأجنبية الدخيلة، ولا سيما من المصرية والفارسية. ولا نغالى إذا زعمنا أن الشواهد الآرامية المكتوبة من مصر تمثل أهم مصدر للموروثات الجانبية وأضخمه، لم ينضب معينه تمامًا منذ مدة طويلة، من حيث انتقال كلمات مصرية، وأسماء أعلام، وأسماء أماكن فى الألفية الأولى قبل العصر الهلينستى[1]. وسوف يأتى الحديث فيما بعد عن بعض الأمثلة، وأذكر هنا مثالاً واحدًا وجدته قبل فترة قصيرة، وهو عبارة عن شذرة بردية آرامية من سقارة يُذكر فيها اسم مكان، وهو ميع (MY')[2]. وبلا شك، فهو ليس شيئًا آخر سوى تلك القرية المنفية التى وردت فى صيغة يونانية فقط حتى الآن باسم مايا فى مجموعة برديات زينون Zenon-Papyri، على أن الشذرة الآرامية أقدم منها بحوالى ٢٠٠ سنة!

لكن قبل أن نقوم بتمحيص المادة الوثائقية بالكامل، يجب علينا أولاً أن نوجه عنايتنا إلى التساؤل عن أصحاب شواهد الكتابة الآرامية والحقبة الزمنية التى ظهرت فى أثنائها مثل هذه الوثائق. ولعل الجزء الأول من السؤال يثير الدهشة: فمن هم إذن أصحابها إذا لم يكونوا آراميين؟ فالنصوص الفينيقية التى يدور عنها النقاش فى هذا الكتاب تنحدر من فينيقيين، والكارية تعود إلى كاريين، فهل الآرامية شىء آخر؟ وفى الواقع، فإن للآرامية شأنًا خاصًا. وفى البداية، علينا أن نعرف أنه فى عصر الفرس الذى ينحدر منه الجزء الأعظم للمادة الوثائقية التى عُثِر عليها فى مصر، نجحت اللغة الآرامية فى الوصول إلى مرتبة لغة المعاملات العامة *lingua franca*، بسبب سهولة تعلمها، وعلى وجه الخصوص، إمكانية كتابتها. فنحن بصدد الحديث عن «لغة الدولة الآرامية» Reichsaramäisch، القريبة جدًّا من لغة العهد القديم المكتوبة بالآرامية، كما هو ثابت، ولا سيما فى سفرى دانيال وعزرا. وقد كُتِبت بحروف أبجدية قريبة من الأبجدية الفينيقية. على أن هذا

الوضع لم يستبعد استخدام الديموطية فى مصر لأسباب طبيعية، فهى على العكس من الآرامية: كانت الديموطية حقًا أبعد من أن تكون سهلة التعلم، لكنها ببساطة كانت تجرى فى لحم الكتبة ودمهم، إن جاز التعبير. وسوف نتناول فى الفصل التالى وثيقة ديموطية للسلطات الحاكمة، يبدو أنها قد تُرجمت من الآرامية إلى الديموطية. وإلى جانب ذلك، فإن «الآرامية» فى صيغها ومراحلها اللغوية المختلفة تنتمى مثل العبرية والفينيقية القريبة جدًا لها إلى فرع اللغات السامية الشمالية الغربية. وتُستعمل الكتابة العبرية المربعة فى تحرير النصوص بالنسبة إلى الآرامية والعبرية، بل غالبًا أيضًا الفينيقية. بيد أن الأكادية تدخل فى عداد فرع اللغات السامية الشمالية الشرقية، وتُصنف العربية ضمن فرع اللغات السامية الجنوبية.

ومبدئيًا، علينا أن نأخذ فى الحسبان التمييز بين آراميين، ويهود، وساميين آخرين. على أن التمييز بينهم على أساس تسمية الأسماء ليس جائزًا بالطبع فى كل الأحوال. ولنحاول الآن ترتيب النصوص الآرامية التى خرجت من مصر، وكذلك الموروثات الأخرى التى تتحدث عن وجود آراميين ويهود فى الألفية الأولى!

يأتى الجزء الأعظم من المادة الوثائقية من جنوب البلاد، من جزيرة إلفنتين (شكل ٤٢)، ولا يمتد أكثر من القرن فيما بين عامى ٥٠٠ و٤٠٠. وكانت إلفنتين (يَب) هى عاصمة الإقليم الذى ذُكر باسم تشطريس[٣] فى النصوص الآرامية، كما كانت مقرًا لحاكم الإقليم الفارسى الذى حمل لقب فراتاراكا. ومثلما هو فى سوينه (أسوان) الواقعة إلى الناحية الشرقية من النيل، كانت ترابط فى إلفنتين أيضًا حامية حصينة كُلف أفرادها بحماية الحدود، حيث كان يخدم فيها جنود من مختلف أنحاء الإمبراطورية. وبينما أقام فى سوينه بصفة خاصة آراميون «وثنيون» وأفراد من سائر أنحاء إمبراطورية الفرس، كان وجود اليهود فى إلفنتين بصورة رئيسية. لكن هؤلاء الجنود لم يعيشوا بمفردهم، بل كانوا سويًا مع أسرهم وأناس آخرين مدنيين وروحانيين فى مستعمرة واحدة. وفى عصر الفرس، خصصت لبعض هؤلاء الجنود أرض زراعية وكان لهم أجر مقابل عملهم. والزائر اليوم لإلفنتين يمكنه التعرف على حوائط الأساسات التى كشفت عنها الأبحاث العلمية الأثرية لبيوت هؤلاء الجنود المذكورة فى الوثائق البردية (لوحة ٩ أ)، بل إنها شبيهة تقريبًا بما هو فى دير المدينة من بقايا أثرية لأفراد بعينهم[٤] (شكل ٤٣).

وأقام فى سوينه قائد الحامية العسكرية رب حايلا، أى «كبير الجيش»، فكان فى نهاية القرن الخامس هو ذلك الشخص سيئ السمعة المدعو ڤيدرانجا الذى سوف يأتى الحديث عنه فيما بعد. وقُسمت الحامية إلى سرايا[٥]، كانت تخضع بدورها لقيادة قائد عام سُميت باسمه. وهؤلاء القادة كانوا إيرانيين ومن بلاد الرافدين؛ واستبعد فى العادة من هذه المناصب العليا التى كان يمكن أن تُورَّث على ما يبدو يهود وسوريون ومصريون.

ولعل أقدم نص آرامى من مصر أمكن تأريخه فى نهاية القرن السابع لمعايير معينة بمضمونه، هو ذلك الخطاب الذى عُثِر عليه فى سقارة، وكان موجهًا من عدون ملك عقرون إلى الفرعون، وهو يُعَدُّ كذلك أقدم أثر للغة الدولة الآرامية (A1.1)[٦]. والعلامة الفارقة لهذه الوثيقة هى أنها نُقلت من الخارج إلى مصر مثل تلك الوثائق المعروفة باسم «خطابات درايڤر» Driver Letters (انظر صفحة ١٣٣). أما الوثائق الأخرى، فقد كُتبت جميعها تقريبًا فى مصر نفسها.

إن النص التالى الأحدث زمنيًا هو الوثيقة المعروفة باسم بردية باور-مايسنر Bauer-Meissner، وهو عبارة عن عقد إيجار من كوروبيس فى أوكسيرونخوس (البهنسا) من العام السابع لحكم داريوس الأول، أى عام ٥١٥ (B1.1). وطرفا العقد ليسا يهوديين ولا آراميين، لكنهما، على ما يبدو، مستوطنان من فليسطا، يُدعى أحدهما پادى ابن داجا[ن]مِلِخ، والآخر كان مصريًا.

ومنذ اكتشاف اللقى الآثارية الأولى من إلفنتين فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ونشرها، نتساءل دائمًا، متى تأسست المستعمرة العسكرية اليهودية الآرامية فى إلفنتين. ففى الالتماس الشهير ليهود إلفنتين إلى باجواس حاكم يهوذا الفارسى (شكل ٤٤)، توجد قرينة بأن الفرس لم يقوموا فى البداية بتأسيس هذه المستعمرة (A4.7 / *B19*)[٧]: إذ يُتظلم فى الالتماس بأن الإدارة المحلية الفارسية بدعم مصرى قامت قبل ذلك بثلاث سنوات فى عام ٤١٠ بهدم معبد ياهو (يَهْوَا)، على الرغم من أن مثل ذلك ما كان ليحدث من قبل قط. وكأن قمبيز وجد المعبد وقد انتهى بناؤه، وعلى خلاف معابد آلهة مصر، فلم تلحق بالمعبد اليهودى فى ذلك الوقت أية أضرار.

وإذا ما صح بيان قدِم معبد ياهو، فلا بد أن هذه المستعمرة كانت موجودة قبل ذلك. وفى الواقع يشير إشعياء من قبل إلى وجود يهود فى مصر، وپاتروس، وكوش. ويتحدث إرمياء حوالى عام ٥٨٠ بدقة عن مجدول، وتاحپانِحِس (دافناى)، ونوف (منف)، وپاتروس[٨]. ولا يمكن أن يأتى بيان قِدم هذا المعبد اليهودى فى إلفنتين من لا شىء، لأنها مدن حاميات عسكرية فى كل الأحوال. إذ إن ظروف هجرة اليهود والآراميين كانت كافية. فمن المفترض على سبيل المثال لجوء يهود تابعين إلى مصر ممن التمسوا مساعدة أپريس قبل اجتياح نبوخذنصر لبلادهم حوالى عام ٥٨٩. وقبل ذلك، فى الأعوام بعد هزيمة يوشيا ملك يهوذا تمكن اليهود من اللجوء إلى مصر. وكان الملك يهوياقيم مدينًا بعرشه للملك نيخو، كذلك ذهب النبئ أورياهو فى ذلك الوقت إلى منفاه فى منف[٩].

إن من الطريف أيضًا هو ذلك الخبر المستشهد به فى فصل الليبيين عند هيرودوت (الكتاب الثانى ٣٠) عن تأسيس «الملك پسمَّاتيخوس» فى عهده تحصينات حدودية فى إلفنتين ودافناى وماريا، ثم تولى الفرس الإنفاق عليها بعد ذلك، أى أنها حدثت فى عصر هيرودوت، حوالى منتصف القرن الخامس.

إضافة إلى ذلك، لدينا أخبار من خطاب أريستياس Aristeas الذى كُتب فى النصف الثانى من القرن الثانى، فهو يتحدث عن دعم عدد كبير من اليهود لپسمَّاتيك ضد الإثيوپيين. وفى الواقع، قام پسمَّاتيك الثانى عام ٥٩٣ بحملة إلى كوش، إلا أنه من بين العدد الضخم لنقوش المخربشات فى أبوسمبل الذى تركته القوات العابرة (يونانية، وكارية، وفينيقية)، لم تكن هناك نقوش مخربشات عبرية ولا آرامية. لذا، فقد اعتقد بأن هذه النتيجة السلبية لا تدل على وجود يهود / آراميين فى إلفنتين. وقبل فترة قصيرة، قدَّم موچيفسكى[١٠] Modrzejewski اقتراحًا بارعًا لا يطابق فيه شخصية پسمَّاتيك فى خطاب أريستياس مع ملك معين، إذ لم يُطلق عليه هناك مثل هذا الاسم مطلقًا، لكن طابقه مع پسمَّاتيخوس ابن ثيوكليس، ذلك القائد اليونانى أو بالأحرى قائد الأسطول المذكور فى نقش مخربشة أبوسمبل الشهيرة[١١] (شكل ١٠٠). لذا، فإنه من المحتمل أن يهوذا فى ذلك الوقت كانوا قد

اشتركوا فى عمليات عسكرية للمصريين، فاتجهوا انطلاقا من إلفنتين إلى الجنوب التى تظهر فى نقش المخربشة المذكورة بوصفها مقرًا عسكريًا دائمًا للملك بسمَّاتيك. غير أن عدم وجود نقوش مخربشات يهودية آرامية يدعو إلى الشك، على الرغم من أنه يجب أن يُوضع فى الحسبان، أن جزءًا متواضعًا فقط من الأشخاص كان يعرف الكتابة، وأقلهم بكل تأكيد هو الجندى البسيط.

وأيًّا ما كان الأمر تفصيلاً، فإن تأريخ النصوص الآرامية المكتشفة قرب نهاية القرن السادس يجعل للمستوطنة اليهودية فى إلفنتين عمرًا طويلاً، وفى غير هذا المكان فهو بعيد الاحتمال.

والجدير بالملاحظة أن المستوطنين اليهود فى إلفنتين، مثلما هو فى أنحاء أخرى من البلاد، كانوا يكتبون دائمًا بالآرامية ولم يكتبوا بالعبرية قط. وبلا شك، فإنه فى مراسلات خاصة كان يمكن جدًّا استخدام العبرية، إذا ما أراد الكتبة ذلك. لكن فيما يبدو أنهم قد تخلوا عن العبرية قبلها بفترة طويلة، نتيجة الاتصال مع آراميين نازحين قبل ذلك (؟)، على الرغم من سعيهم فى الحفاظ على استقلالية ثقافتهم وعبادتهم.

وبفضل بعض الكتب المهمة والمعاصرة، يمكن أيضًا للباحث فى الدراسات المصرية القديمة الحصول على نبذة عن النصوص الآرامية من مصر دون بذل جهد كبير. فقد أصدر جريلو Grelot مجموعة لمعظم النصوص مشفوعة بتعليقات فى ترجمة فرنسية[١٢]. ومنذ سنوات يبحث ب. پورتن B. Porten مجموعة كاملة بالوثائق كلها، فهو أفضل من يعرف المادة الوثائقية: فظهر بين ١٩٨٦ و١٩٩٩ فى أربعة أجـــزاء كبيرة «كتاب نصوص الوثائق الآرامية من مصر القديمة» *Textbook of Aramaic Documents from Ancient Egypt*، ويحتوى على خطابات (الجزء الأول)، وعقود (الجزء الثانى)، ونصوص أدبية ووثائق حسابية وقوائم (الجزء الثالث)، ولخاف فخارية ونقوش (الجزء الرابع). وتحتوى كل هذه النصوص على صور دقيقة طبق الأصل مرسومة باليد (Facsimiles) ومقارنة بقدر الإمكان، ونقلت حروفها المدونة إلى حروف الطباعة بالكتابة العبرية المربعة،

وكذلك ترجمة إنجليزية، إضافة إلى العبرية الحديثة. بيد أن التعليقات على النصوص مختصرة جدًا، ومَنْ يرد أن يستعلم بوجه خاص عن المادة الوثائقية الغنية من إلفنتين ولا يمكنه قراءة النصوص الأصلية بعد نقل حروفها المدونة إلى حروف الطباعة، فسوف يميل من أجل ذلك إلى استخدام أحدث ترجمة لپورتن أصدرها فى مؤلفه الكبير الجامع: «برديات إلفنتين بالإنجليزية (لايدن ١٩٩٦)» *The Elephantine Papyri in English* (Leiden 1996)، حيث وُضِعت التعليقات بشكل أكثر تفصيلاً.

والآن، يا حبذا لو تأملنا أولاً المادة الوثائقية الغنية بالبرديات الآرامية! وفى هذا المنحى، لن يمكن تجنب بعض الأحاديث المتكررة والمتداخلة هنا وهناك، التى يُشار إليها فى فصول أخرى.

ولنتناول فى البداية الخطابات[١٣]. إن التماس عَدون ملك عقرون إلى الفرعون من نهاية القرن السابع يُعَدُّ من كل الأوجه نسخة فريدة من نوعها (A.1.1)، وكان قد دار الحديث عنه من قبل فى صفحة ٧٤. ففى أحد دهاليز جبانة طيور الإيبيس فى تونا الجبل (هيرموپوليس)، كانت قد اكتشف عام ١٩٤٥ مجموعة مؤلفة من ثمانية خطابات فى جرَّة فخارية (A2.1-7 / *B1-7; D1.1*)، أى مثل برديات فيلادلفيا ودير المدينة الديموطية، وبعد حوالى عشرين سنة قامت إذًا بريشانى Edda Bresciani بنشرهم لأول مرة[١٤]. ومن الغريب أن هذه الخطابات كُتبت فى منف، بينما كان المرسل إليهم فى الأقصر وأسوان. لكن لأسباب غير معروفة، لم تصل تلك الخطابات إلى المرسل إليهم، ولم تُفتح لفائف البردى قبل اكتشافها قط؛ فقد كانت أختامها سليمة. فهل داهمت مصيبة ما حامل الخطابات؟ لن نعلم ذلك أبدًا. وفى هذا الصدد، لا بد أن يُشكك فى وجود بريد منظم فى ذلك الوقت. فقد كانت تُسلم خطابات وأشياء ثمينة لشخص جدير بالثقة مسافر إلى المناطق المعنية. وعلى الرغم من حرية التحرك والانتقال الفائق لليهود والآراميين فى سائر أنحاء البلاد بصورة لافتة للانتباه، لم يكن سهلاً دائمًا العثور على مثل هؤلاء الأفراد الموثوق فيهم من حاملى الخطابات، كما يقول الكتبة أنفسهم بوضوح فى بعض الأحيان[١٥].

ومرسلو معظم الخطابات هما شخصان، يُدعى أحدهما ماكِّيبانيت(١٦)، والآخر أخوه غير الشقيق (؟) نابوشزيب أو نابوشا، وكانا يرابطان بوصفهما جنديين آراميين فى منف بأسماء بابلية. بينما عاش أفراد أسرتيهما، التى كانت الخطابات مخصصة من أجلهم فى الأقصر، وخاصة فى سوينه، كما سبق القول. فى هذه الخطابات، يلعب دورًا كبيرًا موضوع شراء الحاجيات من الأشياء النافعة المختلفة مثل الثياب الكتانية، أو زيت الخروع، وزيت الزيتون. ويظهر زيت الخروع(١٧) بانتظام فى قوائم جهاز العروس لعقود الزواج الآرامية، بينما كان زيت الزيتون على الأرجح مستوردًا؛ فقد كانت أشجار الزيتون فى مصر القديمة نادرة. وفى بعض الأحيان، يدور الأمر حول تأخير دفع مرتب الجندى الشهرى. ويتطرق الحديث بطبيعة الحال إلى هموم إنسانية، فقلما تتناول الخطابات مطالب ذات ثقافة نوعية. فيشتكى نابوشا ذات مرة إلى أخواته بأنه لم يستعلم أحد منهن عن حاله، عندما كان ميتًا أكثر من كونه حيًّا بعد أن عضه ثعبان (A2.5 / *B5*).

ولا نُفاجأ بما للعادات المصرية من قوة جاذبية على الأجانب، فيظهر بانتظام پتاح إله منف فى صيغة التحية: «لقد باركتك عند پتاح أن يجعلنى أرى وجهك فى صحة». وارتبط المرسل إليهم فى سوينه بمعابد لمعبودات شامية مختلفة؛ فتُذكر تفصيلاً معابد نابو، وبانيت، وبتل، وأخيرًا معبد «ملكة السماء» (عَنات أو عَشتارت). ولا بد أن هذه المعابد كانت موجودة فى سوينه، وإن كان لا يوجد الآن أى أثر باقٍ منها.

ومثلما هو فى خطابات هيرموپوليس، تجول أيضًا مواضيع مشابهة بالطبع فى رسائل أخرى من هذا النوع. ففى بردية پادوا ١ (P. Padua 1)، يكتب أب يهودى لابنه (A3.3 / *B8*): «تحيات إلى معبد ياهو فى إلفنتين. إلى ابنى شلومام من 'أخيك'(*) أوشيا: منذ اليوم، عندما ذهبت على ذلك الطريق، وقلبى ليس بخير(**)،

(*) يُعدُّ اعتبار الأب نفسه أخًا تجاه ابنه من تقاليد بناء الخطاب وأسلوبه؛ ومن الغريب أنه بالرغم من ذلك، بل لهذا السبب تُعدُّ حالة نادرة (**المؤلف**).

(**) أى أن حالى ليست على ما يرام (**المؤلف**).

وأمك أيضًا (...). والآن منذ اليوم، عندما غادرتم مصر (السفلى)، لم يُدفع [لك / لنا] مرتب الجندية الشهرى. [وعندما] شكونا بسبب مرتبكم عند موظفى الحكومة هنا فى مجدول، قيل لنا: '[اشكوا] عن ذلك [عند] الكتبة(*)، وسوف يُعطى لكم'».
ويسترسل كاتب الخطاب: «عندما تعودون إلى مصر (السفلى)، سوف تحصلون على مرتبكم المحتجز ثانية بالكامل». وتبدو خصوصية استخدام كلمة «مصر» بوصفها تسمية خاصة لمصر السفلى، فهى تتناسب تمامًا مع العادة التوارتية والآشورية(١٨)، إذ وقعت المدينة الحصينة مِجْدول كذلك فى «مصر» مثل منف، حيث كان يقيم المرسل إليه هناك أيضًا لظروف عمله (؟)، بينما كانت تتبع إلفنتين البعيدة «أرض الجنوب» المسماة پاتروس. إن هذا الاستخدام الحصرى ميصرايم بالنسبة إلى جزء من البلاد يمكن مقارنته مع تسمية مَصْر اليوم، بمعنى «القاهرة» فى اللهجة المصرية العربية.

ولا يقتضى الأمر شرحًا، حين يشغل القلق حيزًا واسعًا على أصدقاء وأقرباء فى كل هذه الخطابات الخاصة.

إن أحدث وثيقة مكتوبة مؤرخة من إلفنتين هى خطاب يوجد الآن فى بروكلين (A3.9)، ويتألف من شذرات عديدة وفى حالة حفظ سيئة كذلك للأسف، وأمكن تأريخه فى عام ٣٩٩، ويشير إلى الانتقال من الأسرة الثامنة والعشرين إلى الأسرة التاسعة والعشرين، حيث يُذكر الملكان آميرتايوس ونفريتيس، بل يميط لنا اللثام على ما يبدو عن الشهر (أبيب) الذى اعتلى فيه هذا الأخير العرش، إذ جاء هناك: «يُحْضِرون (إلى) منف الملك آميرتاي[وس]» – لكنه ليس واضحًا من السياق، عما إذا كان المقصود إحضاره للإعدام أو للدفن(١٩).

وليس نادرًا أن تعطينا الخطابات بتنوعها متعدد الألوان، من حيث الأسماء التى وردت بلغات مختلفة، طابعًا دوليًا تمامًا. وبالطبع، فإن ذلك ينطبق تمامًا على العقود التى سنتناولها بصورة أدق. لكن يجب علينا فى هذا السياق ملاحظة أن ليس كل شخص باسم مصرى يُعَدُّ مصريًا فعلاً، فلم يكن نادرًا أن اختار الآراميون

(*) أى كتبة دفاتر الحسابات (المؤلف).

القاطنون – وليس اليهود! – أسماءَ مصرية لأولادهم. وبطبيعة الحال، علينا أن نتوقع زواجًا مختلطًا – وهذه الحالة الأخيرة نراها أيضًا عند اليهود. لكن حين يكتب حوالى عام ٤٠٠ شخص مالك لمركب يُدعى سپنتاداتا إلى «أخويه» حورى وپطمحو(٢٠) «أنا لدى مركب فى يدكم» (A3.10 / *B12*)، فلن نخطئ فى الافتراض بأن فارسيًا يخاطب مصريين. ولأسباب منطقية، يمكن أن نتصور مصريين بحارة على النيل (ومؤجرى مراكب؟) أفضل من كون الآراميون ذلك(٢١).

وثمة مجموعة بارزة من الوثائق لها قيمتها تمثل «أرشيف جالية يدانيا» *Gemeindearchiv des Jedanjah*، وهو أحد زعماء الجالية اليهودية لإلفنتين فى العقدين الأخيرين للقرن الخامس. ويحتوى الأرشيف على تسعة خطابات ومذكرة (A4.1-10 / *B13-22*). إن أقدم وثيقة يعود تاريخها إلى عام ٤١٠ هى تلك المعروفة باسم «خطاب الفصح» passover letter (A4.1/*B13*)، وتتناول موضوع عيد الفصح وعيد الفطير. ويبدو أنه قد سبقته مضايقات من جانب المصريين لهذه العادات اليهودية، إلى حد أن الأمر كان يقتضى ردًا من ملك الفرس بالأحكام التقليدية الواجب تنفيذها. وللأسف، فإن بنود الخطاب الموجه إما بتكليف الحكومة الفارسية، وإما الإدارات اليهودية فى أورشليم من شخص يُدعى حانانيا إلى يدانيا وأهل جاليته، ليست واضحة بصورة كافية بسبب حالة الحفظ السيئة للوثيقة؛ إذ إنه من الضرورى فى بعض الأحيان الاستعانة بإضافات على أساس العهد القديم، حيث إنها تتناول واجبات معينة وملزمة فى أمور الطهارة.

كذلك، فإن مخطوطات ذات حالة جيدة الحفظ نوعًا ما يمكن أن تحمل بعض الألغاز. ففى وثيقة (A4.3 / *B15*) يتحدث ماعوزيا، وهو زعيم آخر من بين زعماء الجالية اليهودية فى إلفنتين، إلى زملائه، كيف أن قائد الحامية المدعو ڤيدرانجا فى أبيدوس قد قبض عليه بسبب حجر كريم عُثِر عليه بوصفه مسروقات فى حوزة تجار. لكن أُطلق سراحه ثانية بعد تدخل خادمين لشخص يُدعى عنانى. وكلا الرجلين بالاسمين المصريين چدحر وحور(٢٢) كانا فى الطريق إلى المرسل إليهم، أى إلى يدانيا وزملائه، فكان على هؤلاء أن يحسنوا مجاملاتهم.

لكن أين هى العلاقة السببية والتسلسل المنطقى مع الجملة التى تلت ذلك بقليل، وهى «إنه معروف لكم أن خنوم ضدنا منذ وجود حانانيا فى مصر حتى الآن»؟ ويتطابق حانانيا هذا فى البحث العلمى مع شخصية كاتب «خطاب الفصح» passover letter، الذى تبعًا لذلك كان قد وصل فعلاً إلى مصر وسلم الخطاب شخصيًا، إن جاز هذا التعبير. والظاهر للعيان أن ظهوره قد سبب هياجًا عند كهنة خنوم المصريين، الذين كان صعبًا عليهم تقبل ممارسة الشعائر الدينية لأناس يعتقدون فى دين آخر(*). فأدت هذه الأحقاد مباشرة إلى تدمير معبد ياهو، كما سنرى بعد قليل.

بعد هذه الخلفية التاريخية، نتساءل عن هوية كلا الرجلين المذكورين چدحر وحور اللذين قدما المساعدة لماعوزيا المذكور سالفًا. فهل كانا مصريين، كما نود أن نعتقد فى ذلك نظرًا إلى اسميهما؟ وعلى ما يبدو، كان يجب التقرب إليهما لعدم تحميل العلاقات المتوترة أصلاً أكثر مما هى عليه، فقد أثبتا فى نهاية الأمر، أنهما فاعلا خير (ربما مقابل بقشيش محترم). وأغلب الظن أن ذلك الشخص المدعو عَنانى، الذى عمل فى خدمته كلا الرجلين، لا يمكن التحقق من هويته ومطابقته مع شخص آخر سوى مع موظف رفيع المستوى بالإدارة المركزية فى منف، ألا وهو شخص «المستشار» عَنانى الذى نعرفه من البردية الآرامية (A6.2 / *B11*) التى تتناول تصليح المراكب، وكأنه الذراع اليمنى للستراب. وعلى قدر معلوماتنا، لم يتقلد فى العادة فارسى فى عصر الفرس أيضًا منصب المستشار[٢٣]، بل تولاه مصرى. ويجدر بالملاحظة أنه فى هذه الحالة على ما يبدو كان آراميًا أو يهوديًا.

(*) نختلف مع رأى المؤلف فيما ذهب إليه من زعم يفتقر تمامًا إلى دلائل أثرية، وهو ما اعترف به هو نفسه فى الفصل التاسع صفحة ٢٩١ بقوله: «إن التوترات المتنامية بين يهود ومصريين فى مصر بجزيرة إلفنتين فى عصر الفرس لم تكن من حيث المبدأ ناشئة عن يقظة قومية للمصريين، ولا على أساس تعصب تجاه أصحاب رأى مختلف؛ وعلى الرغم من ذلك، فإن الأسباب الحقيقية تبقى غير واضحة فى نهاية الأمر». ونضيف من ناحيتنا أن أسباب موقف المصريين تجاه اليهود تكمن أكبر الظن فى نظرة اليهود العنصرية المتعالية، والمتعجرفة، والمتعصبة دينيًا تجاه الأغيار من دون اليهود، بل احتقارهم لكل الأجناس البشرية الأخرى وديانتهم ... (المترجم).

لكن أن يكون المصريون معاونين له، فهو لا يحتاج إلى مزيد من التعليق. وإلى جانب ذلك، توجد أسباب معقولة لافتراض أن ذلك الشخص المدعو حانانيا، الذى سبب شغبًا بـــ «خطاب الفصح» passover letter فى إلفنتين عند كهنوت خنوم المحلى، كان من بين طاقم المساعدين المقربين للمستشار عنانى!

وفى وثيقة أخرى (A4.4 / *B16*) تعود إلى نهاية القرن الخامس، تُذكر أسماء خمسة رجال يهود وست سيدات «عُثر عليهم عند بوابة فى طيبة وتم اعتقالهم». وهؤلاء الرجال هم شخصيات قيادية للجالية اليهودية فى إلفنتين – فكان من بينهم أيضًا يدانيا – اتهموا بجرائم مختلفة، إلا أن فهم النص ليس واضحًا تمامًا؛ فإذا صحت هذه المآخذ، فهى ربما تكون تجاوزات ضد المصريين أو من غير اليهود بصفة عامة. ويبقى كذلك غير واضح ما تنطوى خلفه عبارة «بوابة فى طيبة». ومن الصعب أن يكون ذلك مكان محكمة ملحقة مباشرة بالمعبد بالنسبة إلى أجانب مثل اليهود(٢٤).

وثمة خطاب آخر من الأرشيف (A4.2 / *B14*) أضرَّ ضياع نصفه الأيسر بفهم النص. لكن يُفهم منه بقدر ما أن يدانيا أُبلغ من خلال شخص مخلص مجهول أن المصريين قد دفعوا رشوة للستراپ أرسامس فى منف – بدهيًا على حساب اليهود – و«تعاملوا بشماتة». وعندئذ لم يتبقَ شىء البتة سوى رشوة مضادة من العسل وزيت الخروع والحبال والجلود. فقد كان الجلد المصرى مرغوبًا جدًّا فى العالم القديم. وإلى جانب أشياء أخرى، يظهر كذلك العسل وزيت الخروع فى بردية ديموطية بوصفهم من مكونات الدخل الكهنوتى(٢٥).

أشرنا من قبل إلى التوتر المتزايد بين يهود ومصريين فى إلفنتين فى نهاية القرن الخامس. إن من بين أشهر الوثائق المصرية الآرامية الذائعة الصيت بصفة عامة فى أرشيف جالية يدانيا هى أيضًا تلك الصياغات والمسودات المختلفة للالتماس الموجه إلى حاكم أورشليم باجواس (باجاڤاهيا) بشأن إعادة بناء معبد ياهو(٢٦)، ورد الفعل على ذلك. ففى الالتماس (A4.7-8 / *B19-20*)(٢٧) المؤرخ فى عام ٤٠٧ (شكل ٤٤)، يصف بالتفصيل، كيف أن كهنة الإله خنوم («حنوب») مع قائد الحامية ڤيدرانجا قبل ذلك بثلاث سنوات دبَّروا تدمير معبد ياهو، وهو ما حدث

أيضًا بالفعل. فقام ابن ڤيدرانجا المدعو «نافاينا بقيادة المصريين سويًا مع القوات الأخرى، فوصلوا إلى قلعة يَب بأسلحتهم، وصعدوا إلى أعلى ذلك المعبد، وسووه بالأرض، فدمروا الأعمدة الحجرية هناك». وما هو من حجر حُطم، وما هو من خشب أُحرق، «لكن الأوانى الذهبية والفضية وكل ما كان فى ذلك المعبد، أخذوه كله واستولوا عليه». يعقب ذلك تلك الفقرة المذكورة سالفًا بأن معبد ياهو نفسه من عهد قمبيز، على خلاف معابد الآلهة المصرية، ظل من دون مساس. حقًا، لقد حل الانتقام الإلهى، فلقى الملعون ڤيدرانجا وكل الذين أرادوا سوءًا بمعبد ياهو نهاية سوداء، لكن المعبد نفسه لم يمكن إعادة بنائه، لأن خطابًا بهذا المعنى إلى الإدارة المختصة فى أورشليم لم يُرد عليه. فالتمسوا من باجواس أن يدافع عن «أصدقائه» فى مصر من أجل السماح بإعادة بناء المعبد ثانية، متضمنًا الإشارة إلى أنه منذ ذلك اليوم المشئوم وهم حزانى ويصومون ولا يمكنهم أن يقدموا قرابين، وأن خطابًا آخر بالمضمون نفسه سوف يتوجه إلى السامرة؛ وعلى ما يبدو أن الكتبة لم يدركوا تقريبًا وجود فوارق بين أورشليم والسامرة متجاهلين الأمر، غير مبالين.

وبالطبع، علينا أن ندرك أن المرسل إليهم لم يكن بأيديهم حق تحديد ما كان يجب أن يفعله الستراپ الفارسى أرسامس لهم. لكن كان يمكنهم ممارسة نفوذهم فحسب، وفضلاً عن ذلك تأييد يهود إلفنتين أخلاقيًا، إن صح التعبير. لذا، فإن تعبير «التماس» Petition ليس صحيحًا تمامًا، وإنما المصطلح الأكثر دقة تقريبًا هو «طلب خطاب توصية» Ersuchen um Empfehlungsschreiben. لذا، فإنه ليس صائبًا ما يُذكر فى العرض الجدير بالقراءة، الذى قدمه هـ. دونر H. Donner فى كتابه «الخطوط الرئيسية فى تاريخ شعب إسرائيل وجيرانها، جُوتينجن ١٩٩٥، جـ ٢» *Geschichte des Volkes Israel und seiner Nachbarn in Grundzügen*, Göttingen 1995, II بأن يهود إلفنتين قد «مُنحوا التصريح بممارسة عبادة يهوا خارج أورشليم، حيث يبدو أن ستراپ مصر كان يعجز عن فعل ذلك، وربما لم يكن أيضًا فى استطاعته فعل ذلك». وبلا شك، فإنه كان فى استطاعته فعل ذلك، لكنه كان يتمنى فيما يبدو «فتوى». ولا ريب أنه قد أسهم فى هذا الوضع أن الستراپ أرسامس فى هذا الوقت تحديدًا، أى فى السنوات فيما بين عامى ٤١٠ و٤٠٧، كان موجودًا خارج البلاد، فتصلبت المواقف بين اليهود والمصريين وتصاعدت الحالة إلى هذا الحد.

وثمة شيء آخر جدير بالملاحظة، وهو أنه ليس في العقيدة اليهودية عمومًا جواز بناء معبد ياهو الذي يرتبط بالطبع مع يهوا التوراتي، لأنه تبعًا للاهوت يهودي رسمي كان يوجد معبد واحد فقط ليهوا، وهو في أورشليم. وهذا المعبد جعله نبوخذنصر الثاني في عام ٥٨٦ خرابًا يبابًا. وسمح قورش – قاهر بابل – فيما بعد بالبناء الجديد؛ لكن أعمال البناء فيما يُعرف باسم المعبد الثاني تم تنفيذها في عهد داريوس الأول فقط، أي فيما بين عام ٥٢٠ وعام ٥١٥. ومن الواضح أنه كان على يهود الشتات أن يطبقوا تدابير خاصة، وإن كان من الواضح كذلك أن كبير الكهنة في أورشليم المدعو يهوحنان(٢٨) الذي كان يعنيه الأمر أصلاً في هذا الموضوع لم يرد. وبطبيعة الحال، أعار يهود إلفنتين قليلاً من الاهتمام للإصلاح الديني الذي قام به يوشيا، بهدف الوصول إلى مركزية الديانة ومحو كل «الشوائب الإضافية» الوثنية. وفي الفترة التي تنحدر منها وثائق إلفنتين الآرامية كان ممكنًا لليهود العودة إلى بلادهم من قبل ذلك بفترة طويلة، لكن بعد إقامة أجيال عديدة في الغربة، تراجعت الرغبة في ذلك لدى بعضهم تحت ظروف معيشية وعقائدية خاصة.

وكما هو واضح، فإن «التماس» إلفنتين الآرامي هو عبارة عن مسودة، بل اكتشفت مسودة ثانية تصحح أخطاء معينة للمسودة الأولى، لكن مع ذلك ثمة اختلافات في التفاصيل داخل النص. فالخطابات الأصلية المرسلة إلى أورشليم والسامرة لم تخرج إلى النور قط، وإن كان قد اكتشف في إلفنتين نص معروف باسم «مُذكرة» («ذوكران») (A4.9 / *B21*)، متضمنًا القرار الجماعي المُملى من باجواس ودلايا، ونصه: «إنه يجب عليك (يدانيا؟) في مصر أن تتحدث إلى أرسامس عن بيت هيكل إله السماء، الذي بُني فيما مضى قبل قمبيز، ودمره الشرير ڤيدرانجا في العام ١٤ للملك داريوس (عام ٥٠٨)، لبنائه (ثانية) في مكانه، مثلما كان فيما مضى، وعليهم تقديم القربان وإحراق البخور على ذلك المذبح، مثلما فُعل فيما مضى». ويُستنتج من ذلك أن الخطابات الأصلية المذكورة سالفًا قد وصلت فعلاً إلى المرسل إليهم.

ملاحظة هامشية مفصلة: لم يُشر إلى القرابين المحروقة التى ذكرها اليهود فى خطاباتهم، على الأقل فى مسودتى الخطابين المعروضين. ففيما يبدو أن المعبد الأصلى فى أورشليم احتفظ لنفسه على الأقل بحق تقديم الأضاحى الحيوانية.

وقد عرفنا من قبل أن سيدًا كبير المقام أيضًا مثل الستراپ أرسامس كان يقبل الرشى. والراجح أنه إلحاقًا بالتوصية من جانب الإدارات فى أورشليم والسامرة، كتب زعماء الجالية اليهودية إلى «سيدنا» – لا شك أن أرسامس هو المقصود –، واعدين إياه من بين أشياء أخرى بأداء مبلغ خاص مقداره ١٠٠٠ إردب شعير (A4.10 / *B22*)، وهو ما يعادل مخصصات شهرية لحوالى ٥٤٠ رجلاً.

والآن، هل شُيِّد حقًّا من جديد معبد ياهو المُدَمَّر؟ نود أن نستنبط ذلك فعلاً من خلال تحديد موضع ما فى وثيقة بيع منزل من العام ٤٠٢، أى بعد ثمانى سنوات من تدمير معبد ياهو (B3.12 / *B45*, 18-19). فقد أُشير إلى معبد ياهو هنا بوصفه حد الجار من الجهة الغربية للمنزل – الواقع مباشرة بين المنزل والمعبد – وشارع الملك (الشارع الرئيسى). ومن الناحية الأثرية، لم يكن موقع المعبد قد استدل عليه حتى الآن، فمنذ فترة قصيرة أمكن الوصول إلى تحديد موقعه الدقيق وتعيين بقايا أرضيته من الطوب اللبن الخاصة به[٢٩] (لوحة ٩ ب). ومن المؤكد الآن أن المعبد المُدَمَّر قد أُعيد فعلاً بناؤه من جديد.

ولا تبوح المصادر عمن تحمل نفقات مشروع إعادة بناء المعبد اليهودى، وإن كان من الصعب تصور الحكومة الفارسية، فهو أمر مختلف عما كانت عليه الحال بالنسبة إلى البناء الجديد للمعبد الكبير فى أورشليم. ويُحتمل أنه استلزم تمويل البناء الجديد من أموال الجالية اليهودية.

هذا من أمر «أرشيف جالية يدانيا» وأهم الأمور التى تطرحها الوثائق المتعلقة به. ومن البدهى أنه توجد كذلك مجموعة كبيرة من الخطابات ذات مضمون تجارى وإدارى.

فثمة خطاب من هيئة من الموظفين أُرجع تاريخه إلى العام ٤٢٧، وموجه إلى الستراپ أرسامِس (A6.1 / *B10*)، ويتناول «حصة» ما من شىء لم يمكن التحقق من تحديد مفهومه عن كثب. ويُعَدُّ مكان اكتشاف ذلك الخطاب فى إلفنتين مفاجأة: فهل تم حجز الخطاب إلى حين تسليمه للستراپ بمناسبة زيارة له فى إلفنتين؟ أم هل هو ثانية مسودة خطاب أو نسخة طبق الأصل منه؟ وعلى الرغم من حالة حفظ البردية الجديرة بالرثاء، فإنها توضح بصورة جيدة العادة المعروفة أيضًا من خطابات آرامية وديموطية معاصرة، من حيث الإشارة إلى توجيهات سابقة ومثيلاتها من خلال استشهادات بحذافيرها. وعلى الرغم من سوء حالة حفظ وثيقة من هذه النوعية، فإنها لذاتها يمكن أن تكون مهمة لدراسة الإدارة وكذلك الموروثات التقليدية الفرعية للأسماء المصرية ومدلولاتها التى تحتويها. ففى النص تُذكر أسماء الكتبة فى إقليم پمونپرع (أو مصحفة كالتالى: پا-مو-ن-پا-رع)، بمعنى «ماء رع»، وهو فرع النيل التانيسى، الذى يشمل المدينة الحصينة تاحپانحِس (دافناى)، بوصفها وحدة إدارية.

كذلك توجد وثيقة أخرى غير عادية يعود تاريخها إلى عام ٤١١، أى فترة قصيرة قبل تدمير معبد ياهو، وهى خطاب للستراپ أرسامِس، يتناول تصليح مركب طقسية كبيرة على نفقة الدولة (A6.2 / *B11*). ومن الأنسب أن يُعالج مضمون هذه الوثيقة فى إطار الفصل المختص بالكاريين، لكن تكفى هنا الإشارة إلى أن هذه البردية تحتوى على عدد كبير جدًا من المصطلحات الفنية الملاحية التى تُعَدُّ إلى حدٍّ كبير دلالات صوتية لتعبيرات مصرية أصلية. وتمثل الوثيقة مصدرًا ذا قيمة بالغة فى معرفة فن بناء السفن، لكنها تُعَدُّ أيضًا مصدرًا لا ينضب معينه، نظرًا إلى الاصطلاحات الفنية غير واضحة المعنى فى أغلب الأمر.

وأخيرًا، تمثل خطابات أرسامِس وأصدقائه المقربين إلى نُظَّار وسياتهم فى مصر مجموعة كبيرة نسبيًا، وهى مؤلفة من ١٣ مخطوطة فى حالة حفظ جيدة بالكامل (A6.1-16)[٣٠]، تُضاف إليها شذرات عديدة غير ذات أهمية. وقد كُتبت أغلب هذه الخطابات (A6.3-16) فى الفترة فيما بين عام ٤١٠ وعام ٤٠٧، عندما

كان أرسامِس يقيم فى بلاط ملك الفرس بعيدًا عن ستراپيته. وليس معروفًا مكان اكتشاف تلك المجموعة من الوثائق الذى وقع على الأرجح فى منطقة منف، وطابت تسميتها «خطابات درايڤر» Driver Letters، وفقًا لاسم أول من قام بنشرها[٣١]، وإلى جانب ذلك، لم تُكتب على بردى، لكن على جلد، ثم جُمِعَت وحُفِظت فى حقيبة جلدية. وأغلب الظن أنها كانت حقيبة نِختحُور الدبلوماسية، الذى سوف نسمع عنه بعد قليل. ولا تتناول الوثائق أمورًا رسمية، لكنها تتحدث عن إدارة المِلكية الزراعية للستراپ فى مصر السفلى، وهى فى شكل أسئلة متصلة. وقد شغِل أرسامِس منصبه حوالى نصف قرن من الزمان، وكان رجلاً لديه الكثير من المال، فاستحوذ على أراضٍ زراعية ليس فى مصر فحسب، وإنما أيضًا فى آشور، وبابل، وسوريا. وكما يُعتقد، لم يلعب عالم يهود إلفنتين الدينى فى هذه الأثناء أى دور. غير أنه لا يُفتقر فى هذه الخطابات إلى تفاصيل حضارية ذات دلالة كبيرة، إضافة إلى تلميحات تاريخية على جانب كبير من الأهمية.

إن الخطابات جميعها ليست مؤرخة؛ لكن تأريخها النسبى ممكن فى الغالب على أساس معايير داخلية معينة فى النص. وأقدم خطاب هو رقم ٢ (A6.4)، وفيه يُفترض أن پسمَّاتيك ابن عَنخحَاپى بوصفه وكيلاً جديدًا لممتلكات الضياع المصرية لأرسامِس قد تلقى فورًا المخصصات المالية المدفوعة لأبيه حتى ذلك الوقت. وبذلك أيَّد أرسامِس شكوى مرفوعة بهذا الشأن من پسمَّاتيك. وفيما يبدو أن السلطات الفارسية المحلية قد امتنعت عن دفع تلك الأموال له، وإلا كانت نصوص مصرية قد ذكرت لقب وكيل الممتلكات هذا بوصفه «مشرف الدار ‹الكبيرة›»(*)؛ ففى الآرامية يرد فقط لقب «موظف» (پِقيد) شائع الاستعمال.

وحدث فيما بعد أن لاذ بالفرار ثمانية مصريين من عبيد والد پسمَّاتيك المدعو عَنخحاپى، ومعهم منقولات غير محددة مملوكة لپسمَّاتيك. لكن فيما يبدو أنه نجح فى القبض عليهم؛ على أية حال، فقد أمر الستراپ فى خطاب رقم ٣ (A6.3)

(*) أى الأملاك الزراعية، والأموال الأميرية (إيمى-را پر ‹ور›)، (المؤلف).

بالاستجابة إلى طلب پسمَّاتيك بمعاقبة العبيد. وكانت تخضع وحدة عسكرية محلية لتعليمات وكيل الأملاك، وهو ما نستخلصه من خطاب رقم ٤ (A6.8)، حيث رد الستراپ فيه على شكوى سابقة لپسمَّاتيك بعدم اكتراث قائدها بإطاعة الأوامر. فقام أرسامس بإنذار ذلك الشخص بعبارات خشنة. والجدير بالذكر هو الأصل الأناضولى لهذا القائد، الذى نستنتجه من اسمه أرماپيا، أى «عطية القمر». وفى الواقع، يُذكر بشكل صريح فى النصوص أيضًا كيليكيون: ففى خطاب رقم ٥ (A6.7)، أصدر أرسامس أمرًا بالإفراج عن ١٣ شخصًا من الكيليكيين المذكورة أسماؤهم، وأن يستأنفوا عملهم ثانية، حيث كان يعمل هؤلاء فى أملاكه وانضموا إلى انتفاضة مصرية. وليس ثمة شك فى أن ذلك الإفراج لم يكن فقط من أسباب حب المرء لإخوانه فى الإنسانية!

وبصفة عامة، يتكرر الحديث فى هذه الخطابات عن ثورات. وليست لدينا أخبار عن ذلك من مصادر أخرى غير آرامية، لكن من المنطقى للغاية أن تكون ثمة علاقة ما مع تلك الاضطرابات التى دُمِّر فى مجراياتها معبد ياهو فى إلفنتين. ففى الخطاب رقم ٥، الذى تحدثنا عنه توًا، يُذكر فى السطر السابع اسم شخص قد يشير نظرًا إلى إضافة صفة «الملعون» إلى أحد الثوار أو زعيمهم، وهى أيضًا الصفة نفسها المعروفة لنا جيدًا عن ڤيدرانجا. وبطبيعة الحال، وكما هو معتاد، فإن البردية فى هذا الموضع تحديدًا قد لحق بها التلف بصورة قوية، إلى حدٍّ يصعب معه إعادة ترميم الاسم. ومن جانب آخر، اقترحت تكملة الاسم بوصفه «إيناروس»[٣٢]، وهى تكملة محتملة جدًا من حيث طريقة كتابتة. لكن تبعًا لترتيب الأحداث وتسلسلها الزمنى، فإنه من المستبعد بدرجة لا بأس بها مطابقة هويته مع شخصية ذلك الأمير الليبى إيناروس، الذى قام بثورة فى عام ٤٦٤ تقريبًا، وصُلب فى عام ٤٥٤. إذ إنه فى تلك الحالة يستلزم أن تكون نصوصنا أكثر حداثة نصف قرن، لكن تأخير تاريخها لا مبرر له. لهذا السبب تؤيد غالبًا استنادًا إلى درايڤر Driver قراءة آنو-دارو[٣٣]. ولم يترتب على ذلك بالطبع رأى أفضل لتحديد هوية ذلك الرجل، وفضلاً عن ذلك عدم وجود هذا الاسم بصفة عامة. أما «إيناروس»، فهو اسم مفضل للغاية، يُحتمل أن يكون قد حمله أيضًا ثائر آخر فيما بعد[٣٤]!

لم يستمر پسمَّاتيك ابن عَنخحاپى طويلاً فى تأدية وظيفته، وليس معروفًا الخلفيات التى كانت وراء اختفائه؛ لكن فيما يبدو أنه لم يكن مغضوبًا عليه، لأنه كان بالنسبة إلى أرسامِس شخصيًا مثالاً مجتهدًا يجب أن يحتذى به خليفته نِختحُور. ومن خطاب رقم ٦ (A6.9)، يُستنتج بصورة غير مباشرة أن نِختحُور قد رافق الستراپ إلى بابل، وكان عليه أن يسافر من هناك إلى مصر لتولى منصبه الجديد. وإننا لنتذكر أن ونأمون لم يتمكن من إثبات هويته وقتذاك فى دُوْر وجُبيل، لذا تحمل كل ضروب الأذى[٣٥]. هنالك كان نِختحُور أسعد حالاً بكثير: فقد زوده الستراپ بخطاب توصية يُطلِع الموظفين المختصين فى الولايات التى كان عليه أن يجتازها فى طريقه البعيد، ويخوِّل له تلقى المؤن الغذائية المذكورة بدقة ولعشرة من أتباعه ولخيوله. وفى أسلوب مشابه وقبل مائة عام، شدَّ الرحال وچاحوررسنت من «بلد أجنبى إلى بلد أجنبى»[٣٦]، حتى وصل فى نهاية المطاف إلى مصر، فجاء فى هذا السياق: «أعطوهم تلك التعيينات، كل موظف حسب ترتيبه، على طول الطريق من ولاية إلى أخرى، حتى يصل إلى مصر». وللحيلولة دون استخدام غير لائق لهذه الامتيازات، والاحتياط من إطالة فترة السفر منذ البداية، فقد ورد عقب ذلك: «وإذا ما مكث فى مكان ما أكثر من يوم، فلا تعطوهم لهذه الأيام (الزائدة) تعيينات إضافية!».

وفيما يبدو أنه كان هناك بعض التبرم مع وكيل الأملاك الجديد. ففى خطاب رقم ٧ (A6.10)، يشير أرسامِس لنِختحُور إلى أن سلفه پسمَّاتيك فى تلك الفترة «عندما ثار المصريون» – ومن ثَمَّ، فهى إشارة ثانية إلى القلاقل – قد حافظ على الأملاك الزراعية للستراپ فى مصر بما فى ذلك طاقم التابعين لها من الخسائر، بل زاد أيضًا هذه الأملاك. وكان قد سمع كذلك من وكلاء أملاك آخرين فى مصر السفلى أشياء مشابهة، علينا أن نستنتج منها أنه عُهد لنِختحُور بإقطاعية زراعية واحدة فقط من إقطاعيات عديدة، «لكنكم لا تتصرفون كما ينبغى أن يكون». وبالإشارة إلى تنبيه كان قد ورد من قبل، شُدِّد على نِختحُور، بأن يجعل فورًا هذه الأمور نصب عينيه بمنتهى الدقة، وأن يضاعف من أملاك أرسامِس، وأنه فى حالة عدم حدوث ذلك كان عليه أن يتوقع عواقب وخيمة. وفى سطور هذا الخطاب،

يُشار إلى عادة نعرفها أيضًا من المجتمع المصرى التقليدى[٣٧]، وهى أن طاقم الخدم «من الحرفيين كافة أو أيضًا من كل الأعراق» الذى عمل حديثًا فى بلاط الستراپ كان يُسيّم بختم.

وليس الستراپ فقط، بل أيضًا أفراد آخرون من الطبقة الأرستوقراطية الفارسية، ولا سيما من البيت الملكى، كانوا يستحوذون على ملكيات زراعية فى مصر. ففى خطابين من الأرشيف (Nr. 10/11 = A6.13-14)، طُلب أخيرًا من نِختحُور القيام بتسليم أمير فارسى (حرفيًا: «ابن البيت») يُدعى ڤاروڤاهيا حقه من إيرادات إقطاعيته وإرسالها إلى بابل، إلى جانب إيرادات أرسامس، حيث كان الأمير المذكور وأرسامس يوجدان هناك فى ذلك الوقت. وعلينا أن نقول بوضوح «نقل»، بدلاً من «تسليم»، لأننا نتخيل أنها كانت قافلة تنوء بالحمل ومؤمنة عسكريًا. وفيما يبدو أن وكيل الأملاك الشخصى لڤاروڤاهيا، وهو شخص يُدعى أخاتوباسته («أخته باستت»)، كان قد اتهم على ما يبدو بالتقصير المفرط خلال فترة القلاقل، وكان على نِختحُور أن يمارس معه الضغط اللازم.

فهل كان نِختحُور إذن هو الرجل المناسب فى ذلك الوقت بالذات؟ قد يُستنتج بوجه خاص من شكاوى الستراپ وأصدقائه المقربين بأنه كان شخصًا غير مريح تمامًا ولا يُعتمد عليه كلية. ففى خطاب رقم ١٢ (A6.15)، كان عليه أن يتحمل التوبيخ فى ثلاثة مآخذ دفعة واحدة: فقد رفض تسليم عـــدد من الرجال الكيليكييـــن – البادى للعيان أنهم كانوا عبيدًا – لموظف فارسى، واستولى ظلمًا على نبيذ من منطقة پاپريميس وعلى غلال، ولم يخشَ فى نهاية المطاف ضربه وسرقته لخدم سيدة فارسية أرستوقراطية. ولا بد أن نتعجب من أن مرسل الخطاب الذى لم يقم برد فعل أكثر صرامة لم يكن فى هذه المرة أرسامس شخصيًا، لكنه كان أمين سره، بل على ما يبدو أنه كان قرين السيدة المذكورة آنفًا. وما يثير الدهشة هو أن تلك الأفعال المتصلفة لشخص مثل نِختحُور لم تكن خفية، على الرغم من مسافات بعيدة لا يُستهان بها من السلطة المركزية.

وتُعدُّ العقود بسبب صياغتها الشكلية الرسمية أقل من الخطابات من حيث اتساع موضوعاتها ووفرة تنوعها، لكنها بدهيًا لا تقل أيضا أهمية عنها بوصفها مصدرًا مهمًا لفهم المجتمع اليهودى والآرامى فى مصر خلال العصر الفارسى. ففى برديات إلفنتين التى تشكل الجزء الرئيسى من المادة الوثائقية تبرز مجموعتان كبيرتان، وهما أرشيف ميبطاحيا وأرشيف عنانيا.

وميبطاحيا التى سُمّى الأرشيف الأول (B2.1-11 / *B23-33*) باسمها، وُلدت حوالى عام ٤٨٠ – أى فى عهد إكسيركسيس – بوصفها صُغرى أولاد ماحسيا (شكل ٤٥). وكان أبوها يهوديًا، لكن أُشير إليه عادة (بالنسبة إلينا) على سبيل الخطأ بوصفه «آراميًا من سوينه»، ومرة واحدة فقط ذُكر بأنه «يهودى فى قلعة إلفنتين»، وقد خدم فى الكتيبة لدى اثنين من القادة الفرس على التوالى: لا بد من التذكير مرة ثانية بأن هؤلاء القادة فى ذلك الوقت لم يكونوا مصريين أو يهودًا قط. وكان أحد ولديه هو جماريا، وهو ربما والد ذلك المدعو يدانيا، الذى كان عليه فيما بعد لعب دور كبير كزعيم للجالية اليهودية فى إلفنتين. وامتلك ماحسيا بيتًا صغيرًا مهدمًا ورّثه لابنته حال حياته فى عام ٤٥٩ بمناسبة زواجها (B2.3/*B25*). وكانت البيوت المجاورة لثلاثة يهود، وخوارزمى، ومصرى؛ وهذا الأخير كان «مراكبى المياه الوعرة»، وتعنى الجندل الأول[٣٨]، الذى ورث بيته عن أبيه. ويرجع السبب فى معرفتنا كل شىء بدقة إلى أن وثائق بيع البيوت والأراضى وما شابه تبين بوضوح حدود الجيران المختصين، سواء كان ذلك فى وثائق ديموطية أو آرامية. وأحد هؤلاء اليهود الثلاثة، وهو يزانيا (لا يجوز خلط اسمه مع يدانيا)، أصبح زوجًا لميبطاحيا. وقد خوّل أبوها لزوج ابنته، وهو رفيق سلاح خدم بالسرية نفسها، حق الانتفاع بالبيت بصورة رسمية سويًا مع زوجته (B2.4 / *B26*). كما كان عليه أن يقوم بتنفيذ أعمال إصلاحات معينة بالبيت. وعلى هذا النحو، تم الحصول على مزيد من مكان للسكنى فى أعمال البيت الجديدة أكثر مما كان فى حوزتهم فى الأصل. وطبقًا لنص العقد، كان يحق البيت للورثة المتعاقبين فقط من أولاد الزوجين سواء بسواء.

وفى غضون السنوات العشر التالية، مات الزوج وترك أرملة من دون أن يخلِّف ذرية. وفى عام ٤٤٩ طلب مهندس معمارى[٣٩] ذو الاسم المصرى إيسحور ابن چدحر يد الابنة من أبيها ماحسيا. وقد بقى لنا عقد الزواج محفوظًا مع قائمة تفصيلية لجهاز العروس (B2.6 / *B28*). وإذا كان هذا الرجل مصريًّا فعلاً، فإنه يثبت من خلال هذا الزواج المختلط أننا كنا ولا نزال بمنأى عن الأحكام الصارمة التى وردت فى سِفر عزرا (٩–١٠)، حين أمر بحل مثل هذه الزيجات من دون حل وسط، بل بطرد الزوجات الأجنبيات فيما يبدو.

ومما يدعو إلى الاستغراب أن إيسحور بوصفه مصرى المولد، إذا ما كان مصريًّا حقًّا (!)، يُعرف فى بعض الأحيان بالاسم السامى ناتان؛ فهو بذلك كان قد اتخذ اسمًا ثانيًا. وفى حالات مشابهة، يندر للغاية أن يتخذ مصرى ممن عاش فى الوطن فى عصر ما قبل البطلمى اسمًا أجنبيًّا. إذ يُستدل على مثل ذلك فى فترة الحكم الآشورى العابر (قارن نابوشزيبانى، الذى أصبح پسمَّاتيك الأول فيما بعد)، لكن مثل هذه الأسماء المزدوجة قد أجبروا بالطبع على اتخاذها من قِبَل هؤلاء الغزاة. على أنه لا يجوز الحديث هنا عن ضغط سياسى فيما يتصل بإيسحور المعروف باسم آخر، وهو ناتان، لكنه ببساطة اعتراف بالتغييرات الاجتماعية والثقافية الجديدة. هَلا، لهذا السبب فلا عجب أن كلا الطفلين اللذين جاءا من هذا الزواج كانا يحملان الاسمين اليهوديين الشائعين فى عائلتهما يدانيا وماحسيا.

وقد افترض فيما مضى أن ميبطاحيا فى الفترة بين وفاة زوجها الأول وزواجها بإيسحور كانت قد تزوجت برجل آخر، وتحديدًا بـ «مهندس معمارى لقلعة سوينه»، المدعو پايو (؟)، الذى كان مصريًّا أيضًا طبقًا لرأى شائع[٤٠]. لكن وفقًا لأبحاث علمية حديثة، فإن هذا الزواج لم يكن جائزًا لأسباب زمنية، فقد كانت ميبطاحيا فى ذلك الوقت متزوجة بإيسحور؛ والوثيقة المتصلة بهذا الشأن من العام ٤٤٠ (B2.8 / *B30*) تخلص فقط إلى أن پايو (؟) كان يختصم مع ميبطاحيا فى قضية بسبب أموال معينة، وأن عقد زواجها كان قد تم إيداعه ضمانًا. وليس فقط آراميو خطابات هيرموپوليس، بل أيضًا يهود إلفنتين بوجه خاص، لم يأنفوا من أداء القسم لدى معبودات أجنبية: فقد أدت ميبطاحيا وفقًا لهذه الوثيقة يمين القسم

للمصرى پايو (؟) لدى الإلهة المحلية ساتيس. ولم تكن هذه المجاملة شيئًا بدهيًا، فقد أدى الأب، والأم، والأخ قبل ذلك لخوارزمى يمين القسم لدى الإله اليهودى ياهو[٤١]!

وكان كاتب هذه الوثيقة هو پتيسيه ابن نابوناتان (أى «نابو أعطى»)، وهو آرامى ذو اسم علم دولى حقيقى. ونحن نذكر تلك الظاهرة المألوفة لذاتها، لأن اسم پتيسيه بعينه ولأى سبب من الأسباب اتخذه أناس من غير المصريين بشكل شائع نسبيًا، وهو أمر أشرنا إليه فى إطار الحديث عن «رسول كنعان وفلسطين» المُتسم بالاسم نفسه[٤٢].

وملَّك والد ميبطاحيا ابنته بيتًا آخر مقابل إنجازات مادية غير نوعية، كان قد اشتراه من شخص بعينه يُدعى مِيشولاَّم، ومؤرخ فى عام ٤٤٦ (B2.7 / *B29*). وحينئذ أصبحت تمتلك الابنة ثلاثة بيوت: عدا ذلك البيت المذكور قبل قليل الذى ورثته عن زوجها الأول المتوفى، ثم ذلك البيت الذى ملَّكها والدها إياه وقتذاك. لذا، كانت ميبطاحيا فى أثناء ذلك ذات ثروة. ولم يكن البيت الجديد الذى تملكته أخيرًا يبعد كثيرًا عن البيتين الآخرين وكذلك عن معبد ياهو. وثمة مشكلة صغيرة لا تزال تنتظر الحل، وتتمثل فى جار الحد الغربى المدعو حاروچ (اسم مصرى) ابن پالطو (اسم سامى)، وهو كاهن لإله (أو إلهة) ضاع اسمه (أو اسمها) للأسف، عدا بدايته ونهايته[٤٣]. وفيما مضى، أُضيفت هنا كلمتا «خنوم وساتيس»، وهما تنسجمان فعلاً بصورة جيدة مع العلامات المتبقية؛ بيد أن الثغرة ضيقة جدًا لتلك الإضافة. وفى كتاب بزالِل پورتن Bezalel Porten (*TAD*) المذكور سالفًا فى صفحة ١٢٢، نقرأ فضلاً عن ذلك الصيغة المفردة «الإله» عقب اسم الإله[٤٤]. وبما أن حِروص – على الرغم من اسمه المصرى[٤٥] – كان ساميًا، فإنه من غير المرجح تمامًا فى هذا الصدد أنه كان كاهنًا لطقوس عبادة مصرية، ولا بد أنه قد عاش حياة مصرية سامية مزدوجة.

وحتى عام ٤٢٠، كان الزوج الثانى لميبطاحيا قد مات أيضًا. وكان على ابنى إيسحور / ناتان المذكورين سالفًا أن يتحملا حينئذ وزر أبيهما بسبب اختلاسه المزعوم للوازم معينة، وكان قد احتفظ بهذه الأشياء لأناس آخرين؛ إلا أنهما نجحا فى إرضاء الشاكين، لكن لم يُذكر كيف تمَّ ذلك، وإن كان من المرجح من خلال رد تلك اللوازم أو التعويض عنها (B2.9 / *B31*). وماتت ميبطاحيا أيضًا بعد ذلك بفترة قصيرة، وقد برهنت وثيقة أحدث أربع سنوات (B2.10 / *B32*) انتقال وراثة بيت زوجها الأول (يزانيا) إلى أولادها من زواجها الثانى. وإننا لنتذكر فى ذلك أن زواجها الأول لم يخلِّف ذرية؛ وتنازل ابن أخ ليزانيا رسميًا عن أى حقوق له.

ويرجع تاريخ أحدث وثيقة إلى سنة ٤١٠، وهى فترة تدمير معبد ياهو. وتتناول هذه الوثيقة توزيع عبدين من ملكية ميبطاحيا بين كلا الابنين يدانيا وماحسيا (B2.11 / *B33*). فحصل أحد الإخوة على عَبْد يُدعى پتوزيرى، وحصل الأخ الثانى على العبد الآخر المدعو بيلِّه. أما أم العبدين المدعوة تابى، إضافة إلى ابن ثالث لها يُسمى ليلُّو فقد تبقى تقسيمهما آنذاك. ونرى هنا مرة ثانية كيف يُنظر إلى طبقة بسيطة من الخدم أو لنقل بصراحة طبقة من العبيد بوصفهم ممتلكات تُورَّث وتُقسم وتُباع، مع كل حسن المعاملة التى يمكن أن يكونوا قد حظوا بها فى تلك الحالة الاستثنائية. ونجد هنا الوصف المذكور للعبيد من خلال ختم الوسم ونصه «(تابع) لميبطاحيا». وأسماؤهم من دون استثناء مصرية[٤٦]؛ ونخلص من أمر ذلك هنا أيضًا وبصورة بدهية بليغة تمامًا إلى أصول هؤلاء الأفراد.

ويُسمى الأرشيف الكبير الآخر باسم رجل يُدعى عنانيا (B3.1-13 / *B34-46*) (شكل ٤٦). وعلى الرغم من أن هذا الأرشيف قد سبق اكتشافه فى القرن التاسع عشر فى إلفنتين، فإن البرديات قد نُشرت فقط فى الخمسينيات من القرن العشرين فى مجلد رائع ضخم. ووفقًا لناشره الأول، يحلو للبعض الحديث عن برديات كرايلنج (Kraeling-Papyri)[٤٧] كتسمية لذلك المجلد. ولعل الشخصية الرئيسية للأرشيف هو عنانيا / عنانى ابن عازاريا الذى كان بمثابة ناظر[٤٨] لمعبد ياهو. وفى الوقت نفسه، عندما تزوجت ميبطاحيا بإيسحور (عام ٤٤٩)، كان عنانى قد

تزوج سيدة صغيرة السن نسبيًا تُدعى تامت أو تاپمت ابنة پاتو[٤٩]، وكانت أمة لميشولاًم المذكور سالفًا الذى كان يمثل نوعًا ما همزة الوصل بين أرشيف عنانى وأرشيف ميبطاحيا (B3.3 / *B36*). ومن خلال هذا الزواج، نجحت فى الوصول إلى وضع شبه الحرة، بما يتضمنه ذلك من أن العريس لم يدفع لها مهرًا (مُهار فى الآرامية). فكان جهازها وفقًا لأصلها متواضعًا للغاية؛ فاشتمل بالكاد على ما كانت ترتديه على جسدها. ومن ثمَّ، فلا عجب أن صيغة الرضا الشائعة قد حُذفت هنا. لكن وفقًا لعبارة إضافية يُستنبط منها أن عنانيا قد قام بتحسين جهازها.

ومن المربك أن تاپمت كان لديها طفل قبل ذلك، وبالأحرى ابن يُدعى پيلطى. واقترحت تفسيرات مختلفة بالنسبة إلى هذا الشأن لا نستطيع تناولها الآن. وبعد اثنتى عشرة سنة (عام ٤٣٧)، اشترى عنانى البيت المهمل من شخص قزوينى (B3.4 / *B37*)، حيث سَجَّل غرفة فيه باسم زوجته (B3.5 / *B38*). ومن المهم أيضًا تلك البيانات الطوبوغرافية التى وردت عن جيران البيت، وهو يشبه فى ذلك ما جاء فى أرشيف ميبطاحيا: ففى الغرب وقع معبد ياهو، وما بين ذلك كان الشارع العام الكبير، وفى الشرق وقعت «دار خزانة الملك». والجهات الأصلية «شمال» و«جنوب» يُطلق عليها «فوق» و«تحت» فى النصوص الآرامية. وهنا يطرح السؤال نفسه عن تفسير تلك المصطلحات الغامضة: فهل اتخذ كتبة الوثائق الآرامية العادة المصرية، بحيث تقع جهة الشمال إلى أسفل وجهة الجنوب إلى أعلى، أم أن الأمر ليس كذلك؟ وأسفر الأمر تبعًا لذلك عن فرضيتين مختلفتين كل الاختلاف لخريطة الحى اليهودى فى إلفنتين. فأوضحت أحدث الأبحاث الأثرية فى النهاية الأمر المرغوب فيه، فأيدت إعادة التصميم السابق لپورتن[٥٠] Porten.

والسؤال الآخر هو معنى «تمى زى حنوم» (TMY ZY ḤNWM)، وما إذا كان المقصود بذلك هو الحد «الجنوبى» للبيت المشار إليه. ونحن نميل إلى فهم ذلك بأن المقصود هو «مدينة (*dmy*) خنوم». لكن لأسباب لغوية، فإن التعبير الآرامى يُفهم بصورة أقرب بأنه «طريق (تاميت) خنوم»، إذ إن مثل هذه البيانات ترد كثيرًا فى الوثائق الديموطية[٥١]. غير أنه من الناحية الأثرية المحنكة يثبت أنه

لا يمكن الحديث عن «طريق خنوم»، الذى كان يجرى موازيا لـ «شارع الملك» مباشرة؛ بل يُرجح أن المقصود تبعًا لذلك هو مناطق التموين الملحقة بمعبد خنوم(٥٢).

وفى عام ٤٢٧، أى بعد فترة طويلة من زواج تاپمت من عنانى، أعتقها سيدها ميشولاّم بنص وصية، نظرًا إلى وفاته الوشيكة (B3.6 / *B39*). وانتقل عتقها بوضوح أيضًا إلى يهويشمع، الابنة من هذا الزواج؛ وحتى ذلك الوقت، كانت تُعَدُّ من الناحية القانونية ابنة لميشولاّم، فهو يقول: «ابنتك التى ولدتها لى». وفى المقابل، التزمت تاپمت ويهويشمع مع توقيع عقوبة صارمة فى حالة عدم تنفيذ ذلك، بأن تكونا عونًا للعجوز ميشولام، «كما يساعد الابن أو الابنة الأب»، وأن تمتد هذه المساعدة إلى زاكُور ابن ميشولاّم. فأصبح زاكور أخًا بالتبنى ليهويشمع. بعد ذلك بسبع سنوات، أى فى عام ٤٢٠، كشف الأخ المتبنى النقاب عن دور الأب عنانيا المتوفى قبل ذلك بفترة قصيرة، لأن شخصًا آخر يُدعى عنانيا (ابن حَجَّاى) كان قد تزوج فى ذلك الوقت بيهويشمع بعقد زواج مُوثّق (B3.8 / *B41*).

إن من اللافت للنظر هو ذلك التنوع العرقى لشهود الوثيقة – الذى يشبه جيران البيت – وهم فى العادة ثمانية شهود أو اثنا عشر شاهدًا، لكن من النادر أن يكونوا أربعة شهود. وبينما لا نجد إلا نادرًا أجانب فى العقود الديموطية، يظهر هنا إلى جانب اليهود والآراميين أيضًا بابليون وفرس، بل قزوينى(٥٣) أحيانًا. والسبب فى ذلك بطبيعة الحال أن أناسًا من شتى الأصول المختلفة قد عملوا فى إلفنتين وفى أماكن أخرى وكانوا جيرانًا بجانب بعضهم.

وفيما يتصل ببناء الوثائق الآرامية وصياغتها، فقد تأكد وجود تطابقات كثيرة لافتة للنظر مع الوثائق الديموطية. وقبل بضع سنوات، كان بزالل پورتن B. Porten قد عرض دراسة أولية عنها، بل إنه طرح سلفًا السؤال المهم التالى فى عنوان مقالته نفسها، ألا وهو Who is the Borrower and who the Lender? «مَنْ المستعير ومَنْ المعير؟»(٥٤). ولم يكن الرد على هذا السؤال شاملاً فى اتجاه

عمن هو المستعير أو المعير؛ فالظاهر للعيان وجود تقليدين متشابهين فى بعض النواحى للصياغة اللفظية والقانونية المأخوذة من الآشورية الحديثة-البابلية والديموطية اللتان انصهرتا مع بعضهما فى الآرامية(٥٥). لكنه مع ذلك، يبدو واضحًا فى بعض الحالات أن صيغ وثائق آرامية قد تُرجمت من المصرية. ففى عقد إيجار مبكر، استعير لفظيًا مدلول نوعى مركب(٥٦). واتسمت أيضًا وثائق كثيرة بالتواريخ المزدوجة وفقًا لمسميات الشهور الساميـــة والمصرية، أى على سبيل المثال: «فى ١٨ أيلول، وهو يوم ٢٨ بشنس، العام ١٥ من حكم الملك إكسيركسيس»، وهو ما يمكن مقارنته أيضًا بالتأريخ وفقًا للتقويم المقدونى والمصرى فى المراسيم المتعددة اللغة. وفيما يتصل بعكس ذلك، أى تأثير صيغ آرامية على الديموطية، فإنه من الصعب وجود أسانيد بالطبع.

ولا بد من التطرق أيضًا إلى أن عددًا كبيرًا من البرديات الآرامية المكتشفة قد عُثِر عليها فى إطار الحفائر الإنجليزية فى سقارة؛ لكن للأسف فهى فى كثير أو قليل فى حالة تدمير شديد(٥٧)، وهو ما يسرى كذلك على الشذرات البردية التى كشف عنها معهد الآثار الألمانى بالقاهرة فى عام ١٩٨٨ فى إلفنتين، وهو مكان الاكتشاف الرئيسى للآراميات فى مصر(٥٨).

أيضًا، ثمة نص يمكن أن يكون أقل شهرة يعود إلى النصف الأول من القرن الخامس، وكان ضخمًا جدًّا فى الأصل، وتم فك طلاسمه فى السنوات الأخيرة فقط. واحتوى فى الأصل على حوالى ٧٠ عمودًا، بقى منهم ٤٠ فى حالة حفظ سيئة تقريبًا. وهو عبارة عن سِجل جمركى («Customs Account», C3.7)(٥٩) من العام الحادى عشر لحاكم لم يُذكر اسمه، فهو إما أن يكون إكسيركسيس وإما أرتاكسيركسيس الأول. وسُجِّلت الرسوم الجمركية التى حُصِّلت إجمالاً من ٤٢ سفينة تجارية أجنبية، وتم توريدها إلى الخزانة الملكية. ومن هذه السفن، كانت ٣٦ أيونية الأصل، وتحديدًا من فاسيليس الواقعة على الساحل الغربى لآسيا الصغرى، وكانت البقية فينيقية. ومكان التحصيل الذى لم يُشر إليه فى النص كان على الأرجح

ثونيس[٦٠] المعروف من لوحة ناوقراطيس عند مصب فرع النيل الكانوپى، وبعد دفع رسوم الجمارك، كانت السفن تواصل الإبحار إلى ناوقراطيس. وخضعت نوعية تلك الرسوم ومقدارها لحجم وأصل هذه السفن. ومما له دلالة كبيرة أنه كانت تُفرض على السفن اليونانية – التى جاءت من بلاد مليئة بالذهب والفضة (!)، كما نود أن نتخيل – أداء رسوم أرضية بالذهب والفضة، بينما كان على السفن الفينيقية تسليم عُشر حمولتها. وأُشير إلى النبيذ والزيت بصورة رئيسية لكونها بضائع مستوردة، لكنها لم تخلُ كذلك من «تربة بذور»، وصُدِّرَ «عبر البحار» بصفة منتظمة ملح النطرون.

وفى حين أن النصوص الآرامية تنحدر أكثر من غيرها من وثائق القرن الخامس، إذ تُحدد نهاية المستعمرة العسكرية بعد عام ٤٠٠ بفترة قصيرة، فإن بعض النصوص من أماكن اكتشاف أخرى غير إلفنتين، تعود إلى تاريخ أحدث من ذلك. فهناك قائمة حسابية طويلة من مكان غير معروف (وفقًا لبيانات تاجر فى الأقصر تنحدر من قوص)، تحتوى على أسماء أعلام يهودية ويونانية كثيرة، ويعود تاريخها طبقًا لكتابتها إلى القرن الثالث (C3.28). وإلى جانب ذلك، فإنه لا توجد أية أسماء يونانية فى برديات إلفنتين على الإطلاق.

° ° °

إلى جانب المصادر الوثائقية الكبيرة – فيما عدا اللخاف الفخارية التى اضطررنا إلى أن ندعها جانبًا تمامًا[٦١] –، توجد أيضًا مجموعة من النصوص الأدبية وُضعت بالكتابة الآرامية. ويجب أولاً ذكر النقوش الملونة Dipinti سيئة الحفظ (D23.1)، وهى نتيجة لذلك صعبة القراءة، من إحدى المقابر فى بلدة الشيخ فضل فى مصر الوسطى، الواقعة حوالى ١٨٥ كم إلى الجنوب من القاهرة، قبالة بنى مزار. ويعود تاريخ هذه النقوش من حيث طريقة كتابتها إلى النصف الأول من القرن الخامس؛ غير أنه يُذكر فى مضمونها «تاهَرقا ملك الكوشيين»، و«الفرعون نيخو»، والملك الآشورى «آس<ار>حدون»، مشيرة بذلك إلى فترة أبعد قدمًا، أى من بدايات الأسرة الصاوية فى العقود الأولى للقرن السابع. والجدير بالملاحظة

أيضا هو نقل حروف تسمية الإله «أتوم سيد أون (هليوپوليس)» مباشرة من اللغة المصرية إلى الحروف الآرامية، وظهور «پسمًاتيك مطوش». وإلى جانب ذلك، ينسجم تمامًا اسم حورى مع بيئة هليوپوليس حال ذيوع صيت «إيناروس»[٦٢] فى سائر أنحاء البلاد، وعلى سبيل المثال فى القصص الديموطية لمجموعة إيناروس وپتوباستيس التى يرد فيها أيضا ذكر الملك الأشورى آسرحدون و«آتوم، سيد هليوپوليس»[٦٣].

وفى موضع آخر، كان الحديث عن ٤٠[*]، وهو لا يشير إلى «على بابا والأربعين حرامى» فحسب، وإنما يُذكر كذلك بالأربعين رجلاً للبطل إيناروس أو ابنه المدعو پامى فى القصص الديموطية المذكورة سالفًا[٦٤].

وفيما يبدو أنها بمثابة رواية تاريخية تدور أحداثها فى المحيط المصرى[٦٥]. ومن الطريف على وجه الخصوص تلك المعالجة لمحتوى مصرى، لكن من ناحية أخرى كذلك هو مكان الحدث غير المألوف تمامًا لنص بهذا المضمون. وللأسف الشديد، أننا لدينا نص قليل الاتصال ببعضه للغاية، بسبب حالة الحفظ السيئة للوثيقة، ناهيك تمامًا عن وجود «خط أحمر». ومن المحتمل أن يكون ذلك هو أقدم مثال لخطأ فى كتابة قصة إيناروس حقيقية مقارنة بالقصائد الشعرية الديموطية المتعاقبة لهذا النوع!

وقد وردت على بردى كذلك قصة حور ابن پونيش (C1.2)، وهى للأسف أيضًا فى حالة حفظ سيئة للغاية. ويُستنتج من البقايا المتواضعة أن حورس هذا كان ساحرًا كبيرًا، و«تلا (قول مأثور) على سفن الملك»، حيث ترد فى استناد ظاهر للعيان على عبارات مصرية شبيهة؛ إذ يأتى أيضًا ذكر «آلهة مصر». وتوجد كذلك نبوءات يُشعر فحواها من الأدب المصرى بالألفة، مثل «والعدالة / الحق سوف ينقضى، وسوف [يهضم] المرء حق [أب]يه»، و«سوف يقتل المرء [سي]ده من أجل فضته». وفى النص، تستعمل لتعبير «سفينة» كلمة مصرية مقترنة بأداة التعريف وفقًا لعادة شائعة[٦٦].

(*) على الأرجح يلزم استكمال كلمة "رجل" فى الثغرة الموجودة بالبردية (المؤلف).

والشبهة بأن النسخة أو المعالجة الآرامية لموضوع مصرى فى الأصل تتأكد من خلال ذلك، وأن الشخص نفسه يُشار إليه أيضًا فى شذرات بردية أدبية ديموطية فى برلين(٦٧). وطبقًا للتقرير الأولى لتصاوتسيش Zauzich، يُذكر فى تلك الكسرات «كتاب السحر لتحوتى، ملك (كور) مروى، وصُنْع محفة محمولة من شمع خالص، وقراءة تعويذة سحرية، وما شابه». وفى هذا ما يشير إلى العالَم المعروف باسم القصة الثانية لستنا Setne-Roman، لكن يشير على نحو مؤكد أيضًا إلى بردية ڤانديبه Papyrus Vandier الأقرب زمنيًا من الموروث الآرامى(٦٨).

وإزاء ذلك، فإن قصة الحكيم أخيقار وأقواله (C1.1) أفضل جدًا من حيث حالة حفظها(٦٩). فقد ذاع صيت هذه الأشياء فى العالم القديم؛ إذ توجد ضمن ما يوجد أيضًا نسخ منها باللغة السُريانية، والعربية، والأرمينية، والتركية، والسلافية القديمة، والإثيوبية. وللمقارنة، يجب لفت الانتباه على سبيل المثال إلى الاقتباس القوى لكتاب الحكايات الخرافية الهندى القديم لمؤلفه بيدپا المعروف فى العربية باسم «كليلة ودِمنة» فى العصور الوسطى. ويُشاهد أخيقار ([أكـ]يكار) [AC]ICAR على ما يُسمى بفسيفساء مونُوس Monnus-Mosaik من القرن الثالث الميلادى فى ترير Trier بألمانيا وإلى جانبه موسه پوليهيمنيا Muse Polyhymnia(٧٠) (لوحة ١٠).

وتُعَدُّ النسخة الآرامية من القرن الخامس المتأخر أقدم النسخ، فيميزها جزء هيكلى أو قصصى يعطى الخلفية التاريخية، شبيهًا بما هو فى تعاليم عنخشِشَنقى الديموطية، وجزء آخر هو الحِكَم. وفى حالة أخيقار، نخلص إلى أن مجموعة القصص والحِكَم قد أصبحت مترابطة ببعضها فى فترة متأخرة، فالحِكَم تُنسب إلى القرن الثامن المتأخر حتى القرن السابع المبكر، وتعود القصص إلى حوالى القرن السادس.

إن الحكيم أخيقار الذى يُذكر أيضًا فى العهد القديم (توبيت ١، ٢١.٢٢؛ ٢، ١٠؛ ١٤، ١٠) هو مستشار الملك الآشورى سيناخريب وآسرحدون، ولم يكن خيالاً أدبيًا، لكن على ما يبدو شخصية تاريخية(٧١). وطبقًا للقصة، فقد تبنى ابن أخيه نادين، ونجح لدى الملك فى أن يصبح خليفة للعم الكهل. وإلى جانب ذلك، يُذكَر

وصف الأوضاع بشكل مدهش بصورة مشابهة تمامًا فى بردية رايلاندز ٩[٧٢]، لكنها محدودة من حيث تشابه الظروف الخارجية فقط. وفيما بعد، قام ابن الأخ الجاحد بتدبير مكيدة عند الملك ضد ولى نعمته، إلى حد أن أخيقار كان لا بد أن يُشنق. لكن الجلاد الذى كان عليه أن يقوم بشنقه كان مدينًا لأخيقار بالشكر، فخبأه حتى يهدأ حنق الملك – وهنا تتوقف القصة[٧٣].

إن الحِكَم التى لا نستطيع هنا الإسهاب فيها، ترد فى تقليد شرقى قديم، وغالبا ما تُذكِّر بالحكمة فى العهد القديم، ولا تشكل تأثيرات مصرية عليها، من حيث إن الشخص أخيقار أيضا لا علاقة له بمصر قط. وعلى الرغم من ذلك، فقد تُرجمت قصة أخيقار فيما يبدو إلى الديموطية، كما يُفهم من شذرتين برديتين من عصر القياصرة الرومان[٧٤]. وهى لذلك ذى أهمية، لأنه جرت العادة أن يُقتفى بولع شديد بتأثيرات الأدب المصرى (الديموطى) على أدب الجيران، ولا سيما اليونانيين، فى حين يُعترف بحدوث العكس كرهًا فقط وبصفة عامة.

والآن، نريد أن نتوجه إلى النقوش الآرامية غير الأدبية التى توضح اقتباس التصورات الدينية المصرية عند آراميين من غير اليهود، ومن ثمَّ تكيفهم الثقافى بعيد الأثر كثيرًا أو قليلاً والمرئى، من خلال تواصل الأسلوب الفنى المصرى والنقوش الآرامية، وهى ظاهرة نصادفها أيضًا بطبيعة الحال لدى أجانب آخرين فى مصر المرة بعد المرة.

تصور لوحة صغيرة (لوحة ١١) غير معروفة المصدر فى بروكسل[٧٥] فى خانة الصور إلى الأسفل – دُمرت خانة الصور العليا كلية، باستثناء قرص الشمس المجنح – المتوفاة عارية وهى راقدة على لوحة مومياء خشبية أو شىء من هذا القبيل. ونلاحظ على الفور، بل دون نظرة بجانب العين على النقش الآرامى، أن هذه اللوحة لا يمكن أن يكون قد صنعها مصرى (D20.2)، ونصها: «مباركة تماء (TM')، ابنة بكرنف (BKRNP) من أوزيريس». وكلا الاسمين مصريان، على أن اسم الأب يمكن مطابقته بوضوح[٧٦]. وحدد ليپينسكى Lipiński تاريخ هذه القطعة لأسباب تتعلق بطريقة الكتابة بنهاية القرن السادس. وإذا صح ذلك، فإنها تُعَدُّ أقدم لوحة آرامية معروفة من هذه الفترة فى مصر.

وثمة لوحة من سقارة كانت محفوظة سابقًا فى برلين (شكل ٤٧)، ودُمِّرت فى الحرب العالمية الثانية، وتؤرخ وفقًا للنقش الآرامى بالعام الرابع من حكم إكسيركسيس، أى عام ٤٨٢ (D20.3). ورُتبت المناظر فى ثلاثة صفوف: الظهور أمام أوزيريس، والتحنيط، والنحيب. ونلاحظ الرجال على وجه الخصوص بتسريحات شعر سورية، وكذلك القارورتين (الأمفورا) من طراز شرق البحر المتوسط المتشابهتين مع ما نشاهده أسفل النعشين، حيث نجدهما على لوحة فارسية مصرية من سقارة عُثِر عليها قبل فترة قصيرة(٧٧) (شكل ٦٦). ويظهر اسم السيدة السامية الأصل أختابو على لوحة برلين فى النص الهيروغليفى وأيضًا فى النقش الآرامى أسفل اللوحة، حيث يُذكر كذلك زوجها المدفون معها المدعو أبًا وابنها المدعو إياشِى-إيلى ('BSLY)(٧٨)، بصفته صاحب اللوحة. إن اسم هذا الأخير أكادى الأصل، وهو بالنسبة إلى الآراميين فى تلك الفترة لا يمثل شيئًا غير مألوف على الإطلاق. فقد أُشير من قبل فى الفصل الأول عن الليبيين إلى أن بيانات المصدر «من مدينة خاست ثمحو» تعنى أغلب الظن حامية ماريا العسكرية عند الحدود الليبية المصرية(٧٩).

ووفقًا للنقش، فإن كلا الوالدين «مباركان عند أوزيريس». والنوعية الخشنة لعمل اللوحة ونقوشها المصرية، توحى بالعمل المتمصر لأجنبى.

إن القطعة المعروفة باسم لوحة كاربنتراس Carpentras (شكل ٤٨) فى جنوب فرنسا (D20.5) تُعدُّ أحدث – حوالى القرن الرابع – مما تناولناه قبل قليل، وهى غير معروفة المصدر. ونالت تلك القطعة شهرة خاصة، لأنها تنتمى إلى النصوص الآرامية الأولى التى عُرفت فى أوربا، أى فى بداية القرن الثامن عشر، فنشاهد هنا أيضًا مناظر التحنيط والحزن المعروفة مع إيزيس ونفتيس. والنقش الموجود له دلالة كبيرة جدًا لاتخاذ العادات الجنائزية المصرية وتصورات العالم الآخر إلى أبعد حد ممكن، إذ يقول النص: «مباركة تابا ابنة تاحابى، المختارة عند الإله أوزيريس»(٨٠). وفى تلميح إلى «الاعتراف الإنكارى» Das Negative Bekenntnis فى محكمة الموتى، جاء: «لم تفعل سوءًا، ولم ترتكب وشاية ضد أى شخص.

مباركة عند أوزيريس؛ ولتتلقَ ماءً من أوزيريس!». إن هذه العبارة الأخيرة هى أيضا تخيل لما تشهد به النصوص المصرية الدينية والنقوش اليونانية فى مصر على أحسن صورة[٨١].

وتخللت تعبيرات فنية خاصة من المصرية متن اللغة الآرامية، فنجدها فى عبارة «اتبع المبرئين و[كُن] مع الممجدين [الأوزيريس]!»[٨٢]، حيث تصادفنا مثل هذه المعانى مرارًا وتكرارًا فى النصوص الدينية المصرية المتأخرة.

وتظهر لوحة غير معروفة المصدر (شكل ٤٩، لوحة ١٢) فى الفاتيكان (D20.6) فى الصف الأعلى المنظر المألوف كل الألفة للتحنيط فى ائتلاف مع منظر النحيب على المتوفى. والأجدر بالملاحظة هى تلك المناظر فى الصف الأوسط، وخاصة الأسفل: تقدمة القرابين، والإراقة على مذبح، ثم أسفل ذلك موكب لأعلام الآلهة وشاراتهم – وللمقارنة يوجد منظر مشابه فى المقبرة الطيبية لپاباسا من الأسرة السادسة والعشرين[٨٣] (شكل ٥٠)، وإلى اليسار منظر الحزانى ثانية. ويقول النقش: «عنخحاپى ابن تاخبس، المختار للإله أوزيريس». والأسماء مصرية خالصة مثل لقب منِخ المذكور آنفًا.

وفى هذا الصدد، يجب الإشارة إلى أثر لم يُذكر حتى الآن فى الببليوجرافيا، وهو لوحة من الحجر الجيرى فى متحف جوستاف-لوبكه Gustav-Lübcke-Museum (لوحة ١٣ أ) فى هام Hamm بألمانيا[٨٤]: إلى أعلى المنظر المعروف للمومياء الراقدة وإيزيس ونفتيس كنائحات، نشاهد نقشًا غير ظاهر يكشف عن اسم صاحب اللوحة، فهو HPYMN BR ʾHMNŠ «حاپيمن ابن آخامَنيش» (شكل ٥١). إن الاسم الأول حپ-منْ مصرى، أى «آپيس باق»، أما الثانى هاخامنيش، فهو إيرانى، بمعنى «له جدوى الصديق»، وصيغته المتأغرقة هى Ἀχαιμένης. ويُعَدُّ هذا الاسم مثالاً رائعًا آخر لـ «تعدد ثقافة» الأسماء عند الأجانب الذين عاشوا فى مصر!

وثمة حوض للإراقة أو للأضاحى من السيرابيوم يوجد الآن فى اللوفر (D20.1)، وبه نقش آرامى لسيدة تدعى بانيت نذر لأوزيريس-أبيس و«صنعه» لها ابنها أبيتاب. والكلمة الأولى 'حتپى' التى استعيرت بوضوح من المصرية 'حتپت' لا تترجم بالطبع بحياد بمعنى «قربان»، كما نقرأها دائمًا، لكن بمعنى دقيق، وهو «مائدة قربان»[٨٥].

وتوجد لوحة غير معروفة المصدر (منف / سقارة؟)، كما أنه غير معروف مكان حفظها، وتظهر فى خانة الصور بالصف الأعلى الملك وهو يقدم عين أوچات قربانًا لأوزيريس الجالس على العرش، وفى الصف الأسفل المحفة الجنائزية والمومياء عليها والأوانى الكانوبية الأربع (D22.54)، (شكل ٥٢). وتبدو هذه المجموعة غير عادية للغاية؛ فالملك الذى يقوم بتقدمة القربان، ما كان له أن يظهر هنا على لوحة جنائزية مصرية أصيلة خاصة بأحد الأفراد. إن الطابع المُهَجَّن من حيث الموضوع، يثير الشبهات فى كون هذه القطعة قد صُنعت بيد أجنبية، وأن صاحب حق الانتفاع كان غير مصرى الأصل، وهو أمر جلى فى كل الأحوال؛ إذ إن النقش الآرامى شميتى (ŠMYTY) إلى اليسار من تاج الملك (!) يُبَيِّن اسم صاحب اللوحة. ويُحتمل أن يكون هذا الاسم لسيدة ذات اسم مصرى شائع فى العصر المتأخر[٨٦].

وفى عام ١٩٦٣، أخرجت الحفائر فى محيط معبد إيزيس فى أسوان ثلاثة توابيت من الحجر الرملى (شكل ٥٣، أ-ب) (D18.16-18)[٨٧]. وقد صُوِّر آبيس على جزء القدم لأحد هذه التوابيت، مثلما هو شائع على التوابيت الخشبية المصرية من العصر المتأخر؛ لكننا نشاهد على الفور كيف أن الأسلوب الفنى بعيد عن القواعد المصرية، بل يُبَيِّن تابوت آخر (شكل ٥٤ أ) مناظر عمال، وهو مما يُعَدُّ غير مألوف تمامًا لآثار مصرية أصيلة من هذا النوع. وليس هناك تعليق بكلمة واحدة على الأسلوب الفنى غير المصرى لمناظر التحنيط وصور الآلهة على التابوت الثالث (شكل ٥٤ ب). ولو لم تكن قرينة الاكتشاف مؤكدة، لاعتقدنا أنها

توابيت فظة مقلدة أو على الأقل أنها عمل متأخر جدًا، حين انحطت القواعد الفنية التقليدية. لكن هذه التوابيت صنعها وزخرفها غير مصريين وفقًا للنماذج المصرية، وكتابة أسمائهم الآرامية عليها تخلص إلى أن هذه التوابيت قد استخدمت من أفراد المستعمرة العسكرية الآرامية اليهودية فى إلفنتين.

وثمة شيء جوهرى مؤكد نخرج به من الآثار التى دار النقاش حولها، وهو أن التمصير، على الرغم من اقتباس معتقدات العالم الآخر، واستعمال مصطلحات فنية معينة، إضافة إلى اتخاذ أسماء أعلام مصرية، فإنه لم يصل مطلقًا إلى حد أن الآراميين يمكن أن يكونوا قد تخلوا عن لغتهم الأصلية. ففى لوحة واحدة فقط تُعَدُّ الأقدم فى تاريخها، إذ تنحدر من العام ٤٨٢ (انظر ما سبق وشكل ٤٧)، يوجد نقش بالهيروغليفية قائم بذاته، فضلاً عن الآرامية، وفيما عدا ذلك، فنحن نكتفى بذلك المثال الأخير. لذا، فقد لعبت اللغة المصرية دورًا ضئيلاً جدًا، على الرغم من التكيف الحضارى القوى تقريبًا بالقياس إلى آثار الكاريين، كما سنرى فيما بعد. وحتى الفرس الذين تصرفوا تجاه الحضارة المصرية جملة بشيء من التحفظ نسبيًا، تركوا نقوشًا هيروغليفية أكثر مما تركه الآراميون.

وبالطبع، فإن اقتباس الثقافة المصرية الذى تعكسه الآثار الماثلة للآراميين، لا يمكن قراءته بإمعان من خلال كل نقش آرامى من مصر بوجه عام. فثمة لوحة صغيرة من دون أية زخارف، وهى على الأرجح من سقارة، وتعود ربما إلى القرن الخامس[٨٨]، وعليها نقش آرامى فحسب، مثلما هو موجود على سبيل المقارنة أيضًا فى اللوحات الكارية بنص كارى فقط، فنقرأ هناك (D21.17): «لعنان ابن إيليش (أو إيلياش)، كاهن بعل، قرين (؟) عنات (؟)». إذ إن وجود العبادات السامية القديمة يُستدل عليها جيدًا كذلك فى منف خلال العصر المتأخر، وحتى فى الوسط المصرى. فنحن نعرف مثلاً كاتب معبد للإلهة عنات يُدعى باديئمحوتب[٨٩]. ويمكن إثبات وجود عبادة لعشتارت أيضًا بالسيرابيوم فى العصر البطلمى، بل أثريًا كذلك من خلال برديات يونانية[٩٠].

ولن يكون عديم الغرض التحدث بإيجاز عن أثرين مصريين آراميين لا تزال أصالتهما موضع خلاف. والقطعتان المذكورتان بوجه خاص قد نُشرتا بوصفهما أصليتين، لكنهما لم يقاوما الفحص بالنقد[٩١]. ففى عام ١٩٦٤، اشترى المتحف القومى للآثار فى مدريد وثيقة بردية؛ فإذا كانت تلك الوثيقة أصلية (D24.1)، فهى تبرهن على حج أخين لمعبد أوزيريس فى أبيدوس. وسالفًا من حيث الموضوع، فإن نصًا بهذا المضمون على بردية، إنما يدعو إلى الريبة، لأن الزيارات فى الأماكن المقدسة كانت تسجل فى العادة من خلال نقوش المخربشات فى الموقع ذاته، كما رأينا ذلك من قبل بالنسبة إلى أبيدوس[٩٢]، وليس من خلال وثائق بردية. على أية حال، يمكن تصور مثل هذه الزيارات على مادة الكتابة تلك كملاحظة هامشية فى سياق آخر.

إن الأكثر تشويقًا بالنسبة إلى الباحث فى علم الآثار المصرية القديمة هو لوحة فى مجموعة تحف ميخائيليديس Michaelides سابقًا (D24.2)[٩٣]، تحتوى على منظر لكاهن مصرى يُدعى پتيسيه أمام الإله پتاح، حيث يُذكر بالاسم فى الملاحظة الهيروغليفية. ومن الغريب أن الشخص المذكور فى النقش الآرامى القصير المدعو پطأس الذى كان عليه أن «يأتى إلى منف أمام پتاح»، قد ذُكر منفصلاً بالكتابة الهيراطية. فهل يصح كل ذلك؟ وفى نهاية الأمر، فإن اللوحة فقط كلوحة بمناظرها والنقوش الهيروغليفية عليها تُعَدُّ أصلية ...

ويستحق الذكر أيضًا ذلك التمثال البرونزى الصغير من «طراز پازوزو» – وهو تسمية لعفريت آشورى – والمحفوظ الآن فى متحف الأشموليان بأكسفورد، وهو يُذكِّر بتماثيل مصرية معروفة اصطلاحًا باسم «معبودات وحدة الوجود»، التى ترجع إلى العصر المتأخر. وتنحدر هذه القطعة، كما يُقال، من تانيس فى شرق الدلتا (لوحة ١٤ أ)، وتُظهر عند السيقان نقشًا نذريًا قصيرًا ومتآكلاً بصورة قوية بحروف اللغة السامية الشمالية الغربية ونصه: «من أجل سِسِم ابن پخه (؟) ...». وبسبب اللفظ المستعمل للتعبير عن «ابن»، فإنه من الأحرى أن يكون نقشًا آراميًا قبل أن يكون فينيقيًا[٩٤].

وختامًا، فإنه يجب الحديث عن ثلاثة شواهد مكتوبة تدعو إلى الاستغراب. الأول هو بردية كبيرة، محفوظة الآن بنيويورك فى مكتبة پيرپونت مورجان Pierpont Morgan Library[٩٥] (شكل ٥٥)، ومكتوبة بالديموطية، حيث يظهر فيها بوضوح استخدام فاصل للكلمات. فالإسفين المائل المستعمل فى الكتابة المسمارية الفارسية القديمة فاصلاً للكلمات على سبيل المثال، يُعبِّر عنه هنا بمخصص «الرجل الواضع يده على فمه». وهذه الخاصية كان يمكن الاستغناء عنها، إذا ما كانت كذلك اللغة هى الديموطية أو شكلاً لغويًا آخر للمصرية. لكن ليس هذا هو الأمر، فالنص، ولنقل أفضل النصوص هى آرامية، وهى تتناول عددًا كبيرًا لموضوعات إنشائية أدبية متنوعة. ومبدئيًا، فإن الكتابة أبجدية، وهناك عدد من العلامات الخاصة، فضلاً عن خصائص كتابية معينة من شأنها أن النصوص أيضًا بالنسبة إلى المتخصص فى الساميات غير مفهومة من دون أعمال تحضيرية عسيرة. لهذا السبب، فإن الانفتاح على دراسة هذه النصوص قد بدأ فقط فى الثمانينيات من القرن الماضى ولم ينته بعد، على الرغم من أن البردية معروفة منذ عقود. ولم يأتِ مضمون النصوص وفقًا للتقاليد المصرية، وإنما طبقًا للموروثات الشرقية القديمة والتوراتية.

ومبدئيًا، فإنه ليس شيئًا جديدًا أن تُستخدم كتابة فى لغة أجنبية وُضعت فيما عدا ذلك فى الكتابة الأصلية. فتوجد على سبيل المثال نصوص قبطية بالكتابة العربية والعكس[٩٦]، ومن المعروف أن «تاريخ المغول السرى» قد صِيغ باللغة المغولية، لكنه دُوِّن بالكتابة الصينية. وتظهر فى البوتقة الثقافية لطريق الحرير هذه الظاهرة فى نطاق مميز، فتوجد هناك أيضًا على سبيل المثال نصوص تيبتية بالكتابة الصينية والعكس. وفى هذا المنحى، يجب ذِكر أن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق، وهو أن تستبدل كتابة فى طريقها إلى الانقراض تدريجيًا مثل الكتابات المصرية الأصلية المتنوعة من خلال الحروف اليونانية القبطية. ولعل الكتابة الآرامية خاصة قد أثبتت أنها خصبة تمامًا وقابلة للتطور؛ إذ يوجد أيضًا فى عصر لاحق وفى نطاق جغرافى واسع عدد لا يُستهان به من فروع لهذه النبتات فى سوريا وفلسطين وشمال الجزيرة العربية، مثل الكتابة التدمرية والنبطية.

وقبل فترة قصيرة فقط، نشرت شذرة لمخطوطة مكتوبة على الجلد فى برلين (D6.2) عليها كتابة آرامية، لكن لغتها ليست كذلك (شكل ٥٦ أ–ب). إن الاستخدام الموجود لحرف العين فى بعض الأحيان يشير فيما يبدو إلى لغة ما فيها نطق هذا الصوت المميز. وبما أنها ليست لغة آرامية أو لهجة سامية أخرى، فإن اللغة المصرية فقط محتملة فعلاً. ولتسهيل البحث فى دراسة هذا النص لغير المتخصصين فى الساميات، ونعنى بوجه خاص الباحثين فى علم المصريات، ننقل هنا حروف هذه اللغة إلى الحروف اللاتينية:

١ | PRY' NTR 'TN Ṭ' ḤRTNW 'RY SPY

٢]⸢N'⸣PR (⸢P'⸣PR أو) NQRN' '⸢Ḥ'T'⸣RY'' ''YRY 'NWŠB 'NT

٣]⸢W'/K'⸣ 'BYR' RN ḤŠYP PYLQ RN 'MWN BYKWŠRN

٤]⸢L'/''⸣ 'Ḥ'Y STY MNP' NBWTQT TM' ... ḤY(?) 'ḤPY[

٥]M' 'NNWY 'ḤPT⸢L⸣ 'SRY 'SPMT NPYT NTY' ⸢Ḥ'⸣

٦ | 'PMTW'R' P⸢..M⸣ MḤS STY '⸢Ḥ⸣[

٧ | بقايا علامات قليلة

إن أسماء الأعلام المصرية مثل پيلاق، أى «(جزيرة) فيله»، وإسپمِت فى السطرين الثالث والخامس، إضافة إلى ساتى، أى «(الإلهة) ساتيت» فى السطرين الرابع والسادس، تتوافق صوتيًا وببراعة مع إلفنتين ومحيطها، لكن هذه الأسماء تبوح باستنتاجات قليلة عن لغة النص. أما تعبير عنوشب ('NWŠB) فى السطر الثانى، فإنه يشير بصورة قوية إلى الكلمة المصرية عن-وشب (*ʿn-wšb*)، أى «ينتقم»، كما لو كان توافقا بمحض الصدفة يتفق والعقل ظاهريًا. يُضاف إلى ذلك، أن مجموعة حرتنو إرى (ḤRTNW 'RY) فى السطر الأول، يمكن تفسيرها بأنها جملة مصرية، أى حر تنو إر.إر=ى (*Ḥr tnw r.r=y*)، فتنطق تقريبًا حور تنو إروى، بمعنى «احترسوا منى». وكلمة إئيرى (''YRY) التى تسبقها مباشرة، تبدو مثل الحاشية أو التعليق، بحيث تُحول حروفها إلى e īre، أى «لفعل (كذا)». فهل وُضعت هذه القطعة فعلاً باللغة المصرية؟ ويا ليا من خسارة أن ما تبقى من النص هو القليل فقط! وللأسف، فإن نقل الحروف المتبقية إلى المصرية ليس واضحًا فى أغلب الأحوال، إلى حد أن التحقق من كلمات وصيغ أخرى يصعب حله.

وختامًا، فإن الشاهد المكتوب الثالث هو نقش لمخربشة ديموطية مبكرة، كان مؤلف هذا الكتاب قد أعاد اكتشافه في عام ١٩٨٢ في محاجر وادى الحمامات بالصحراء الشرقية[٩٧] (شكل ٥٧). وهو يتناول تعويذة سحرية ضد العقارب، حيث وُضع العنوان و«طريقة الاستعمال» وأجزاء ضئيلة من التعويذة السحرية الحقيقية باللغة المصرية، وبصورة أدق باللغة الديموطية، بينما وُضع الجـزء الأكبر من التعويذة بلغة غير المصرية[٩٨] بصورة واضحة. ولعل بداية النص «كـ‍پـ‍بـ‍و كـ‍پـ‍بـ‍عـ‍ر كـ‍پـ‍عـ‍تـ‍ر‍م» (*k-p-b-w k-p-b-'-r k-p-'-t-r-m*)، توعز بفعل الجناس الاستهلالى(*)، أنه يتناول «كلمات سحرية»، مثلما هى الحال فى نصوص مشابهة من العصر اليونانى والرومانى، يُفترض أنها كانت تحدث أثرًا من خلال القوة السحرية للأصوات الأجنبية الغريبة، من دون أن يكون هناك تعليل لاشتقاقها التاريخى بالضبط أو من دون أن يسفر عن نص متصل ذى مغزى.

بيد أنه قبل فترة قصيرة، بذل ريتشارد شتاينر[٩٩] Richard Steiner محاولة بصورة دقيقة فى هذا الاتجاه، مفسرًا التعويذة من خلال اللغة الآرامية. إن «الألفاظ الصوتية السحرية» *voces magicae* الثلاثة المذكورة سالفًا معناها تبعًا لذلك: «يد أبى، يد بَعل، يد أمى عاتًار». وعلى الرغم من أن هذا التفسير يتطلب مجموعة من الألفاظ غير المألوفة ذات معطيات صوتية ونحوية معينة[١٠٠]، لأنه كان يجب فضلاً عن ذلك، وبالطبع، تقديم تفسيرٍ آرامىٍّ (!) وتفصيلات يستلزم تعديلها، لكن يجب التسليم الآن بما يلى:

(١) لعل «العبارات السحرية» الثلاث الواردة هى فى الواقع توسلات («تضرعات» Epiklesen) بلغة سامية إلى آلهة، وتُفهم من حيث المبدأ على النحو الذى فسره شتاينر.

(٢) ربما كانت أيضًا بقية التعويذة ذات محتوى بلغة سامية، أكثر مما كنا نعتقد حتى الآن، على الرغم من أن تفسيرات شتاينر، فى رأيى، تعطى شعورًا متفائلاً بصحتها.

(*) الجناس الاستهلالى Alliteration هو تكرار حرف أو أكثر فى مستهل لفظتين متجاورتين (المترجم).

واستطاع شتاينر أن يؤكد تفسيره بالدليل والحجة الجديرة بالتفكير، من حيث وجود بعض نقوش المخربشات الآرامية من الفترة نفسها تقريبًا فى وادى الحمامات مثل تعويذة سحر العقرب، بمعنى أن أناسًا جاءوا إلى هناك، وكانوا يعرفون الآرامية. فعلى سبيل المثال، قام شخص مجهول بنقش الأبجدية كلها، والتمس رجل آخر ذو الاسم المصرى إيسحور فى العام التاسع والعشرين من حكم داريوس الأول (عام ٤٩٣) بركة الإله مين، المختص بالصحراء الشرقية[١٠١].

الفصـل الخامس

مصـر والفـرس

في عام ٥٢٥ غزا قمبيز مصر وأسس بذلك – وفق تعداد مانيتو – الأسرة السابعة والعشرين، وبعبارة أخرى، عصر حكم الفرس الأول الذى دام حتى عام ٤٠٤. وكانت تلك هي المرة الرابعة خلال الألفية الأولى أن حكم أجانب البلاد بعد الليبيين، و«الإثيوبيين»، والآشوريين. وقد صَوَّر هيرودوت الأمور في مستهل كتابه الثالث هكذا: «ومن ثمَّ، خرج قمبيز ابن قورش إلى ساحة القتال ضد أمازيس هذا، فأخذ معه سواء ممن حكمهم، أو آخرين من اليونانيين الأيونيين والأيوليين للسبب التالي: كان قمبيز قد أرسل رسولاً إلى مصر لطلب يد ابنة أمازيس. لكنه تَصَرَفَ وفقًا لنصيحة رجل مصرى، ما جعل هذا يقوم بخطة لسخطه على أمازيس، لأنه أرسله هو بالذات من بين كل أطباء مصر إلى الفرس، فانتزعه من بين زوجته وأولاده. ذلك أن قورش كان قد أرسل من قبل إلى أمازيس، يطلب منه طبيب العيون الأفضل في مصر. وبسبب نقمته على ذلك، أسدى المصرى لقمبيز النصيحة بأن يطلب يد ابنة أمازيس، فإما أن يستاء هذا بذلك فيرسلها إليه، وإما أن يجعل من نفسه بغيضًا عند قمبيز، إذا هو لم يرسلها إليه. لكن أمازيس لم يكن يعرف لسخطه وارتعاده من قوة الفرس، ما إذا كان عليه أن يرسل(ها)، أو ما إذا كان عليه أن يرفض. فقد كان يعلم علم اليقين أن قمبيز لن يتخذها زوجة رئيسية، بل كزوجة ثانوية. وبعد أن تدبر الأمر، قام بالآتى: كانت لدى الملك السابق أبريس ابنة ذات طلعة مهيبة جدًّا ومتناسقة هي التى بقيت وحدها من بيته، وكانت تسمى نيتتيس. وزَيَّن أمازيس هذه الفتاة بالألبسة والذهب، وأرسلها إلى الفرس بصفتها ابنته شخصيًا. بعد ذلك ببعض الوقت، عندما استقبلها قمبيز وخاطبها باسم أبيها، قالت الفتاة له: 'أيها الملك، أنت لا تعلم أن أمازيس قد خدعك. فقد جهزنى بأجمل ما يكون وأرسلنى إليك، فأعطا(نى إياك) بصفتى ابنته شخصيًا، لكننى فى الحقيقة ابنة أبريس الذى ثار ضده ذلك (أى أمازيس) مع المصريين وقتله، على الرغم من

أنه كان سيده الحقيقى. هذه الكلمة وهذا السبب الظاهر دفع قمبيز ابن قورش غاضبا كل الغضب صوب مصر. هكذا يقول الفرس» (الكتاب الثالث ١).

ليس من السهل بحث ما تعنيه هذه القصة؛ إذ يُظَن «بالتأكيد وعن صواب أن خلف هذه النادرة الطريفة على الأرجح هيرودوت كاتب الحواديت أكثر منه كاتب التواريخ»(١). فأن يُحارب من أجل امرأة، إنما يُذكِّر ببعض البواعث الأدبية فى الأساطير والحكايات مثل خطف هيلينا أو حرب طروادة. وبطبيعة الحال، يتجه الرأى كذلك إلى أن أى سبب سطحى قد يبدو لنا تافهًا، كان بالنسبة إلى قمبيز مبررًا مشروعًا لغزو مصر. إن صعود إمبراطورية الفرس الفتية فى هذه العقود كان لا يمكن صده، فسقطت ليديا فى عام ٥٤٧، ثم بابل فى عام ٥٣٩، وقد كانت فقط مسألة وقت، متى يأتى الدور على مصر ومعها الممالك السورية والفلسطينية، لكى يتحقق اكتمال الأراضى التابعة للإمبراطورية. على أية حال، فقد زعم هيرودوت فى موضع آخر أن قورش والد قمبيز كان قد اختط من قبل غزو مصر (الكتاب الأول ١٥٣، ٤).

ومن المحتمل فى هذا الصدد، أنه كانت توجد ببساطة شديدة تلك الأميرة نيتتيس؛ إذ إن تركيب الاسم الحقيقى من جانب، والثابت علميًا من جانب آخر، يدل كل الدلائل على ذلك(٢). وكوننا لا نعلم شيئًا من نصوص مصرية عن أميرة أو ملكة بهذا الاسم، فهى ليست حجة مضادة. يُضاف إلى ذلك، أن زيجات سياسية بين بيوت الحكام الصديقة فى الشرق القديم لم تكن شيئًا شاذًا(٣)، كما نعلم، كيف كان صعبًا لمصر خلال الأسرة الثامنة عشرة تلبية أمنيات من هذا النوع من الخارج. فقد اعتاد البلاط الرفض باستكبار طلبات لحكام من الجيران للتزوج من أميرات مصريات، «فمنذ قديم الزمان لم تُعطَ ابنة ملكية لأى إنسان»، وهو ما كان على ملك بابل فى ذلك الوقت أن يتعلمه بنفسه(٤). وعلى العكس من ذلك، كان الفرعون بالطبع مولعًا جدًا بأميرات أجنبيات. وعندما توجهت أرملة توت عنخ آمون إلى الملك الحيثى بالطلب الذى لم يُصدق، بأن يرسل إليها أحد أبنائه لتتزوجه، أثارت بالمرسل إليه سوء الظن. وقد أُرسل الأمير بالفعل، لكنه اغتيل فى الطريق، مما دعا إلى حرب.

وفى عصر لاحق، لم يُتَّبع هذا الأسلوب الصارم إلى هذا الحد عند تزويج أميرات. فليس نادرًا أن أرسل الليبيون أميراتهم إلى شخصيات غير رسمية للزواج، ويُقال أن الملك سليمان قد ضَمَّ إلى بيته أميرة مصرية(٥)، وهى ابنة سيآمون (؟).

إذن، بعد هذه الخلفية التاريخية، فإن هذه الفكرة ليست غير معقولة إطلاقًا، وهى أن قمبيز قبل حملته على مصر، أو ربما والده قورش من قبل قد طلب يد ابنة ملكية مصرية. ولم تصبح قطعًا زوجة رئيسية مثل الأميرة القرينية لاديكا التى طلب أمازيس يدها لأسباب دبلوماسية (هيرودوت، الكتاب الثانى ١٨١). بيد أن الاختلاف الفارق فى حالة قمبيز، هو أن مصر وفارس لم تكونا بالتأكيد دولتين صديقتين.

ويقص هيرودوت رواية مخالفة - غير أنه يشكك فى صحتها فى الكتاب الثالث - مفادها، أنه بعد ذلك أصبحت نيتتيس زوجة ثانوية لقورش، مما أثار غيرة زوجته الرئيسية كاسّانداته. لذا، قال لها أكبر أبنائها قمبيز ذو السنوات العشر: «بما أن الحال كذلك يا أماه، فإننى عندما أصبح رجلاً، أريد أن أجعل من مصر عاليها سافلها وسافلها عاليها» (الكتاب الثالث ٣، ٣). ومن ثَمَّ، فقد أثمرت أفعال الفتى اليافع فيما بعد لكونها تحقيقًا لحلم الشباب. وفى هذه الرواية ما يُذكِّرنا بالتأكيد المزعوم لذى السنوات السبع هاينريش شليمان Heinrich Schliemann تجاه والده بالتنقيب ذات يوم عن آثار طروادة، وذلك بعد إجراء كل التغييرات الضرورية.

وإذا ما كان كلا الحديثين يعكس وجهة النظر الفارسية، فإن حديثًا ثالثًا يُصَوِّر الرؤية المصرية، فيروى هيرودوت معبرًا أيضًا عن رفضه لذلك: «غير أن المصريين يطالبون بقمبيز لأنفسهم، قائلين إنه ينحدر من هذه الابنة (أى نيتتيس) لأبريس. ذلك أن قورش هو الذى أرسل لأمازيس لطلب يد الابنة وليس قمبيز» (الكتاب الثالث ٢، ١). ولا ينطوى شيء آخر وراء هذا الزعم الذى تناقلته ألسنة هؤلاء ممن أعطوا هيرودوت تلك المعلومات، سوى السعى نحو إضفاء الشرعية على الحكم لأجنبى مغتصب للسلطة جعلوا منه حفيدًا لأبريس. وقد رُويت قصة

مشابهة أيضا عن الإسكندر الأكبر الذى لم يكن أبوه تبعًا لبعض المورونات التاريخية هو فيليب، لكن نختانبو الثانى (٣٦٠-٣٤٣) الذى اقترب من أوليمپياس فى هيئة آمون، فأنجب منها الإسكندر. وكلتا الروايتين قد روجتها دوائر مصرية قبلت بتسوية مُذلة فى المسعى نفسه، ومن البدهى أنه لا يجوز الأخذ بها حرفيًا.

تَمَّ الغزو الفارسى لمصر فيما يبدو دون صعوبات كبيرة بالغة. فقد خضعت المدن السورية والفينيقية التى كانت واقعة تحت سيادة بابلية للفرس الزاحفين صوب الغرب، كذلك وقفت قبرص إلى جانب الغزاة. وسَهَّلت قبائل عربية الزحف لجيش الفرس، فكُوفئوا فيما بعد بإعفائهم من الضرائب. ويُقال إن جنديًا مرتزقًا يونانيًا من هاليكارناسُوس يُدعى فانيس قد مرق بسبب امتعاضه من أمازيس، فأرشد الفرس إلى الطريق عبر الصحراء (هيرودوت، الكتاب الثالث ١١). وبعد سقوط پلوزيوم، انسحب الجيش المصرى إلى منف، لكنه لم يستطع أن يثبت فى وجه زحف الفرس. وبعد الحكم لعدة أشهر قليلة، وقع پسمَّاتيك الثالث فى الأسر، وتبعًا لهيرودوت، فقد بقى على قيد الحياة، لكنه لم يتمكن من الثورة على السادة الجدد (الكتاب الثالث ١٥).

كان يُتوقع أن تميط النقوش الفارسية القديمة اللثام عن تفاصيل غزو قمبيز التى لا تزال محجوبة عنا من مصادر مصرية. وإننا لنتذكر أنه فى حالة الآشوريين عمومًا قد توافرت مصادر آشورية فقط. يُضاف إلى ذلك القول بأنه ليست هناك نقوش ملكية كبيرة ومعروفة لقمبيز؛ إذ إن الكتابة المسمارية الفارسية القديمة عمومًا التى كانت شائعة بالدرجة نفسها مع العيلامية والبابلية قد ابتكرها داريوس الأول خصيصًا - أو على الأقل ظهرت فى عهده -، كما أعلن هو بنفسه عن ذلك فى التقرير الحسابى الكبير لنقش بيسيتون[٦] Bisitun-Inschrift. فيُذكر فقط فى هذا الأثر فى الأسطر ٣٠-٣٥ عن قمبيز، أنه بعد قضائه على أخيه سمِرديس المنافس له خرج إلى مصر، ونتيجة لذلك طغت «الأكذوبة[*]» فى فارس، وميديا، وسائر البلاد الأخرى».

(*) تعنى "دراوجا" «الأكذوبة» فى الفارسية القديمة (المؤلف).

على أن صدفة سعيدة أهدت لنا وثيقة مصرية من المرتبة الأولى، وهي التمثال الصغير الشهير حامل الناووس لذلك الشخص «المتعاون مع المحتل» Kollaborateur المدعو وچاحوررسنت في متاحف الفاتيكان[٧] (شكل ٥٨ أ). وقد وصلت القطعة في فترة مبكرة جدًا إلى أوربا؛ إذ وجدت طريقها على الأرجح في مجموعات التحف المصرية للإمبراطور هادريان في مقره المعروف باسم ڤيلا تيڤولي Villa Tivoli. وإنه لمن الأفضل الآن عرض الفقرات المهمة في نقوش التمثال وتفسير ما هو ضروري على هذا النحو.

إن وچاحوررسـنت الذي أمر بإقامة تمثاله في معبد نيت في سايس يحمل إلى جانب ألقاب شرفية ورتب متنوعة درجة رفيعة بوصفه «رئيس سفن جُبيل الملكية» في عهد الملك أمازيس، ويتكرر حمله اللقب نفسه في عهد پسمّاتيك الثالث. بعد تقديمه لنفسه، يسترسل: «وجاء إلى مصر الأمير العظيم لكل البلاد الأجنبية، قمبيز، ومعه الأجانب من كل البلاد الأجنبية» (١١)[٨]. إن هؤلاء «الأجانب من سائر البلاد الأجنبية» هم بالطبع الجنود الجدد من أنحاء متفرقة من الإمبراطورية. إذ كان الجيش عبارة عن طوائف تتألف من أخلاط متنوعة من سائر بلاد العالم القديم، وليس في مصر فقط. «وبعد أن تملَّك كل هذه البلاد، استقروا فيها، وغدا هو الحاكم العظيم لمصر، والأمير الكبير لكل البلاد الأجنبية» (١١-١٢). بعد تلك المقدمة العامة دخل وچاحوررسنت بسرعة في الموضوع، فهو لا يعنيه بالطبع عرض تاريخي لحكم الفرس، لكنه أراد أن يثني على الدور الشخصي الذي لعبه آنذاك. وفي نهاية الأمر، فإنه لم يكن متاحًا لكل شخص إقامة تمثاله في نطاق المعبد، حيث كان على الكهنة قراءة نقوشه، وفي هذا ما يعني تذكر شخصه. لذلك يواصل وچاحوررسنت قائلاً: «خصص جلالته لي منصب كبير الأطباء، وسمح بأن كنت له 'صديقًا'[*] بجواره و'مديرًا للقصر' إلى جانبه، وجعلت (له) ألقابه الملكية في اسمـه مِسُوتي رع (أي صورة أو سليل رع)» (١٢-١٣)[٩].

(*) لقب في مراتب البلاط (المؤلف).

ومن الطريف أيضا حديث وچاحوررسنت عن وضعه لقمبيز ألقابا ملكية مصرية. إذ إن كل حاكم أجنبى كان حريصا على الاعتراف به فرعونا مصريًا، وهو ما فعله الجميع عدا الآشوريين، ولذلك كان يحتاج إلى ألقاب ملكية تقليدية، أو مجموعة من الأسماء (نخب). ويُعدُّ الاسم الحورى المعروف أولها بوجه خاص، وكذلك اسم العرش داخل خرطوش، الذى كان مركبا مع اسم إله الشمس رع بشكل تقليدى منذ قديم الزمان. وغالبا ما استخدمت الآثار – الديموطية من دون غيرها – أسماء الولادة فقط للملوك الفرس. وبغض النظر عن قمبيز، فإنه يُستدل بصورة ملموسة لداريوس الأول فقط على اسم عرش، وهو ستوت-رع (أى «شعاع رع»)، لكن بالنسبة إلى الملوك الأخمينيين اللاحقين، الذين يظهرون نادرًا للغاية فى النقوش الهيروغليفية، فلا توجد تلك الأسماء قط.

ويواصل وچاحوررسنت حديثه قائلاً: «وجعلت جلالته يتعرف على عظمة سايس» (١٣)، حيث يشير إلى الدور البارز لمعابدها الكبيرة، ولا سيما معابد نيت وأوزيريس. وجاء فى موضع آخر فى النقوش بشكل صريح أن الملك ذهب إلى سايس قاصدًا معبد نَيت وخرَّ ساجدا أمام الإلهة، «مثلما كان يفعل كل ملك» (٢٥). وفيما يبدو أن قمبيز قد أُحضر إلى هذه المعابد بصورة منتظمة، كما كان ذلك مخولاً لكل فرعون. كذلك لم تُنس الأضاحى الكبيرة للإلهة نيت والآلهة العظيمة فى سايس بالعبارة الإضافية المميزة «مثلما فعل ذلك كل ملك محسن» (سطر ٢٥-٢٦). إن مثل هذه المقارنات التى تشير إلى قواعد ثابتة ليست شيئا جديدًا فى العصر المتأخر، فيقول وچاحوررسنت عن نفسه إنه «قد عمل آثارًا لنَيت، سيدة سايس، مشتملة على كل الأشياء الطيبة، كما يفعل / كان يفعل خادم محسن لربه» (٣٢). ولا نملك سوى الإحساس بأن هذه التشبيهات كانت تُفهم أيضا بأنها بمثابة وسيلة، لتشير بتحفظ إلى أنه كان على قمبيز أن يذعن للسنن السارية لفرعون حقيقى.

وجاء فى السياق المستمر للنقوش: «شكوت عند جلالة ملك مصر العليا والسفلى فمبيز من الأجانب جميعهم، الذين كانوا قد أقاموا فى معبد نيت لطردهم من هناك» إلخ (١٧-١٩). وفيما يبدو أنه فى مجرى أحداث الغزو قد وصلت الأمور إلى احتلال جنود أجانب لنطاق معبد نيت - وبالتأكيد، فإن مثل هذه الأوضاع كانت عادية. ومنذ فترة غير بعيدة، جمع ك. تيرز[١٠] C. Thiers التقارير المصرية عن احتلال المعابد وملحقاتها فى مصر وإزالة تلك الأوضاع التى لم يكن يحتملها أى مصرى متدين وعلق عليها بإسهاب. لقد تعامل الملك بما يتفق ورغبة وچاحوررسنت، فأمر بهدم بيوت الأجانب الذين عاشوا انتشارًا فى نطاق المعبد (١٩ وما يليه). وعلى ما يبدو، لم يُشكِّل هؤلاء وحدات نظامية للجيش، لأنه لم يُذكر شيء البتة - مثلما هو فى حالات أخرى - عن ترحيلهم أو تعويضهم. إضافة إلى ذلك، أمر صاحب السلطة الجديد بالتنظيف المطلوب لأنحاء الأراضى المدنسة وإعادة تنظيم إدارة مستخدمى المعبد وأملاكه.

ومن البدهى أن المصريين، وخاصة الكهنة، كانوا ينظرون إلى الأجانب على أنهم أنجاس، ولا سيما عندما يحتلون أراض مقدسة. ولا شك أن الأوضاع التى تم سردها وتواكب ظهورها مرات عديدة بالطبع، وبخاصة فى فترات الاحتلال الأجنبى خلال العصر المتأخر، قد أسهمت بشكل قاطع فيما سمَّاه أسمان[١١] Assmann «تفاقم حدة الحدود الثقافية» Verschärfung der kulturellen Grenzen. فلم يكن ذلك الانتماء العرقى هو الفيصل، لكن الشعور بتدنيس المقدسات لاح مهددًا من قِبَل الأجانب لكونهم «جوهر النجاسة وعدم المعرفة لبسائط الشعائر والطقوس»، وذلك لاختلافهم الثقافى وعدم انصهارهم بالكامل. وإننا لنتذكر فقط التوترات المتنامية بين يهود ومصريين فى إلفنتين قرب نهاية القرن الخامس. إلا أن عصرى رمسيس الثانى والثالث كانا قد انقضيا قبل ذلك بفترة بعيدة، حيث كان «الخطر الآسيوى» لا يزال تحت السيطرة. ومنذ ذلك الوقت، وصل الآسيويون أنفسهم إلى السلطة. ولم ينعدم الأمل على نحو ما فى استمرار وتيرة الحياة[*]، وإن كان فقط من خلال ممارسات دينية متزايدة وقوية لها قداستها.

(*) حرفيًا «نظام العالم» Weltordnung (المترجم).

وفيما يبدو أن وچاحوررسنت قد تبع مليكه إلى فارس، ويُحتمل أنه كان لايزال قمبيز أو داريوس، إذ فجاء: «أمرنى جلالة ملك مصر العليا و السفلى داريوس، له الحياة الأبدية، بالعودة إلى مصر، حينما كان جلالته فى عيلام (...)، لإعداد بهو بيت الحياة[١٢] [...] (من جديد) بعد تدهوره. فأحضرنى الأجانب من بلد إلى بلد (وتُذَكِّرنا العبارة برواية سنوهى الكلاسيكية)[١٣]، وجعلونى أصل إلى مصر» إلخ. (٤٣ وما يليه). وهناك، زود وچاحوررسنت بيت الحياة بطلاب من ذوى أصل نبيل[١٤]، «ليس من بينهم ابن وضيع»، وبعلماء (سطر ٤٤). وبسبب الدور البارز الذى لعبه بعد عودته فى إعادة تنظيم المعابد، طاب للبعض كثيرًا عقد المقارنة بين وچاحوررسنت مع شخصية عزرا التوراتية الذى عاش حوالى مائة عام فيما بعد وفقًا للتأريخ الجديد[١٥].

ولا غرابة بالطبع أن المنصب الرفيع كقائد للأسطول الملكى الذى تقلده وچاحوررسنت فى عهد الحكام الصاويين، لم يعيِّنه فيه قمبيز على ما يبدو، إذ إن مثل هذه المناصب العسكرية الرفيعة قد احتفظ بها الفرس لأنفسهم.

وفى فقرة هيرودوت الطويلة التى استشهدنا بها فى بداية هذا الفصل، كان الحديث عن طبيب العيون المصرى الكبير الذى كان عليه أن يشد الرحال إلى الغربة على غير إرادته لخدمة قورش ببراعته الطبية. فقد كان الأطباء المصريون واليونانيون مطلوبين للغاية فى فارس. وفى السنوات الأخيرة، أيَّد كل من جودرون Godron وبوركارت[١٦] Burkard فكرة رڤيو Revillout القديمة من حيث إن شخصية وچاحوررسنت تتطابق مع مَنْ ذكره هيرودوت ولم يُسَمِّه. وبما أن وچاحوررسنت كان حقيقة رجلاً مهمًا جدًا، فإن هذه الفكرة مغرية بالتأكيد. فقد بُجِّلت ذكراه – فى أوساط معينة على أقل تقدير – بعد فترة طويلة من وفاته. إذ نعرف من نقش جدير بالذكر ينحدر من منف أن الكاهن مينيرديس رمم تمثالاً متداعيًا لوچاحوررسنت «بعد ١٧٧ سنة من عصره»، أى بعد مماته[١٧]. ولعلنا بهذا نهبط زمنيًا بالفعل إلى بداية الاحتلال الفارسى الثانى، أى فى السنوات حوالى عام ٣٤٠، غير أنه لا يمكن تحديد تاريخ لذلك. وقبل سنوات قليلة، اكتشفت بعثة حفائر تشيكية فى أبوصير

مقبرة وچاحوررسنت[١٨]. وإلى جانب ذلك، عُثِر فى أبوصير وفقًا لتقارير حفائر جديدة على مقبرة أخرى لكاهن من الفترة نفسها. وتحت عنوان «جبانة الخونة» Friedhof der Verräter نشرت الجريدة الألمانية «فرانكفورتر ألجماينه تصايتونج» Frankfurter Allgemeine Zeitung، فى ٧ مارس ١٩٩٨[١٩]، أن مدير الحفائر التشيكى ميروسلاف Miroslav «ڤِرنر Verner» يعتقد أنه عَثَر على ساحة دفنة المصريين من ذوى المقام الرفيع المتعاونين مع المحتل، الذين خدموا أيضًا بعد الاحتلال الفارسى تحت حكم قمبيز وداريوس، ولهذا السبب دُفنوا بشكل منفصل».

وكان قد اقتُرِح التعرف إلى بوتهور، ذلك المستشار، حكيم المصريين فى رواية قمبيز القبطية، بوصفه اختصارًا لوچاحور(رسنت)[٢٠]. غير أنه تتعارض حديثًا أية محاولة مقنعة لمطابقة شخصية بوتهور من حيث النطق اللفظى ومن حيث الموضوع مع الملك بوكوريس، الذى لعب دورًا بارزًا فى أدب العصر الهلينستى[٢١]، حيث تعود إلى هذه الفترة رواية قمبيز.

إن نقش وچاحورسنت يثير فى موضعين ذكرى «الجرح النفسى الذى سببه الآسيويون»[*] Asiatentrauma: مرة هناك، حيث وردت عبارة عن إبعاد الأجانب من نطاق المعبد (انظر صفحة ١٦٣)، ومرة ثانية فى موضع آخر، حيث جاء الحديث محاطًا بمجموعة من العبارات التقليدية: «أنا أنقذت سكانها (سكان سايس) من الاضطرابات الكبيرة جدًّا، عندما اندلعت فى البلاد كلها» (٣٣-٣٤). ولا تخبرنا النقوش بشىء البتة عن الأعمال الوحشية التى تنسبها إلى قمبيز الموروثات اللاحقة المعادية للفرس، حتى لو كان بعضها صحيحًا، على عكس الاتجاه الشائع فى البحث العلمى للتقليل من أهمية هذه الاتهامات، ومن ثمَّ، لا يجوز لنا أن نتوقع وجود صدى قوى واضح لها فى الشهادات الذاتية الرسمية لأحد «أنصار الحزب الموالى» للفرس.

(*) حرفيًا: الجرح الآسيوى (المترجم).

إن الاتهام الرئيسى الذى رَوَّج له هيرودوت على وجه الخصوص هو أن قمبيز كان قد قتل ثور أبيس المقدس، حين أودى به جرح قيل إن قمبيز قد أصابه به بخنجره فى فخذه، وهو ما يتناسب جيدًا وكل الجرائم الأخرى التى تُسجل له نموذجًا للجنون كما يُقال. وبما أننا نعرف رؤية الطرف المعارض فقط، فإنه من الصعب الوصول إلى حكم سديد. وعند السعى إلى رد اعتبار قمبيز، لا ينبغى بالطبع نسيان أن الغزوات بصفة عامة لا تنتهى من دون تجاوزات شديدة فى كثير أو قليل[٢٢]. لذا، فإنه من الصعب أن يكون الأمر قد أخذ فى مصر منحى آخر تمامًا.

ولنعد إلى الحديث عن الاتهام التاريخى القديم بقتل ثور آبيس. إذ غالبًا ما يُعترَض على ذلك فى البحث العلمى، بحجة أنه لا يتوافر سند ملموس لهذا الاتهام، ذلك أنه فى نوفمبر من عام ٥٢٤، أى بعد ما يزيد عن عام من الغزو الفارسى، دُفن آبيس رسميًا فى سيرابيوم منف بعد عُمر يناهز عشرين سنة – ولم يرد تاريخ الوفاة – والآبيس التالى الذى نحن على معرفة به وُلد فى ٢٩ مايو من عام ٥٢٥، ومات فى عام ٥١٨، أى تحت حكم داريوس[٢٣]. وبما أنه لم يكن جائزًا أن يوجد ثوران لآبيس فى وقت واحد، فلا بد أن الثور الأكبر عمرًا من بين الاثنين قد مات قبل ٢٩ مايو من عام ٥٢٥، وهذا معناه أنه فيما بين التوقيت الذى حدثت فيه *terminus ante quem* الوفاة والدفن فى نوفمبر من عام ٥٢٤، لا بد أنه قد انقضى عام ونصف العام على أقل تقدير، بدلاً من السبعين يومًا التقليدية للتحنيط! لهذا، وكما يُفترض فى معظم الأحوال، فإن اضطرابات الغزو هى المسئولة عن ذلك. لكن يُحتمل أنه كان يوجد ثور آبيس آخر فعلاً بعد ممات آبيس الأكبر سنًا (رقم ٤٢ وفق ترقيم ماربيت Mariette)، وقبل تتويج آبيس الأصغر سنًا (وهو رقم ٤٤)، غير أنه قُتل قبل تتويجه، ولذلك لم يظهر بشكل رسمى. وكون التابوت الذى دُفن فيه آبيس فى عام ٥٢٤ هبة من قمبيز وفقًا للنقش، فإنه ليس برهانًا مضادًا قاطعًا. وعلى هذا النحو، يكون قد تمَّ رد اعتبار هيرودوت فى شأن هو أهم جدًا من أشياء من قبيل هذه «الحواديت» الأخرى. وفى حين كتب راى Ray[٢٤] عام ١٩٨٨ أنه «'ليس مثبوتًا'، بل إنه أيضًا 'ليس مذنبًا' الحكم الضرورى للمحلفين» .'Not proven', or even 'not guilty', is the necessary verdict،

خرج ديويت[٢٥] Depuydt من دراسة علمية جديدة بنتيجة لخصها قائلاً: «أكاد أعتقد شخصيًا بأن قمبيز على الأرجح مذنب حتى تثبت براءته» I would personally rather believe that Cambyses is to be presumed guilty until proven innocent. – وهو رأى يجوز لنا أن ننحاز إليه. لكن يجب الإشارة بصراحة إلى أن تلك الرؤية لا تتفق والرأى الحالى الشائع.

وفيما يتصل بالدافع لفعلة قمبيز التى كررها أيضا أرتاكسيركسيس الثالث أوخوس وفق الموروثات التاريخية، فقد قدم مركلباخ[٢٦] Merkelbach منظورا مهما للمناقشة، ظل متروكا دائمًا ولم يُلتفت إليه فى مراجع علم المصريات. فهو يعتقد أن الحدث ربما «له سبب أسطورى»؛ فقد «كان الملك الفارسى ميثرا مُجسدًا. وعندما ظهر الثور المقدس، كان على ميثرا أن يكرر صنيعه العظيم، وأن يضحى بالثور لخير العالم». و«اعتقد قمبيز بوصفه ميثرا جديدًا أن عليه بذل مثل هذا الفداء فى الثور». لذا، فقد أدرك قمبيز على الأرجح أن مواجهته مع ثور أبيس بمثابة طقس، مثلما فعل تيريداتيس، وإقطاعه مملكة أرمينيا تحت حكم نيرو. وعملاً بالدعوة إلى قتل حيوان فى مصارعات المقاتلين من فوق المدرج، قيل إن تيريداتيس «قتل ثورين برميهما بسهم واحد فقط. ومن اللافت للنظر أنه لم يختر أسدا ولا دبا هدفا، لكن حيوان ميثرا». ومن ذلك المنظور، نود رؤية هذا الاغتيال لأبيس الذى يُنسب إلى قمبيز، والذى قد يكون وقع فعلاً. لذا، فإن رواية هيرودوت كانت وفقا لذلك، كما هو مألوف بها جوهر حقيقى، لكن الأسباب المفهومة ضمنا لم تكن مجرد الاغترار بالنفس، والكفر، والجنون من جانب قمبيز. وبهذه النظرة عن قرب، يُحتمل أن قمبيز قد قدم ثور أبيس قربانا – أى قضى عليه فعلاً *de facto* – وعلى الرغم من ذلك سَمَحَ بدفن سلفه.

ومن المعتقد أن المصريين من جانبهم لم يكن فى استطاعتهم تفهم الرؤية «الأسطورية» (الميثولوچية) للأشياء[٢٧]، كما طرحها مركلباخ. وبذلك زُرعت البذرة الأولى التى حولت الفرس فيما بعد إلى شياطين، فتساوى «الميديون» وإله الصحراء المحرم ست مع بعضهما. وفى ذلك، يبدو أنه لم يكن يلعب دورا كبيرا مع ما وقع على عاتق قمبيز شخصيًا، أو بالأحرى على جنود الهمجية الفارسية.

وفى هذا السياق أيضا، يُطرح السؤال عما تعنيه الاتهامات بخصوص انتهاكات المعابد وتدنيس المحرمات الأخرى: فها هو هيرودوت (الكتاب الثالث ٣٧) يروى أن قمبيز فى معبد هفايستوس (أى بتاح) فى منف قد سخر من تماثيل البتايكوس، فأمر بحرق تماثيل الآلهة. ويبدو فعلاً أن الأمور قد وصلت إلى انتهاكات للمحرمات. ففى شمال الكرنك، كانت توجد آثار للحرائق على الأرضية تدل على وجود منشآت من الطوب اللبن من عصر الأسرة الخامسة والعشرين، وهى منشآت سقطت فيما يبدو بسبب اضطرابات الغزو[٢٨]. أما نقش المخربشة الديموطية من معبد ساتيت فى إلفنتين[٢٩]، الذى فُسِّر غالبًا بوصفه شاهدًا ذا أهمية كبيرة على تدمير هذا المعبد تحت حكم الفرس، فإنه يُفهم بطريقة أخرى مختلفة تمامًا. أجل، هو يتحدث فى الواقع عن «الميدى» الذى جاء إلى مصر و«دُمِّرَ» المعبد، لكن تبين أولاً، أن هذا «الميدى» هو فى الحقيقة الملك السيلوقى أنتيوخوس الرابع[٣٠]، الذى غزا مصر فى أثناء الحرب السورية السادسة فى عام ١٦٨، بل حكم هناك لفترة قصيرة، وثانيا، لا تشير كلمة «يُدَمِّر» (خرخر) فى نقش مخربشة إلفنتين فى السياق إلى تدمير عدوانى تسبب عن حرب بالضرورة، لكن إلى هدم منظم للمعبد فى ذلك العصر المتأخر، نظرًا إلى بناء جديد أيضًا كان قد تم تنفيذه فعلاً فيما بعد. لذا، فإن نقش المخربشة ليست له أية صلة وثيقة بموضوعنا.

وفى نهاية الأمر، تبقى أقوال خطاب باجواس الآرامى الشهير (شكل ٤٤)، وهو ذلك الالتماس الذى وجهته الجالية اليهودية فى إلفنتين عام ٤٠٨ إلى باجاڤاهيا، الحاكم الفارسى فى أورشليم[٣١]. ويتناول السماح بإعادة بناء المعبد اليهودى المُدَمَّر حتى حوائط الأساسات وسرقة كل محتوياته النفيسة هناك بواسطة حاكم المكان ڤيدرانجا، حين دفعه المصريون إلى فعل ذلك، ويُشار فى خلفية الالتماس إلى أن هذا المعبد كان موجوذا من قبل تحت حكم قمبيز، لكن لم تَلْحَق به أضرار، وأن «معابد آلهة مصر كافة قد لاقت الهوان / لحقت بها الأضرار». ومؤخرًا، اعترض ف. كايزر[٣٢] W. Kaiser على أن الفعل الآرامى النادر المستخدم 'مِجر' لا يتضمن هنا بالضرورة معنى «تدمير»، لكن يدل بالأحرى على

«تدنيس المعابد باقتحام الجنود الأجانب ونهبهم لوازمه، وأثاثاته، ومخازنه» عمومًا. «ويكاد الملوك البطالمة الأوائل أيضًا أن يثنوا على أنفسهم دائمًا من دون مبرر لاستردادهم تماثيل الآلهة إلى مصر التى كان الفرس قد نهبوها». وقد بيَّن ڤينّيتسكى Winnicki[٣٣] أن الجملة الأخيرة ليست عبارة جوفاء، لكنها تستند على حدث حقيقى. على أية حال، لا يُستدل فى إلفنتين من الناحية الأثرية على أثر لمثل هذا التدمير الشديد لمعابد مصرية. لكن من البدهى وغير قابل للجدل أنه قد وقعت هناك دون شك أعمال سلب ونهب وأضرار تحت حكم قمبيز، مثلما كان يحدث فى أى مكان آخر. وعلى المنهج نفسه، توجد إشارة فى مرسوم رفح لبطلميوس الرابع (عام ٢١٧)، يفهم منها أن «الميديين» ألحقوا الأضرار بمعابد مصر[٣٤]. وفضلاً عن ذلك، فإن التلميح عن هذا الأمر فى تقرير يهود إلفنتين إلى جهة اختصاص رسمية فارسية لا يمكن أن يكون قد جاء من فراغ.

وثمة اتهام ثالث أوقعه التأريخ اليونانى على كاهل قمبيز واتصل بتدنيسه حرمة مومياء أمازيس التى انتهكها من مقبرته لتضرم فيها النيران (هيرودوت، الكتاب الثالث ١٦). ويُرجَّح أن قمبيز قد تصرف بموجب التصورات المصرية، حيث أراد محو ذكرى مغتصب العرش أحمس تمامًا، وأن يتظاهر بأنه خليفة شرعى لأپريس. إن فكرة الشرعية تلك هى ربما أيضًا الفكرة نفسها التى تقف وراء رواية نيتتيس المذكورة آنفًا، وجعلت من قمبيز حفيدًا لأپريس.

ويُعَدُّ التقليص الشديد لإيرادات المعابد هو أحد الإجراءات الفارقة المعروفة التى كانت سببًا لكراهية قمبيز فى الموروثات التاريخية المتعاقبة. إن المصدر المتعلق بهذا الأمر هو الوجه الخلفى لمخطوطة سُميت «أخبار الأيام الديموطية» Demotische Chronik، ويعود تاريخها إلى العهد السابق لعصر البطالمة. وتبدأ بالحديث عن «الأمور التى يجب التشاور بشأنها، التى تختص بحق (أو قانون) المعابد، الكائن فى دار القضاء». وهو يشير وفقًا للمصدر نفسه إلى «قانون الفرعون، والمعابد، والشعب»، الذى جمعه ونسقه داريوس الأول (قارن صفحة ١٧٥). ويسترسل النص: «أخشاب البناء، والحطب، والكتان، والأشجار/ الشجيرات التى

أُعطيت فيما مضى فى زمن الملك أمازيس لمعابد الآلهة، عدا معبد منف ومعبد ونخم ومعبد پرحاپى - (بخصوص) هذ(ه) المعابد، أمر قمبيز: "لا تعطوها لهم ...(*). ويُخصص لهم (للكهنة) مكان فى مناطق الغابات وفى جنوب البلاد، لتزويد أنفسهم بخشب البناء والحطب ويحملونها لآلهتهم". (وبخصوص) [الـ]إيراد للمعابد الثلاثة المذكورة عاليه، أمر قمبيز: "أعطوها لهم ثانية بطريقتها السابقة!" (وبخصوص) الأبقار التى أُعطيت فيما مضى فى زمن الملك أمازيس لمعابد الآلهة، عدا معبد منف ومعبد ونخم ومعبد پرحاپى، أمر قمبيز: "تُعطى لهم نصفها (الأبقار)!" هذا ما كان يُعطى للمعابد الثلاثة المذكورة عاليه، أمر بإعطائها لهم ثانية. (وبخصوص) [الـ]طيور التى أُعطيت للمعابد فيما مضى فى زمن الملك أمازيس، عدا المعابد الثلاثة، أمر قمبيز: "لا تعطوها لهم! وعلى الكهنة أن يقوموا بتربية إوز(هم) (بأنفسهم) وإعطائها لآلهتهم!"». وتُذكر بعد ذلك القيمة المقدرة للإعانات المالية للمعابد فى زمن أمازيس بالتفصيل، مرفقة بأمر قمبيز القاطع: «لا تعطوها للآلهة!»[٣٥].

ويُستدل كذلك على تربية الإوز الخاصة بالمعابد فى عصر الفرس الأول. إذ يوجد ملف كامل شهير من هُوْ (ديوسپوليس پارڤا) فى الإقليم السابع لمصر العليا، ينحدر من بواكير القرن الخامس، ويشير إلى معاملات تجارية متنوعة لرعاة الإوز المحليين[٣٦]. وهؤلاء الرعاة كانوا ينتمون إلى إحدى مؤسسات «دار آمون»، أى أملاك آمون فى الكرنك، التى كانت تشمل أيضا أراضى زراعية فى أنحاء البلاد الواسعة الواقعة شمالاً. وإحدى هذه الوثائق (رقم 2) إيصال فحواه: «وردت واستلمت (أو ما شابه) [من راعى الإوز لدار آمون فلان] ابن فلان، وسُلمت باليد إلى أضاحى الإله آمون [إلى يد فلان ابن] فلان، الذى عُهد إليه إوز [أضاحى الإله آمون] فى قرية نا-سم-سرخى، التى تتبع [أماكن أضاحى الإله] آمون فى منطقة هُوْ: إوزات [...]». وطبقا لوثيقة أخرى تُعدُّ أفضل حالاً من حيث حالة حفظها (رقم 3B)، يُسلم راعٍ من ضيعة آمون إلى أضاحى الإله آمون ثلاث إوزات

(*) فى هذا الموضع تُقرأ كلمة "موسكى"، وهى غير واضحة المعنى (**المؤلف**).

كضريبة إيجار عن أرض كانت قد خُصصت له للخدمة الشهرية[٣٧]. وبالطبع، فقد تلقى رعاة الإوز هؤلاء جزءًا من صغار طير الإوز الذى عُهد إليهم به أجرًا لهم، فاستطاعوا بذلك تغطية نفقات أخرى من جديد.

ربما كان الأمر لا يستحق مطلقًا الاستشهاد بإسهاب بظهر بردية «أخبار الأيام الديموطية»، إذا ما كان خلفاء قمبيز قد تراجعوا عن القرارات الصادرة بشأنها. على أن النص لم يظهر قبل القرن الرابع، ولم يُصوِّر الأحداث من أجل الأحداث نفسها، لكنه ظهر بتلميح هو موضوع الساعة وقتذاك. وإننا لنتذكر العنوان: «الأمور التى يجب التشاور بشأنها، التى تختص بحق المعابد فى دار المحكمة». ومن الجلى أنه كان طلبًا متأخرًا لإعادة الإيرادات السابقة للمعابد. لكن إدًا بريشانى[٣٨] Edda Bresciani ترى أن المعابد الثلاثة المذكورة لم تكن هى المعابد الوحيدة فى مصر بأسرها التى كانت لها امتيازات، فالنطاق الجغرافى المذكور هو منطقة منف فحسب، مما يُعدُّ من الصعب برهنته أو دحضه.

وعلى كل، فإنه من المرجح أن تقليص الإيرادات قد أدى إلى نتيجة أكثر حساسية، إذا ما تأملنا الأعمال الإضافية التى كانت تُنتظر بالتأكيد من المعابد، حتى إن لم تكن لدينا أيضًا مصادر مباشرة لذلك. لكننا نعلم أن معبد إيانًا فى أوروك تحت حكم قورش وقمبيز أُثقل بمصادرات مختلفة[٣٩]: كان لا بد من تزويد الإدارة الملكية بالجنود، وكذلك بالخراف والماعز، والبيرة المصنعة من البلح لمؤنة البلاط، والتوابل إلخ، حتى إن المعبد اضطر إلى الحصول على قرض كبير. لماذا كان الوضع فى مصر أفضل حالاً، حيث يبدو أن قمبيز كان مقيمًا فيها باستمرار؟ وعندما نقرأ عند هيرودوت (الكتاب الثالث ٩١، ٣) أنه كان على الستراپية السادسة باتحاد مصر وليبيا منذ عصر داريوس توريد ١٢٠.٠٠٠ مكيال من الغلال للحامية الفارسية فى منف مع إمدادات القوات العسكرية المساعدة، عدا الجزية السنوية بمقدار ٧٠٠ تالنت، وكذلك من حصيلة صيد الأسماك من بحيرة موريس، فإن من الصعب التصديق بأن المعابد هنا لم تكن مطالبة بالدفع فى الخزينة. يُضاف إلى ذلك أيضًا أن ظهور الملك وحاشيته فى البلاد كان أمرًا باهظ التكاليف للسكان المحليين[٤٠].

وفى سياق التقليصات الشديدة لإيرادات المعابد، كان لا بد من الإشارة إلى أن نوعية تلك الآثار الكثيرة جدًا المعروفة باسم لوحات الهبات[٤١] (شكل ١، ١١٢) من النصف الأول للألفية الأولى وتبرهن على هبات الأراضى من أجل المعابد، تارة من الملوك، وتارة أخرى من شخصيات ثرية غير رسمية، قد زالت بصورة فجائية مع نهاية الأسرة السادسة والعشرين. ومع بداية الأسرة الثلاثين فقط نجد مرة ثانية أمثلة لهذه العادة. غير أننا نعرف من النقش الكبير للهبات فى إدفو[٤٢] أن داريوس الأول والثانى جادا على معبد إدفو بهبات من الأراضى الزراعية. لكن يبدو جملة أن ذلك كان الاستثناء، وأن اختفاء لوحات الهبات لم يكن مجرد صدفة، وإنما يعكس وضعًا متغيرًا.

لذا، ينبغى ذكر قرينة بسيطة للموقف المتحفظ الذى قد يُتخذ تجاه قمبيز، لأنه حتى الآن يُغفل عنه فى النقاش العلمى. ففى البردية الديموطية رايلاندز ٩ التى دُونت فى عصر داريوس الأول، يرد اسم قمبيز مرتين، حيث يُكتب داخل خرطوش، لكن بالمخصص المألوف للرجل[٤٣]. أما اسم داريوس، وهو «أجنبى» بطبيعة الحال مثل اسم قمبيز، فلم يُكتب كذلك. ومبدئيًا، لا ينبغى أن نغالى فى تقدير مثل هذه الحيل الدقيقة للكتابة، لكن أن يحدث ذلك داخل الوثيقة نفسها، فإن الأمر يبدو وكأن وراءه هنا نية مؤكدة. وعلى سبيل المقارنة، يُكتب اسم إكسيركسيس فى الأثر المعروف باسم لوحة الستراپ من دون خانة ملكية إطلاقًا[٤٤] (شكل ٦١). وفى النص المذكور نفسه قبل قليل على الوجه الخلفى لبردية «أخبار الأيام الديموطية»، يُكتب اسم «قمبيز» بمخصص البلد الأجنبى من دون خانة ملكية ومن دون «مخصص الإله».

وقضى قمبيز السنوات التالية فى البلاد، بقصد نقل مركز إمبراطورية الفرس إلى مصر على ما يبدو. ولم يكتفِ بسياسة غزو «آسيوية»، لكنه أعقبها بسياسة غزو «إفريقية»[٤٥]، حيث قاد حملات ضد الواحات الليبية (الأمونيين)، وقرطاجة، وإثيوبيا (كوش). ومُنيت الحملتان الأوليان بالفشل نتيجة تجهيزات غير

كافية. أما فيما يختص بحملة كوش، فإن الوجود الفارسى هناك يشهد بذلك[٤٦]، إذ تعود تلك الحملة على الأرجح إلى عصر قمبيز فعلاً. بيد أن كوشيا، وهى التسمية الفارسية، يُشار إليها فى السنوات المتأخرة فقط لحكم داريوس الأول فى قوائم الستراپيات ودافعى الجزية، وتحديدًا وبصورة مألوفة فى المكان الأخير. وعلى العكس من ذلك، فقد بقيت مروى مستقلة.

واستدعت عودة قمبيز إلى فارس مؤامرة حاكها «الساحر جاوماتا» للخروج عن السلطة. فقد ادعى جاوماتا (المعروف باسم «سمرديس الكذاب») أنه الخليفة الشرعى لقورش، ووجَدَ تأييدًا ملحوظًا لدى الجماهير والكهنة. ووفقًا لهيرودوت، فقد مات الملك الفارسى فى بوتو، نتيجة جرح سببه حين وخز نفسه بسيفه فى فخذه عند اعتلائه جواده - ولم يكن من قبيل الصدفة فى الموضع نفسه، حيث جرح آنذاك ثور آپيس فأودى به (الكتاب الثالث ٦٤، ٣). وهناك نص غامض على الوجه الخلفى لبردية «أخبار الأيام الديموطية» يشير إلى نهاية قمبيز، فقد «مات على الحصير (؟) قبل أن يصل أرضه (وطنه)»[٤٧]. إن النقش الكبير لداريوس الأول فى بيسيتون يستعمل عكس ذلك مصطلحًا نصه الحرفى «لديه موته الشخصى»، بما يعنى «مات ميتة طبيعية»[٤٨].

وينحدر داريوس ابن هيستاسپس من فرع جانبى للأخمينيين، ونجح خلال فترة سريعة جدًا فى القضاء على «الملوك الكذابين» جاوماتا وعصاة آخرين، وأن يعتلى عرش إمبراطورية الفرس فى عام ٥٢٢. وينتسب إلى هذه الفترة تقريبًا أمير مصرى غير معروف يُدعى پتوباستيس، وهو معروف من بعض المصادر، إضافة إلى وثيقة من عام حكمه الأول[٤٩]، الذى يُحتمل أنه كان أيضًا عامه الأخير.

وفى زهاء عام ٥١٨، زار داريوس مصر لمحاسبة الستراپ أرياندس المُعَيَّن من قمبيز على تجاوزات شديدة لاختصاصاته. فقد واجه داريوس طموحات لستراپه نحو الاستقلال، مثلما فعل ألكسندر فى كليومنس فيما بعد.

وبطبيعة الحال، لم يكن داريوس يستطيع أيضًا الاستغناء عن أنصار مخلصين من جانب المصريين. فقد شاهدنا من قبل أن وچاحوررسنت الذى أسدى الخدمات الجليلة إلى قمبيز، قام أيضًا بتقديمها إلى داريوس. وكان هناك زميل أمين آخر، وهو پتاححوتپ الذى ينحدر تمثاله بالتأكيد من معبد فى منف، ومحفوظ الآن فى متحف بروكلين(٥٠) (لوحة ١٤ ب). إن افتقاد رأس التمثال كما هو فى حالة وچاحوررسنت يثير كثيرًا من الشك – فهل انتقمت الأجيال التالية من «المتعاونين مع المحتل»؟ ويُلاحظ الرداء المميز المعروف باسم «المعطف الفارسى» الذى كان مفضلاً جدًا فى هذه الفترة، مضافًا إليه «الإيماءة الفارسية»، لكن ذلك لم يكن ملزمًا إطلاقًا، لأن هذا المعطف كان موجودًا هنا وهناك فى العصر الصاوى، مما يدل على أنه غير فارسى المصدر(٥١)، بل توجد أمثلة سابقة فى تماثيل أمنحوتپ الثالث(٥٢)! أما قلادة تمثال پتاححوتپ بمنظر الجديين (لوحة ١٤ ج) – وهو موضوع منتشر فى الفن الفارسى القديم – فهى حقًا فارسية، وتُقارن بالسوار الذهبى الذى ينتهى بأسدين وهما يلتهمان جديين(٥٣) (لوحة ١٥ أ). وكان قد عُثِر عليه عند تشييد القناة فى كورينثة وهو موجود الآن فى كارلسروهه Karlsruhe بألمانيا. ومن الجلى أنها هدية ملكية أجاد بها الملك العظيم على أحد رعاياه المخلصين. وللأسف، فإن النقش على الدعامة الخلفية للتمثال تقليدى تمامًا؛ ومن ثَمَّ، فهو لا يُقارن مع نقش تمثال وچاحوررسنت! لكننا نستخلص منه معلومات لها دلالة كبيرة مفادها، أن پتاححوتپ كان «مديرًا لكل الأعمال الملكية (أى مشاريع البناء)»، و«رئيسًا للخزانة». وفى هذا الجانب، فإنها معلومات جديرة بالملاحظة، على اعتبار أن مثل هذه المناصب الرفيعة كانت فى حقيقة الأمر حكرًا على الفرس، وسوف نعود إلى ذلك ثانية. لهذا السبب يشكك بريان Briant فى أن پتاححوتپ كان حقًا وزير مالية للستراپية، بل إنه كان الشخص المعروف بلقب سنتى الذى كان أيضًا مصريًا (!)، لكنه يَعُدُّه موظفًا كبيرًا بالإدارة المالية(٥٤).

وإنه لمن الطريف ظهور اسم غير مصرى، أو بالأحرى مدلول قپيش على أثر آخر للرجل نفسه، وهو لوحة سيراپيوم من عصر داريوس(٥٥). ونحن نعلم أن پتاححوتپ كان ذا أصل مصرى خالص؛ ومن ثَمَّ، فلا يمكن أن يكون قپيش اسمًا

لجد أعلى. وبما أن بيان النسب «ابن ...» يُلحق به مباشرة، فلا يمكن أن يكون لقبًا، كما اعتقد سابقًا، إلا إذا كان قد استخدم وكأنه اسم علم أو لقب. ورجّح پوزينير Posener أننا إزاء لقب لپتاححوتپ منحه له الملك العظيم[٥٦]. كما أوضح العالم نفسه أن ڤيپش هذا وثيق الصلة بالصيغة المتأغرقة كومبابوس Κομβαβος، وكومبافيس Κομβαφις المذكورة آنفا، حيث تبرهن موروثات لاحقة على وجود هذا النمط للمطوش المخلص والمتفانى فحسب (Ktesias. Lukian)[٥٧].

كان جمع القوانين وتنسيقها وتنظيمها من الحقوق التى كانت سارية تحت حكم أمازيس هو أحد أهم الإنجازات المهمة لداريوس فى مصر. ونستقى ذلك من نص على الوجه الخلفى لبردية «أخبار الأيام الديموطية»[٥٨]. وقد جاء عند ديودوروس (I 95, 4) أن داريوس كان المشرِّع المصرى السادس (والأخير). واستغرق عمل اللجنة المُعيَّنة من داريوس ١٦ سنة، وهى لجنة تكونت وفقًا للنص الديموطى المذكور من الـ «حكماء من بين المحاربين، والكهنة، وسائر كتبة مصر». وأُرسلت النتيجة إلى سوسه، حيث كان يستلزم ترجمتها إلى الآرامية، لغة المعاملات الرسمية لإمبراطورية الفرس، وإلى الديموطية. وتضمن هذا العمل «قانون الفرعون، والمعابد، والشعب»، وبمعنى آخر القانون الرسمى، وهو «قانون المعابد»[٥٩] وقانون الأحوال الشخصية. ويبدو أنه قد تأثرَ به الكتاب النموذجى «دستور قوانين هيرموپوليس» Hermopolis Legal Code وكتاب «الهداية» Gnomon المختص بما يُعرف باسم «حساب (الدولة) الخاص» Idios Logos من العصر الرومانى. فهناك مصطلح قانونى فارسى قديم بمثابة قرينة دامغة فى البرديات الآرامية من مصر، بل وجد طريقه فى «دستور القوانين» Legal Code المذكور سالفا، ويشهد بأهمية حكم الفرس فى هذا المجال[٦٠].

ومن خلال هذه الإنجازات التشريعية، نشعر سلفًا كيف تجسمت صورة داريوس بوصفه «فرعونًا مثاليًا». فإذا كان قمبيز عنوانًا للكفر والإلحاد، فقد كان داريوس وفقًا لموروثات تاريخية قديمة على العكس منه. وفى هذا التقدير، فإن موقف داريوس من قمبيز يشبه تقريبًا موقف قورش من إكسيركسيس. وفى هذا

الوصف، تواءم ظهور داريوس بوصفه راعيًا للعبادات المصرية وذا الخير والبركة للكهنوت. ويقارن يان أسمان J. Assmann السياسة المتباينة للآشوريين، والصاويين، والفرس مع بعضهم فى الجمل الآتية: «انحصرت السياسة الأشورية فى التزام الحكام المحليين تجاهها بوصفهم أتباعًا (...). وعملت الأسرة السادسة والعشرون على تحويل البنيات الإقطاعية التى اعتمدها الآشوريون إلى بنيات بيروقراطية ثانية، لكن من دون أن تستطيع طمس الإمارات الليبية ولا محو ذكراها تمامًا (...). لذا، كان فى إمكان الفرس توثيق صلتهم مع هذه النخبة العسكرية، بيد أنهم انتهجوا نهجًا آخر، فعقدوا آمالهم على الكهنوت. وهذا معناه أنهم اتخذوا الدور الإيديولوچى والطقسى للملكية الفرعونية بكل ألقابها، فدخلوا بذلك تجاه الآلهة فى علاقة البنوّة التى خلعت عليهم صفة الشرعية فى عيون مصرية، لكن هذه العلاقة ألزمتهم كذلك بنشاط معمارى دءوب للآلهة»[٦١].

إن هذه الأنشطة الدينية نعرفها بشكل غاية فى الروعة فى معبد هيبيس الكبير فى واحة الخارجة، الذى كان الصاويون قد بدءوا بناءه وتمت زخرفته بصورة جوهرية تحت حكم داريوس الأول[٦٢] (لوحة ١٧). ونلاحظ هنا تكرار منظر الملك الفارسى فى الدور التقليدى للفرعون وهو يقدم القرابين مثل البطالمة والرومان فيما بعد (لوحة ١٦ ب، ١٧). ونجد شواهد لأعمال البناء لداريوس منتشرة أيضًا فى أماكن أخرى، وعلى سبيل المثال فى الكاب، حيث نجد اسمه فى كتابة غير معتادة (لوحة ١٨ أ).

لكن من المهم عند تقييم السياسة الدينية للأخمينيين علينا أن نلقى بالاً أيضًا على ما لم يعد باقيًا هناك على النقيض من العصر الصاوى السابق. فقد وُضعت نهاية حاسمة لتلك المؤسسة الطيبية للزوجات الإلهيات لآمون التى كانت ذات أهمية فيما سلف، إضافة إلى جهازهن الإدارى. وكان پسمَّاتيك الأول وقتذاك قد استخدم هذه المنشأة لتوطيد حكمه فى مصر العليا بنهج دبلوماسى، حيث جعل الزوجة الإلهية المسئولة فى ذلك الوقت (عام ٦٥٦) تتبنى ابنته نيتوكريس[٦٣]. ولم يرَ الفرس سببًا على الإطلاق لاستخدام هذه الوسيلة لتأكيد سلطتهم، فألغوا من دون

تردد هذه المؤسسة مع الجهاز الإدارى الضخم المختص[٦٣]. وأصابت هذه الإجراءات أيضًا العاملين فى الطقوس الدينية مثل أولئك المعروفات باسم «منشدات من داخل آمون»، اللاتى حملن مرارًا أسماء الزوجات الإلهيات، وزدن من أنفسهن، كما يُفترض بصفة عامة مثل هؤلاء الأخيرات من خلال التبنى[٦٤]. على أية حال، ففى عصر الفرس انقضى عهد ذلك أيضًا، وإلى الأبد. وإلى جانب ذلك، اختفى تمامًا كبار كهنة آمون فى طيبة أيضًا، ليظهروا ثانية فى الأسرة الثلاثين.

ويُثنى على الأخمينيين تسامحهم الدينى الذى ردده ديودوروس (I 95, 5) عن داريوس – باستثناء خراف سوداء[*] schwarze Schafe بعينهم مثل قمبيز –، وهو تسامح على الرغم من المصلحة الشخصية فى مجموعه نادرًا ما وصل إلى عبور الحدود بين ديانة الفرس وديانة المصريين. ولعل تأسيس معبد لمعبود مصرى تبرهن عليه لوحة آرامية من أسوان[٦٥]، بواسطة قائد حامية فارسى فى أسوان، هو مثال لمثل هذا التسامح.

وباستثناء مثل هذه الحالات الفردية، فإن هذا التسامح الذى يمكن التحقق منه فى الإمبراطورية بأسرها، لا يكاد فى مجموعه أن يكون ناشئًا عن احترام خاص لأديان البلاد المحتلة، لكن كان مرده بالأحرى خليطًا من اللامبالاة وحساب سياسى[٦٦]. إلا أنه لا يمكن بطبيعة الحال الحديث عن لامبالاة دينية بصفة عامة. يُضاف إلى ذلك، أن قوة تأثير الديانة أو الديانات الفارسية كان مستمرًا، غير أنه لا يجوز المغالاة فى تأثيرها، وامتدادها عبر مجال جغرافى شاسع كان قويًا جدًا. وفى هذا السياق، أبدى كاكوشى[٦٧] Kákosy ظنه، بأن فكرة ما يُعرف باسم «الأثير النارى» Der feurige Äther فى العصر المتأخر والمسجلة أيضًا بالنص والصورة فى معبد هيبيس على سبيل المثال، لم تُقتبس فى حقيقة الأمر من فارس، إذ توجد أمثلة محلية سابقة، لكنها أصبحت قريبة بصورة فارقة من خلال تصورات عقائدية متوازية لتصورات السلطة الغازية ومحابية لها فى تطورها.

(*) تعبير شائع فى معظم اللغات الأوربية، يعنى الأبناء المفسودين أو الجانحين داخل أسرة، أو الأفراد الخارجين عن تقاليد جماعة من الناس (المترجم).

ومن البدهى أن التسامح الدينى المذكور سالفا لم يمنع الامتياز الملكى من أن يستبعد اعتماد تعيينات الكهنة. وفى هذا الصدد، كان داريوس يرتكز تمامًا على التقاليد المصرية. ولدينا مادة وثائقية فى هذا الأمر من البرديات الديموطية فى إلفنتين، ولا سيما تلك البرديات المعروفة اصطلاحًا باسم مراسلات فيريندداتس[٦٨] Pherendates-Korrespondenz.

وتُعدُّ بردية برلين الديموطية P 13539 المؤرخة فى ديسمبر من عام ٤٩٣، بعد إعادة تصحيح تاريخها، بمثابة شاهد سابق من شاهدين رئيسيين لذلك، وفيها يُبلِّغ «كهنة خنوم العظيم، سيد إلفنتين» الستراب فيريندداتس بعد حوالى أربعة أشهر مضت على تعيين ليزونيس (Lesonis) لمنصبه بما يلى: «فى العام ٢٩، الشهر الرابع لفصل پرت، فى فترة خلافة الليزونيس[٦٩]، جعلنا پتيخنوم ابن حَعنيبرع يعتزل بصفته ليزونيسا وجعلنا خلفًا له نسخنومپامتر ابن حورخب ليزونيسا. لقد اتفقنا على جعله الليزونيس. وسوف يسمح بتوريد وتقدمة قربان مُحرَّق لخنوم».

ومن الملاحظ أن الليزونيس لم يكن «كاهنا»، بمعنى أنه لم يكن يمارس شعائر دينية؛ فقد كان رئيسًا محليًا لإدارة المعبد، وبذلك كان مسئولاً أيضًا عن تنفيذ الأعمال وأداء الضرائب إلى خزينة الدولة. ويُفترض أن هؤلاء الموظفين الكبار كانوا يُنتخبون كل سنة من جديد، وذلك على أساس وجود صيغة «فى فترة خلافة الليزونيس» ومصادر لاحقة. لكن يبدو أن احتمال تجديد انتخابهم كان قائمًا بصفة مبدئية، مثلما هو فى حالة پتوزيريس الشهير الذى كان ليزونيسا لتحوتى فى هيرموپوليس طوال سبع سنوات.

وبعد أربعة أشهر تالية تقريبًا من كتابة الخطاب الأول فى إبريل من عام ٤٩٢، تلقى كهنة خنوم فى إلفنتين الرد من الستراب (بردية برلين P 13540). ويستحق الأمر الاستشهاد حرفيًا بما ورد فى هذه الوثيقة التى ربما قد تُرجمت من الآرامية إلى الديموطية (قارن حاشية ٦٨): «يوجد هنا كهنة عرضهم لى الحرى-إدب سابقًا، قائلاً: 'ينبغى أن يصبحوا ليزونيسًا'، حيث / على الرغم من أنه

يوجد هارب واحد من بين الكهنة المذكورين، وأُمر بالبحث عنه. يوجد من بينهم أيضا واحد خادم لآخر. إن مثل هؤلاء (الأفراد) لا يمكن جعلهم ليزونيسا. والآن، الكاهن الذى يجوز جعله ليزونيسا (هو الذى يكون؟) وجيها / غنيًا، الذى أنا سوف أعتمده (أو ما شابه)، بحيث لا يوجد شيء، ما يجعله يُفسد، ذلك الذى يُنتخب بموجب ما أمر به الملك داريوس». إن الكلمات الختامية للستراپ مهمة: «الكاهن الذى يكون قد أفسد شيئا، أو الذى يكون فى خدمة رجل آخر، أناس من هذه النوعية لا يجوز أن يُعرضوا لى، ليصبحوا ليزونيسا!». ومن ثمَّ، ينبغى أن يكون الليزونيس مستقلا، بمعنى أنه لا يجوز له أن يكون فى ظروف استدانة أو تبعية، فلا بد أن يكون مؤهلا.

ثمة أمران يستحقان الانتباه إليهما: الأول هو الموظف المجهول المذكور بلقب حرى-إدب، ثم الإشارة إلى اختيار المرشح «بموجب ما أمر به الملك داريوس». وفى هذا الأمر الأخير إشارة تُفهم بأن قرار اختيار المرشحين كان خاضعا للإدارة الفارسية، أى من واجب الستراپ، كما هو ظاهر فى الحالة الملموسة، بينما كان الكهنوت المحلى له الحرية فى عرض المرشحين. ومن الغريب أن الستراپ لم يُشر إطلاقا إلى الليزونيس الجديد - فهل فُقد خطاب سابق فيما يختص بهذا الأمر؟ أو هل بدا للستراپ فى هذه الحالة الخاصة غير ضرورى إعطاؤهم الرد صريحا، وأنه كان ينبغى على الكهنة معرفة بدهيات عامة معينة؟

وفيما يختص بلقب حرى-إدب(٧٠)، الذى يُكتب فى الوثائق الديموطية بطريقة غامضة نوعا ما، فهو منصب رفيع ظهر فى العصر الصاوى، وله علاقة ما مع الرقابة المركزية لإدارة المعبد. ويميل البعض إلى ربطه فى اتحاد شخصى مع لقب سنتى، بمعنى «وزير المالية» ولقب «رئيس الحقول».

وفى هذا السياق، ثمة خطاب آخر مهم عُثر عليه فى إلفنتين، ونُشر قبل بضع سنوات فقط، وينحدر من العام الرابع والعشرين لحكم ملك لم يُذكر اسمه، والمقصود بالتأكيد هو داريوس الأول؛ لذا، فهو يعود إلى عام ٤٩٨، ويُستهل بما يلى(٧١): «غنمئيبرع يحيى كهنة خنوم فى إلفنتين، والليزونيس، وكتبة المعبد. لعل (الإلهة) نيت تطيل أعمارهم (المرسل إليهم)!». وصيغة التحية تلك تتضمن

علاقة وثيقة لمرسل الخطاب بإلهة سايس، على الرغم من أن مقر الإدارة فى العصر الفارسى كان فى منف، مثلما كان من قبل أيضًا فى الأسرة السادسة والعشرين. وأكبر الظن أن غنمئيبرع قد وُلد تحت حكم راعى هذا الاسم الملك أمازيس؛ لذا فإنه من الجائز جدًا زمنيًا مطابقته تمامًا مع «مدير الأعمال» الشهير غنمئيبرع (لوحة ١٨ ب)، إلا أن مجالات العمل متباينة تمامًا، ومن الصعب الاعتماد على مجرد تطابق الأسماء. على أية حال، فلا بد أن غنمئيبرع كان شخصية مهمة ومعروفة فى الإدارة المركزية. وبعد صيغة التحية المقتضبة، يواصل خطابه بطريقة فظة بعض الشىء قائلاً: «لقد كتبت لكم سابقًا أنه كُتب لى بواسطة الحرى-إدب(*): 'لعل كهنة خنوم، والليزونيس، وكتبة المعبد يحضرون إلى البيت، حيث أكون فى أحد الأيام، فى مدى عشرة أيام، بدءًا من يوم ١٦ أمشير للعام ٢٤!'». إلا أن المرسل إليهم لم يمتثلوا وقتذاك لهذا الأمر، كما صرح غنمئيبرع. وحينئذ كان على المتلكئين المجىء إليه مباشرة، ونعلم أيضًا بشكل ملموس لماذا: «عندما يصلكم هذا الخطاب، تعالوا إلى البيت، حيث أكون، وفى يدكم تفتيش المعبد مكتوب، وثلاثة دفاتر (أو لفائف بردى)، وحساب وقف القرابين لخنوم بالنسبة إلى العام ٢٢، والعام ٢٣، والعام ٢٤! لا تجعلوا الموعد ينقضى، بخصوص ما كُتب لى بواسطة الحرى-إدب».

والجدير بالذكر أن الموعد المنقضى - بعد قراءة صحيحة جديدة اقترحها ميشيل شُوڤو[٧٢] M. Chauveau - كان يجب أن يتم عند الحرى-إدب فى إدفو، بمناسبة دورة تفتيش بمصر العليا علي ما يبدو. لذلك، لم يكن على الكهنة والكتبة أن يقوموا أصلاً برحلة طويلة إطلاقًا إلى المقر الملكي. وبالطبع، فإن رحلات تفتيش المعابد فى مصر ليست جديدة، وإلا كان ذلك شكلاً مميزًا فى عصر الفرس، فنحن نعرف أيضًا مثل هذه الرحلات من عصور سابقة.

لذا، فإن السماح بتعيين ليزونيس جديد لمعبد خنوم فى إلفنتين واعتماده كان من شأن إدارات الدولة. ومن البدهى سريان ذلك أيضًا على سائر المعابد الكبيرة فى البلاد. وعلى الرغم من ذلك، لم يحلُ للكهنة تدخل سلطة الدولة الأجنبية فى

(*) أى ذلك الموظف المعروف لنا من قبل فى مراسلات فيرينداتس (المؤلف).

أمورهم. وهذا ما نستخلصه أيضًا من بردية رايلاندز ٩ من عصر داريوس. وتبعًا لذلك المصدر، فقد وُضع من دون تردد ليزونيس غير مرغوب فيه فى السجن، بالاتفاق مع الكهنوت المحلى فى تويچوى (الحيبة) بمصر الوسطى، وحلً محله شخص آخر مقبول[٧٣]. ولا نعلم بأية ذريعة - إذا ما كان يوجد على الإطلاق - كان على المسئولين أن يختلقوها تجاه الإدارة الفارسية فى المقر الملكى.

وبصفة عامة، فإنه من اللافت للنظر فى بردية رايلاندز ٩ هو قلة الحديث عن الموظفين الفرس الكبار. والسبب فى ذلك، يرجع بصورة رئيسية إلى أن هذه الوثيقة، التى تختص بالأحداث التى وقعت فى الأسرة السابعة والعشرين، تتناول فى المقام الأول تحديدًا الشئون المصرية التقليدية فى الكهنوت، ومجال الوظائف المدِّرة ومصادر الربح Pfründe.

كان إنشاء قناة بين بوباسطة والبحر الأحمر إنجازًا لمشهد استعراضى لداريوس الأول، حتى وإن لم يستمر طويلاً[٧٤]. وكان نيخو قد بدأ العمل فيها قرب عام ٦٠٠، لكنه توقف ثانية بعد ذلك، وكما يُقال، بناءً على نبوءة وحى أبلغه بأنه لا يخدم بذلك سوى البرابرة. وأتمَّ داريوس العمل الذى يشهد به سواء هيرودوت (الكتاب الثانى ١٥٨) أو ثلاث لوحات بلغات متعددة: بالمصرية، والأكادية، والفارسية القديمة. ويُشدَّد على اللغات المتعددة تلك، لأن الأعمال المنشورة للأسف لا تُبيِّن فى الغالب ذلك من الوهلة الأولى، لكنها تراعى فقط اللغة (أو اللغات) التى كرَّس الباحث اختصاصه اللغوى فيها، كلاً على حدة. وإلى جانب ذلك، فإن النسخ الثلاث ليست واحدة من حيث تطابق مضمونها فى كثير أو قليل، مثلما هى الحال فى مراسيم كانوپوس ورشيد البطلمية، لكنها تتفاوت عن بعضها بصورة قوية جدًا. وربما يكون النقش الثلاثى اللغة لكورنيليوس جاللوس فى القاهرة أقرب هنا إلى المقارنة. أما الأجزاء المصرية[٧٥] فهى مؤلفة من شظايا وشذرات كثيرة؛ لذلك فهى صعبة الفهم. ويطلعنا هيرودوت على أن «طولها (القناة) يبلغ إبحار أربعة أيام، لكن عرضها حُفر لتمخراها سفينتان من ذوات ثلاثة صفوف من المجاذيف بجانب

بعضها». وتطلعنا النسخة الفارسية القديمة[٧٦] أيضا على هذا الأمر بصورة مقتضبة: «إن الملك داريوس يتحدث: أنا فارسي؛ من فارس هاجمت مصر. (و) أمرت بحفر هذه القناة من النهر المسمى پيراڤا[٧٧] الذى يجرى فى مصر حتى البحر الذى يخرج من فارس. بعد ذلك حُفرت هذه القناة، مثلما أمرت، وأبحرت السفن من مصر (مودرايا) عبر هذه القناة إلى فارس، كما كانت رغبتى».

وكان الغرض من هذا المشروع هو ربط مصر بشبكة مواصلات الإمبراطورية بشكل أفضل، إلا أن الرمال غطت القناة فيما بعد، فكان لا بد من حفرها ثانية لاحقًا تحت حكم بطلميوس الثانى.

وفى مثل هذا الوقت تقريبا لبناء القناة الفارسية، فى عامى ٤٩٧/٤٩٦، زار داريوس مصر للمرة الثالثة والأخيرة. ويُعدّ تمثاله الكبير عديم الرأس للأسف (شكل ٥٨ ب) الصورة الفنية المبدعة الوحيدة لملك أخمينى[٧٨] ونتيجة ثانوية لهذه الأعمال النشيطة. وقد اكتشف فى سوسه فى نهاية عام ١٩٧٢، حيث كان مُقامًا عند «بوابة داريوس»، وهذا يعنى عند بوابة المبنى الضخمة التى تصدرت قصور سوسه («Basileia»)؛ لكن الموقع الأصلى يُحتمل أنه كان هليوبوليس، حيث أمر باستحضاره من هناك ابن داريوس وخليفته إكسيركسيس مع تمثال آخر مقابل اختفى اليوم على الأرجح. ويُلاحظ المنظر التفصيلى الدقيق للسيف القصير الغنى بالزخارف المعروف باسم أكيناكس فى الحزام. وفى ثنايا الرداء الطقسى الفارسى، مثلما هو أيضًا على قاعدة التمثال، وُضعت نقوش هيروغليفية، وأخرى (فى ثنايا الرداء فقط) بالفارسية القديمة، والعيلامية، والأكادية. وتتطابق النقوش المسمارية مع بعضها من حيث المضمون، لكن ليس مع النص المصرى، فتطلعنا على أن «هذا التمثال من حجر، أمر الملك داريوس بعمله فى مصر، ليعرف بذلك ممن سيرى التمثال فيما بعد أن الرجل الفارسى يستولى على مصر» (شكل ٥٩).

وعلى قاعدة التمثال، سُجّلت أسماء الشعوب المغلوبة وفقًا للتقليد القديم داخل إطار بيضاوى، بوصفه تجسيمًا لحاميات عسكرية (شكل ٨)، ويعلوه فرد من الشعب المهزوم المتعلق به الأمر فى زى مميز وهو يرفع يديه طالبًا مؤيدًا. ولعل

ذلك جدير بالملاحظة، إذ من المألوف أن ممثلى البلاد الأجنبية فى مصر يصورون فى العادة بأيدٍ مربوطة إلى الوراء، فى حين أن الأجانب فى الصور الماثلة على لوحات القناة الثلاث المذكورة آنفًا لداريوس الأول، يرفعون أيديهم ليس تأييدا، لكن وهم يتعبدون. وهكذا، تمّ الاستغناء عن التقييد بالأغلال التقليدى، لإبراز اختيار تلك الشعوب للاستسلام. ولعله تجديد ذو مغزى أن يظهر فى مصر ذلك التعبير المعنوى الدال على التأييد متمثلاً فى «حمل السماء»، وإن كان فى سياق آخر فقط، حيث نرى أمثلة فارسية محسوسة فى ثوب مصرى[٧٩]. ومن ثمَّ، فإنه علينا فهم المناظر المحسوسة فى ضوء جمل وردت فى نقوش مقبرة داريوس الأول تقول: «وعندما تفكر فى هذا: 'بأى كثرة كانت البلاد التى استولى عليها الملك داريوس؟'، لذا، تأمل صور أولئك الذين يحملون تاج(ى)، ثم سوف تتعرف، ثم ستعرف أن رمح الرجل الفارسى زحف من بعيد جدًا، ثم ستعلم أن الرجل الفارسى قد قاتل بعيدًا من فارس!»[٨٠].

وإنه لمن الطريف ملاحظة، إلى أى مدى اقتبست أو تُرجمت مسميات فارسية فى النقوش المصرية، وإلى أى مدى حدث انسجام مع التصورات المصرية. إن سلسلة الألقاب «العظيم، أمير الأمراء (أو عظيم العظماء)»[٨١] غير المستخدمة بهذا الأسلوب عند الملوك المصريين، هى مجرد ترجمة مبسطة بعض الشيء من الفارسية القديمة: *ḫšāyaθiya vazrka ḫšāyaθiya ḫšāyaθiyānām* «الملك العظيم، ملك الملوك». أما أن يحمل هيستاسپس، والد داريوس، على تمثال سوسه لقب «والد الإله»، فيمكن تفسير ذلك فقط بأنه عودة إلى الاستخدام القديم لهذه التسمية، لكونها لقبًا لأب غير ملكى لابن ملكى، وهو استخدام نادر فى العصر المتأخر.

وتوجد الآن فى برلين لوحة نذرية صغيرة متواضعة بسيطة الصنع تمامًا، توضح مظهرًا خاصًا للعلاقة بين الملك ورعيته، حيث تظهر مصريًا وهو يتعبد أمام صقر، وبها حاشية نصها «إله طيب، سيد القطرين، داريوس»[٨٢] (شكل ٦٠).

على أية حال، فهو نصب تذكارى يُعبِّر عن التقوى الشخصية، وليس عن العبادة الملكية الرسمية. وليست مجرد صدفة أن يرد إلينا مثل هذا النوع من الآثار، وبوجه خاص لداريوس، وعلى الأرجح من عصر بعد وفاته.

ويلقى أثران تذكاريان مختلفان تمامًا من حيث النوع من عصر داريوس ضوءًا على العلاقات النشطة بين مصر والوطن الفارسى الأم:

تطلعنا نقوش ملكية على الحجر من سُوسه[٨٣] على تفاصيل بناء قصر سوسه. فنعرف من أين وردت مواد البناء التفصيلية: وهى خشب الأرز من لبنان، والذهب من ساردس (عاصمة ليديا) وباكتر (شمال أفغانستان)، والفضة وخشب الأبنوس من مصر، والعاج من كوشا (كوش) والهند وأراخوز (جنوب أفغانستان). «والنحاتون الذين اشتغلوا بالحجر كانوا أيونيين وليديين. والصاغة الذين اشتغلوا بالذهب كانوا ميديين ومصريين. والرجال الذين اشتغلوا بالخشب كانوا ليديين ومصريين. والرجال الذين صنعوا الطوب المحروق كانوا بابليين. والرجال الذين زخرفوا الأسوار كانوا ميديين ومصريين».

إن وجود عمال مصريين فى بلاد فارس وتشهد به هذه النقوش، تؤكده أيضًا «لوحات حصن برسبوليس» العيلامية Persepolis Fortification Tablets من الفترة حوالى عام ٥٠٠، حيث كان الحديث هناك ذات مرة عن صرف نبيذ لعدد لا يقل عن ٥٤٧ عاملاً مصريًا[٨٤]!

ومن ثمّ، فلم يكن المطلوبون فى إمبراطورية الفرس أطباءَ فحسب، لكن أيضًا حرفيين وعمالاً متخصصين. فهذا الخليط لعناصر وأساليب مختلفة آشورية، ومصرية، ويونانية الأصل يتصادف وجودها فى الفن الفارسى القديم والعمارة[٨٥]، لا يرجع وليس آخرًا إلى اشتراك متخصصين كثيرين بهذا الحجم من سائر أنحاء الإمبراطورية. وكنتيجة متوقعة لهذا الخروج الحاشد للطاقات المتخصصة فى مصر، وعلى وجه الخصوص خارج المقر الملكى، تأكد النقص اللافت للنظر فى نوعيات معينة من الآثار (التماثيل واللوحات) أو على الأقل فقدان الجودة بصورة ملموسة[٨٦].

وفى عام ٤٨٦، وقبل فترة قصيرة من موت داريوس الأول، اندلعت أول ثورة ضد الفرس، لكنها مثل أغلب الخروجات على السلطة خلال النصف الثانى للألفية الأولى، لم تكن بواعثها وطنية من حيث ترتيب أسبابها، لكنها اجتماعية بالأحرى[*]. وأخمد إكسيركسيس ابن داريوس وخليفته الثورة، وعيَّن أخاه أخايمنيس ستراپا جديدًا. ويُعَدُّ إكسيركسيس مشابهًا لقمبيز، بوصفه عنوانًا للملك الشرير، وفضلاً عن ذلك رمزًا للفساد؛ لكن اعترض على ذلك وبعدم صواب كلتا الصفتين موضوعيًا[٨٧]. وبطبيعة الحال، فقد لعب دورًا فى هذا التقييم السلبى نزول إكسيركسيس الحرب ضد اليونان. وتبعًا لذلك، فقد رُسمت بالطبع صورة سلبية فى المصادر المصرية؛ على أية حال، يُوصف إكسيركسيس على لوحة الستراپ المذكورة سالفًا من عصر بطلميوس الأول بأنه ذلك الذى انتزع أرض فِتنوتيس من كهنة بوتو. وكان عقاب ذلك أن طردت الآلهة «العدو» إكسيركسيس من قصره سويًا مع ابنه الأكبر[٨٨]، حيث كُتب اسمه - كما ذُكر من قبل - من دون خانة ملكية ومن دون أية ألقاب (شكل ٦١).

وفيما عدا ذلك، فإن إكسيركسيس وخليفته أرتاكسيركسيس الأول يظهران فى وثائق آرامية، لكن ليس فى وثائق ديموطية وبصورة لافتة للنظر، وبعبارة أخرى، لا يُستدل يقينًا على وثائق بردية وطنية من عصر هؤلاء الحكام - ولا يعنى ذلك بطبيعة الحال أن مثل هذه الوثائق لم تكن موجودة. وطيلة الأربعين سنة لحكم أرتاكسيركسيس الأول (٤٦٥-٤٢٤)، حدثت قلاقل أخرى فى مصر. فاستطاع أمير من الدلتا، قد يكون من أصول ليبية يُدعى إيناروس[٨٩]، أن يملك زمام مصر السفلى؛ وفى هذه الأثناء بقيت منف ومصر العليا فى قبضة الفرس. غير أن الدعم الذى التمسه إيناروس من الأسطول الأثينى أخفق فى نهاية المطاف. أجل، فقد قُتل

(*) نختلف مع رأى المؤلف جملة وتفصيلاً، ليس لكونه تجريحًا مبطنًا للمصريين فقط، لكن أيضًا باعتباره لا يستند من قريب أو بعيد إلى قرائن أثرية على الإطلاق، فضلاً عن اندلاع الثورة فى أثناء ولاية داريوس نفسه وليس عقب وفاته، أو خلال تداول العرش، كما زعم المؤلف فى موضع آخر بالنسبة إلى ملوك آخرين. ولا نريد لضيق المجال هنا تفنيد رأيه ودحضه سواء فى الشكل أو المضمون (المترجم).

الستراب أخايمنيس عند پاپريميس، لكن الفرس أظهروا مقاومة مستميتة عند منف، فأرغموا اليونانيين الذين بقوا أحياءً على الانسحاب إلى قرينية. وأُحضر إيناروس إلى فارس، حيث صُلب فى عام ٤٥٤. وساد الهدوء فى العقود التالية، لكن فى السنوات الأخيرة لداريوس الثانى (٤٢٤-٤٠٤) وخليفة أرتاكسيركسيس وقعت اضطرابات مرة أخرى. وبعد فترة قصيرة من اعتلاء أرتاكسيركسيس الثانى العرش، عام ٤٠٤، سقطت مصر السفلى فى بداية الأمر، ثم بقية البلاد، حيث تأتى من واحة الخارجة شقفة فخارية ديموطية عُثِر عليها مؤخرًا هناك، وتؤرخ بالعام الثالث لحكم أرتاكسيركسيس، أى عام ٤٠٢[٩٠]. وإلى جانب ذلك، نشهد كيف لازم تداول العرش تكرار اندلاع اضطرابات شديدة فى الولايات الأخرى؛ وما شابه ذلك لاحظناه بالطبع من قبل أيضًا فى عصر الدولة الآشورية.

وآميرتايوس (أى «آمون هو ذلك الذى أعطاه») الذى اقتصرت عليه وحده الأسرة الثامنة والعشرون (٤٠٤-٣٩٨) تتطابق هويته طبقًا لأبحاث علمية معاصرة فى مصادر ديموطية معينة مع الحاكم المُسمَّى پسمَّاتيك[٩١]. إن پسمَّاتيك (الخامس) هذا كان وفقًا لديودوروس «سليل پسمَّاتيخوس الشهير»، أى أنه فيما يبدو مثل الحكام الأوائل للأسرة السادسة والعشرين ينحدر من أصول ليبية[٩٢]. والحكام المتعاقبون للأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين كانوا آخر الفراعنة الوطنيين فى تاريخ مصر، باستثناء بعض الملوك المحليين العابرين. وفى عامى ٣٧٤/٣٧٣، أقدمت فارس على محاولة أولى لاسترداد سيطرتها على ستراپيتها المارقة؛ بيد أن مساعدة إغريقية حفظت لمصر استمرار استقلالها لبعض الوقت. لكن فى عام ٣٤٣ كان قد حان الأوان: عند غزو الملك أرتاكسيركسيس الثالث، طُرد نختانبو الثانى إلى النوبة، مثلما تحدث بذلك ديودوروس، وأصبحت مصر للمرة الثانية جزءًا من الإمبراطورية الفارسية، لكن لزهاء عقد واحد فقط، حتى وصول الإسكندر الأكبر (عام ٣٣٢) الذى وضع نهاية لحكم الأخمينيين هذه المرة، ولم تتكرر ثانية ليس فى مصر فقط.

وفى بردية «أخبار الأيام الديموطية»، يُحصى بالترتيب الحكام الوطنيون للأسرات ٢٨-٣٠، الذين حكموا بين عصرى الفرس الأول والثانى، فيما بين عامى ٤٠٤ و٣٤٣: «الحاكم الأول الذى جاء بعد البلاد الأجنبية (أو الأجانب)

الذين هم الميديون، هو الفرعون آميرتايوس»، يليه «الحاكم الثانى، الذى كان بعد الميديين، أى الفرعون نفريتيس»[٩٣]. وطبقًا للغة التداول الآرامية، يتضح أن متى أو مدى تشير فى واقع الأمر إلى الفرس فقط، وتوجد أيضًا قرائن وإشارات أخرى تؤيد هذا الرأى. وفى حالات نادرة يُستعمل أيضًا تعبير «رجل من فارس»[٩٤].

فى الموروثات الإغريقية اللاحقة، تُنسب إلى أرتاكسيركسيس الثالث أوخوس أعمال وحشية شبيهة بما يُنسب إلى قمبيز[٩٥]. ومن الصعب القول بما هو حقيقى تفصيلاً. وبالتأكيد، تغلب الفكرة القائلة بأن بعض العبارات التقليدية قد اختُلقت على نمط مقولة «قمبيز، الغازى الكافر». ومن ناحية أخرى، سوف يكون من الخيال والسذاجة الاعتقاد بأن الأمور قد سارت عند استرداد ولاية مفقودة بشدة أقل من ذى قبل عند الغزو الأول، بل إن العكس تمامًا هو ما حدث.

وفى السنوات القليلة لعصر الفرس الثانى، أطلت حكومة مضادة لشخص يُدعى خبباش، نجح لفترة قصيرة فى الاستيلاء على البلاد كلها على ما يبدو. وتؤرخ بعض الآثار من أنحاء متفرقة للبلاد - من منف إلى طيبة - وفقًا لسنتى حكمه الأولى؛ ولا يمكن أن يكون قد بلغ فترة أطول من ذلك. وهناك ألغاز كثيرة حول أصل خبباش هذا. فاعتُقد أنه ليبى تارة، ونوبى تارة أخرى، وطُوبقت هويته مع ذلك المدعو خامباسودن الذى هزمه الحاكم الكوشى ناستزن[٩٦]، بل افتُرض أن الاسم له علاقة ما مع كومبابوس أو كومبافيس الذى دار النقاش عنه من قبل. وكما يُقتبس من شهادة لوحة الستراب، فهو على أى الأحوال على النقيض من إكسيركسيس المحرم هناك، لكونه حاكمًا «صالحًا»، وبكل تأكيد ليس باعتباره «فارسيًا».

وسِماتاوى تِفنخِت الذى ترك لنا الأثر المعروف باسم «لوحة نابولى»[٩٧]، لم يكن من بين أتباع ذلك الغامض خبباش. وكان للفترة القصيرة لاحتلال الفرس الثانى أيضًا «متعاونون». ففى النقش غير المألوف للوحة نابولى، يتحدث سِماتاوى تِفنخِت إلى حَارسافِس معبود هيراكليوبوليس، وإله موطنه، وإلهه الحامى، قائلاً:

«لقد خصصتنى أمام الجموع، عندما أدرت ظهرك عن مصر، وأحللت حبى فى قلب حاكم آسيا، فيسبح رجال بلاطه الإله بسببى. أعطانى وظيفة المشرف على كهنة سِخمِت فى مكان شقيق أمى، المشرف على كهنة سِخمِت فى مصر العليا والسفلى نِختِحنِب. أنت حميتنى فى معركة الحاونبوت (اليونانيين)، حين كنت تدافع عن آسيا». ومن ثمَّ، فقد كان سِماَتاوى تِفنِخت فيما يبدو من الموالين للفرس الذين التحموا مع اليونانيين فى عام ٣٣٣ عند إسُّوس، وفى عام ٣٣٢ عند جاوجاميلا، حيث وقف الإله حارسافس إلى جانب اليونانيين، وعلى الرغم من ذلك حمى سِماَتاوى تِفنِخت الموجود فى معسكر الأعداء.

واستمد سِماَتاوى تِفنخت علاقاته الطيبة بالملك العظيم، ربما لكونه طبيبًا مثل وچاحوررسنت وقتذاك[٩٨]. ويُستدل كذلك على شخص آخر فى تخصصه نفسه ولعب دورًا فعالاً فى هذه الفترة بوصفه موضع ثقة للفرس، وهو المدعو وننِفر، حيث تعلن نقوش مقبرته المفقودة فى سقارة عن أنشطته، وهى نقوش غاية فى الأهمية، على الرغم من أنها للأسف قد وصلت فى صورة شذرات. ولا يزال يُفتقر إلى نشر كامل لنصوصها المعروفة من خلال نسخة قديمة فحسب، وإن كان يوجد على الأقل تقرير تمهيدى قيِّم من فردريك فون كينل[٩٩] Frédérique von Kaenel. ويُفهم من النص أن وننفر هذا قد رافق تاخوس، الحاكم الثانى للأسرة الثلاثين، فى حملة سوريا المعروفة لنا فقط من ديودوروس والموجهة ضد الفرس (حوالى عام ٣٥٩/٣٦٠). وإلى جانب ذلك، فإن اسم تاخوس لا يُذكر صريحًا، وبالمثل اسم الملك الفارسى، وهو على الأرجح أرتاكسيركسيس الثالث الذى غزا مصر ثانية بعد حوالى ١٥ سنة؛ لكن عبارة «يقود عظيم تامرى (أى مصر)» تميط اللثام عن أن حاكمًا أجنبيًّا هو المقصود. إن مثل هذه الكُنيات المقارنة لتسمية مصر بتامرى التى لا تُستخدم عادة لفراعنة غير وطنيين، نعرفها كذلك من بعض المصادر الأخرى لهذه الفترة. وقُيد وننفر بالأغلال فيما بعد وأُحضر لاستجوابه بواسطة الملك العظيم، لكن هذا أولاه برعايته. وبعد إقامة طويلة فى الغربة، حيث كان عليه من

المرجح أن يبرهن على براعته الطبية هناك، سُمِح له بالعودة إلى وطنه، فقال له الملك: «أسرع بالعودة إلى الأرض التى وُلدت فيها!». وعند وصوله مباشرة إلى مصر، كان فى انتظاره رسول ملك الفرس الذى استقبله بحرارة للغاية واستفهم عن بعض الأشياء المختلفة.

وتشير تلميحات فى نقوش مقبرة پتوزيريس بهيرموپوليس(١٠٠) إلى وقوع اضطرابات خلال حكم الفرس الثانى، إذ يقول: «لكنه كان حاكمًا للبلاد الأجنبية (أرتاكسيركسيس الثالث؟) بوصفه حامى مصر، ولم يكن يوجد شىء فى مكانه السابق منذ بدأت المعارك فى مصر. كان الجنوب فى ثورة، والشمال فى ثوران، والناس يجولون مضطربين، ولم يستحوذ معبد على مستخدميه، وانصرف كهنة الوعب بعيدين، لأنهم لم يعرفوا ما الذى حدث». وفى السياق المستمر للنقش، يتحدث پتوزيريس، كيف أنه استفاد بنفوذه عند «حاكم مصر» - يُرجح أنه فى أثناء ذلك كان الإسكندر الأكبر - لتعيين واردات معبد تحوتى فى هيرموپوليس مرة ثانية.

وعلى العكس من ذلك، فإن نقشًا رابعًا لرجل ضاع اسمه على الوجه الخلفى لتمثاله فى ڤيينا، وينحدر من تلك الفترة، أى من نهاية القرن الرابع تقريبًا، لا يمت على الأرجح بأية صلة - على الأقل بصورة غير مباشرة - بفترة حكم الفرس الثانية، حيث جاء فيه: «فى زمن الحاونبوت استدعيت من جانب حاكم تا-مرى (مصر)، لأنه أحبنى وعرف أصلى»(١٠١). وإذا ما تحقق صدق ذلك، فإن المقصود فى العادة بالحاونبوت(١٠٢) فى النصوص «التاريخية» للعصر المتأخر هم اليونانيون. وإذا كان «زمن اليونانيين» يعنى حكم المقدونيين قبل الفترة البطلمية، فإن «حاكم تا-مرى» كان على الأرجح بطلميوس الأول لاحقًا بوصفه ستراپا، وبطبيعة الحال، ليس ملك الفرس، على الرغم من أن ذلك وحده لذاته من حيث الاصطلاح، كان محتملاً جدًا.

إن كل هذه النقوش الأربعة التى ناقشناها لا تذكر الحاكم بالاسم، إلا أنها تستعمل مسميات مثل «حاكم البلاد الأجنبية»، و«حاكم مصر»، و«عظيم»، وما شابه، فيعلن من خلالها عن صاحب السلطة المختص بوصفه حاكمًا أجنبيًا. لكن

يمكن توقع مشكلات تطابق الهوية وتعيينها التى تترتب على مثل هذا النوع من طريقة التعبير غير المحددة. ففي حين أن هذا الأمر عند وچاحوررسنت كان واضحًا منذ البداية على أساس المسميات الضمنية الصريحة لقمبيز وداريوس، كان يستلزم فى الحالات الأخرى التى ناقشناها تحديد الأطر الزمنية على أساس الاعتبارات التاريخية، ودراسة النقوش، والأسلوب. وهكذا، فإنه لا يزال فى حالات النقوش الثلاثة الأولى غير مؤكد بنسبة مائة بالمائة، أن المقصود فعلاً هو أرتاكسيركسيس الثالث. أما النقش الرابع، فإنه حالة أخرى مختلفة كما ذكرنا سالفًا.

بيد أنه بطبيعة الحال يمكن أيضًا الإشارة إلى ظروف هذه الفترة من دون الحديث إطلاقًا عن أى حاكم. فهناك شخص ذو الاسم الشائع فى كل مكان، وهو چدحر، «كبير حاملى الناووس لحورس خنتيختاى وكبير حراس الصقر المقدس»، كان قد أقام فيما بين حوالى عامى ٣٢٥ و٣٢٣ تمثالين فى معبد بموطنه مدينة أتريب[١٠٣]. وإنه لمن الطريف حديثه عن عنايته بدفن الصقور المقدسة بمنطقته، فيقول: «دفنتهم فى الجبانة إلى الشمال من كمِ-ور (أتريب)، حيث كانت هناك فى الخفاء من الأجانب (خاستيو)». إن الخاستيو فى هذا الوقت بصفة خاصة هم الفرس بقبضتهم التى انتهكت الحرمات المقدسة – من الرؤية المصرية على أية حال – فمنعت مواصلة دفن الصقور المقدسة المحنطة. ومن خلفية الاضطرابات عند استعادة الفرس غزوهم لمصر، لعله يُفيم أيضًا من ملاحظة الشخص نفسه، أن «صقورًا كثيرة فى 'غرفة السبعين' عُثِر عليها، ولم تُدفن». لكن چدحر وضع نهاية لهذا الوضع المتردى.

* * *

وصلت إلينا بعض المادة الوثائقية من عصر احتلال الفرس الأول، لتلقى الضوء على إدارة البلاد ودور الفرس والمصريين. فقد ضَمَّ قمبيز مصر إلى الإمبراطورية الفارسية كستراپية، وكنا قد تحدثنا من قبل عن الستراپ أرياندس الذى قُضى عليه لاحقًا. وقد تأغرقت كلمة ستراپ(س) من الفارسية[١٠٤]، وإلى جانب

ذلك، فهى تأتى فى اللغة المصرية بوصفها كلمة أجنبية[١٠٥]، حيث لا تعنى فى حالة بطلميوس الأول الذى جاء فيما بعد فارسيًا ولا مؤسسة فارسية؛ فقد بقى اللقب لكونه لقبًا فقط، أى ليس فى الصيغة المتأغرقة، كما كنا نتوقع ذلك فى الواقع، لكن فى اللغة الفارسية القديمة الأصلية!

أما لقب الستراب، فإنه عادة ما يصبح كُنية، بصفته «ذلك الذى تخضع له مصر»[١٠٦]. كذلك يشير تعبير «سيد مصر» فى بردية رايلاندز ٩ على أكثر تقدير إلى الستراب، وأيضًا فى وثائق آرامية يعنى تعبير «سيدنا» الستراب[١٠٧]. وبعد أرياندس شغل هذا المنصب فيريندانس المعروف من مصادر ديموطية فقط تعود إلى السنوات الأخيرة لداريوس الأول، ثم تبعه أخايمنيس.

ومثلما هى الحال فى بقية ولايات الإمبراطورية، فإنه من البدهى أن الستراب فى مصر كان دائمًا فارسيًا من حيث المبدأ، ومن البدهى كذلك المعنى الضمنى الناتج من ذلك، بأنه لم يكن هناك فى ذلك الوقت مكان لمنصب الوزير الموغل فى القدم والجدير بالاحترام. ولدينا شواهد على ذلك حتى الأسرة السادسة والعشرين، ثم شواهد أخرى كذلك من الأسرتين ٢٩ و ٣٠[١٠٨]. ويسرى متوازيا مع هذا منصب «المشرف على مصر العليا»[١٠٩].

لم يكن الستراب فارسيًا فحسب، بل كانت أيضًا سائر المناصب – بصفة عامة – ذات سلطة اتخاذ القرار سياسيًا وعسكريًا فى أيدى الفرس. لكن لم يسرِ ذلك على المناصب المختصة بالشئون المالية. فهذا يتاححوتپ سيئ السمعة بوصفه «متعاونًا مع المحتل»، كان «مشرف دار الخزانة» لداريوس الأول، إلا أنه لم يكن «وزير المالية». فهذا المنصب الأخير باشره موظف كان يتولى وظيفة سنتى المستحدثة فى عصر الصاويين وظلت باقية فى العصر الفارسى[١١٠]. وتحت حكم داريوس الأول كان يُطلق على هذا الموظف حوروجا، ومن المحتمل جدًا أنه يتطابق مع مصطلح حوروجا فى وثائق أدبية يُستدل عليها من العصر الرومانى، أى يتطابق مع سنتى مصر[١١١].

وفى بردية رايلاندز ٩، يتكرر ظهور هذا السنتى – لكن للأسف دون تسمية الاسم – بوصفه أعلى جهة اختصاص قانونية بعد الستراپ، فى حين أن هذه الوثيقة تذكر للعصر الصاوى السابق الوزير و«مشرف حجرة السكرتارية (الملكية)» كوظيفة مقارنة مع وظيفة السنتى. وكان السنتى يقيم فى مركز الإدارة الفارسية بمنف – وفيما بعد ربما أيضًا فى العصر البطلمى –، حيث ثبت ذلك من خلال بطاقات محكمة آرامية وبعض الأختام[١١٢] (شكل ٦٢).

ويُلاحظ فى التنظيم الإدارى لستراپية مصر أن التقسيم التقليدى إلى أقاليم بوصفها وحدات إدارية على ما يبدو بقى على ما هو عليه بصفة عامة، إلا أنه كانت هناك أحيانًا بعض التعديلات. وتستعمل برديات إلفنتين الآرامية اصطلاح مدِيناه، أى «ولاية»، بل إن منطقة إلفنتين (أسوان) حتى هيرمونتيس (أرمنت) تقريبًا، إلى الجنوب من طيبة، كانت إجمالاً وحدة إدارية واحدة. ففى التماس آرامى إلى الستراپ أرسامس من عام ٤١٠، كان الحديث عن «قضاة ورجال شرطة ومخبرين، عُيِّنوا فى ولاية تِشطيريس»[١١٣]. والأصل التاريخى فى اللغة المصرية الديموطية لكلمة تِشطيريس يُستدل عليه بصورة موثوق بها، لكن المنطقة الموصوفة من خلال ذلك لا تترادف و«أرض الجنوب» پاتروس التى ربما كانت تضم طيبة، حيث إن طيبة تُكَوِّن مقاطعة خاصة قائمة بذاتها.

وكان على قمة كل مقاطعة أو ولاية فراتاراكا[١١٤]، الذى يمكن مقارنته بحاكم الإقليم فيما مضى، وصار الآن فصاعدًا فارسيًا. ويُعَدُّ المشهور لسوء سمعته هو حاكم إلفنتين من عصر داريوس الثانى، ويُدعى ڤيدرانجا (أو ما شابه)، الذى كان قد هدَّم المعبد اليهودى بمساعدة مصرية. وتنقل النصوص الآرامية حروف اللقب الفارسى ببساطة؛ وإلى جانب، ذلك يُستدل عليه نادرًا للغاية حتى الآن فيما عدا مصر. وفيما يبدو أن اللقب فى اللغة المصرية يُوصف بالمعنى؛ إذ إنه معروف حتى الآن فقط «أمير كوپتوس» الذى ورد إلينا من وادى الحمامات الذى سنتوجه إليه بعد قليل.

وعلى المستوى العسكرى، كان هناك «قائد الحامية» الذى يتبع الفراتاركا، ولا بد من التذكير هنا بڤيدرانجا فى إلفنتين المذكور سالفًا. وفيما يتعلق بتوزيع الكفاءات، فهى أشياء ملموسة وبصفة خاصة لمصر العليا، حيث جاء أن الـ «رب

حايلا كانت لديه وظائف عسكرية عديدة بوصفه قائد حامية، فكان هافتاخقا-پاتا، أى ناظرًا و/ أو حاكمًا عسكريًا لـ "دائرة" أو ما شابه، وباعتباره سِجَانًا، أى جهة اختصاص قضائية»[١١٥]. وعلى مستوى القيادة، كان العسكريون فى العادة من الفرس مثل «مقدم الجيش» المدعو ميتراخا، المعروف لنا من خطاب ديموطى من سقارة[١١٦]. لكن بصورة استثنائية، استطاع أيضًا مصرى ذات مرة أن يرتقى إلى مناصب مماثلة، كما يظهره مثال القائد أو «القائد الأعلى» أحموزا من عصر داريوس الأول[١١٧].

إن عدد الموظفين الكبار من المدنيين أو العسكريين الفرس، الذين يمكن التحقق من هويتهم عرقيًا بوضوح من خلال الأسماء أو من خلال تسميات الوظائف الإيرانية فى الوثائق المصرية الأصلية، يُعَدُّ قليلاً نسبيًا حتى الآن، باستثناء المادة الوثائقية غير المنشورة من سقارة، التى لا تزال غير متاحة بوجه عام. ولعل أحد الأسباب هو على الأرجح ضيق الإطار الذى ظهرت فى نطاقه فى المصادر المصرية بوجه عام. فقد كان متاحًا على سبيل المثال لبعض الكهنة والموظفين المصريين الكبار أو المتوسطين إقامة تماثيلهم فى معبد آمون بالكرنك - وبطبيعة الحال فى معابد أخرى فى البلاد إذا اقتضى الأمر - لنيل أنصبتهم من الأضاحى وتراتيل الكهنة. ففى المكان المعروف باسم خبيئة معبد الكرنك، حيث أودع الكهنة وقتذاك بصفة دورية تماثيل المعبد القديمة لإخلاء مكان لتماثيل جديدة، وُجدت هناك مئات لمثل هذه التماثيل التى تقدم مادة وثائقية ثمينة لم تنضب بعد - لنقص نشرها للأسف بصورة كافية ووافية - عن الكهنة والموظفين فى الألفية الأولى[١١٨]. لكن لا بد أيضًا من إدراك أنه لا توجد تماثيل يرجع تاريخها بصورة مؤكدة فعلاً إلى عصر الفرس[١١٩]. وفيما يبدو أن الكهنة المصريين الذين كانوا يوجدون بالبداهة فى طيبة أيضًا، لم تكن لديهم أموال كافية قط تسمح لهم بصنع مثل هذه التماثيل باهظة التكاليف. ومن ناحية أخرى، لم تكن ثمة رغبة فى ذلك لدى الطبقة الراقية الثرية من الإدارة ورجال الجيش التى تقع عليها أعباء الدولة، أى «الطبقة العرقية المهيمنة» ethno-classe dominante (بريان Briant).

وربما يتضح لنا مما سبق حتى الآن أن قدرًا كبيرًا من معلوماتنا المادية الملموسة عن الإدارة الفارسية فى مصر يأتى من مصادر آرامية. غير أننا نستقى

منها كذلك أن الفرس لم يتواروا فى المكاتب والثكنات العسكرية فقط، لكنهم ظهروا بلا شك أيضًا فى المعاملات التجارية للحياة اليومية. وفى هذا السياق، وضع بريان يده على خطاب يقدم لنا اثنين من الفرس فى منطقة إلفنتين بوصفهما شريكين فى تأجير مركب، فى حين أن اثنين من المراكبية المصريين يزاولان العمل للفارسيين باسمهما. ويفترض الاسم السامى لطرف ثالث، وهو مشترى، أنه يتناول زيادة المخزون لأشياء خاصة بأفراد الحامية العسكرية المحلية[١٢٠]! ومن الطريف إلى جانب ذلك - حتى وإن كان ذلك مفهومًا من تقاليد أسلوب الخطاب الآرامى - أن أحد الفارسيين يتحدث بوصفه «أخًا» إلى «أخويه» من المصريين المرسل إليهما الخطاب، أى أن الطرفين متساويان.

على أنه من البدهى أيضا ألا يخلو الأمر من شواهد هيروغليفية وديموطية؛ فلا بد من التذكير ثانية بمراسلات فيريندانس. فتوجد مجموعة مهمة من النقوش فى محاجر وادى الحمامات تبرهن على إرسال بعثات مختلفة فى عهود داريوس الأول، وإكسيركسيس، وأرتاكسيركسيس الأول[١٢١]. وبعض هذه النقوش تذكر أثياقاهيا ابن أرتاميسا بصفته رئيسا للبعثة فيما يبدو[١٢٢] (شكل ٦٣-٦٤)، الذى لم يكن حاكمًا لإقليم (إيرى پعت) كوپتوس فحسب، بل كان «ساريس فارس» أيضًا. ويوجد لقب ساريس فى العهد القديم، ويُشتق فى الأصل من الآشورية شا ريشى، مقترنا بكامله مع الإضافة شارّى، ليعنى «الذى يتبع رؤوس الملك»، وهو فى ذلك منصب رفيع فى البلاط، لكن لا يعنى بالضرورة دائمًا طواشيًا[١٢٣]. ومن الطريف أن شقيقًا لأثياقاهيا يُدعى أرياقارتا قد اتخذ لنفسه الاسم المصرى الثانى چدحر[١٢٤]، وهو ما يُظهر حدًّا أدنى من التكيف التدريجى مع ثقافة البلاد الخاضعة، إلا أنه لا يجوز لنا هنا بالطبع التحدث عن «تمصير».

ويأتى من منف شاهد قبر من دون نقوش لشخص «عظيم فارسى خالص دائمًا»[١٢٥] (شكل ٦٥). وقد نُفذت المناظر المبتكرة بطريقة خشنة تمامًا، حيث تلتحم فيها «عناصر فنية فارسية ويونانية، وليس أقل من ذلك أيضًا عناصر مصرية للغاية»، فتُبَيِّن فى شكل جديد امرأتان فى هيئة جنيتين، وكذلك الحصان المشارك فى مراسم الحداد بلبدته المقطوعة. ويُعدُّ هيرودوت هو أقدم شهادة أدبية لتلك العادة عند الفرس (الكتاب التاسع ٢٤).

على أن ظاهرة التشابك الثقافى المحدود عند الفرس فى مصر التى يندر إثباتها، بقدر ما نعلم، يبرهن عليها شاهد قبر كشفت عنه الحفائر الإنجليزية فى سقارة قبل سنوات قليلة فقط، ويُعرض الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة[١٢٦] (شكل ٦٦). وتُعدُّ موضوعات هذه القطعة جديرة جدًّا بالملاحظة. ففى الشطر الجملونى، نشاهد قرص الشمس المجنح من دون الكوبرات، مثلما هو شائع فى المناظر المصرية، لكن بذيل مُرَيَّش وحليتين حلزونيتين، وهو موضوع فنى فارسى أصيل يُفسر بوصفه رمزًا للإله أهورامازدا. والزخارف أسفل ذلك غير مصرية بالكامل؛ إذ نُلاحظ الملابس وتسريحات الشعر والإيماءات، إضافة إلى الأثاث. وخُصِّصَت الأوانى أسفل المنضدة إلى اليمين بوصفها قوارير (أمفورا) أجنبية لنقل الزيت، وربما أيضًا لنقل مواد فاخرة أخرى؛ فاليسرى جاءت من فلسطين، واليمنى من قبرص، أى من شرق البحر المتوسط.

وتميط النقوش الهيروغليفية والديموطية اللثام عن هوية صاحب اللوحة المُصَوَّر، فهو يحمل الاسم المصرى الخالص چدحربس. وكونه غير مصرى الدم تمامًا، فإنه لا يُستنتج من موضوعات المناظر فحسب، بل أيضًا من بيان الانتساب لأرتاما. لكن أمه تانيفرتِحر كانت بكل تأكيد مصرية؛ لذا، فنحن إزاء ذرية من زواج مختلط فيما يبدو. وهى حالة نادرة؛ إذ إن الأرستوقراطية الفارسية تزاوجت فى العادة فيما بينها. ومثلما هو شائع بالنسبة إلى أجانب فى الألفية الأولى قبل الهلينستية (!)، فإن النقوش لا تبوح للأسف بشىء عن مرتبة هؤلاء أو ألقابهم.

ويجب الإشارة إلى الحفائر الإنجليزية فى سقارة، من حيث اكتشافها هناك فى العقود الأخيرة على عدد كبير من البرديات الديموطية الوثائقية التى توجد بها بعض الأسماء الأجنبية الفارسية، كما أشرنا من قبل[١٢٧]. وللأسف، فإن النشر العلمى للمادة الوثائقية سيتأخر بعض الوقت إلى حين ظهوره؛ ويُتوقع أن النصوص سوف تزيد من معرفتنا بالاتصالات بين مصر والفرس بصورة قوية.

وفى سياق اللوحة التى دار حولها الحديث توًا، وتكشف بطبيعة الحال عن تأثيرات الأسلوب الفارسى، فإنه من المناسب الحديث كذلك عن موضوع العناصر الفارسية فى الفن المصرى. فقد شاهدنا من قبل قلادة الجديان للمشرف على الخزانة پتاححوتپ (لوحة ١٤ ج)، وتمثال داريوس الأول من سوسه (شكل ٥٨ ب)، لكننا قد أكدنا أيضًا بأن «المعطف الفارسى» و«روح الإيماءة الفارسية» يُستدل عليهما فى عصر أقدم من ذلك. وبذا، كان يُتوقع بالطبع أن الظهور المتزايد لهذه الخصائص فى فن النحت المصرى منذ الأسرة السابعة والعشرين قد أثمر من خلال تأثيرات خارجية وأصبح محابيًا لها.

جملة القول: إن التأثيرات الفارسية سطحية وبعيدة عن الجوهر نوعًا ما. وإننا لنذكر هنا قارورة حجرية صغيرة وجميلة للدهان باسم داريوس الأول (لوحة ١٥ ب، شكل ٦٧)، وُضع على جانبيها رأسا أسدين بدلاً من المقبضين على غير العادة[١٢٨]. كما يوجد فى بروكسل ختم أسطوانى فريد من نوعه[١٢٩] (شكل ٦٨ أ- ب)، كان يخص على الأرجح موظف مصرى يُدعى پتيسيه. ويثبت بوضوح أنه يرجع إلى العصر الفارسى من خلال المنظر المميز لـ «الرجل ذى الأجنحة»، وإن كان ليس مؤكدًا عما إذا كان ذلك الرجل ذو الأجنحة يمثل الإله أهورامازدا، أم أن الأمر ليس كذلك؛ إذ إن موطن صانع الأختام نشاهده فى الموضوعات الفنية الإيرانية وغرب آسيا أقرب منه فى عالم التصوير المصرى.

ولا غرابة فى أن الميل المصــــرى المعروف نحو التفصيل له طابع أصيل فى كثير أو قليل من المناظر المصرية النادرة للملوك الفرس والموظفين؛ لكن من الصعب الحديث هنا عن «تأثير» مصرى. وفى اللوڤر الآن، يُصوِّر تمثال صغير من العاج من دون رأس فارسيًا بالسيف الصغير المميز (أكيناكس) فى الحزام[١٣٠] (شكل ٦٩). ونشاهد مناظر لفرس من بين تماثيل التراكوتًا المنفية فى مجموعة تحف فوكيه Fouquet الموجودة فى اللوڤر كذلك[١٣١]؛ لكن الأكثر تأثيرًا هما هذان الرأسان المتشابهان مع بعضهما تمامًا لحكام أخمينيين (لوحة ١٦ أ)، المحفوظان الآن فى بروكسل وپاريس[١٣٢].

والجدير بالملاحظة على وجه الخصوص هو تمثال من الحجر الجيرى فى بروكلين لسيدة مُتزية بالزى الفارسى (شكل ٧٠)، يُعتقد أنها تمثل الإلهة أناهيتا[١٣٣].

وختامًا، يُطرح السؤال ما إذا كانت هناك أية بقايا قد تركها احتلال الفرس فى اللغة المصرية. ومن المتوقع منذ البداية ونظرًا إلى المرتبة الخاصة لهذه اللغة فى إمبراطورية الأخمينيين، أن مصطلحات آرامية تسللت هنا وهناك فى هذا الوقت، لكن من المستحيل فى أغلب الأحيان القول بأن هذه الكلمات الدخيلة قد اقتبست فى مصر قبل ذلك بكثير من الوقت – أى فى عصر الدولة الحديثة بوجه خاص – وأنها قد وُجدت فى الوثائق فقط بمحض الصدفة فيما بعد[١٣٤]. وبطبيعة الحال، فإن وضع الترتيب الزمنى لتسرب الكلمات الإيرانية المستعارة هنا وهناك يقتضى توضيحًا أكثر. فقد ذُكرت من قبل كلمة ڤيپش، وكلمة خشدرپن (ستراپ). يُضاف إلى ذلك لقب الأمير ڤيسپوثرا *vispuθra*، أى «ابن الملك»[١٣٥]. لكن أغلب الكلمات الدخيلة القليلة توارت ثانية فى الثرى بعد عصر الفرس. وإنه لمن الطريف ظهور مصطلح قانونى إيرانى[١٣٦] – كما ذكرنا من قبل – تكرر حدوثه فى برديات إلفنتين الآرامية، وأيضًا ككلمة دخيلة فى البردية المعروفة باسم «دستور قوانين هيرموپوليس» Legal Code of Hermopolis. والتفسير الجديد لهذا المصطلح يشير إلى جذور كتاب القانون ذلك فى عصر الأخمينيين وجمع القانون المصرى وتنظيمه بواسطة داريوس الأول. ومن الكلمات القليلة التى ظلت باقية كلمتا «ميدى» و«ستراپ». بيد أن مدلولاً آخر عاش كل الدهور، ولا يزال مستعملاً فى مصر حتى يومنا هذا، وهو مكيال الحبوب «الإردبّ» بالتسمية نفسها فى اللغة العربية المصرية، وإن كان ليس مؤكدا ما إذا كانت حقًا كلمة إيرانية الأصل[١٣٧].

الفصـل السادس

الكـاريـون فى مصـــر

كان الآشوريون قد ظهروا كقوة سياسية، لكنهم من الناحية العملية لم يخلِّفوا آثارًا فى مصر، وتكاد لا توجد أية شواهد تاريخية محسوسة عنهم فى مصر نفسها. لذا، كان علينا أن نركز على إعادة ترتيب الخلفيات والأحداث التاريخية المتصلة بهم استنادًا إلى مصادر غير مصرية. أما الكاريون فالأمر مختلف، فهم على شاكلة الفينيقيين، من حيث إنهم لم يمارسوا مطلقًا دور أى محتل. ومن الصعب أيضًا الحديث عن شيء ذى معلومات أو وقائع تاريخية تتعلق بهم. لكننا نعرف عددًا كبيرًا جدًّا من الآثار فى مصر، التى تشهد على إقامتهم هناك وعلى اندماجهم الحضارى (إلى حدٍّ ما). يُضاف إلى ذلك أمر آخر يضاعف من الاهتمام بهم، وهو أنه كانت لدى الكاريين كتابة استعصى فك طلاسمها بصورة مقنعة حتى دخول العصر الحاضر مؤخرًا، لكنها بدأت فى هذه الأثناء تفصح عن أسرارها شيئًا فشيئًا، حتى وإن كان ذلك خارج محيط ضيق من المتخصصين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، ويعملون دون أن يشعر بهم أحد تقريبًا. وبما أنه لا يجوز غض النظر عن الكاريين فى الواقع الحياتى لمصر فى عصرها المتأخر، فإن إعطاء بعض المعلومات عن إشكالية الوضع الراهن *status quaestionis* فى البحث العلمى، لن يكون فائضًا عن الحاجة. إضافة إلى ذلك، أن معظم النقوش الكارية تنحدر من مصر، أما النقوش التى تنحدر من كاريا نفسها فهى أكثر حداثة.

والآن علينا الحديث فى عُجالة عن الخلفيات التاريخية للوجود الكارى فى مصر. فالمصادر التاريخية، سواء الآشورية منها أو اليونانية، تتحدث قبل منتصف

القرن السابع بقليل عن إرسال جنود مرتزقة كاريين إلى مصر فى عهد پسمَّاتيك الأول. وتشير حوليات آشوربانيپال بشكل صريح إلى إرسال جيجيس ملك ليديا بقوات إلى پسمَّاتيك. بيد أن كاريا فى ذلك الوقت، إضافة إلى الجزء الأكبر من المدن الساحلية الأيونية وقعتا تحت الحكم الليدى. وأخيرًا يزعم هيرودوت (الكتاب الثانى ١٥٢)، أن قراصنة أيونيين وكاريين نزلوا السواحل المصرية، وأن الملك پسمَّاتيخوس قد جندهم – استجابة لنبوءة وحى – لمساعدته فى السيطرة على سائر أنحاء البلاد. ونحن نعلم الآن أن توطيد حكمه بصفة نهائية قد حدث فقط بتبنى الزوجة الإلهية القائمة آنذاك شپنويت الثانية، أخت تاهَرقا لابنته نيتوكريس فى عام ٦٥٦. وتوجد فقرة عن قصة نبوءة الوحى تلك، التى يُستند إليها من مصدر موثوق به أقدم من هيرودوت، ويرويها المؤلف الكلاسيكى پوليانوس من القرن الثانى الميلادى فى مجموعته الشهيرة عن قوائم الحرب[1] (Strategika VII, 3). وطبقًا لهذا المصدر، فقد كان لدى پسمَّاتيك مستشار كارى يُدعى پيجرس. وفى واقع الأمر، فهو اسم شائع فى كاريا وليكيا، حيث نجده أيضًا فى النقوش الكارية من مصر (وسوف نعود إلى ذلك فى الصفحات التالية). وهو إلى جانب ذلك أيضًا اسم المترجم الخاص لقورش الأصغر، الذى يشير إليه إضافة إلى ذلك مصدر تاريخى آخر (Xenophon, Anabasis 1, 2, 17; 5, 7; 8, 12).

وطبقًا لرواية هيرودوت، أُسكن كاريون وأيونيون فى ثكنات على فرع النيل الپلوزى فى مكان بين بوبسطة والبحر المتوسط، حيث عَثَر پترى Petrie فى إحدى المناطق، وتحديدًا فى تل نبشه، على جبانة الأسرة ٢٦/٢٧، التى عدَّها فى أول الأمر قبرصية، لكنه رأى فيها بعد ٤٠ سنة جبانة كارية. وفى عهد أمازيس (٥٧٠–٥٢٦)، نُقِل الكاريون – أيضًا وفقًا لرواية هيرودوت – إلى منف. وجعل أمازيس منهم مع الأيونيين «حرسه الشخصى لحمايته من مصرييه. وقد تواصل هؤلاء المستوطنون الكاريون والأيونيون بالطبع مع الهلينيين. لذا، فنحن نعلم تمامًا كل ما حدث منذ عهد پسمَّاتيخوس فى مصر. فكانوا من أوائل الأجانب الذين استوطنوا فى مصر. وفى المناطق التى نُقلوا منها (فى عهد أمازيس) بعد ذلك إلى

ممفيس، كنا لا نزال نرى فى وقتى [أى حوالى ٤٥٠] الترسانات البحرية وبقايا بيوتهم» (الكتاب الثانى ١٥٤). وأطلق اليونانيون على الكاريين الذين نقلهم أمازيس إلى المنطقة المسماة كاريكون وصف كاروممفيتاى Καρομεμφίται، أى كاريى منف. على أنه لا يجوز الاستنتاج من ذلك بأنه لم يكن يوجد بعض منهم فى منف قبل ذلك الوقت، وإن كانت المادة الأثرية تدحض مثل هذا الافتراض. وطبقًا لهيرودوت كذلك، فقد كان لدى أبريس جيش مكون من ٣٠.٠٠٠ أيونى وكارى من الجنود المرتزقة (الكتاب الثانى ١٦٣، ١). وبعد أن ضم الفرس مملكة ليديا فى عام ٥٤٦، يبدو أن الوضع فى آسيا الصغرى قد ترتب عليه تدفق جديد للكاريين فى مصر السفلى، بحيث وصل الأمر فى ذلك الوقت إلى هجرات بأعداد ضخمة منهم.

وكان من شأن التداخل التاريخى والجغرافى الوثيق بين الكاريين والأيونيين، أن استخدم شعراء الأغانى اليونانيون فى القرن السابع المتأخر تسمية «كارى» بوصفها مرادفا لكلمة «جندى مرتزق»[٢].

ويا حبذا لو تأملنا الآن قدرًا يسيرًا من الشواهد الأخرى المتصلة بالكاريين فى مصر، قبل أن نعاين آثارهم نفسها! ففى وثيقتين آراميتين، يُذكر الكاريون فى سياق يتصل بالملاحة:

– نخلص من خطاب الستراپ أرسامس من عام ٤١١[٣]، بأن كاريين فى إلفنتين قاموا بتأجير زورق لمصرى ولشريك له. واحتاج الزورق وقتذاك إلى جملة من الإصلاحات، فأُعطيت الأوامر لأولى الأمر بصرف التكاليف، وأن يشرع أرباب المهنة من دون إبطاء فى القيام بأعمال الترميم الضرورية. وقد استنتج المتخصصون من بيانات المواد المستخدمة، أن الزورق الذى بلغ طوله ٢٢ مترًا، كان خاصًا بالشعائر. ويُعتقد بأن هؤلاء الكاريين أصحاب الزورق كانوا فى خدمة الحكومة. إلا أن النص لم يبح بشىء البتة عن وظيفتهم، وكذلك عن استخدام المركب المتعلق به الأمر. على أن ملاحظة ديموطية قصيرة قد قُرئت *بيرى*، بمعنى «سفينة نقل بضائع»[٤].

- يُشار فى خطاب آخر فى حالة سيئة الحفظ من منف[٥] إلى أناس أيونيين وكاريين بشكل متكرر، كان قد تم إيقافهم واعتقالهم من قبل المرسل إليه المجهولة لنا هويته. وقد كان الحديث هنا أيضا عن مراكب. لكن السياق يبقى على الرغم من ذلك غير واضح تمامًا بسبب الحالة سيئة الحفظ للخطاب.

ونلتقى أيضا كاريين بعد قرون تالية فى منف. ففى هذا الوقت، كانوا فيما يبدو قد تخلوا إلى حدٍّ كبير عن عادات وطنهم الأصلى وتقاليده، فسمحوا بتحنيط أنفسهم (ثانية؟) بعد الموت، وهو ما يُستدل عليه من الإشارة الديموطية الوحيدة عن الكاريين. إذ يُذكر فى بردية (سطر ٩) من عام ١٣٢ اسم مكان يُسمى نا-كرسو، حيث يُفترض أن المقصود هنا هو المكان المُسمَّى كاريكون Καρικόν، وهو أكثر ترجيحًا من كونه جبَّانة[٦]. وفيما يختص بالتوثيق التاريخى فى اللغة المصرية، فإن الكاريين يُشار إليهم فضلاً عن ذلك فى قائمة بأسماء أماكن فى كوم أمبو (شكل ٧١، لوحة ٢٥ أ-ب)، إضافة إلى قائمة أخرى فى إسنا بوصفهم كرس، وجرس. وجدير بالملاحظة هو اسم المكان جرمنفى فى كوم أمبو أيضا بالقائمة نفسها المذكورة سالفا، الذى يفترض فيه يويوت[٧] Yoyotte ببراعة علاقة ما مع كارومِمفيتس Καρομεμφίτης.

وإلى جانب ذلك، فإن الكاريين كانوا قد تأغرقوا إلى حدٍّ بعيد فى ذلك الوقت، أى فى العصر اليونانى والرومانى. ويُعَدُّ زينون Zenon الشهير[٨] أحد أفضل الشخصيات الموثقة من عصر البطالمة المبكر، وسُمِّى باسمه أرشيف ضخم، وكان ينحدر من كاونوس فى الوطن الأم، من كاريا. لكن التأغرق والتخلى التدريجى عن اللغة الأصلية، لم يكن يعنى أن الكاريين لم يستمروا فى عبادة آلهة وطنهم الأصلى، وإن كان ذلك فى ثوب إغريقى مصرى. وعلى سبيل المثال، توجد بردية يونانية من أرشيف زينون[٩] «تتناول تأجير ملكية زراعية لديويكتس أبوللونيوس إلى مستاجرين مختلفين»، ومن بين تلك الملكية مزرعة معبد زيوس لابراونديوس الذى تلقى ١٢٠ أرورة من الأراضى. ويوجد معبدان آخران، وهما معبد سيرابيس، إضافة إلى معبد أسكليبيوس - أى إيمحوتب - تلقيا على نحو مميز القدر ذاته من أرض زراعية. إن كل هذه المنشآت كانت موجودة دون شك فى منف،

التى غدت فى عصر البطالمة خزانا كبيرا لمختلف العبادات الوطنية والأجنبية. فقدَّس الجنود المرتزقة الكاريون زيوس المذكور آنفا، إله لابراوندا. ووفقا لپلوتارخ (Quaestiones graecae 45)، يعود معبد لابروواندا إلى أرسليس، إله ميلاسا، الذى أيّد جيجيس ملك ليديا عند توليه الحكم. ويُحتمل أن زيوس لابراوندايوس كان الهيئة التى ظهر فيها الإله المصرى «آمون-ذو-ذراع-قوية» للكاريين.

ومن القرن الثانى، تنحدر شقفة فخارية ديموطية صغيرة من أرشيف حور المعروف[١٠]، لا يمكن قراءتها، إذ تحتوى على منظر للخوذة الكارية المميزة على شكل عُرف الديك (شكل ٧٢)، وتبرهن على الوجود المستمر للكارومنفيين، أى كاريى منف.

وعلينا أن نتوقع أيضًا ظهور كاريين فى مكان آخر لا نتوقع بالضرورة ظهورهم فيه. فتوجد ثلاث لوحات فى فلورنسا وأخرى فى اللوڤر، تشبه اللوحات التى تنحدر من سقارة، وتحتوى على أسماء يُحتمل أن تكون كارية طبقًا لرأى چ. راى[١١] J. Ray. وتؤرخ واحدة من هذه اللوحات بالعام الرابع لأپريس (عام ٥٨٦ق.م)، وكانت تخص كاهن كواكيت ذا اسم غريب، فهو ليس اسمًا ساميًا فى أى الأحوال[١٢]. وربما كان هذا الشخص أحد قدامى أفراد الجالية الكارومنفية فى ممفيس. وحتى إذا لم يكن كاريًا، فإنه جدير بالملاحظة فى أى الأحوال أن شخصًا ما ذا اسم واضح للعيان عدم مصريته، استطاع تولى وظيفة نوعية مصرية مميزة مثل وظيفة كاهن كواكيت. ولنترك الآن بحث هذه المسألة، وما إذا كان هذا الكواكيت وقتذاك مختصًا فقط بأبناء جلدته، أو بمصريين أيضًا. ويمكن أن نتخيل بصعوبة أنه كان مختصًا بمصريين، وإن لم يكن منصبا رفيعًا، وكذلك الحقيقة الواقعة، وهى أنه كانت لديه لوحة جنائزية مصرية. وعلى الرغم من اسمه الأجنبى، فإنه يشير إلى قدر معين من التفاعل الحضارى.

والآن نريد أن نتوجه إلى ميراث الكاريين من الآثار الباقية قبل تأغرقهم، التى تؤرخ بين عامى ٦٦٠ و٥٠٠. وعندما نغض النظر عن تلك الشقفة الفخارية الصغيرة الغامضة «شديدة الشبه بالكارية» parakarisch من ديوسپوليس پارڤا[١٣] (شكل ٧٤ أ–ب)، فإنه يمكننا تمييز نوعيات رئيسية ثلاث من الآثار: (١) فنون صغرى kleinere Objekte (٢) نقوش مخربشات Graffiti (٣) لوحات Stelen.

وهذه النوعيات الرئيسية تختلف أيضًا عن بعضها جغرافيًا (انظر الخريطة، شكل ٧٣)؛ فالنوعيتان الأولى والثالثة تنحدران حتى الآن على أقل تقدير من مصر السفلى وحدها، أما النوعية الثانية من هذه الآثار، فإنه يُستدل عليها فقط فى مصر العليا والنوبة السفلى.

النوعية الأولى:

من بين الفنون الصغرى يجب أولاً ذكر تمثال الزَّبَابَة(*) البرونزى ذى البوز المدبب من ميونيخ، وهو مجهول المصدر (منف/ سقارة؟)، ويحوى تجويفًا كانت بداخله مومياء ذلك الحيوان (شكل ٧٥ أ)[١٤]. والطريف هنا هو البناء اللغوى للنقش، فقد جاءت بالهيروغليفية عبارة «حورس، ليتك تهب حياة»، لكن على الواجهة الأمامية ورد بالكارية أوليات[١٥] (*Úliat*)، وهو اسم صاحب التمثال. والجدير بالملاحظة هو ذلك الخلط لعناصر مشتركة باللغة المصرية والأجنبية المتممين لبعضهما. وهذه ليست حالة نادرة؛ فقد أثبتنا الظاهرة نفسها فى سياق مشابه يتصل بتمثال صغير فينيقى لحاربوكرات[١٦]. وفيما يبدو أن القطعة البرونزية، خاصة بما تحتويه من نقش فى جزئه الأول التقليدى، قد صُنعت من قبل بيد مصرية، ثم أكملها صاحب التمثال بصورة فردية وبطريقته الخاصة. لكننا نجد أيضًا على لوحات جنائزية كارية تصنيفًا مشابهًا متممًا بنص ثنائى فى لغة مصرية وأجنبية، قارن الصفحات التالية.

وعلى أحد تماثيل آبيس البرونزية فى القاهرة[١٧] التى تنحدر من السيرابيوم (شكل ٧٥)، جاء فى الجزء الهيروغليفى «آبيس، ليتك تهب حياة لپريم (*Prym*)، المترجم»[١٨]. ويتكرر اسم صاحبه فى النقوش الكارية على جانبى قاعدة التمثال، وهو پارَايوم (*Paraeìm*)، الذى تَشَكَّل من البادئة پارا- (*para-*)، المقترنة بها خلاف ذلك أسماء أشخاص كارية. ويتطابق لقب «المترجم» المصرى مع مصطلح

(*) الزَّبَابَة: حيوان من آكلات الحشرات يشبه الفأر (المترجم).

أرمون-خى (*armon-χi*) فى صيغته الكارية. إذ إن المترجمين الكاريين معروفون لنا أيضًا من الآداب القديمة (Xenophon, Thukydides)، إن وجود فرد من هذه الطائفة، ولا سيما فى منف، ليس معجزة فى هذا الخضم السائد للشعوب المختلطة!

وعلى تابوت صغير لثعبان من سايس فى متحف القاهرة[١٩] نقرأ عبارة «آتوم، الإله العظيم، ليتك تهب حياة وصحة لشِركبيم (*Šrkbym*)». وقد كُتب الاسم فى نهايته بمجموعة العلامات الهيروغليفية التى تُقرأ يَمْ (*ym*) (فى القبطية يُومْ *yom*)، أى 'بحر'، للتنويه إلى النطق الصحيح، إذ نجد الاسم فى بداية النقش الكارى بصيغة شَاركبيُوم (*Šarkbiom*) (شكل ٧٦). وربما لا تبدو هذه التطابقات الآن مشوقة للغاية، لكن مثل هذه المعلومات التى تبدو غثة بالنسبة إلى القارئ غير المتخصص هى فى الحقيقة مكاسب العقود الأخيرة فقط!

ومن الطريف أيضًا أن تمثالاً صغيرًا آخر من البرونز للإلهة نَيت قد عُثِر عليه فى سايس، وعليه نقش بالكتابة الكارية والمصرية عند قاعدته[٢٠]، وأمكن تأريخه من خلال خراطيش بسمَّاتيك الأول فى المرحلة المبكرة للعلاقات المصرية الكارية. وحَمل صاحب النذر الاسم المصرى پادينيت، وفى الجزء الكارى پدنَيت (*Pdneít*)؛ ومن الوالدين تحمل الأم بطريقة واضحة اسمًا أجنبيًّا، وربما يكون الأب كذلك على أكثر تقدير. ولا يشير هذا وحده إلى تفاعل حضارى كامل. لكن علينا أن نضع فى الاعتبار قوة الديانة المصرية على الأجانب وجاذبيتها؛ إذ إن كل الفنون الصغرى التى تم عرضها حتى الآن هى نذور من كاريين إلى معابد لآلهة مصرية. كما يجب لفت الانتباه إلى أن القطعة الأخيرة التى تحدثنا عنها، لا تزال تلفها بعض الصعوبات فيما يتصل بتفسيرها: فمَنْ هى «سيدة البيت» نَيتَمحات، ابنة[٢١] واحِنيبرع، التى يُشار إليها فى خاتمة النقش؟ وفيما يبدو أنها تلك التى أمرت بصنع التمثال الصغير باسم پادينَيت، الذى خُصصت له المنَّة الإلهية بوصفها مقابلاً للنذر. لكن هل هى الزوجة المصرية للكارى المصرى پادينَيت؟ ولا بد أن ثمة علاقة وثيقة على أى وجه جمعت بين الاثنين، وإن كان لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بصورة جلية.

ولا يمكننا فى هذا الإطار مناقشة كل المُكتشفات الأثرية المبعثرة هنا وهناك؛ لكن علينا التنويه بتمثال إيزيس النذرى فى سان بطرسبورج[٢٢]، وبإطار الخاتم فى المتحف البريطانى[٢٣].

النوعية الثانية:

كما سبق القول، فإن نقوش المخربشات تمثل النوعية الرئيسية الثانية. وتوجد الأغلبية العظمى منها فى أبيدوس وطيبة وجبل السلسلة وأبوسمبل وبوهن، وهى ليست منشورة بصورة كاملة تقريبًا. وجميعها أحادية اللغة، وغالبًا ما تحتوى على كلمة واحدة فقط (شكل ٧٧ أ-ب).

وتملأ أوضح الأمثلة أبوسمبل. فمن بين نقوش المخربشات الكارية ومثيلاتها الأخرى[٢٤]، نشاهد أيضًا نقوش المخربشات اليونانية والفينيقية على سيقان التماثيل العملاقة للمعبد الكبير لرمسيس الثانى، التى نقشها الجنود العابرون فى أثناء حملة بسمَّاتيك الثانى على النوبة فى عام حكمه الثالث (سنة ٥٩٣). ويوجد نقشان آخران من المخربشات (رقم ٣، ٧)، يُذكر فيهما شخص يُدعى بسمَّاتيك، وهو اسم كان محبوبًا جدًّا لدى الكاريين والمصريين على السواء (شكل ٧٨). ونجده كثيرًا فى نقوش المخربشات الكارية فى بوهن أيضًا وجبل السلسلة وطيبة، إضافة إلى نقش مخربشة باللغة الليدية عند جبل السلسلة.

وتكاد توجد تقريبًا معظم نقوش المخربشات الطيبية فى مقبرة مونتومحات[٢٥] (شكل ٧٩)؛ وبعض منها مكتوبة على نقوش مخربشات سابقة أيضًا بالكارية. لذا، فإنه على ما يبدو أن موضع تلك النقوش دام لحقبة طويلة من الزمان، وهى تُقدر إجمالاً بحوالى ١٠٠ نص تقريبًا. ويأمل كل من ف. شفوروشكين V. Ševoroškin و د. شور D. Schürr فى نشرها. ومن الطريف أيضًا فى هذا الصدد هو ذلك الافتراض الذى عبَّر عنه راى Ray[٢٦] مؤخرًا. بأن الدافع وراء تلك النقوش كان

سلوكًا يُعبِّر عن تقوى الكاريين وولائهم تجاه مونتومحات بوصفه ممثلاً فى مصر العليا عن پسمّاتيك الأول، الذى يدينون له بالشكر فى بقائهم فى مصر. وبالطبع، فإن مثل هذا التفسير غير مؤكد.

النوعية الثالثة:

تُعدُّ اللوحات الجنائزية الكارية من أفضل الأمثلة المعروفة بمظهرها الخارجى المميز فيما يختص بالنوعية الثالثة والأخيرة من آثار الكاريين فى مصر، وهى تنقسم بدورها إلى مجموعتَين:

(أ) مجموعة صغرى تشتمل على سبع لوحات، وقد اكتشفت منذ منتصف القرن التاسع عشر فى محيط منف.

(ب) مجموعة كبرى مكونة من ٤٩ قطعة إجمالاً، وقد اكتشفت فقط منذ سنة ١٩٦٨ فى أثناء الحفائر الإنجليزية فى شمال سقارة[٢٧].

وكل هذه القطع بما فيها من نقوش مجموعة الفنون الصغرى منشورة فى كتب ومقالات موثوق فيها ويُستند عليها.

ومنطقيًا، تُعَدُّ مجموعة اللوحات الجنائزية من أفضل النماذج المؤهلة للتحليل والدراسة. فقد تَعمَّق كامِّرتسِل Kammerzell[٢٨] فى بحث رموزها ونماذجها، واجتهد كذلك فى وضع تقييم زمنى لها. وفيما يلى نريد الاكتفاء بعمل تصنيف مبسط، على العكس مما اقترحه كامِّرتسِل فى ذلك الأمر:

أولاً: لوحات جنائزية مصرية بنص مصرى وكارى.

ثانيًا: لوحات جنائزية ذات مناظر بأسلوب فنى أجنبى – ومُتَمَصِّر أيضًا – ونص كارى فقط.

ثالثًا: لوحات جنائزية لها شكل الباب الوهمى، وتحتوى على نص كارى.

رابعًا: لوحات جنائزية ذات نص كارى من دون مناظر.

أولاً: المجموعة الأولى الرئيسية من اللوحات المصرية ذات نص مصرى وكارى:

(أ) لقد أشرنا من قبل إلى ذلك التمثال الصغير المؤرخ من عصر پسمَّاتيك الأول، الموجود الآن فى برلين. وفيما يتصل باللوحات، فهناك قطعة واحدة فقط أمكن تصنيفها عن يقين من خلال خاناتها الملكية، وهى عبارة عن لوحة نذرية فى متحف القاهرة تنحدر من السيرابيوم، وتُبيِّن الملك أپريس يقدم الأضاحى لپتاح[٢٩] (شكل ٨٠). وفى أعلى المنظر ويمينه، يوجد نقش كارى يُذكر فيه اسم صاحب اللوحة، إلا أنه لا توجد صلة ما واضحة مع منظر اللوحة.

(ب) توجد لوحة غريبة فى لوزان بسويسرا (شكل ٨١) تنحدر من منف[٣٠]. ففى الصف الثانى الخالى من النقوش، نشاهد منظرًا رديئًا إلى حدٍّ كبير لسفينة إغريقية. وعلى الهامش الأيمن وكذلك الجانب الضيق من اللوحة، أُضيف نص يحتوى على سطرين رأسيين بالهيروغليفية والكارية، يشيران إلى صاحب اللوحة. ويحمل الرجل الاسم المصرى الخالص پسمَّاتيكعاونَيت، وهو ابن واحنيبرع[نب]قن. وليس هناك شك فى أنه من دون النص الكارى ومنظر السفينة الغريبة ما كانت تسوِّل للمرء نفسه فى الاعتقاد بأن لا يكون هؤلاء مصريين. فقد حُوِّل المنطوق الصوتى لاسم صاحب اللوحة إلى پسمشكونَيت (*psmškúneit*) فى الجزء الكارى للنقش، وبقى اسم الأب من دون تحويل من الهيروغليفية إلى الكارية[٣١]. وبما أن الوجود الكارى فى مصر كانت خلفيته عسكرية بالدرجة الأولى – إلا أن ذلك لا يعنى بالطبع أن كل كارى كان جنديًا –، فإنه أغلب الظن أن القائد واحنيبرعنبقن ابن القائد پسمَّاتيكعاونَيت، الذى يُذكر على شارة من البرونز بخراطيش پسمَّاتيك الثانى[٣٢] وساقها القدر إلى طيبة، كان ينتمى إلى الأسرة الكارية المذكورة سالفًا.

(ج) من بين المجموعة الأولى الرئيسية نفسها، أى تلك اللوحات المصرية المنقوشة بنص كارى، تنتمى لوحتان جنائزيتان أخريان من الطراز المنفى إلى النصف الأول من القرن السادس، وتحمل كل منهما نصًا كاريًا إضافيًا: إحداها فى سيدنى الآن(٣٣)، تُظهِر پاديئيست ابن تاديأوزير وهو يُبَجِّل أوزيريس. وفى النقش الموجود بالثلث السفلى من اللوحة، لم يُشر تلك المرة إلى الاسم المصرى لصاحب اللوحة بدلالات صوتية كارية؛ بل جاء النص الكارى «تريقو، (ابن) پارماس، الـ 'كلورولد' (لقب؟)» (*triqo parmaššχi kloruλχi*). ولسنا هنا بصدد استخدام مكرر لاسم، لكننا إزاء استخدام اسمين للشخص نفسه: اسم مصرى كُتب بالمصرية، وآخر كارى كُتب بالكارية. وفى عصر البطالمة يظهر كثيرًا ذلك التقاسم المشترك للثقافتين اليونانية والمصرية بأسلوب متوازٍ.

(د) اللوحة الأخرى الوحيدة المعروفة من هذا الطراز فى برلين(٣٤) يُسَمَّى صاحبها فى النص المصرى باسمه الكامل، فهو چاحاپيمو. أما فى النص الكارى، فهو يُدعى باسم مختصر شائع الاستعمال جدًّا، وهو تامو *τamou* (چامو)، ويُعَدُّ فى الواقع اسمًا كاملاً تمامًا، وليس اختصارًا.

(هـ) بينما تعبر بالكامل كلتا اللوحتين السابقتين أيضًا عن نوعيتهما، إذا ما تخلينا عن الأجزاء الكارية، فإن الوضع بالنسبة إلى اللوحة M 1(٣٥) مختلف. إذ يوجد فى هذا المثال حيِّز للكتابة، مقسم إلى جزأين، وواقع بين صفين للمناظر، ومملوء بنص مصرى وكارى مكملين لبعضهما. وقد شاهدنا من قبل حالة مشابهة لذلك فى تمثال الزَّبَابَة البرونزى ذى البوز المدبب من ميونيخ. لكن فيما يبدو أن النص الكارى المصرى قد نشأ على أن يكون جزءًا من برنامج الزخرفة. ففى حيز الكتابة، نقرأ بداية إحدى صيغ تقديم الأضاحى: «قول يُتلى: أوزيريس، أول الغربيين، ليتك تمنح دفنًا مشرفًا فى الجبَّانة». وفى الجزء الكارى، يُلحق اسم صاحب اللوحة أرليش (Arliš) ابن أرليوم (Arlíom)، حيث يُذكر الأب وابنه بأسمائهما الكارية فى حواشى التعليقات على المناظر، وهما إلى جانب ذلك أيضًا اسمان معروفان فى صيغتهما اليونانية بوصفهما أرليسِّيس (’Αρλισσις) وأرليوموس (’Αρλιωμος).

(و) ظاهريًا تشذ عن القاعدة لوحة مربعة الشكل غير مصرية الطابع، من دون مناظر فنية (M 7)، وتحمل نقشا كاريًا ومصريًا؛ لذلك يجب مناقشتها الآن، على الرغم من أنه يجب إدراجها فى المجموعة الثالثة لكونها حالة خاصة فعلا (شكل ٨٢). وتخص اللوحة شخصا يُدعى أرليش (*Arliš*)، وصيغته المصرية إيرش، حيث يظهر ثانية فى كلا النصين. وقد تعرفنا على هذا الاسم توًّا. ويتطابق اسم الأب أرسكر (*ꜣrskr*)(*) مع اسم أورسخله (*ursχle*) فى الجزء الكارى[٣٦]. وإلى

(*) ورد الاسم نفسه فى بردية ڤيينا الديموطية الكبيرة رقم D 6799، عمود ٩، سطر ٣٥ (P. Vindob. D 6799, Kol. IX, 35)، التى قام بنشرها لأول مرة قبل أعوام قليلة مترجم هذا الكتاب فى عدد خاص أصدره المجلس الأعلى للآثار لتكريم الأستاذ الدكتور على رضوان *Studies in Honor of Ali Radwan*. II. *Suppléments aux Annales du Service des Antiquités de l'Égypte*, Cahier N° 34, Le Caire 2005، حتى وإن جاء ذلك الاسم فى الموضع المذكور بصيغة مختلفة اختلافا طفيفا، وهى "أسقرا". وتنحدر وثيقة ڤيينا D 6799 الديموطية المذكورة أنفا من سوكنوپايونسوس (ديمة السباع)، حوالى ٣ كم إلى الشمال من بحيرة قارون بالفيوم، وتعود إلى منتصف القرن الأول الميلادى تقريبًا، أى بعد استقرار الكاريين فى مصر واستيطانهم فيها بحوالى ٧٠٠ سنة **(المترجم)**.

ولا يُستبعد إطلاقا أن كلمة "عسكر" أو "عسكرى" – وهى بكل تأكيد كلمة دخيلة تماما غير سامية الأصل، على الرغم من وجود حرف العين فى بدايتها!! –، أى جندى، ترجع فى أصلها واشتقاقها التاريخى إلى هذا الاسم الكارى، خاصة إذا ما نظرنا إلى لصق الكاريين فى العصور القديمة دائما بلقب «جنود (مرتزقة)»، بل كمرادف لكلمة كارى. ولعل ما يؤكد ويدعم هذه النظرية هو بقاء اسم "أرسكر" أو "أرسك(و)ر" حتى يومنا هذا، وذلك فى اسم المكان فارسكور على فرع دمياط مباشرة، وعلى مسافة قريبة جدًا من مصب النيل! وفى هذا ما يتطابق تماما مع رواية هيرودوت (الكتاب الثانى ١٥٤، ١) عن توطين كاريين وأيونيين فى ثكنات على فرع النيل البيلوزى عند بوبسطة (بالقرب من دافناى)، فقد «أعطى پسمتيك الأيونيين والكاريين الذين ساعدوه أراضٍ ليسكنوها، بعضها قبالة البعض يمر النيل فى وسطها، وتسمى المعسكرات، منحهم هذه الأراضى ووفى لكل بما كان قد وعد به (...). وأقام الأيونيون والكاريون بهذه الأراضى وقتا طويلاً. وتقع بجانب البحر بعد مدينة بوبسطيس بقليل، وعلى فرع النيل المسمى بالفرع البيلوزى» (ترجمة محمد صقر خفاجة). وفضلاً عن ذلك، فإن اسم فارسكور لا يجوز من الناحية الصوتية نسبته إلى المصرية القديمة أو حتى إلى إحدى اللغات السامية. أما حرف الفاء فى بداية الاسم، فإنه يشير بوضوح إلى أداة التعريف فى المصرية القديمة أو بالأحرى فى القبطية، مثلما نشاهده فى تسمية فيوم والفيوم **(المترجم)**.

جانب ذلك، يعطى شكل الصور الهيروغليفية للطيور الانطباع بضعف حركاتها، إلى حدٍّ يدعو إلى الاستغراب، بل بعدم مصريتها تقريبًا؛ لهذا، فنحن نفترض أن شخصًا كاريًا قام بهذا العمل، وربما الشخص نفسه الذى قام بحفر النقش الكارى.

ثانيًا: المجموعة الثانية:

وهى عبارة عن لوحات[٣٧] ذات مناظر بأسلوب أجنبى – مُتمَصّر أيضًا – وتحتوى على نص كارى فقط، وتتألف من مجموعة من اللوحات، يأتى القسم الأعظم منها من الحفائر الإنجليزية الحديثة فى سقارة. ويمكننا مبدئيًا تمييز فصيلتين منها:

(أ) لوحات ذات مناظر فنية بالأسلوب اليونانى، ويوجد منها حتى الآن مثالان فقط، يستحق أولهما اهتمامًا خاصًّا تمامًا.

تنتمى إلى هذه الفصيلة لوحة M 3، ويبلغ ارتفاعها مترًا واحدًا تقريبًا، وهى محفوظة الآن فى كمبريدج (شكل ٨٣)، وتُبيّن أسفل قرص الشمس المجنحة – وهو عنصر زخرفى متمصر واسع الانتشار – هيئتين أطول من المألوف بصورة غريبة لزوجين يلامسان بعضهما فى ثقة. وقد تأثر هذا الأسلوب بقوة بالفن الإغريقى الشرقى من حوالى منتصف القرن السادس. والقطعة الثانية الموجودة الآن فى برلين وتنحدر من أبوصير[٣٨]، فإنها تحتوى على منظر دفن Prothesis نشاهده أيضًا فى الأسلوب الإغريقى الشرقى (شكل ٨٤). واعتُقد من قبل أن النقش السيئ الحفظ الموجود على الحافة اليمنى قد كُتب باليونانية؛ لكن تَبيَّن فيما بعد أنه فى حقيقة الأمر كارى.

(ب) لوحات ذات مناظر فنية مُتمَصِّرة.

تُعدُّ فصيلة تلك اللوحات ممثلة بصورة أفضل عما هى الحال بالنسبة إلى الفصيلة الأولى. وعلينا بداية أن نتأمل هنا ثلاثة أمثلة متشابهة تمامًا من حيث الموضوع (M 4: 5: 5a). ففى ضوء معايير فنية، تُقدر بدايتهم التاريخية فى الربع

الأخير من القرن السادس. وهى لوحات شبه كاملة، وتتوزع مناظرها أسفل قرص الشمس المجنحة فى ثلاثة صفوف (شكل ٨٥). ففى الصف الأعلى، نشاهد المتوفى مبتهلاً أمام إيزيس وأوزيريس؛ وفى المنتصف، يقف تحوتى ممثلاً برأس الإيبيس أمام الثور آبيس وإلهة أخرى ذات جناحين، وهى أغلب الظن إيزيس مرة ثانية؛ وفى الصف الأسفل والأخير، يوجد منظر الدفن، حيث يقيم أشخاص مختلفون – وهم غالبًا من النساء – الحداد أمام نعش المتوفى الممدد. وفيما عدا ذلك، يوجد أيضًا هذا المنظر الأخير على سبيل المثال على شواهد القبور لآراميين مصريين؛ إلا أنه لا توجد نماذج مماثلة معروفة فى آثار أخرى لمثل هذا النوع من برنامج المناظر. فوفقًا لهيرودوت، كان الكاريون «يقطعون جباههم بالمشارط»، وهو ما رأينا فيه «أنهم أجانب وليسوا مصريين» (الكتاب الثانى ٦١)؛ وإن كان ذلك لم يظهر فى الصور قط. ومن الوهلة الأولى يمكن أن نعتقد بأن تلك المناظر مصرية خالصة، لكن تفاصيل بعينها تُبَيِّن بوضوح أنها أعمال لفنانين غير مصريين، فيتمثل ذلك بصورة جلية جدًا فى هيئة الجسم لتحوتى فى وضع الوقوف فى لوحة M 4[٣٩] (شكل ٨٦ أ–ب)، وهو أسلوب فنى يخرج عن نطاق القواعد المصرية الفنية تمامًا. وفى حين أن اثنتين من هذه اللوحات تُظهر نصًا كاريًا – يُلاحظ حل مشكلة المكان –، فإن اللوحة الثالثة لا تحوى أية نقوش على الإطلاق. وإلى جانب ذلك، فإن تقسيم مناظر هذه الفصيلة من اللوحات فى ثلاثة أقسام ليس ملزمًا دائمًا. فتوجد قطعة أخرى من الحفائر الإنجليزية فى سقارة (M 6) اقتصرت مناظرها على قسمين فقط، ويغيب فيها منظر الدفن، ويظهر المتوفى أمام آبيس بدلاً من تحوتى الممثل برأس الإيبيس.

ثالثًا: المجموعة الثالثة:

تُعَدُّ تلك المجموعة هى الكبرى. وتتكون من لوحات لها شكل الباب الوهمى[٤٠]، ونقوشها كارية فقط (شكل ٨٧، ٨٨). ولوحات من تلك النوعية هى نادرة فى مصر خلال العصر المتأخر؛ خاصة أنه لم يكن لها هذا الشكل. وافترض

أن هذا الطراز قد تأثر بهيئة المقابر الصخرية فى آسيا الصغرى - وبوجه خاص المقابر الليكية - بيد أن ذلك ليس مؤكدًا تمامًا، لأن المقابر الصخرية لا توجد فى كاريا أو أن لها شكلاً آخر (فى كاونوس).

رابعًا: المجموعة الرابعة:

نعرف من هذه المجموعة الأخيرة طائفة من لوحات خالية من الزخارف كلية، لذلك يلتفت النظر فورًا على النقش الكارى وحده. ويوجد مثال من بروكسل (MY D)[٤١] يخص شخصًا يُدعى پيكره. ويود كامِّرتسِل Kammerzell ألا يرى فيه شخصًا آخر مطلقًا سوى پيجرس الكارى، ذلك المستشار الخاص لدى پسمَّاتيك الأول، الذى ذكره المؤلف الكلاسيكى پوليانوس، وتعرفنا إليه من قبل[٤٢]. إن اللمسة العتيقة «الغائبة فى جميع الأطر أو عناصر الموضوعات الفنية على سطوح اللوحات، إضافة إلى النقش المتصل من دون توقف *scriptio continua* ومن دون فواصل للكلمات»[٤٣]، تبدو لكامِّرتسِل دليلاً على «بداية لسلسلة طويلة من التطور»، تُقدَّر بدايتها فيما بين عامى ٦٦٠ و٦٢٠. ودون شك، ربما يكون ذلك صحيحًا؛ لكن لا يجوز لنا سوى أن نتوخى الحذر بشدة من تطابق متسرع لشخصية پيكره مع شخصية المترجم پيجرس. فمن المؤكد أن ذلك التطابق محتمل من الناحية النظرية، غير أنه ليست لدينا أية أسانيد كافية تجعلنا نأخذ بمثل هذا الافتراض - فليس كل فريدريش هو فريدريش الأكبر[*]!

وتوجد بعض اللوحات أكثر حداثة التى ترجع حسب كامِّرتسِل إلى الفترة فيما بين عامى ٦٢٥ و٥٩٠، لا يسير فيها النقش موازيًا لاتجاه الحافة، مثلما هى الحال فى لوحة «پيجرس»، لكنه يُشكِّل كتلة (M 8-11).

(*) المقصود بفريدريش الأكبر هو فريدريش الثانى ملك پروسيا الذى حكم فيما بين عام ١٧٤٠ وعام ١٧٨٦ (المترجم).

إن التخمين بأن اللوحات الكارية الخالصة، وليست تلك المتمصرة، تعود إلى فترة مبكرة لكونها لم تتصف بعد بالتطلع نحو التكيف الحضارى، بات فى حكم اليقين، حيث تظهر سمات عتيقة معينة فى أسلوب ذلك النوع من اللوحات، وكذلك خصائص فنية تتعلق بالنقوش تؤيد تلك البداية المبكرة. أما اللوحات المصرية بنص كارى من الفترة فيما بين عامى ٦١٠ و٥٧٠، فإنها تعكس أول عملية انصهار حضارى، إذ إن أصحابها كاريون من الجيل الثانى أو الثالث، أى الذين وُلدوا فى البلاد وانحدر جانب منهم من زواج مختلط. لذا، فإن ثنائية اللغة قد تُعَدُّ دلالة من أجل السعى نحو التكيف أو الاندماج الحضارى. وبعد توقف فى عهد أمازيس[٤٤]، حال بين الآونة والأخرى دون مواصلة محاولات انصهار الكاريين، بقدر ما نستطيع قراءته من إرثهم الحضارى، حدثت وثبة لعملية التشابك الحضارى فى الربع الأخير من القرن السادس تقريبًا، تمثلت فى نشوء فن كارومنفى بصورة ذاتية، كما اتضح لنا من اللوحات المقسمة إلى ثلاثة صفوف (شكل٨٦ أ-ب) - وإننا لنتذكر المنظر الغريب لتحوتى. فظهرت عادات جنائزية مصرية بصورة متزايدة ثانية، لكن دون التخلى عن اللغة الأصلية. على أية حال، لم تكن عادة إقامة لوحات جنائزية كارية الأصل نشأوا عليها.

وحسب كامِّرتسل[٤٥]، فإن العدد القليل نسبيًا من لوحات جنائزية كارية محفوظة (حوالى ٧٠ قطعة إجمالاً) يشير أيضًا عند الشروع فى تحديد نسبة خسائر عالية للغاية، إلى أن أصحابها كانوا يُشَكِّلون أقل من واحد بالمائة من مجموع السكان الكاريين. والبقية كلها لم تظهر أثريًا. لذا، فنحن إزاء شواهد لنخبة قليلة، مثلما هى الحال فى الواقع بالنسبة إلى أغلبية بقايا الحضارة الفرعونية. ولا يمكن أن نعترض على الاستنتاج بأن الناس كانوا يُذكرون فيما يبدو عادة من دون ألقاب تحدد هويتهم، إلى حد يسمح لنا بأن نحكم الآن على ذلك، وهو ما ينطبق باستمرار على النصوص الهيروغليفية التى تختص بكاريين.

* * *

بعد هذا العرض، يجب الحديث بعض الشيء عن كتابة الكاريين ولغتهم[٤٦]. فالكتابة الكارية أبجدية هجائية، كما تُكتب من اليمين إلى اليسار أو العكس من اليسار إلى اليمين. ويتضمن جدول الكتابة الكارية (شكل ٨٩) فى جوهره العلامات التى ظهرت فى نصوص من مصر (حوالى ٣٠ علامة من مجموع ٤٠ علامة تقريبًا) بترقيماتها طبقًا لماصُون Masson. وكما نرى على الفور، فإن جزءًا كبيرًا منها يشبه العلامات اليونانية (المبكرة)، لكن جزءًا ليس قليلاً مبتكر. إن القراءات التقليدية للعلامات الكارية المتطابقة ظاهريًا مع حروف يونانية انبثقت من الافتراض المنطقى نفسه، من حيث إن القيمة الصوتية للعلامة لها أيضًا القيمة الصوتية للحرف المختص بها فى اليونانية (حيث إن العلامات نفسها فى الأبجديات اليونانية المبكرة المختلفة لها غالبًا قيمة صوتية مختلفة بحسب المنطقة). وقد بَيَّن د. شور D. Schürr أن القراءة التقليدية للأبجدية الكارية التى استمرت باقية حتى الماضى القريب جدًا، مثلما وضعها بصورة رئيسية كل من شفوروشكين Ševoroškin وماصُون Masson، تعود فى جوهرها إلى المستشرق القديم المؤثر أرشيبالد سايس Archibald Sayce قبل حوالى مائة عام[٤٧]. بيد أنه قد تَبيَّن أن نظام قراءة الأبجدية الكارية ذلك قد أدى إلى نتائج غير قابلة للعمل بها، فوصل أمر فك طلاسميا فى نهاية المطاف إلى طريق مسدود، شبيه بما حدث قبل فترة ليست بالبعيدة إطلاقًا عند فك طلاسم نقوش المايا الهيروغليفية، التى تُعَدُّ الآن من حيث المبدأ قد تفتحت آفاقها[٤٨]. لذا، كان علينا أن نتساءل عن السبب فى أن الأسماء المصرية التى تظهر فيها مكونات النص المصرى بشكل مألوف ليس لها على الإطلاق مطابق صوتى فى الكارية. وبغض النظر عن تحديد الانتماء اللغوى للكارية، كان لا بد من توقع ظهور أسماء مصرية، سواء أكانت تلك الأسماء لأشخاص أم لآلية.

وأدى البحث عن مثل هذه التطابقات اللغوية المقارنة إلى سقوط النظام القديم كلية. فقد تَبيَّن أن قراءة العلامات الكارية التى قامت على أساس الحروف اليونانية فى حالات كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة. ومن ثَمَّ، فإن تلك المجهودات الحديثة فى فك طلاسم الأبجدية الكارية، التى شرع فيها وحدهم باحثو المصريات كارل

-تيودور تصاوتسيش Karl-Theodor Zauzich[٤٩]، وچون راى John Ray، ثم توسَّع فيها وحسَّنها فى السنوات الأخيرة كل من الباحثين إيجناثيو أديجو Ignacio Adiego وديتر شور Diether Schürr، تسفر الآن عن نتائج مقنعة لأى باحث محايد. ولعل الشىء الجدير بالملاحظة فى ذلك، أن الأمر لم يصل إلى إمكانية التحقق من تطابق أسماء مصرية-كارية بالنسبة إلى مجموعة كاملة من الحالات فى إطار الأثر نفسه، لكن أمكن التعرف هناك أحيانًا بوضوح على أسماء مصرية أيضًا على أساس القراءات الجديدة للعلامات الكارية، وحيث لا يوجد نص مصرى يُستند إليه؛ علمًا بأنه كان لأى ناقد أن يدَّعى الاهتداء إلى قراءة هذه التطابقات فى النص الكارى. لذا، لا يمكن أن يكون مجرد صدفة على سبيل المثال ذلك التشابه فى لوحة M 27 لاسم نتوكريس (*ntokris*) – بما يتضمنه من علامة على شكل -*s* لا تنتمى إلى الاسم – مع اسم نيتوكريس (*Nitokris*).. وبالطبع، فإنه من الصعب توافق اسم إيتوروس (*iturońs*) فى M 24 مع نطق الاسم [إيتورو ituróu] الذى تم ترميمه عن يقين للاسم الشائع إيرت=و-ر=و (*Irt=w-r=w*)؛ ناهيك تمامًا عن أن اسم پسمَّاتيك المذكور سالفًا يظهر كثيرًا فى نقوش أبوسمبل وبوهن وجبل السلسلة، بوصفه پيسماشك (*pismašk*)، وپسماسك (*psmašk*).

وأكثرَ ناقدون لهم تِقلهم الحديث عن عملة ليكية-كارية للأمير إربِّينا، تُقرأ كتابتها البسيطة المكونة من علامتين بشكل تقليدى 'إر' (ER)، بوصفها اختصارًا للاسم السابق، فى حين عدم توافقها تمامًا مع القراءة الجديدة 'إيش' *iš* أو *iзi*. ومن ثَمَّ، فهى ليست اختصارًا لإربِّينا؛ وتبعًا لذلك، كانت النتائج الإيجابية للجهود الجديدة فى فك طلاسم الكارية لها اعتبارها[٥٠].

على أن الأصوات الناقدة بدأت تطبق الصمت تدريجيًّا، وذلك عندما اكتشفت فى صيف ١٩٩٦ فى كاونوس – الموطن الأم للكاريين بآسيا الصغرى – ثلاث كسرات كبيرة متصلة وثنائية اللغة، بالكارية واليونانية[٥١]، وهى عبارة عن وثيقة رسمية من القرن الرابع (شكل ٩٠)، أى من فترة، عندما خلت مصر على ما يبدو ممن يكتبون الكارية. وكما تُبيِّن نظرة سريعة إلى الجدول، فإن تطابق الأسماء الثنائية اللغة بالنسبة

إلى مجموعة كاملة من الحروف، تثبت سلامة الطريق الذى سلكه كل من أديجو وشور! إن «تحول الشخصية» Metacharakterismós الفريد من نوعه – وبمعنى أكثر بساطة، ذلك الاختلاف بين القيمة الصوتية للحروف اليونانية والكارية – هو حقيقة واقعة لا بد أن نقبلها لكونها من المعطيات، علينا كيفية تفسيرها(٥٢).

إن الكتابة شىء، واللغة شىء آخر: بينما يُعتقد أن الكتابة الكارية قد تم الآن فك طلاسمها، باستثناء بعض العلامات المتناثرة هنا وهناك، فإن فهم اللغة لم تتفتح آفاقه بعد بصورة كاملة. ويرجع السبب – بالطبع أو ربما بالأحرى – لذلك إلى القلة المملة من النقوش والنقص الشديد فى مادة لغوية أكثر سعة ومثمرة نوعًا ما. وقد توصل ج. نويمان G. Neumann(٥٣) على أساس تحليل موروثات جانبية فى المصادر الأدبية والنقوش إلى أن اللغة الكارية تنتمى «إلى الحزام الجنوبى اللُّوى» بوصفها «عضوًا غريبًا». وتبعًا لذلك، فإن هناك لغات أخرى قريبة لها، وهى: الليكية، واللُّوية الهيروغليفية، والپسيدية، والكيليكية، ولغات أخرى كثيرة. إذن، فإن الكارية هى لغة هندوجرمانية، مثلما أثبت ذلك أيضًا باحثون آخرون. وهو ما جاء بوضوح كذلك فى عبارة إيڤو هاينال Ivo Hajnal: «وهكذا، فإن الكارية تُعَدُّ اليوم بصورة نهائية قاطعة لغة هندوجرمانية تنتمى فى إطار لغات الهندوجرمانية إلى فرع لغات الأناضول»(٥٤).

ويجب الحديث كذلك عن ذلك العمل الذى تكرر الاستشهاد به بشكل مباشر أو غير مباشر، والذى ظهر فى سنة ١٩٩٣ لباحث الآثار المصرية القديمة فرانك كامِّرتسِل Frank Kammerzell: «دراسات عن لغة الكاريين وتاريخهم فى مصر» *Studien zu Sprache und Geschichte der Karer in Ägypten*. ولا شك أن الفصل المختص بتاريخ الوجود الكارى فى مصر على وجه الخصوص، وكذلك التعمق فى بحث دراسة رموز اللوحات الجنائزية الكارية ونماذجها يستحق كل التقدير. لكن تصادف أن المؤلف كتب كتابه ونشره فى وقت كان فك طلاسم الكتابة الكارية قد خطا خطوات لا يُستهان بها فعلاً، ومع ذلك، فقد كان لا يزال غير ناضج تمامًا. وبصريح العبارة: إن عديدًا من القيم الصوتية التى استند عليها المؤلف بانضمامه

إلى رأى Ray تبيَّن فى خلال ذلك خطؤها (قارن الجدول)؛ لذا، فإن كتابه فى هذا المجال محدود، ويجب توخى الحذر فى استخدامه[٥٥]. وبالنسبة إلى الباحث فى علم المصريات سوف يكون هذا الكتاب ذا أهمية، خاصة إذا ما كان مهتمًا بتناظر الأسماء الكارية المصرية التى تقتضى بطبيعة الحال قراءات سليمة. وهكذا، أمكن على سبيل المثال التحقق من هوية صاحب اللوحة M 36، بأن اسمه فى المصرية حب-منْ، أى «الآبيس باق» على أساس القراءة الجديدة فى الكارية آپمِنْ (*apmen*)[٥٦].

الفصل السابع

مصر والعرب القدماء

إن استعمال كلمة «عرب» يقتضي توضيحا، فربما يُعتقد من الوهلة الأولى أن المقصود هم أتباع النبى والفتح الإسلامى. إذ إنه من المعروف أن القائد عمرو بن العاص قد أخضع مصر فى سنة ٦٤١ ميلادية بتكليف من خليفته عمر، لكن تلك قصة أخرى ليست لها علاقة بموضوعنا فى شىء. على أنه كان يوجد «عرب» قبل ظهور النبى محمد بزمن طويل. فعلى سبيل المثال، تتحدث المصادر الآشورية عن أريبى[١]. وفضلاً عن ذلك، يعرف أغلب القراء أنه كانت توجد حضارات مزدهرة فى جنوب الجزيرة العربية فى عصر ما قبل الإسلام، فيتحدث الإخباريون المسلمون عن الجاهلية، أى عصر ما قبل إبلاغ خاتم الأنبياء بالوحى. ولا شك تحضر على البال وفى الحال قصة سليمان وملكة سبأ. وفى الواقع، سوف نتعرف على علاقات الشعوب العربية الجنوبية القديمة، وخاصة علاقات المعينيين بمصر. لكن كانت هناك أيضا قبائل عربية أخرى لم تكن قد تأسست بعد فى ممالك كبيرة، وكانت لها صلات متقطعة تقريبًا بمصر، وتركت آثارًا ملموسة هناك.

ولم يحكم عرب فى مصر قبل الفتح الإسلامى قط، كما لم يأتوا مطلقًا إلى مصر فى جماعات كبيرة مثل الكاريين. لذا، فإن المصادر المتاحة لدينا ليست غزيرة، لكن ليس لهذا السبب يكون الحديث عنهم أقل قيمة، بل إن لهم الأفضلية التى لا جدال فيها إزاء الكاريين، لأن شواهد النقوش القليلة الباقية أكثر طولاً وصراحة من ناحية، ولأننا نفهم بصورة جيدة الكتابات واللغات التى تتضمنها منذ فترة طويلة من ناحية أخرى.

ويدخل الـ «عرب» فى مرمى بصر باحث المصريات لأول مرة حوالى سنة ٧٣٠، وإن كان بشكل سطحى جدًّا. ففى الفصل الذى تناولنا فيه الآشوريين، كان الحديث عن إدماج زعيم قبيلة عربية (الناسيكو) فى ذلك الوقت فى الإدارة الآشورية فى عهد تيجلاتبيليسَر الثالث (٧٤٤–٧٢٧)، حيث عُهد إليه بحراسة حركة المرور عند الحدود. ومثلما شاهدنا من قبل، فقد استمر هذا الإجراء فى عصر سرجون الثانى (٧٢١–٧٠٥). وإننا لنتذكر أيضًا المركز التجارى الذى قام سرجون بتجهيزه بالقرب من الحدود المصرية عند العريش تقريبًا.

كذلك يجب الإشارة هنا إلى القصة الخرافية التى وصلتنا من ديودوروس وپلوتارخ عن تِفاختوس أو تِشناكتيس (تِفنِخت)، الذى قيل إنه آثر الحياة البسيطة بعد حملة عسكرية ضد العرب[٢]. لكن ما ينطوى وراء ذلك من خلفية تاريخية يصعب تقريره؛ وإن كان من المحتمل أن جوهر الموضوع الحقيقى فى ذلك هو عبوره سيناء القاحلة فى الطريق إلى فلسطين. ومن ثمَّ، فإنه يُحتمل جدًّا أن الملك قد تلاقى مع «عرب» فى ذلك الوقت. وفضلاً عن ذلك، فالجدير بالذكر أن تِفنِخت يرتبط أيضًا فى مصدر مصرى قديم بفترات عوز، لكن فى سياق عكس ذلك تمامًا. ففى لوحة پيعنخى، يُنسب إليه قوله: «لا أستطيع أن أجلس فى حانة الجعة من دون أن يُعزف لى لحن على الجنك، فأنا آكل خبز الجوع، وأشرب ماء الظمأ»[٣]. لكن بما أن ذلك ليست له علاقة بـ «العرب»، فنحن لسنا فى حاجة هنا إلى الاهتمام به.

وفى تل المسخوطة بشرق الدلتا، المعروفة فى المصرية القديمة بـــاسم «پرآتوم (چيكو)»، وفى التوراة سُكُوط، وفى اليونانية هيروونپوليس، شيَّدت عرب قيدارية فى عصر الفرس معبدًا صغيرًا للإلهة هانئيلات. وتتطابق هذه الإلهة مع اللأت فى العربية القديمة، حيث وردت أيضًا فى القرآن[٤]. وطبقًا لرأى متداول[٥] لهيرودوت – تعرض حديثًا لجدل شديد –، تُنطق أليلات؛ ولا تعنى كل هذه الأسماء شيئًا آخر سوى «الإلهة». إن تأسيس تلك الجالية يعود أغلب الظن إلى فترة غزو قمبيز سنة ٥٢٥، الذى لم يكن ليتحقق، وفقًا لهيرودوت (الكتاب الثالث ٨٨؛ ٩١؛ ٩٧)، من دون مساعدة عربية؛ لذا، أُعفى العرب من دفع الضرائب مكافأة لهم،

لكن كان عليهم أن يرسلوا ١٠٠٠ تالنت ذهبًا سنويًّا إلى الفرس. وفى الخمسينيات من القرن الماضى، عُثِر فى تل المسخوطة على أربع أوانٍ نذرية[٦] من الفضة عليها نقوش آرامية، حيث وصلت إلى متحف بروكلين. وتؤرَّخ هذه النقوش من سنة ٤٠٠ تقريبًا، وتعكس مراحل مختلفة للتشابك الثقافى على الرغم من قصرها الشديد. فنشاهد فى إحداها اسم صاحب القربان وبنوته باللغة السامية / العربية الشمالية القديمة، وهو قَينو ابن جَشمو. وفى حالة أخرى، فإن اسم صاحب القربان مصرى، أما اسم الأب فهو عربى (صحا، أى چدحر ابن عبد عمرو) (شكل ٩١ أ-ب). ونشاهد فى نقش إناء ثالث كلا الاسمين مصريًا: «حربك ابن پسرى، قدم(ه) قربانًا للإلهة هانئيلات» (شكل ٩١ ج). إن الشخص المذكور سالفًا قبل قليل، قَينو ابن جَشمو، كان طبقًا لنقوش النذر «ملك قيدار»، وهو اتحاد فيدرالى قبائلى معروف جيدًا من العهد القديم (مثلاً إشعياء ٢١، ١٦). وإنه لمن المحتمل جدًّا وجود صلة قرابة ما بذلك الشخص المدعو جِشم، الذى يظهر فى العهد القديم[٧] معارضًا لنحميا[*] ويمكن البحث عن ذلك القيدار فيما بين البتراء ووادى سيرحان.

وبالنظر إلى ما سبق، فإننا لا نُفاجأ حين يرى هيرودوت فى تل المسخوطة (هيرووتپوليس) «مدينة عربية»، على الرغم من ذكره لها بالاسم المصرى پاتوموس (پرآتوم)، الكتاب الثانى ١٥٨[٨]. لهذا، فإن تلك المنطقة أيضًا - وهى الإقليم العشرون بمصر السفلى منذ عهد پيى / پيعنخى - يُطلق عليها إقليم أرابيا فى العصر اليونانى الرومانى. وفيما يبدو أن عناصر «عربية» غير مصرية قد طبعت تلك المنطقة عرقيًا بشدة. ففى عهد الإسكندر (عام ٣٣١)، عُهد بإدارة «ذلك الإقليم العربى هيرووتپوليس» Ἀραβία ἡ πρὸς Ἡρώων πόλει إلى كليومنِس. وهذا الاستعمال النوعى الضيق لمصطلح «أرابيا»، يجب علينا ملاحظته وتمييزه دائمًا عن استخدامات واسعة أخرى، ففى بادئ الأمر كان لسيناء، ثم أخيرًا للجزيرة العربية بالكامل.

(*) نحميا هو ذلك الساقى اليهودى لملك الفرس فى سُوسه، وكان قد عُهد إليه فى سنة ٤٤٥ بإعادة بناء السور المدمر لمدينة أورشليم (المؤلف).

ولعل أهم وأبلغ مصدر معروف للعلاقات بين «عرب» ومصريين فى العصر المتأخر - وعلى وجه الدقة فى عصر البطالمة - هو نقوش تابوت بلغة معينية. والمعينية هى لهجة عربية جنوبية قديمة مثل السبئية المعروفة بشكل أفضل، وكُتبت مثلها بالأبجدية نفسها المنقوشة والزخرفية المميزة (شكل ٩٤). وكانت قَرناو هى عاصمة بلاد مَعيْن، وهى كارنا عند سترابون، حيث وقعت فى الجوف الجنوبى؛ فقد ظلت منطقة قبائل المعينيين محصورة دائمًا فى وادى الجوف[٩]. وكانت تجارة البخور والمُرّ من اختصاصهم[١٠]، ولهذا السبب وحده، يتحدث عنهم بالطبع المؤلفون الكلاسيكيون مثل سترابون وكلاوديوس بطولمَيوس. وفى القرن الرابع تقريبًا، قام المعينيون بتأسيس مستعمرة تجارية إلى الشمال فى ددان، المعروفة الآن باسم واحة العلا. فكان القسم الشمالى لطريق البخور فى ذلك الوقت تحت سيطرتهم (شكل ٩٢). ومن واحة العلا، كانت تُنقل البضائع إلى المرفأ عند لويكه كومه، إذا لم يتم اختيار الطريق البرى، ومن هناك إلى ميوس هورمُوس (القصير). وتكميلاً للحديث عن ذلك، يُضاف بأن طريق بخور من الجنوب وآخر من جرها على الخليج الفارسى، كانا يؤديان إلى البتراء. «وانطلاقًا من هناك، كانت تُنقل البضائع سواء إلى غزة أو بموازة 'طريق الملك' (عَرَابَة) إلى شمال سوريا. ولعل احتلال بطلميوس <الأول> لسوريا وتجهيز حامية فى فيلادلفيا(*) على 'طريق الملك'، قد أعطى للبطالمة السيطرة الكاملة على هذه التجارة»[١١].

وعلى ما يبدو، فإن تأثير المَعينيين قد بلغ الذروة فى النصف الأول من القرن الثالث. وتحددت نهاية استقلال وطنهم المعينى الأم قبل سنة ٢٠٠ بفترة قصيرة، حين خضعت البلاد لسيطرة السبئيين.

وإلى الشمال قليلاً من المستعمرة التجارية فى دِدان، كانت تقع هِجْرا / حجر، وهى الآن مدائن صالح، التى قام الأنباط فيما بعد ببنائها على حساب المعينيين (والجرهيون كذلك الذين كانوا يسكنون شرق الجزيرة العربية)، لتصبح آخر معاقلهم الخارجية فى أقصى الجنوب.

(*) وهى ربّاط عمُّون القديمة - المعروفة اليوم باسم عمّان (**المؤلف**).

بعد هذا الموجز المختصر للخلفية التاريخية، نريد الآن أن نتوجه إلى نقوش التابوت[١٢] المذكور سالفا (شكل ٩٣، ٩٤)؛ ويليق بنا أن نتناولها بشيء من الدقة، نظرا إلى الأمور المفيدة المختلفة والمشكلات التى تطرحها هذه النقوش. والتابوت نفسه البالغ طوله حوالى المترين من خشب الجميز، صُنع بطريقة خشنة نسبيًا، كما أنه عار من أية زخارف. وعندما وصل دون موميائه عند نهاية القرن التاسع عشر إلى متحف القاهرة، ذُكر أنه ينحدر من الفيوم؛ لكن نتيجة البحث داخل النص تدل على أنه بالأحرى يأتى من سيرابيوم منف، كما سنرى الآن. والنقش المكون من ثلاثة أسطر، يوجد على الجانب الطولى الأيسر من الخارج، وقد ضاعت بداية السطرين الأول والثانى. ونود بداية تقديم النقش بالكامل الذى عُولج فى السنوات الأخيرة مرات عديدة، ثم نناقش بعد ذلك الأمور المهمة برؤية باحث المصريات:

(١) «[...] تابوت زيدئيل ابن زيد، من عشيرة ظيران، من كهنة الوعب، الذى كان يستورد المُرّ وأنواع الأقورن لبيوت (أى لمعابد) آلهة مصر فى أيام بطلميوس ابن بطلميوس،

(٢) [...] ومات زيدئيل فى شهر هاتور، فأُرسل كتان (؟) من كل بيوت آلهة مصر هدية (؟) منهم، ورداء الدمور لكفنه، وأحضروها،

(٣) (أى) روحه (با)، إلى أعلى فى نطاق (؟) بيت الإله أوزيريس-أبيس فى شهر كيهك للعام ٢٢ للملك بطلميوس. ووضع زيدئيل[١٣] تمثاله (؟)/ نقشه (؟) / مومياءه (؟)[١٤] وتابوته فى حماية أوزيريس-أبيس والآلهة الذين معه فى معبده»[١٥].

إنه لمن الواضح والمنطقى تمامًا، أن الأمور الآتية لا تمر من دون أن تكون موضع نقاش:

- قام رجل معينى بتزويد المعابد المصرية بالبخور الضرورية فى الطقوس، ولا سيما غير المتوافرة فى مصر.

- تم دفنه وفقًا لعادات مصرية فى نطاق معبد «أوزيريس-أبيس»، حيث تكفلت حينئذ بدفنه المعابد التى كان يقوم بتزويدها بالبخور حال حياته.

- عمل ومات فى عصر البطالمة، وتحديدًا فى العام ٢٢ لملك يُدعى بطلميوس ابن بطلميوس.

لكن تبدأ الصعوبات سالفًا فى كوننا لا نستطيع حقًا الجزم بأى بطلميوس هو المقصود. فالحجة السائدة غير مقنعة بأية حال من الأحوال، من حيث إن العام الثانى والعشرين لحكم بطلميوس الثانى (عام ٢٦٣) كان هو المقصود، بزعم أنه جرت العادة أن يُطلق عليه «بطلميوس ابن بطلميوس» فى الوثائق المصرية، فى حين استخدمت عادة فقرات إضافية للبطالمة اللاحقين. كذلك، فإن هناك بطالمة قد تعاقبوا فيما بعد يُشار إليهم أحيانًا فى تواريخ بالطريقة المختصرة نفسها. وبما أنه معروف أن كل بطلميوس هو ابن لبطلميوس، باستثناء الأول، وفضلاً عن ذلك وجود مجموعة من بعض البطالمة بسنوات حكم ٢٢ سنة، فإننا لم نتقدم كثيرًا إلى الأمام فيما يتعلق بتحديد البداية الزمنية. ومن الناحية اللغوية السبئية، فقد أُشير قبل فترة قصيرة إلى أن القرائن، من حيث طريقة الكتابة تدل على تاريخ متأخر، وتحديدًا، إما عام ١٢٤/١٢٥، وإما عام ٩٢/٩٣[١٦]، حيث تخلو جنوب الجزيرة العربية بوجه خاص ابتداءً من حوالى عام ١٢٠ من نقوش معينية تمامًا.

على أنه بالنسبة إلى الباحث فى علم المصريات، فإن الأكثر أهمية من مشكلة التأريخ الدقيق هو بكل تأكيد كون زيدئيل كاهنًا، حيث يُذكر فى السياق: كاهن لإله مصرى. وهذه العبارة الأخيرة فى النص الأصلى كانت موضوعًا لمساجلات طويلة. وكنت قد اقترحت فى مكان آخر[١٧] على أثر تفسير قديم قدمه رودوكاناكيس Rhodokanakis، بأن تعبير 'ذوب' يعنى «الذى يتبع كهنة الوعب». وكما شاهدنا من قبل مثالاً للفينيقى خعحاپ (شكل ٣٣)، فقد كان يجوز لأجنبى أن يكون كاهن شعائر مصرية، وإن كان هذا لم يحدث كثيرًا بكل تأكيد. وعلى الرغم من عزوف الكهنوت التقليدى عن كل النشاطات التجارية، فإنه من الواضح بدرجة لا بأس بها أن تعيين كاهن، مثلما هو فى حالة زيدئيل، قد ارتبط بمزايا تجارية فى استيراد البخور.

لذا، فإذا كان زيدئيل كاهنًا للإله المصرى أوزيريس-آپيس وفقًا لشهادته هو نفسه، فإننا نتعجب أنه لم يكتب نقوش تابوته بلغته الأم فحسب، وإنما يبدو أيضًا أنه لم يتسم باسم مصرى ثانٍ. لكن من المرجح أنه كانت توجد لوحة جنائزية بلغة وكتابة مصريتين وظهوره عليها باسم مصرى!

وهنالك مجموعة من التعبيرات الفريدة من نوعها لم يمكن تفسيرها حتى الآن بمنهج اللغة العربية الجنوبية القديمة، حتى إنه افترض حدوث استعارات لكلمات من اللغة المصرية. وبما أن عناصر دينية وعادات دفن البلد المضيف قد تم اتخاذها، فإن من البدهي والمنطقي جدًا أن تُستعار أيضًا اصطلاحات متعلقة بأفكار ثقافة أجنبية. وقد أثبتنا ذلك بالنسبة إلى الآراميين الذين عاشوا فى مصر. ولا نندهش كذلك أن تُستعار أسماء الشهور المصرية، إذ يوجد ذلك أيضًا فى الوثائق الآرامية، كما سنرى بعد قليل، فى أحد النقوش النبطية. وفيما عدا ذلك، فإن من الصعب جدًا استنباط مفردات مصرية بحد أدنى من التحقق. لكن حسب تقدير المتخصصين المحنكين فى السبئيات، يبدو الاتفاق على وجود كلمتين على الأقل غير ساميتين، بل مصريتين، وهما: «روح» (ب|ا)، و«هدية، قربان، رداء» (ت|م|خ). وفى الحالة الثانية، يبدو أن كلمتين مصريتين، وهما «تا» و«منخِت» قد نُقلتا مجتمعتين إلى اللغة المعينية – إضافة إلى أداة التعريف – بوصفهما كلمة واحدة (تا منخِت = تمخ)، كما ثبت ذلك على نحو مماثل للكلمة نفسها فى المصرية الآرامية[١٨]. لكن تفصيلاً، فإن تحليل بعض مصطلحات نقش زيدئيل لا يزال قليل الوضوح، بحيث لا يمكن مناقشتها فى هذا الإطار، مضطرين إلى إنهاء حديثنا عن هذا المصدر شديد الأهمية. وعلى الرغم من تسجيل النقش بلغة أجنبية وذكر الرجل المعينى لاسمه الأصلى فقط، فإنه يتبيَّن على أية حال أن تكيفه الثقافى كان متقدمًا باضطراد نسبى على ما يبدو.

وتوجد نصوص معينية أخرى تتناول العلاقات التجارية مع مصر. ففى نقش مؤرخ من سنة ٣٧٠[١٩] من العاصمة قَرناو، تُذكر النهاية السعيدة لبعثة تجارية لشخص كانت فى طريقها إلى مصر، وغزة، وآشور. وعلى جانب أكبر من الأهمية، يُعَدُّ نقش آخر على سور براقش[٢٠]، وهى يَثُل القديمة، أكبر ثانى مدينة للمعينيين، إذ يتحدث فيه اثنان من رؤساء (بلقب 'كبير') المستعمرة المعينية فى واحة ددَان على طريق البخور عن إنقاذ آلهة مَعين ويَثُل لهما من عناء شديد. وكانا قد أقاما فى مصر، حيث مارسا التجارة مع «مصر، وآشور[٢١]، وعبر نهرين»، أى سوريا، وفلسطين، وعبر الفرات. و«قد أنقذتهما وبضاعتهما» آلهة مَعين «فى

وسط مصر في الحرب التي وقعت بين ماذاي ومصر» (شكل ٩٤). وليس ذلك فحسب، وإنما تعرضت قافلتهما في طريق العودة أيضًا للسطو في سياق قلاقل حربية بين الجنوب والشمال من السبئيين. لكن مع ذلك، فقد وصلا في نهاية الأمر إلى بلادهما، فقاما بإنشاء جزء من السور مع إهداء مكتوب اعترافًا بالجميل تجاه الآلهة. إن هؤلاء الماذاي هم «الميديون»، أي الفرس، وهو ما يرمز فيما يبدو إلى الغزو الفارسي الثاني لمصر في عهد أرتاكسيركسيس الثالث أوخوس في عام ٣٤٣[٢٢].

وكان قد اعتُقد في الأصل أن الأمر يتعلق بغزوة قمبيز، لكن ذلك يُعَدُّ في عصر مبكر جدًّا. كما يوجد بالوثيقة ما جعل البعض فيما مضى يذهب إلى إرجاعها إلى عصر السيلوقيين. لذا، فإن «ميديا» نتيجة لذلك كانت هي دولة السيلوقيين في عهد أنتيوخوس الثالث، وأن الأحداث المذكورة قد وقعت في فترة الحرب السورية الرابعة أو الخامسة (عام ٢١٧ أو عام ٢٠٢). لكن على ما أعتقد، فإن هذا التأريخ يرفضه الآن عن حق الباحثون في السبئيات. على أنه كان يجب الإشارة إلى أن الحجة السائدة في كون السيلوقيين لم يُطلق عليهم تسمية ميديين مطلقًا[٢٣]، قد أظهرت عدم صحتها. ففي نص ديموطي، تُذكر غزوة «ميدي»، وكان المقصود في السياق هو أنتيوخوس الرابع وحده[٢٤].

وفيما عدا ذلك، فإنه ليست لدينا شواهد أخرى كثيرة بالكتابة العربية الجنوبية القديمة من مصر. ففي مخربشة عُثر عليها بالقرب من إدفو[٢٥]، قام شخص بعينه بنقش اسمه «يَذكَرئيل، من عشيرة المعينيين حيئيل». وفي وادي الحمامات، يوجد نقش مخربشة بالكتابة العربية الجنوبية القديمة لشخص يحمل فيما يبدو الاسم اليوناني فيلوكسنوس[٢٦]. ولئن كان مصريون في عصر البطالمة قد شاركوا في الحضارة اليونانية، فحملوا أسماءً يونانية وكانوا يفتخرون بها غالبًا في مصادر ديموطية (وأيضًا هيروغليفية)، فإن أتباع الأقليات العرقية الصغيرة اتخذوا أيضًا في ذلك الوقت أسماءً يونانية للتكيف إلى حدٍّ ما مع حضارة السادة الجدد، بما يحمله ذلك من مزايا مادية، وعلى الرغم من ذلك استمروا في استخدام كتابتهم المتوارثة ولغتهم.

وفى برديات يونانية من عصر البطالمة، تظهر عدة مرات كلمة آرابس Ἄραβες[٢٧]، أى عرب. ومن الطريف أن من بين ٤١ شخصًا، يحمل ثلاثة فقط أسماء سامية، وهم ثلاثة أخوة (داكوتيس، وميرولاس، وخالباس)، ويحمل الباقون أسماء يونانية أو مصرية. وفى بعض مصادر النقوش المختلفة، فإن ظهور العرب أكثر ندرة. ففى حوالى القرن الثالث، ترك لنا شخص يُدعى أولومپيبخوس آراپس Ὀλύμπιχος Ἄραψ نقش مخربشة فى مقبرة رمسيس الرابع[٢٨]. وفى هذا الصدد، يجب أيضا ذكر أولئك التروجوديت البدو، الذين كانوا يتكلمون على الأرجح لهجة سامية، إذ يتحدث سترابون عن «التروجوديت العرب»[٢٩] Τρωγοδύται Ἄραβες. وفى وثيقة ديموطية على الأقل من تلك الفترة، يُذكر عرب، فنجد رجلاً بالاسم العربى الشائع وائل[٣٠]، وهو المدعو وائيلو ابن عَومنيلو وتائيسة (أى «التى تتبع إيزيس») – لذا، فهو على الأرجح طفل من زواج مختلط –، حيث يُشار إليه فى وثيقة بيع منزل يعود تاريخها إلى العام التاسع والستين، بوصفه «هَجَرى الجبل» و«خادم حورس، سيد هبنو، الإله العظيم»[٣١].

وفى هذا السياق، يطرح السؤال نفسه عن معنى هؤلاء الهَجَريين ووظيفتهم. إذ يظهر هذا المدلول للمرة الأولى فى العصر الصاوى بوصفه اسم علم مذكر ومؤنث (تارة هقر، وتارة أخرى هكر)[٣٢]، كما أن الملك هكوريس (٣٩٣–٣٨٠) من الأسرة التاسعة والعشرين يحمل الاسم نفسه. وقد بيَّن پوزينير Posener[٣٣] أن لفظ هكر يظهر بصفته تسمية جغرافية ذات صلة ما بالصحراء والعرب، وحدد هويتهم بوصفهم جماعة عرقية تتطابق مع أولئك الأجرايوى Ἀγραῖοι الذين أشار المؤلفون الكلاسيكيون إليهم، ومع الهجريم الذين يُذكرون فى العهد القديم. وتعنى كلمة هَجَر فى اللغة العربية الجنوبية القديمة «مدينة»؛ فهى، إذن، على عكس افتراض شائع لا علاقة لها إطلاقًا بالكلمة اليونانية أنجاروس ἄγγαρος، بمعنى «حامل البريد العاجل»، المشتقة من الفارسية. وتشير أسماء أماكن مثل أكوريس فى مصر الوسطى إلى استيطانات مماثلة. إذ تنحدر بردية ديموطية من تلك المنطقة، وتعود إلى الفترة المتأخرة للقرن الرابع[٣٤]، ويُذكر فيها هَجريون فى مجال الأعمال الزراعية. وفى وثيقة ديموطية عن الكفالة من الفيوم من العام ٢٢٣[٣٥]، يظهر «هَجَرى سورى»، ويحمل مثل أبيه اسمًا مصريًا خالصًا.

ومع بداية عصر البطالمة، نجد أيضًا بين الحين والحين شواهد لوجود الأنباط، وهم قبيلة عربية شمالية. وتُعَدُّ المقابر الصخرية الضخمة المعروفة فى البتراء بالمملكة الأردنية من أشهر تراثهم الحضارى وأروعه. وتنحدر معظم آثارهم هناك من القرنين الأول والثانى قبل الميلاد وبعده؛ وقد انتهى استقلال دولة الأنباط فى عام ١٠٥ بعد الميلاد بضمها ولاية رومانية فى عهد تراچان. ولا يُستبعد أن الـ «عرب» الذين يأتى ذكرهم فى برديات يونانية يُعنى بهم غالبًا الأنباط، وإن كان ذلك ليس دائمًا على الإطلاق؛ فالأنباط لم يسودوا فى ذلك الوقت فى القسم الشمالى لطريق البخور فحسب، وإنما احتكروا أيضًا استخراج الأسفلت من البحر الميت المستخدم فى التحنيط. ونستشهد فى هذا السياق بما ورد فى نص دينى بالديموطية على بطاقة مومياء خشبية من العصر اليونانى الرومانى[٣٦]: «أنت مجهز بدمور رقيقٍ وكتان ممتاز وصمغ وبخور وأسفلت سورى وبخور ومُرّ وبخور شو». وطبقًا لشهادة ديودوروس، فإن الأنباط معروفون لنا تاريخيًّا للمرة الأولى فى سنة ٣١٢. ففى ذلك الوقت، حاول أحد خلفاء الإسكندر الأكبر، وهو المدعو أنتيجونوس مونوفتالموس، الانقضاض مرتين على البتراء لكن من دون جدوى. ومنطقيًّا، فإن البطالمة كانت لهم مصلحة فى السيطرة على تجارة العطور، والتوابل، والأسفلت والإمساك بزمامها. وقبل ذلك كان الإسكندر الأكبر أيضًا قد اختط إخضاع جزيرة العرب (بمعناها الواسع)، لكنه لم يتمكن من تنفيذ هذا المشروع[٣٧]. وقد استوطن الأنباط المنطقة فيما بين البتراء وخليج العقبة، لكن أيضًا فى سيناء التى كانت بعد الإسكندر فى يد السيلوقيين. وحسب ديودوروس (II 48.1-2)، فقد تفرغوا فى تلك الفترة المبكرة لأعمال القرصنة البحرية على وجه الخصوص؛ بعد ذلك استطاع البطالمة أن يضعوا نهاية لنشاطهم هذا.

وقبل عدة سنوات، رَجَّحَ ڤينّيتسكى[٣٨] Winnicki أن قصة فى الأثر المعروف باسم لوحة الستراپية المذكور فى بدايتها انتقال مقر الحكم إلى الإسكندرية والانتصار فى غزة فى عام ٣١٢، تشير إلى حملة ردع فى سوريا أو فى سيناء. لكن للأسف، فإن قراءة المدلول الجغرافى الفارق، وهو «منطقة إرم (؟)»، وكذلك تحديد مكانها ليسا مؤكدين. إذ افترض[٣٩] بأنها تتطابق مع «عرب»، لكن هذا

مشكوك فيه تمامًا. وليس من المؤكد كذلك ما إذا كان الأنباط هدفًا لحملة الردع تلك من عدمه. ويعتقد ڤينّيتسكى[٤٠] أن الأمر يتعلق بقبيلة عربية أخرى، لأن الأعمال العدائية بين الأنباط والبطالمة معروفة ابتداءً من القرن الثانى فقط. وبَيَّن ڤينّيتسكى كذلك أن بطلميوس الثانى فيلادلفوس لم ينزل إلى ساحة القتال ضد الأنباط على عكس افتراض شائع[٤١]، بل إن العبارة المستشهد بها بوصفها أهم الشهود فى لوحة پيتوم مقترنة بالحرب السورية الأولى فى سنة ٢٧٤. وفى عصر البطالمة المتأخر، قام آرابارخِس، وهو قائد حرس الحدود العربية بحماية الحدود المصرية لمواجهة الأنباط.

وقد نشأت الكتابة النبطية من الآرامية، كما أن لغة الكتابة النبطية آرامية[٤٢]. على أن أسماء الأعلام تُبَيِّن على وجه الخصوص، أن أصحاب هذه الحضارة كانوا عربًا وليسوا آراميين، أى أنها الظاهرة نفسها التى لاحظناها من قبل فى الأوانى الفضية من تل المسخوطة. ومن وادى الطميلات (تل الشقافية)، ينحدر نقش نذرى نبطى فى حالة حفظ سيئة جدًا، يُؤرخ بعد العام الرابع لبطلميوس ما (ت|ل|م|ى)، لم يمكن تحديد هويته عن كثب، وإن كان بالتأكيد أحد البطالمة المتأخرين، ويظهر فى النقش الشهر المصرى بشنس بأسلوب مشابه لما شاهدناه فى نقش زيدئيل المعينى، وبدلالة صوتية منقولة عن المصرية. وقبل سنوات قليلة، اكتشف فى المنطقة نفسها نقش نبطى مؤرخ من العام ٣٦ وفقًا لكليوپاترا السابعة وماليخوس الأول، ويُسجل فيه تشييد مقصورة للإله دوسارس، وهو الإله الرئيسى للأنباط، «الكائن فى دافناى المصرية»[٤٣]. وفى ١٩٩٦، اكتشفت بعض نقوش المخربشات النبطية فى الطريق الصحراوى المؤدى من قفط إلى القصير[٤٤].

وعلى العكس من ذلك، توجد نقوش مخربشات نبطية كثيرة للغاية فى سيناء، وكما هو متوقع: فهى توجد هناك بالآلاف على الجدران الصخرية فى الوديان المختلفة. ويحلو الحديث هنا عن نقوش «سينائية»، فهى تنحدر تقريبًا من القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد. وعلى الجانب الأيسر لخليج السويس، اكتشفت مجموعة من النقوش بنمط خط الكتابة نفسه[٤٥] (شكل ٩٥). وللاحتياط من التباسات محتملة، يجب الإشارة إلى أن هذه الكتابة تختلف بشدة عن تلك الكتابة السينائية الأولى والأقدم ٢٠٠٠ سنة[٤٦]، والمعروف أهميتها البارزة فى التطور المبكر للأبجدية.

وإلى جانب ذلك، فلا تزال توجد فى مصر نقوش «عربية قديمة» أخرى منتشرة هنا وهناك، وهى تعود إلى ما قبل العصر الإسلامى. ففى المويايح[٤٧] (بين قفط والقصير)، وإلى جوار نقوش مخربشات باللغة المصرية القديمة واليونانية واللاتينية، يوجد اثنان من النقوش الصخرية بكتابة معروفة باسم «ثمودية». وهذه الأبجدية كانت مستخدمة فى أشكال مختلفة من حوالى القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادى، وهى معروفة من نقوش مخربشات توجد بوجه خاص فى شمال العربية السعودية والأردن، وإن كان قد عُثِر عليها كذلك حديثًا فى سيناء. ويمكن تمييز أنماطها المختلفة من خلال الحروف A-F[٤٨]. وأحد هذه النصوص المذكورة يحتمل ترجمتين (شكل ٩٦): (١) «أحب عجّاج يَعْجَب وضَبيرات» (أو ما شابه)؛ (٢) «أحب عجَّاج يَعَجّ ابنة راباضو»(*). لذا، فإنه حين يكون الأجانب هنا مع نظرائهم، فإننا نخرج بقدر ضئيل من نقش مخربشة «تيمائية» أخرى فى حالة سيئة الحفظ، بأنه كان يمكن لأى شخص أن «يضاجع مصرية»[٤٩]. ومن ثمَّ، فهى أيضًا وثيقة لعلاقات مصريين بأجانب! وكانت تيماء التى تقع فى شمال المملكة العربية السعودية مدينة ذات شأن فى المعاملات التجارية الدولية فى ذلك الوقت. وفيما يتصل بالنقوش الصخرية فى الصحراء الشرقية المذكورة سالفًا، فإننا نتساءل بالطبع: هل عاش هؤلاء الناس فى البلاد، أو هل كانوا تجارًا عابرين فى أثناء مرورهم على الطريق؟ للإجابة على هذا السؤال الأخير، فربما يبرهن العدد القليل جدًّا لمثل هذه النقوش. ومن ناحية أخرى، فإننا قد دللنا إلى أن المؤلفين الكلاسيكيين لهذا السبب كانوا يطلقون اسم «عربية» على الصحراء الشرقية، لأن «عربًا» كانوا يعيشون هناك، ليس فقط بوصفهم رحالة تجار عابرين بين الحين والآخر. وتُنسب الآلاف من نقوش المخربشات الثمودية والصفوية فى الأردن والعربية السعودية إلخ، إلى رعاة الغنم ومربى الإبل من البدو. لكن كما سبق القول، فإن وجود نقوش ومخربشات مماثلة أمر نادر فى مصر، باستثناء سيناء بالطبع. ويجب أن يُؤخذ فى الاعتبار، أن «عربًا» قد خدموا فى الجيش أيضًا. إذ تعود إلى القرن الرابع / الخامس الميلادى نقوش معروفة على

(*) يقرأ هذا السطر من اليسار إلى اليمين، إذ لا يعرف غالبًا نظام هذه الكتابة بدقة (المؤلف).

لوحات قبور وجرَّة فخارية بكتابة ثمودية (من طراز يُسمى ثمودية D) من مصر السفلى، وهى بمثابة «شواهد عن الفرسان السارَقينيين الثموديين للجيش الرومانى» *equites Saraceni Thamudeni*، الذين كانوا يرابطون هناك فى ذلك الوقت(٥٠).

ولا ينبغى الصمت عما تمخضت عنه فى السنوات الأخيرة من نتيجة كاذبة لما يبدو لعلاقات حضارية مصرية عربية. فتوجد من عصر متأخر قوائم لكلمات مصرية، تعرض المفردات بنمط الترتيب الأبجدى. وأولها وثيقة من تانيس تُعرف باسم «بردية العلامات» Sign-Papyrus، وتعود إلى القرن الأول الميلادى، وتحتوى ضمن أشياء أخرى على شذرات لقائمة تشتمل على علامات ساكنة وشروحات قصيرة. يُضاف إلى ذلك برديتان من القرن الأول أو الثانى الميلادى، وفضلاً عن ذلك بردية ديموطية من سقارة تُعَدُّ أقدم مصدر حتى الآن، وتؤرخ تقريبًا فى القرن الرابع أو الثالث(٥١). ونستنتج من هذه الشواهد أن الهاء هو أول حرف ساكن لهذه الأبجدية، كما فى 'هب'، أى الإيبيس، وهو ما يتفق تمامًا مع أخبار بلوتارخ، بأن الإيبيس هو أول حرف أبجدى للمصريين. ويتبعه الراء (أو اللام)، ثم الحاء، ثم القاف (بالقبطية كاف)، ثم الواو، ثم السين، ثم اللام (أو الراء)، ثم الباء إلخ، لكننا لا نستطيع أن نناقش كل ذلك بالتفصيل. وقد لاحظ قواك(٥٢) Quack، أن هذا الترتيب فى جوهره يطابق تسلسل الأبجدية العربية الجنوبية القديمة(٥٣)؛ بيد أنها تشابهات جاءت بمحض الصدفة ومستبعدة تمامًا. فمن المعروف أن الأبجدية الإثيوبية أيضًا اشتُقت من الأبجدية العربية الجنوبية القديمة، ولا تزال تبين بوضوح هذا الترتيب من حيث المبادئ الأساسية، على الرغم من تغييرات مختلفة طرأت عليها بمرور الوقت. إلا أن الاستنتاج المنطقى من الوهلة الأولى بأن هذه الأبجدية المصرية المتأخرة تعود إلى الأبجدية العربية الجنوبية القديمة(٥٤) ليس صائبًا وفقًا لأحدث أبحاث علمية منشورة، بل إن كليهما، أى الأبجدية «المصرية المتأخرة» والأبجدية العربية الجنوبية القديمة حسب ى. تروبر(٥٥) J. Tropper اشتُقا مستقلين عن بعضهما من أبجدية سامية شمالية غربية من طراز-هَلَحَم، وسُميت كذلك طبقًا للحروف الأبجدية الأولى.

لم يكن يوجد فى مصر فقط «عرب»، وإنما كان يوجد مصريون أيضًا فى «بلاد العرب». ففى فناء معبد الإله عَشتار ذو قبضِم، خارج نطاق أسوار العاصمة المعينية قَرناو المذكورة سالفا، كانت تنتصب حتى نهاية القرن التاسع عشر لوحات ذُكرت فيها أسماء لسيدات أجنبيات من ٢٤ بلدًا ومدينة من محيط طريق البخور[٥٦]. وعلى أساس الصياغة التقليدية «A ابن B، من عائلة C، من عشيرة D، قام بتدشين وتسليم الـ E من F»، افترض فيما مضى أن الأمر يتعلق بتكريس خدم معبد كهنوتيين لإقامة شعائر العبادة، ومن ثمَّ، فقد تحدث البعض عن «قوائم خدم معابد كهنوتيين» Hierodulenlisten. لكن تَبيَّن فى أثناء ذلك خطأ ذلك التفسير، بل إن الأرجح أن يُفهم من الخاتمة «أنه ارتبط من خلال الزواج، وأنه دَفع ثمن العروس E من F». إذن، فإن المعينيين قاموا فى هذه اللوحات بتوثيق زواجهم بنساء أجنبيات. فمنهن تنحدر ٣٢ سيدة أجنبية من غزة، وتسع من ددَان (لِحيان)، وثمان من مصر. لذا، فإنه لا غرابة فى تزاوج المعينيين بمصريات فى ضوء العلاقات التجارية النشطة فى العصر الفارسي والبطلمى. وكنا نتوقع أن هؤلاء السيدات المهاجرات فى تلك الغربة البعيدة أن يحملن جميعهن أسماءً مصرية واضحة. غير أن معظم الأسماء سامية بوضوح[٥٧]، وفى حالتين فقط، فإن اشتقاقًا مصريًّا أكثر ترجيحًا[٥٨]. ومن المحتمل أن المصريات اتخذن أسماءهن السامية ببيئتهن الجديدة فقط؛ إن مثل هذا التكيف كان فيما يبدو مطلوبًا، وليس اضطراريًّا بأية حال. ويجب التذكير فى هذا الصدد بأن من بين المصريين الذين عاشوا فى آشوز مَنْ حمل أيضًا اسمًا آشوريًّا، وآخرين منهم لم يفعلوا ذلك.

وتُبيِّن أسماء أشخاص مثل «خادمة إيزيس» أو «خادم أوزيريس»[٥٩]، أن معبودات مصرية، وتحديدًا أوزيريس، ولا سيما إيزيس، كانا يُقدَّسان أيضًا فى بلاد العرب قبل الإسلام. فعلى تمثال صغير من البرونز على هيئة أبوالهول ذى الأصل المصرى، يُؤرَّخ على الأرجح فيما بين القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد، وُضِع فيما بعد – تقريبًا فى القرن الثالث الميلادى – نقش باللغة العربية الجنوبية القديمة، ويُفهم من خلاله أن شخصين قاما بنذر تمثال أبوالهول ذلك للمعبود رَجَبُم[٦٠] (شكل ٩٧).

وكما لاحظنا من قبل، فقد كانت تيماء المذكورة آنفًا مدينة تجارية مهمة فى شمال بلاد العرب. فمن هناك سار طريق شمالى غربى إلى سوريا ومصر، وآخر شرقى إلى بلاد الرافدين. وفى تاريخ الشرق القديم، نالت تلك المدينة الواحة شهرتها على وجه الخصوص، حين انزوى فيها الملك البابلى الأخير نابونيد لنحو عشر سنوات. ففى نقش ثمودى من هذا العصر مُكتشف قبل فترة قصيرة، يُذكر أشخاص من أصول مختلفة كانوا قد رافقوه هناك(٦١). وتوجد لوحة آرامية(٦٢) من منتصف القرن الخامس تقريبًا (لعلها أقدم من ذلك)، تعكس تأثيرات مصرية وعراقية، وتبرهن على إدخال عبادة «صلم»، إله هَجَم فى تيماء. وكان كاهن هذا الإله هو صلمو-أوشزيب (أى «صلم أنقذ» فى الأكّادية)، واسم أبيه هو پتوزيرى (بمعنى «ذلك الذى أعطاه أوزيريس») (شكل ٩٧ أ). «ولم تستطع الآلهة ولا الناس إقصاء صلمو-أوشزيب ابن پتوزيرى، ولا ذريته، ولا اسمه من هذا المعبد: الكهنة فى هذا المعبد إلى الأبد». ومن المشكوك فيه للغاية أن ابن شخص مصرى خالص قد أصبح حقًا كاهنًا لإله أجنبى وفى بلد أجنبى. على أية حال، فمن المحتمل بالطبع، وإن كان من السذاجة والخطأ، أن يُنسَب اسم مصرى بشكل تلقائى ومهما كانت الظروف لمصرى مباشرة من غير تمحيص وبشكل بدهى. لكن يجوز لنا على أقل تقدير التخمين بأن الاسم المصرى يشير إلى علاقات معينة لأسرة الكاهن التيمائية بمصر.

وتُذكر «بلاد العرب» و«لِحيان» والـ«هَجَريين»(٦٣) فى نصوص أدبية ديموطية لعصر القياصرة الرومان. لكن المدلول المذكور بداية («بلاد العرب») لا يتفق حتمًا ودائمًا مع إدراكنا له الآن. وطبقًا لأحدث المعلومات المذهلة، فإنه أغلب الظن لا يتوارى شخص آخر خلف ذلك «الأوسكى(*) الكبير لبلاد العرب»(٦٤)، الذى يحكى لفرعون فى خطاب أقصوصة عن البحر وطائر السنونو فى قصة معروفة من پانچاتانترا (Pañcatantra) الهندية سوى آشوكا الملك الهندى الشهير (حوالى ٢٦٨-٢٣٢)(٦٥)!

(*) أى الحاكم (المؤلف).

الفصـل الثامن

اليونانيون والمصريون قبل العصر الهلينستى

قد يرتبط موضوع «اليونانيون والمصريون» بتوارد معان وأفكار مختلفة، فيدور بخلد البعض فى أول الأمر هيرودوت، الذى يُعدُ كتابه فى التاريخ مصدرًا لا يُقدر بثمن، مثلما هو كذلك فى واقع الأمر بالنسبة إلى باحث الآثار المصرية القديمة. وربما يرتبط عند البعض الآخر وفى المقام الأول بفتح الإسكندر وحكم البطالمة، وهو عصر يأتى للأسف نوعًا ما على هامش الأهمية فى بحوث الدراسات المصرية القديمة، ولا نود أن نقول خارجه، باستثناء النصوص الدينية على جدران المعابد وفى الوثائق البردية بالطبع. وفى ذلك ننسى بسهولة شديدة أننا مدينون لمرسوم يونانى-ديموطى-هيروغليفى[1] من هذه الفترة البطلمية بميلاد علم المصريات وفرعه الجانبى الذى خرج منه، وهو علم الدراسات الديموطيـة Demotistik أو الديموطيات!

والبعض الآخر القليل سوف يتذكر على الأرجح أن مسميات جغرافية معينة ومعروفة بصفة عامة هى من أقدم النتائج لتلاقى اليونانيين مع المصريين؛ إذ تدل على ذلك الكلمة الألمانية «إجويپتن» Ägypten، أى مصر. لكن قبل ذلك، يُذكر اسم العلم آى-كو-پى-تى-يو[2] (*ai-ku-pi-ti-yo*)، أى «أيجوپتيوس» Aigyptios فى نصوص لينيار-ب (Linear-B) من النصف الثانى للألفية الثانية، التى من المعروف أنها قد تثبت وجود لغة بالكتابة المقطعية فى فجر التاريخ. ولا بد من التغاضى عن بحث ما إذا كان الشخص المذكور سالفًا مصريًا فعلاً سُمِّى بموجب موطنه على لوحة صغيرة من كنوسُوس، على خلاف ذلك العجوز من جزيرة إيثاكا المدعو أيجوپتيوس الذى رفع صوته فى بداية النشيد الثانى للأوديسة. على أى الأحوال، فإنه من المؤكد أنه قد قامت علاقات مع مصر فى العصر الكريتى-الموكينى[3].

وإذا كنا إزاء اشتقاق مستخدم بوصفه اسم ذلك الشخص المذكور سالفًا، وهو آى-كو-پى-تى-يو ، فهكذا تأتى آيجوپتوس Αἴγυπτος والصفة الخاصة بها آيجوپتيوس Αἰγύπτιος لكونها مسميات جغرافيـــة حقيقية، بداية فى الملاحـــم الشعريـــة الهوميرية[٤]، إذ وردت مرة واحدة فقط فى الإلياذة، حيث يكون الحديث فى موضع إضافى عن «طيبة المصرية» ذات الأبواب المائة (IX 381f.). على أنه يُستدل على تكرار كلا التعبيرين فى الأوديسة الأحدث قليلاً من الإلياذة، حيث تكون مصر فى تلك الملحمة الشعرية مشهدا فى استعادة الماضى لأحداث تاريخية ماثلة؛ لكن من النادر بالطبع أن نجد فيها شيئًا حقيقيًا خاصًا بالبلاد وحضارتها. ويخيم الشك أكثر فيما إذا كانت هيئة عجوز البحر پروتويس الذى يبدل صوره، قد تعكس تصورات مصرية بوجه خاص. وثمة صورة أخرى ذُكرت فى الأوديسة لشخص يُدعى ثون الذى ناولت قرينته پوليدامنا لهيلينا فى مصر عقارًا جعلها تنسى الحزن والهموم (IV 228). على أية حال، فإنه يُلاحظ أن مصر فى الأدب الشعرى الملحمى المبكر كانت تُعَدُّ بالنسبة إلى اليونانيين بمثابة أرض الأطباء والعقارات الطبية المعجزة، مثلما جاء هناك فى سياق القصيدة عن الشراب السحرى لپوليدامنا ἰητρὸς δὲ ἕκαστος ἐπιστάμενος περὶ πάντων / ἀνθρώπων «لكن كل شخص هو طبيب (نفسه)، وأكثر فطنة من كل الناس» (IV 231f.).

وفيما عدا ذلك التعبير المشابه «آيثيوپس»[٥] Αἴθιοψ الذى نصادفه أيضًا فى المصادر الموكينية، فإن «آيجوپتوس» Αἴγυπτος ليست كلمة يونانية، لكنها مصرية الأصل، إذ تعود التسمية وفقًا للرأى السائد إلى حوت-كا-پتاح، ومقابلها فى الكتابة المسمارية هو خيكوپتاخ، بوصفها اسمًا لمدينة منف. ومن آيجوپتوس Αἴγυπτος اشتقت إلى جانب ذلك كلمة «قبطى». وفى حين أن تعبير حوت-كا-پتاح المذكور سالفًا يُستخدم فى نصوص مصرية استخدامًا محدودًا ولا يُستعمل إطلاقًا بوصفه تسمية للبلاد كلها، فقد أطلقه هوميروس ليتجاوز أكثر من ذلك اعتبار آيجوپتوس Αἴγυπτος هو أيضًا النيل[٦].

ونشاهد فى الميثولوچيا اليونانية آيجوپتوس وأبناءه الخمسين وكأنهم ممثلون عن المصريين[٧]. ولإيضاح القرائن، علينا أن نعود بعيدًا إلى الماضى قليلاً: كانت

إيو كاهنة عذراء من سلالة ملكية فى أرجوس (شكل ٩٨). وطاردها زيوس المتعطش إلى الحب فى كل الأوقات، ولكى يحميها من قرينته الغيورة أحالها إلى بقرة. لكن هيرا لم تنخدع بهذه الحيلة، فأحضرت المزلاج الذى طارد إيو فى البر والبحر، حتى وصلت فى نهاية الأمر وهى فى طريقها إلى الهرب إلى مصر. وهناك ولَدت إيافوس الذى أنجبه زيوس من مجرد لمسة بيده. وإپافوس هذا، كما أكد لنا هيرودوت، ليس شخصًا آخر سوى آپيس[٨]، مثلما انصهرت إيو وإيزيس أحيانًا مع بعضهما. فوُلدت ليبيا من إپافوس ومنف، وهى ابنة نايلوس؛ ويُلاحظ كثرة خلع الصفات البشرية على أسماء أماكن وأنهار. أما ابن ليبى وپوسَيدون المدعو بلوس (وهو بَعل) الذى شملت دولته بلاد العرب ومصر وليبيا، فقد أصبح والدًا للتوائم داناوس وآيجوپتوس. ولا يجوز أن يؤخرنا مجرى أحداث الأسطورة المتواصل، إذ إن اتجاه اهتمامنا هو التالى: يتحدث هيرودوت فى نهاية الكتاب الثانى (١٨٢)، أن الدناويين نزلوا فى ليندوس إلى الشرق من جزيرة رودس فى أثناء هروبهم من أبناء آيجوپتوس، وأسسوا هناك معبدًا للإلهة أثينة. لهذا السبب – وهى حادثة يمكن قبولها ببساطة – قام أمازيس بتقديم النذور هناك.

وطابق المؤرخ مانيتو – أو على وجه الدقة مَنْ اقتبسوا عنه هوية الزوج – الأخين الأسطوريين مع حاكمين للأسرة التاسعة عشرة. فيكتب يوسيفوس[٩] أنه «جاء أن سيتى سُمّى آيجوپتوس، وأن أخاه هارمايس دُعى داناوس». وفى أعمال يوسبيوس الذى ينحدر من قيصرية وسينكللوس، فإن رامسِّيس (رمسيس الثانى) هو ذلك الذى يتطابق مع آيجوپتوس[١٠]. وعلينا الإشارة أيضًا إلى أن التسمية المفضلة عند هوميروس لليونانيين بوصفهم داناويين Δαναοί تعود إلى شقيق آيجوپتوس، حيث رُبط بين هؤلاء الداناويين و«شعب البحر» المسمى دانونا.

وبما أن الحديث تناول بعض الأمور عن آيجوپتوس فى معانيها المختلفة، فإنها أيضًا ربما تكون فرصة سانحة لاستطراد قليل عن مسميات مصر فى العالم القديم. ويمكن أن نميز هنا بصفة جوهرية بين ثلاثة موروثات:

(١) المـــوروث المصرى الأصلى الذى استخـــدم أسماء مختلفة مثل كمت وتا-مرى، ولم يستعملها جيران مصر، أو على الأقل ليس وفقًا لهذا المعنى. ومن الغريب لذلك أن تعبير «كيمياء» يعود إلى كمت أو «كيمه».

(٢) الموروث اليونانى على النحو الذى تم عرضه قبل قليل واشتقت منه فى نهاية الأمر كل المسميات فى جميع اللغات الأوربية وبعض اللغات الأخرى.

(٣) الموروث «الشرقى القديم» الذى يقوم على الجذر مِصْر بمعنى «حصن»، وهى فى العبرية مِصْرايم، وفى الأكادية مُصْر ومِصر وما شابه[١١]، وفى العربية مصر[١٢]. ويستعمل هذا الاسم أيضًا ذلك النقش المعينى (فى اللغة العربية الجنوبية القديمة) الذى يتحدث عن حرب بين مصر وفارس[١٣] (شكل ٩٤). وبالطبع، فإن الفارسية القديمة لغة هندوجرمانية، لكنها تستعمل أيضًا اشتقاقًا من التسمية السامية، وهو مودرايا (شكل ٥٩). كما تحتوى لوحة صغيرة من لينيار-ب من كنوسُوس على اسم شخص يُدعى مى-سا-رى-يو، الذى فُسر بأنه «مصرى» مثل التسمية المذكورة سالفًا آى-كو-پى-تى-يو[١٤].

وإذا لاحظنا فى التسمية الألمانية «إجوپتن» Ägypten، أى مصر، الوساطة اليونانية مباشرة، مثلما لمسناها على أقل تقدير فى اللغات الأوربية الحديثة التى احتفظت بحرف الأوپسيلون (Y)، فإنها لا تنطبق إطلاقًا على النيل ببساطة. ومع ذلك، فإن تسمية النيل تطابق تمامًا تسمية البلاد. ويُعدُّ هسيودوس (Theogonie 338) هو أول مؤلف يونانى يذكر النيل Νεῖλος. ومؤخرًا، أيَّد أولريش لوفت[١٥] U. Luft الاشتقاق من خلال كلمة مصرية ذات علاقة بـ «الأنهار الكبيرة (للدلتا)». واستخدم المصـــريون فى العادة الصيـــغة المفردة «النهر (الكبير)» التى تُشتق منها أيضًا التسمية الفارسية القديمة والعبرية. وقياسًا على ذلك غالبًا ما أطلق اليونانيون على النيل – على سبيل المثال فى نقوش معبد أبوسمبل الكبير (شكل١٠٠، لوحة ٢٣) – بصفة خاصة اسم «النهر» ὁ ποταμός ببساطة، مثلما يسميه الناس اليوم «البحر» فى مصر نفسها بصورة مألوفة. وصَعُبَ على كتبة الديموطية الذين سجلوا اسم العلم نايلوس[١٦] إدراك الاشتقاق التاريخى للكلمة.

وبينما تتوافر أصول تاريخية مصرية لكلمتى أيجوبتوس ونايلوس، يبدو الأمر بالنسبة إلى كلمة ثيباى Θῆβαι (طيباى) أكثر صعوبة. وتُذكر فى كل من الملحمتين الشعريتين لهوميروس «طيبة المصرية» مرة واحدة[١٧]. ونتساءل عما إذا كانت توجد تسمية مكانية محلية حقيقية بتلك السمة الصوتية، أو ما إذا كنا إزاء نسخة صوتية طبق الأصل لطيبة فى منطقة بوئيوتيا ببلاد اليونان فحسب، من دون أن تكون لها أية علاقة صوتية لاسم مكان مصرى. والاحتمال الأول المذكور أقرب فى جوهره، حيث إن صيغة الاسم أبيدوس على سبيل المثال تأغرقت من الاسم المصرى، على الرغم من أن هذا النطق الدقيق مُستمد بطبيعة الحال من أبيدوس أخرى عند مضيق الدردنيل. ومبدئيًا، فقد أعطى اليونانيون أسماء أماكن مصرية، إما فى صيغة مُتأغرقة (مثل ممفيس وبوباستيس وخِمّيس وسوينه وناوقراطيس)، وإما بترجمة مقاربة وفقًا للإله الرئيسى مثل أبوللينوبوليس (إدفو) وديوسبوليس (طيبة) وبانوبوليس (أخميم) وهيرموبوليس (هيرمس=تحوتى)، وهيراكليوبوليس (هيراكليس = حارسافس)، وهليوبوليس. وعلى هذا النحو، يُفسَّر اسم «طيبة» اليوم فى أغلب الأحوال، بوصفه نقلاً لاسم مكان مشابه فى بوئيوتيا إلى چيمه القريب منه لفظيًا تقريبا، وهى إحدى مسميات طيبة أو جزء منها[١٨]. بيد أن هذا الافتراض لم يبقَ دون جدل، فبرهن هاينتس يوسف تيسِّن Heinz Josef Thissen بشكل منطقى، أن التسمية اليونانية لطيبة المصرية ليست لها علاقة مع «چيمه» أو أيضًا مع أى اسم مصرى مشابه له صوتيًا، لكن تُفهم فقط من حيث اشتقاقها من طيبة فى بوئيوتيا اليونانية، وأن النقل يعود إلى العصر الذهبى لكلتا المدينتين فى القرن الرابع عشر الذى كان قد انقضى منذ عهد بعيد؛ وهى نتيجة لذلك مجرد ذكرى أدبية مؤكدة[١٩].

وإلى جانب ما ذُكِـر عن أيجوبتوس وطيبـاى ونايلوس عند هوميروس وهسيودوس، وهو ما يشير ربما بصورة غير مباشرة إلى اتصالات سطحية سابقة بين اليونانيين والمصريين، تبرز شواهد أدبية وأثرية مكملة، إضافة إلى آثار منقوشة منذ بداية القرن السادس، فتكشف عن وجود يونانيين فى مصر (شكل ٩٩). بيد أنه قلما يُعتد فى هذا السياق بالفنون الصغرى المصرية التى يُؤرخ بعضها قبل

منتصف القرن السابع، وكان قد عُثِر عليها فى كل مكان فى جزر بحر إيجة حتى إيطاليا (پيثكوسَاى / إسكيا، ومستعمرة إيوبويا)[٢٠]. وكشف بوردمان Boardman النقاب عن رأى لم يلقَ إجماعًا، وهو أن تلك الفنون الصغرى - وتشمل لآلئ، وتماثيل تمائم صغيرة، وأوعية، وجعارين من الفيانس، وما شابه (لوحات ٢٠ أ-د) - كانت مجرد «عاديات مستوردة بمحض الصدفة، ووصلت عبر الشرق الأدنى إلى هناك»[٢١]، ومن ثَمَّ، فهى ليست نتيجة علاقات تجارية وثقافية مباشرة، أو ربما حدث ذلك بصورة نادرة. على أية حال، سوف نعالج موضوع طبيعة العلاقات التجارية اليونانية-المصرية وتنظيمها فى الصفحات التالية.

وقبل منتصف القرن السابع بقليل، جاء للمرة الأولى جنود مرتزقة أيونيون وكاريون إلى البلاد، ممن أطلعنا عليهم هيرودوت. فتحدث بأن پسمَّاتيخوس أُخبر من خلال نبوءة وحى بأن رجالاً برونزيين من البحر سيساعدونه فى استعادة حكمه الضائع. «لكن لم ينقض وقت طويل، عندما وقع المصير برجال أيونيين وكاريين، كانوا قد أبحروا بغرض السلب، فطُوِّح بهم فى مصر. لكن عندما نزلوا إلى البر مدججين بالدروع، حينئذ أبلغ أحد المصريين الذى جاء إلى المستنقعات پسمَّاتيخوس - ولم يكن قد رأى من قبل رجالاً مدججين بالدروع قط - أن رجالاً برونزيين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون السهل. حينئذ أيقن بأن النبوءة قد تحققت، فعقد صداقة مع الأيونيين والكاريين وأغراهم بوعود سخية ليبقوا لديه. وعندما أقنعهم، خلع مع أتباعه المصريين والقوات المرتزقة المساعدة الملوك الآخرين» (الكتاب الثانى ١٥٢، ٤-٥)؛ وكما ذكرنا فى الفصل الأول، فإن ذلك يشير إلى القضاء على حكم الأمراء الليبيين كافة.

ويتضح مما تعكسه الأوديسة (XIV 245ff.) أن هؤلاء الأيونيين والكاريين قد جاءوا كقراصنة، فيحكى أوديسِّيوس المتنكر فى زى الشحاذ لراعى الخنازير المخلص أويمايوس قصص أباطيل مما قِيل عن غزو الآخيين لدلتا النيل. ومن المحتمل أنه قد قُصَّت لهيرودوت بعد ذلك رواية محبوكة عن وصول الجنود اليونانيين والكاريين[٢٢]، لأنه وفقًا لافتراض شائع كان أولئك الرجال فى حقيقة

الأمر هم الجنود المرتزقة الذين أرسلهم جيجيس ملك ليديا. و«الدروع البرونزية» هى إما دروع الصدر اليونانية من ألواح البرونز لجنود المشاة، وإما تلك الدروع القشرية[٢٣]. وبطبيعة الحال، فقد كان التسليح العسكرى الحديث للأجانب بالنسبة إلى بسمَّاتيك الأول (٦٦٤-٦١٠) جاذبية خاصة ليحتفظ بخدماتهم لنفسه. فوهبهم مكافأة لهم رقعتى أرض على جانبى فرع النيل البلوزى بالقرب من بوباسطه، والمسماة ستراتوپيدا Στρατόπεδα، أى «المعسكرات»؛ إلا أن التحقق من تحديد هذا المكان ليس واضحًا تمامًا؛ وربما كانت مِجْدول؟[*] كذلك يضيف أبو التاريخ ملاحظة مهمة: «كما أنه عَهِد إليهم بصبية مصريين ليتعلموا اللغة اليونانية بعناية، بل من هؤلاء الذين تعلموا اللغة من الأساس ينحدر التراجمة الحاليون فى مصر» (الكتاب الثانى ١٥٤، ٢).

وطبقًا لهيرودوت، أجلى أمازيس فيما بعد تلك الستراتوپيدا، فهجَّر الأيونيين والكاريين إلى منف، وكما قيل، لحمايته من بنى جلدته، وسوف نعود إلى ذلك ثانية. وربما يجب تمييز الستراتوپيدا (الثكنات) المذكورة سالفًا عن الحصن الحدودى القريب الواقع فى دافناى (تل دفنة)[٢٤]، الذى أسسه بسمَّاتيك الأول، واستخدمه وفقًا لشهادة هيرودوت (الكتاب الثانى ٣٠، ٢) للحماية من العرب والسوريين (شكل ٢٨، ١٠٤). وذُكرت دافناى فى العهد القديم (حزقيال ٣٠، ١٨؛ إرمياء ٢، ١٦) باسم تاحپانِحِس. فاستقبلت تحت حكم أپريس لاجئين يهودًا، ومن بينهم النبئ إرمياء؛ ولا تزال تُسمع إشارة غريبة لذلك فى اسم المكان الحالى «قصر بنت اليهودى». فقد كانت حدود مصر الشرقية معرضة دائمًا للخطر أكثر من غيرها، فلم يلبث التخلص من النير الآشورى، حتى كان البابليون على الأبواب وبعدها بفترة قليلة الفرس أيضًا.

وبصفة عامة، يجب القول بأننا لا نعلم الكثير عن الاستخدام الحقيقى للجنود المرتزقة الأجانب فى العصر الصاوى المبكر. وقلما استُخدموا فى مصر العليا، لأن بسمَّاتيك نظم الأمور هناك بطريقة دبلوماسية، حيث قام بضم طيبة من خلال

(*) للإجابة عن سؤال المؤلف، انظر ملاحظات المترجم، صفحة ٢١٠ (المترجم).

تبنى شپنوپت لابنته نيتوكريس بوصفها زوجة إلهية فى عام ٦٥٦. لكن بعض الأمور تشير إلى أن اليونانيين قد حاربوا إلى جانب المصريين عند حصارهم أشدود، الذى استمر كما يقال ٢٩ سنة (هيرودوت، الكتاب الثانى ١٥٧). ويستدل على وجود نقطة عسكرية أمامية بالقرب من أشدود فى مصاد هاشفياهو من خلال أوانٍ فخارية يونانية[٢٥] للفترة فيما بين عامى ٦٢٥ و٦٠٠، كما تذكر لخاف آراد العبرية فرق «كيتيم» العسكرية (وتعنى فى الواقع «أناس من كيتيون»!)، أى من اليونانيين[٢٦]. وربما ترتبط أيضا بوجود الجنود اليونانيين فى خدمة الملوك الصاويين تلك المكتشفات الأثرية من الأوانى الفخارية فى أماكن أخرى لهذه المنطقة مثل تل بطاش وتل كابرى الفينيقى[٢٧].

ولا بد أن نكون على يقين بأن جيش الملوك الصاويين منذ عهد پسمَّاتيك الأول كان دوليًا[٢٨] تماما، على نمط مشابه لما نعرفه عن قوات الحامية الحدودية فى إلفنتين. فالجنرال چدپتاح إيوفعنخ الذى سُمح له بإقامة تمثال فى الكرنك، كان فى عهد پسمَّاتيك الأول من بين مناصب أخرى «قائدًا للبلاد الأجنبية»[٢٩]. ونستنتج من ذلك ضمنا بأن الجيش كان يشمل أيونيين وكاريين.

ووهب نيخو الثانى (٦١٠-٥٩٥) خليفة پسمَّاتيك بعد غزوه لغزة الدرع الذى تسلح به كنذر لمعبد أپوللون الشهير الخاص بكهنة البرانخية فى ميليتوس (هيرودوت، الكتاب الثانى ١٥٩، ٣). وفى قرقميش، حيث مُنى نيخو عام ٦٠٥ بالهزيمة أمام نبوخذ نصر الثانى، عُثر فى بيت به آثار مصرية كثيرة على درع يونانية يُستدل منه على اشتراك يونانيين فى حملة الفرعون[٣٠]. وإلى جانب ذلك، فقد استعان البابليون من ناحيتهم بمساعدة جنود مرتزقة يونانيين، كما يُستنتج من أغنية ألكايوس على أخيه أنتيمنيداس فى جزيرة لسبوس[٣١].

وعندما نغض النظر فى بداية الأمر عن نقوش پدون، فإن لدينا شواهد أثرية مباشرة عن وجود جنود مرتزقة يونانيين فى مصر لأول مرة من خلال نقوش المخربشات على التماثيل العملاقة لرمسيس الثانى فى أبوسمبل[٣٢] فى أقصى جنوب البلاد. وقد سبق الحديث مرات عديدة عن تخليد جنود مرتزقة أجانب

لأنفسهم، وهم فى طريقهم فى حملة إلى النوبة فى عام ٥٩٣ من العام الثالث من حكم پسمَاتيك الثانى التى يُستدل عليها من هيرودوت وكذلك من النقوش الهيروغليفية[٣٣]؛ صحيح أنه لا توجد نقوش مخربشات آرامية، إلا أننا نشاهد هناك نقوش مخربشات فينيقية، وكارية، ويونانية. وتُعدُّ أطول هذه النقوش من أشهر الوثائق اليونانية العتيقة المكتوبة والمعروفة، حيث جاءت فيها الجمل التالية: «حين جاء الملك پسم<م>اتيخوس إلى إلفنتين، حينئذ كتب هذه (العبارات) أولئك الذين أبحروا مع پسمَاتيخوس ابن ثيوكليس إلى ما بعد كيركيس[٣٤]، بقدر ما سمح به النهر. وقاد پوتاسيمتو المتحدثين بلغة أخرى ἀλ(λ)ογλὤσ(σ)ο(υ)ς، وقاد أمازيس المصريين. كتب لنا (خطأ، أى النقش) أرخون ابن أموييبخوس، وپليكوس ابن أويداموس»[٣٥] (شكل ١٠٠، لوحة ٢٣).

وپوتاسيمتو المذكور هناك معروف لنا على أفضل وجه مع بعض أفراد أسرته من مجموعة من المصادر الهيروغليفية[٣٦]؛ و«الصيغة الأصلية» لاسمه بالتشكيل الفنى التقليدى لحروف الحركة هى پاديسِمَاتاوى ذو «اسم طيب»[٣٧] نفرئيبرعنبقن «پسمَّاتيك الثانى سيد النصر». وينحدر پوتاسيمتو من فاربيتوس فى الدلتا، ولُقِّبَ بألقاب عديدة من بينها «مشرف القوات» و«قائد البلاد الأجنبية» و«المشرف على الحاونبوت»[٣٨]. ويعنى هذا الأخير فى العصر المتأخر بشكل واقعى اليونانيين (والكاريين)، لكن ربما أيضا بصفة عامة «سكان شرق البحر المتوسط». والظاهر للعيان أنه يتوارى وراء هذه الألقاب «المتحدثين بلغة أخرى» ἀλλόγλωσσοι فى النص اليونانى. ويأتى أيضا «المتحدثون بلغة أخرى» عند هيرودوت (الكتاب الثانى ١٥٤، ٤) على نحو مميز، فيتحدث عن أيونيين وكاريين، بأنهم كانوا من أوائل الـ «أللوجلوسُّوى» الذين أقاموا فى مصر. إذن، فإن پوتاسيمتو كان يقود الفرقة الأجنبية، وبوجه خاص فرقة الأيونيين والكاريين.

وفيما يختص بأمازيس قائد فرقة المصريين، فإننا نعرفه أيضا من خلال تمثال صغير من عهد أپريس (٥٨٩-٥٧٠)، حيث يُرفق اسمه نفرئيبرعنخت، أى «پسمَاتيك الثانى قوى» واللقب الإضافى المعروف «ذو اسم طيب». وإلى جانب

ذلك، استحوذ أمازيس مثل پوتاسيمتو أيضًا على لقب «قائد القوات»، وقد جاء عنه أنه «يفعل ما يريد جلالته في النوبة»[٣٩]. بيد أنه فيما يبدو أن أجانب كانوا في فرقة أمازيس أيضًا، وكانوا ساميين تحديدًا، حينئذ سوف نفسر نقش المخربشة الفينيقية في أبوسمبل على الوجه الصحيح (انظر صفحة ١٠١).

ويبقى السؤال عمن كان پسمَّاتيخوس ابن ثيوكليس. لكن لا يجوز لنا أن نتوقع إمكانية تحديد هوية كل شخصية عسكرية؛ وإن كان من حسن الطالع أن ذلك كان جائزًا في حالتي پوتاسيمتو وأمازيس. ويود موچيفسكي Modrzejewski في كتابه «يهود مصر» The Jews in Egypt مطابقة شخص پسمَّاتيخوس هذا مع پسمَّاتيخوس في الوثيقة المعروفة باسم خطاب أريستياس Aristeas الذي ساعده كثير من اليهود (قارن الفصل الرابع، حاشية ١٠). وربما تكون تلك فكرة جريئة بعض الشيء، لكن من الصعب برهنتها وكذلك دحضها. وفي السنوات الأخيرة تحديدًا، حاول البعض مرارًا وتكرارًا تحديد وظيفة پسمَّاتيخوس، فرأوا فيه قائد الأسطول، أو قائد اليونانيين تحت قيادة پوتاسيمتو، أو «القائد العام لحملة النوبة»، الذي «نُقلت إليه قيادة التنسيق العام» للقوات[٤٠]، بل لم يخلُ الأمر من محاولة أخرى جديدة على جانب كبير من الأهمية (!)، وهي مطابقته مع شخص مثبوت بالهيروغليفية. فيعتقد هـ. هاوبن[٤١] H. Hauben في ذلك أن هويته تتطابق مع شخصية حور الذي يعود تاريخه بالتأكيد إلى الفترة القصيرة لحكم پسمَّاتيك الثاني «ذي الاسم الطيب پسمَّاتيك»، الذي كان «قائد البلاد الأجنبية (و؟) الحاونبوت»، و«المشرف على الأسطول الحربي الملكي في الأخضر الكبير (البحر المتوسط)». وتحمل أمه اسمًا مصريًا، لكن الأب غير معروف. وفي الواقع، فإن كل شيء يقع في محله على أكمل وجه، فيُستدل على الحاونبوت في الألقاب العسكرية لهذه الفترة حتى الآن في أربع حالات فقط[٤٢]. وعلى الرغم من ذلك، فإنه ليس بالإمكان التحقق بسهولة من صدق هذه النظرية المغرية للغاية من دون وجود أثر آخر ذي بيانات أكثر دقة، والأفضل بالطبع أن يحمل كذلك اسم الأب.

إن نقوش المخربشات الباقية لها أهمية خاصة (شكل ١٠١)، لأنها تبين فى الغالب الموطن الأصلى للكاتب. وبما أنه يصعب فى هذه الفترة (حوالى عام ٦٠٠!) تصور أن جنديًا يونانيًا بسيطًا كان يستطيع القراءة والكتابة، فإنه يجب أن يُؤخذ فى التقدير أن تتوافر هناك أسماء لقادة الجنود المرتزقة اليونانيين[٤٣]. ونجد هناك من بين أسماء أخرى شخصًا يُدعى إليسيبيوس من تيوس، وآخر يُسمى تليفوس من ياليسوس، ونلقى بعدهما «پابيس من كولوفون مع پسامَّتاس»، أى أنهم دوريون، وروديسيون، وأيونيون. وبطبيعة الحال، فإن پسامَّتاس ليس شخصًا آخر سوى صديقنا پسمَّاتيخوس ابن ثيوكليس.

ويُلاحظ[٤٤] أن اليونانيين فى نقوش معبد أبوسمبل الذين انضموا من الخارج إلى حملة النوبة لپسمَّاتيك الثانى، قد وُضعت بيانات موطنهم الأصلى. وحيثما لا يكون الأمر كذلك، فإنهم تبعًا لهذا يونانيون قد وُلدوا فى مصر من نسل هؤلاء «الرجال البرونزيين» الذين يتحدث عنهم هيرودوت. ومن ثمَّ، فإنه يبدو أن أحد أولئك كان پسمَّاتيخوس ابن ثيوكليس، وهو ما يسرى أيضًا على الكتبة المذكورين سالفًا (و«صف الضباط» كما يُفترض) وأرخون وپليكوس. وفى هذه الحالة الأخيرة، نخلص وفقًا للاسم إلى أننا إزاء كارى يكتب اليونانية على ما يبدو[٤٥].

وكما يبدو، لا تنقصنا أيضًا دلائل أثرية على اشتراك جنود يونانيين فى حملة النوبة لپسمَّاتيك الثانى. فيُربط لأسباب زمنية بين ذلك والفخار اليونانى المكتشف فى القرنة / غرب طيبة[٤٦].

ويُستنتج مما سبق، أن علينا تمييز الجنود اليونانيين من العصر الصاوى بوصفهم مجموعتين: الجنود المرتزقة الذين أُدخلوا حديثًا، ثم عادوا ثانية إلى الوطن بعد إنجاز مهمتهم، وأولئك الذين بقوا فى البلاد، حيث أسكنهم پسمَّاتيك الأول عند فرع النيل البلوزى، و«أعطى لهم هذه الأراضى الزراعية (أى السترانوپيدا)، وزودهم أيضًا بكل الحاجيات الأخرى، التى كان قد وعدهم بها»، مثلما روى هيرودوت (الكتاب الثانى ١٥٤، ١).

إن النقص شديد الوضوح فى شواهد القبور التى يمكن التحقق من هويتها باطمئنان للمستوطنين اليونانيين فى العصر الصاوى يثير الدهشة تمامًا، عندما ترد على الذهن الآثار الكارية. فهل ذلك مجرد لعبة الصدفة فقط؟ والأمر يبدو كذلك إلى حدٍ كبير، كما لو كان المستوطنون اليونانيون على خلاف الكاريين قد تخلوا إلى حدٍ بعيد عن هويتهم الثقافية، وكيفوا أنفسهم مع عادات البلد المضيف. وثمة حالة واحدة على الأقل معروفة من الأسرة السادسة والعشرين، حيث يتوارى يونانى فى رداء مصرى، إلى حد أننا نتعرف على موطنه الأصلى، عندما ندقق النظر فى ذلك: فيوجد فى مدينة لايدن[٤٧] بهولندا تابوت من ذلك الطراز الضخم المنتشر فى العصر الصاوى (لوحة ١٩)، مثلما وجدناه من قبل عند ملكى صيدا[٤٨] تابنيت (شكل ٢٢) وإيشمونعازار (لوحة ٥). والتابوت غير معروف المصدر؛ لكن من المؤكد أنه ينحدر لأسباب تتعلق بالشكل من القسم الشمالى للبلاد. ويُسمى صاحبه واحنِيبرع-إم-آخت، واسم الوالدان أركسقرس وسنتتى. أجل، فقد أيقن جريفيث[٤٩] Griffith قبل عدة عقود أن الأسماء اليونانية ألكسيكليس وزنودُته تنطوى خلف ذلك، لكن التمويه غير المقصود كان جيد الإتقان، إلى حد أن م.-ل. بول M.-L. Buhl فى مرجعها القيِّم عن التوابيت الحجرية ذات الهيئة الإنسانية من العصر المتأخر خفِىَ عن نظرها تلك العلاقة. وفيما يبدو أن صاحب التابوت كان سليل جندى يونانى مرتزق وتكيف أيضًا من حيث تسميته فى بيئته المصرية بصورة كاملة. إذ إن تركيب اسم «واحنِيبرع-إم-آخت» مثل تركيب اسم العرش لپسمَّاتيك الأول أو اسم الولادة لأپريس الذى يُنطق كذلك، لكن من أسباب تتعلق بالأسلوب، فإن بدايته لا بد أنها قد وقعت قرب نهاية حكم الملك المذكور أولاً، أى حوالى عام ٦١٠[٥٠].

وبطبيعة الحال، لم يكن جنديًا بسيطًا مَنْ استطاع أن يصنع لنفسه مثل هذا الأثر باهظ التكاليف. وللأسف، فإن صاحب التابوت لم يذكر لقبًا لنفسه؛ لذا، نود أن نخمن بداية بأنه كان يتقلد رتبة عسكرية رفيعة، مثل رتبة «القائد» (الجنرال). وعلى الرغم من الكتابة غير الكاملة لاسم الأم، فإن هوية هذا الرجل قد تتطابق مع شخص يُدعى واحنِيبرع-إم-آخت ابن سِدى، المعروف لنا من تماثيل أوشابتى

كثيرة[٥١]، تصوره بأسلوب شائع بوصفه مصريًا (لوحة ٢٠ أ)، على العكس من القطعة المهمة المعروضة فى شكل ١٠٢! وفى هذا الصدد، يوجد الآن فى ستوكهولم[٥٢] طقم منسى لأوانى الأحشاء (الكانوپية) للشخص نفسه، حيث كُتب اسم الأم سنتيى، وهو فى حالة حفظ أفضل نسبيًا بوضوح. وفى نهاية الأمر، يُذكر ذات مرة لقب أيضًا؛ لكنه للأسف ليس ذا دلالة، فهو «حامل ختم ملك مصر السفلى». على أنه لا يُستبعد بسبب ذلك تقلده لقبا عسكريًا.

وبينما كان واحئيبرع-إم-آخت ينحدر من أسرة يونانية مستقرة فى مصر، نتعرف فى شخصية پدون إلى ممثل من تلك المجموعة الأخرى من الأشخاص، وهى المجموعة المتعلقة بالجنود المرتزقة الذين جاءوا وانضموا إلى الجيش حديثًا. ففى الثمانينيات من القرن الماضى وبالقرب من پريينه، وهى مدينة يونانية فى كاريا على الساحل الغربى لآسيا الصغرى، اكتشف تمثال مصرى الأصل بارتفاع ٣٠ سم، ذو الشكل المكعب لشخص يجلس القرفصاء، ويحمل نقشًا يونانيًا (شكل ١٠٣، لوحة ٢٤ أ–ب). وقد نُشرت الوثيقة توًا من دون إبطاء، ووجدت إقبالا حسنًا لأهميتها وخصوصيتها التاريخية[٥٣]. وينطق التمثال الصغير نفسه بتلك العبارات: «پدون ابن أمفينويس دشننى (هنا) بعد أن أحضرنى من مصر. وأعطاه الملك المصرى پسمَّاتيخوس سوارًا ذهبيًا ومدينة كأوسمة لشجاعته».

وفيما يختص بتاريخ النقش، فإنه تُوضع كذلك فى الاعتبار السنوات المتأخرة لپسمَّاتيك الأول (٦٦٤–٦١٠) وعهد پسمَّاتيك الثانى (٥٩٥–٥٨٩)؛ لكن من الصعب هنا الجزم بحكم قاطع، ويمكن أن يكون التمثال الصغير نفسه أقدم بعض السنوات أو أيضًا بعض العقود. ويفترض پرنيجوتى[٥٤] Pernigotti أن پدون كان قائدًا لليونانيين المدمجين فى الجيش المصرى ومشاركًا فى حملة النوبة لپسمَّاتيك الثانى. أما وفقًا لهايدر[٥٥] Haider، فإن پدون استمد سيرته المضيئة فى عمله من كونه تحت حكم پسمَّاتيك الأول تحديدًا «قد أظهر من قبل موهبته القيادية والتنظيمية كجندى مرتزق». لكنه استطاع بعد ذلك أن يرسم لنفسه صورة فى الجيش المصرى إلى هذا الحد، «عندما أنجز مهمته هنالك بوصفه قائدًا للجنود المرتزقة الأيونيين (والكاريين؟)، بل من المحتمل أنه كان ضمن الحرس الملكى».

ولئن كان الأمر جليًا إلى هذه الدرجة، حين كان على پدون تأدية واجبه بما كان يستحقه، فإن الأمر قليل الوضوح بالدرجة نفسها بالنسبة إلى الظروف الخارجية التى أوصلته إلى ذلك، رغم كل النظريات فى هذا الأمر. وبينما يكون الإنعام على شخص بسوار من الذهب أمرًا مألوفا (قارن «ذهب الشجاعة» الذى يُستدل عليه فى الدولة الحديثة)، فإنه من الغرابة أولاً أن تكون المكافأة بمدينة. وعلينا أن نأخذ فى الحسبان أن پدون لم يبقَ فى مصر على الدوام، لكنه عاد إلى وطنه، حيث كرَّس التمثال الصغير نذرًا فى معبد محلى هناك. ولا يوجد شىء ينتقص من الافتراض، أن پدون كان يتحصل على دخله بين الآونة والأخرى من تخصيص منصب حاكم مدينة الذى كان يستفيد به. ويوجد نظير مفيد فى هذا الأمر. ففى برلين يوجد «تمثال موظف ذى منصب رفيع فى عهد پسمَّاتيك الأول» – نشره رانكه[٥٦] Ranke وقتذاك – كان قد أقامه شخص يُدعى نِسنايسوت فى معبد حورس بإدفو. ويتحدث هذا الرجل، كيف أن الملك جعله لمرات عديدة حاكمًا لمدن كثيرة، فجاء ليس أقل من تسع مرات «أعطانى سيدى مكافأة (...)[*]، فجعلنى أميرًا لمدينة كذا». ولأسباب لا نستطيع الخوض فيها الآن، يُختار فى حالة طيبة فقط لقب آخر. وباستثناء طيبة وإدفو، تقع البلدات المذكورة جغرافيًا وزمنيًا وكأنها محطات أخيرة فى سيرة عمل نِسنايسوت فى الدلتا وفى أقصى الغرب (ماريا). والظاهر للعيان أنها لم تكن مناصب لمدى الحياة رُقِّى إليها، لكنها كانت على مراحل متفاوتة، وهو ما قد توعز به الصيغة المستشهد بها فى النص الأصلى. فقد كان نِسنايسوت بالتأكيد معاونًا لسيده الملكى فى دعم سلطته فى الدلتا، فعُهد إليه بمناصب متنوعة تعود عليه بالربح كحاكم مدينة مكافأة له. وعلينا افتراض شىء من هذا القبيل أيضًا فى حالة پدون، لكن بطبيعة الحال ليس بهذه الكثافة، كما هى الحال عند نِسنايسوت. وإذا كان هذا التفسير الذى يعود إلى يويوت Yoyotte على صواب، فإن ما يدعو إلى الدهشة أن مثل هذا الامتياز قد أُقر لأجنبى كانت إقامته فى البلاد بصفة مؤقتة وتتعلق بمهمة، وإن كنا لا نستطيع معــرفة أية مدينة عُهد بها إليه. واعتُقد أنها أشدود التى حاصرها پسمَّاتيك الأول، إلا أن ذلك غير مؤكد على الإطلاق.

(*) فى النص الأصلى يأتى بعد ذلك مكافأة للمرة الثانية، والثالثة إلخ (المؤلف).

وكنظير نادر لذلك، فإنه يجب أيضًا ذكر تمثال صغير حديث نسبيًا بعض الشيء من كامَيروس[٥٧] فى جزيرة رودس (حوالى عام ٥٥٠)، حيث أحضر يونانى تمثالاً مصريًا إلى وطنه وعليه اسمه، فجاء: [...]δης με ἀνέ[ηκθε ...]، «...] الذى [نذر]ى [...]»؛ لذا، فقد سُمِح للرجل بإقامة التمثال فى معبد بوطنه كنذر، مثلما فعل پدون.

وفيما يختص بأپريس خليفة پسمَّاتيك الثانى، فها هو هيرودوت يشير إلى أنه فشل بجيشه من الجنود المرتزقة المكون من ٣٠.٠٠٠ من الأيونيين والكاريين الذى قاده ضده أمازيس (الكتاب الثانى ١٦٣، ١). إن من الصعب تقدير المجموع الكلى بصدق لذلك الجيش، وكذلك النسبة المئوية التى كان يشكلها الأيونيون فيه. على أية حال، يُستنتج بأنه كان على قوة ملحوظة. وقد سُحبوا من الـ «ستراتوپيدا» (المعسكرات) فى عهد أمازيس المنتصر على أپريس، كما سبق أن ذكرنا، ونُقلوا إلى منف. ومن الطريف ما ذكره هيرودوت، بأن أمازيس جعل منهم حرسًا شخصيًا لحمايته من بنى جلدته. وبما أن أمازيس كان مغتصبًا للعرش وعُومِل من قمبيز أيضًا كما يُقال بمثل هذه الصفة (انظر صفحة ١٦٩)، فإن هذا الخبر جدير بالتصديق تمامًا. فعلى خلاف من سبقوه، لم يكن أمازيس ليبيًا، وربما أدى ذلك إلى توترات مع طبقة الماخيموى العسكرية الليبية. وكان من شأن ذلك إلى حدٍّ ما أن أمازيس كان «محبًا لليونانيين» Philhellene، وأن «نزعة الإعجاب بالإغريق» Philhellenentum تلك كانت بالأحرى قناعًا للتحكم المتزايد فى التجارة الخارجية (قارن الصفحات التالية).

وأيًا كان الأمر، فقد استمر أمازيس فى الاستعانة بمساعدة الجنود المرتزقة اليونانيين الفعَّالة. ففى بداية حكمه مباشرة، كان على اليونانيين فى دافناى ومِجدول بلا شك أن يمارسوا نشاطهم العسكرى عند غزو نبوخذنصر ملك بابل. إن دافناى (تل دفنة) المذكورة سالفًا سكنها فى عهد أمازيس عدد كبير من اليونانيين. ومن بين الفخار اليونانى المكتشف هناك (شكل ١٠٤) تحتل حوالى ٢٥ آنية مكانة خاصة[٥٨]، كان قد اكتشفها پترى Petrie، وهى مستوردة على الأرجح من رودس،

وإلى جانب ذلك، فلا يوجد مثيل لها فى ناوقراطيس. ولا شك أن عدم وجود مكتشفات معروفة من الفترة بعد عام ٥٢٥ يرتبط بغزوة قمبيز للبلاد.

وعلى مسافة حوالى ٢٠ كم من دافناى، إلى الجنوب من پلوزيوم، اكتشف حصن آخر يتطابق مع مجْدول عند إرمياء ومع مجدولوس عند هيرودوت[٥٩]. وقد عُثِر هناك على عدد ضخم من قوارير الأمفورا اليونانية من القرن السادس، إضافة إلى أقدم الدفنات اليونانية التى كانت تتم بإحراق الجثة على أرض مصرية. وإلى جانب ذلك، فإنه يبدو أن الوضع كان مشابهًا لما هو فى دافناى.

وبغض النظر عما سبق ذكره من قبل عن الفخار اليونانى من الفترة حوالى عام ٦٠٠، اكتشف فى معبد سيتى الأول فى القرنة فخار آخر أيضًا من فترة لاحقة يشير إلى إقامة مؤقتة ليونانيين فى الثلث الأخير من القرن السادس، كما لو كان ذلك فى عشية الغزو الفارسى بواسطة قمبيز[٦٠]. وفى واقع الأمر، فإن إرسال حملة إلى النوبة بالنسبة إلى هذه الفترة أيضًا يمكن الاستدلال عليه، إذ تثبت بردية ديموطية طويلة فى برلين حملة أمازيس إلى النوبة فى عام حكمه الحادى والأربعين (عام ٥٣٠)؛ وطبقًا للتقرير الأولى لتصاوتسيش[٦١]Zauzich، ذُكرت هناك بعض الأسماء الأجنبية السامية (وليست يونانية).

وعمومًا، فإنه فضلاً عن واحِنيبرع-إم-آخت ووالديه ألكسيكليس وزنودُته، هناك حالات قليلة معروفة يُذكر فيها يونانيون بالاسم فى وثائق مصرية فى فترة قبل عصر البطالمة. ومن المؤكد أن ثيوكليس ونِفرپريزنَيت (انظر ص ٢٦٤) يُرجى منهما الكثير، لكن للأسف، فإنهما مثالان لا يُوثق فيهما تمامًا. ففى تونا الجبل (هيرموپوليس الغربية)، اكتشفت فى عام ١٩٤٥ ثلاثة خطابات ديموطية متناظرة من حيث المضمون، وتنحدر من العام الخامس عشر لعهد ملك لم يُذكر اسمًا (يُرجح داريوس الأول، أى عام ٥٠٧)[٦٢]. وقد وُجهت كل من الخطابات الثلاثة إلى أريستون، وقائد يُدعى عنخواحِنيبرع، وشخص ثالث يُسمى إيپ(ى). وهى عبارة عن خطابات من كهنة تحوتى فى هيرموپوليس الذين كان ينبغى عليهم أن يلتمسوا فيها مساعدة الأفراد المذكورين فى الفيوم وهيراكليوپوليس عند نقل طيور الإيبيس المقدسة إلى هيرموپوليس. إن إضافة كلمة «ينبغى» مهم، لأن مكان

اكتشاف الخطاب يملى علينا الافتراض بأن الخطابات لم تُرسل. أجل، لم يُضف لقب إلى أريستون، لكن تلك الواقعة وحدها، وهى توظيف أجنبى بصفة عامة فى فترة ما قبل العصر البطلمى فى أمور داخلية تتعلق بالطقوس الدينية المصرية، تستحق على الرغم من ذلك عظيم الاعتبار. وربما كان شخصية عسكرية مثل زميله الذى عمل أيضًا فى الفيوم القائد عنخواحئيبرع.

وكما سبق القول قبل قليل، فإنه يُحتمل أن بعض اليونانيين فى هذه الفترة كانوا يتوارون وراء أسماء مصرية، إلى درجة أننا لا نستطيع التحقق من هويتهم العرقية، لافتقارنا إلى قرائن واضحة. ولعلنا نتذكر مرة ثانية على سبيل المقارنة الفينيقى خعحاپ الذى كنا اعتبرناه مصريًا صميمًا لولا المنظر المصور (شكل ٣٣).

ساعد اليونانيون المصريين عسكريًا فى نواحٍ مختلفة: ففى الغالب شاهدناهم جنودًا مرتزقة؛ ثم منذ منتصف القرن السادس بوصفهم حلفاءً. فعقد أمازيس، المحب لليونانيين φιλέλλην – مثلما وصفه هيرودوت (الكتاب الثانى ١٧٨، ١) – حلفًا مع پوليوكراتيس، طاغية ساموس. إن الطموح الإستراتيجى كان يقف على الأرجح وراء ذلك، لتسهيل الوصول إلى تلك المنطقة التى كان يأتى الجنود المرتزقة منها منذ عهد پسمَّاتيك الأول (تقع ساموس قبالة ساحل آسيا الصغرى). وبالطبع، لم يستمر هذا التحالف فى البقاء حتى الغزو الفارسى بواسطة قمبيز. فقد كانت هناك أيضًا أسباب سياسية دفعت أمازيس إلى الزواج بالأميرة القيرينية لاديكا اليونانية الأصل الذى لا يُستدل عليه من مصادر مصرية (هيرودوت، الكتاب الثانى ١٨١).

وفى سياق المساعدة العسكرية اليونانية، يجب علينا إلى جانب ذلك أن نتطرق إلى الحديث عن موضوع استخدام السفن اليونانية ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف فى الأسطول المصرى. ونقطة البداية فى هذا الأمر هى الموضع التالى عند هيرودوت: «بعد أن توقف نيكوس عن (حفر) القناة، قام بتوجيه حملات عسكرية. فبُنيت سفن حربية ذوات ثلاثة صفوف من المجاذيف، بعضها فى البحر الشمالى، وبعضها الآخر فى الخليج العربى عند البحر الأحمر؛ وترساناتها البحرية لا تزال تُرى حتى الآن. واستخدمها عندما دعت الضرورة. وعندما اشتبك نيكوس

برًا مع السوريين انتصر فى مَجدولوس» (وهى مِجْدول المذكورة سالفًا؛ الكتاب الثانى ١٥٩، ١-٢). وقد كتب أ. لويد[٦٣] A. Lloyd تعليقًا واسعًا على كتاب هيرودوت الثانى، فدافع من دون كلل عن النظرية القائلة بأن سفن كِبنِت فى العصر المتأخر، التى تعود فى أصلها التاريخى فى واقع الأمر إلى سفن «جُبيل»، ليست شيئًا آخر سوى تلك السفن اليونانية ذات الصفوف الثلاثة من المجاذيف، وأنها ليست سفنًا حربية فينيقية، مثلما زعم البعض. وفى حين أن تحليل لويد صائب فى الأرجح بأن المصريين استوردوا مثل هذا النوع من السفن (شكل ٤٠، ٨١)، وأنه فى سياق ذلك لقى استعمال كلمة 'كبنت' ازدهارًا شديدًا، حيث توجد فى معبد إدفو بوجه خاص ذكريات عن ذلك[٦٤]، فإن كبنت مصطلح عام استعمل فى العصر المتأخر لسفن الأمواج المرتفعة، لذا، فهى مشابهة تمامًا لـ «سفن الترشيش» فى العهد القديم التى يُقصد بها إجمالاً أيضًا سفن أعالى البحار[٦٥].

وبما أن الحديث تناول سفنًا، فربما يكون من المناسب الإشارة بإيجاز إلى نتائج دراسات هيرمان ت. والِّينجا[٦٦] Herman T. Wallinga، حيث خلص إلى أن جزءًا كبيرًا من الجنود المرتزقة الذين جاءوا من نطاق بحر إيجة لم يقم فى مصر على الدوام، لكنه خدم لفترة محددة فقط، وهى فى المتوسط حوالى أربع سنوات، ثم عاد أدراجه إلى الوطن ثانية. وحسب والِّينجا، فإن النقل المتجدد والمستمر للكم الهائل من الجنود المرتزقة كان يتم عبر سفن حربية ذات خمسين مجذافًا وسفن أخرى شبيهة خاصة ساموسية الطراز، سُميت ساميناى σάμαιναι.

وقد قاتل اليونانيون فى عصر الفرس إلى جانب الثائر إيناروس، لكن الفرس ضربوهم ضربة قاصمة عند منف حوالى عام ٤٥٤[٦٧]. بعد ذلك بفترة قصيرة، حوالى عام ٤٥٠، حاك شخص يُدعى آميرتايوس تمردًا معاديًا للفرس، وحقق ما أراده من أثينا بإرسال ٦٠ سفينة حربية، لكن هذه العملية بقيت أيضًا دون نجاح للمصريين. فقد حُرِّم على أثينا عقب ما يعرف باسم سلام كالياس (عام ٤٤٨) أن تكون ركنًا أساسيًا للتحالف العسكرى السابق لحين من الوقت، فقفل الأسطول اليونانى راجعًا من دون أن يمسه شىء، ومن دون إنجاز شىء، لينضم إلى الأسطول الرئيسى فى مرفأ أثينا القديم فى بيريوس.

وبمعاهدة سلام كالياس، لم ينته دور اليونانيين فى مصر قبل فتح الإسكندر فجأة من غير تكرار. فتحالف نفريتيس، مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين (٣٩٩-٣٩٣) مع إسبارطة ضد الفرس، وتحول خليفته هَكوريس (٣٩٣-٣٨٠) إلى إيفاجوراس، ملك قبرص. وترك الجنود المرتزقة القبارصة الذين جاء بهم الفرعون إلى البلاد نقوشهم التى كتبوها بأنفسهم فى مقصورة هَكوريس فى الكرنك، وهى تارة بالكتابة اليونانية، وتارة أخرى بالكتابة المقطعية الوطنية (شكل ١٠٥، ١٠٦). وللأسف، فإن هذه النقوش ليست ذات قيمة كبيرة؛ إذ لا نعلم منها شيئًا فيما عدا الأسماء، التى تحمل ربما بيان بنوة شخص أو بيان أصله المباشر. وكُتبت بعض نقوش هذه المخربشات أيضًا فى الكتابة اليونانية. والجدير بالملاحظة أن أحد الأفراد الذين خلدوا أنفسهم فى مقصورة هَكوريس كان المدعو «بَالسامون[*] ابن فيلوديموس من لدرا»، الذى يُستنتج من اسمه أنه كان سليل أسرة متأغرقة من أصل فينيقى[٦٨].

على أن كل هؤلاء الجنود المرتزقة الذين كانوا فى خدمة ملك إسبارطة العجوز أجيسيلاوس وخابرياس الأثينى الذى يُعَدُّ أحد قادة الحرب الأفذاذ فى القرن الرابع، لم يستطيعوا منع استرجاع الفرس لمصر فى عام ٣٤٣.

* * *

وبطبيعة الحال، لم يكن كل اليونانيين الذين جاءوا إلى مصر من العسكر. فالجنود المرتزقة كانوا يريدون التزود بزيت الزيتون والنبيذ والفخار وبنات الهوى (انظر الصفحات التالية). واحتاج الفرعون إلى الفضة، واحتاجت بلاد اليونان إلى الغلال. وعلى هذا النحو، جاء فى ذيل الجنود المرتزقة أيضًا أناس «مدنيون» إلى البلاد يمارسون التجارة.

وتبدأ فى القرن السابع شواهد العلاقات المصرية اليونانية فى الظهور، أى فى وقت لاحق بكثير عما هو فى سوريا وفلسطين، حيث يُستدل هناك على وجود التجار من إيوبويا (وقبرص) من قبل فى القرن الثامن، وبصفة خاصة فى مركز

(*) يلاحظ اختفاء حرف العين بصورة تلقائية بعد تأغرقه، إذ يُنطق الاسم فى الأصل بعلصامون (المترجم).

التجارة الكبير بشمال سوريا المعروف باسم المينا، لكن أيضًا فى أماكن أخرى[٦٩]. وتوجد مجموعة خاصة من أعمال البرونز جاءت مباشرة من مصر، حيث اكتشفت فى كريت وساموس[٧٠]. ولا يدهشنا ذلك، «لأن كريت كانت المحطة الأولى على الطريق البحرى المباشر إلى بلاد اليونان». وفيما يختص بجزيرة ساموس الواقعة قبالة الساحل الغربى لآسيا الصغرى مباشرة، فقد عُثر على عدد كبير من البرونزيات المصرية، فيقص علينا هيرودوت بأنه «بعد ذلك قذفت الأمواج سفينة ساموسية – كان قبطانها كولايوس – فى طريقها إلى مصر، إلى پلاتيه(*) تلك» (الكتاب الرابع ١٥٢، ١). وأبحرت السفينة فيما بعد ثانية فى اتجاه مصر، لكن الرياح الشرقية جعلتها تنحرف ثانية حتى وصلت تارتيسُوس (إسپانيا) فى أقصى الغرب (الكتاب الرابع ١٥٢، ٢). وحدد بوردمان[٧١] Boardman توقيت رحلة كولايوس البحرية فى عام ٦٣٨، وعبَّر عن ظنه فى هذا السياق، «بأنه حدثت على الأقل بين الحين والآخر زيارات بيع تجارية قام بها اليونانيون الشرقيون فى منتصف القرن السابع».

على أنه من المحتمل أن سفر كولايوس بالبحر كان غارة سطو أكثر من اعتبارها شيئًا آخر فى أفضل تقليد هوميرى؛ فقد كان كولايوس أقرب إلى المغامر منه إلى التاجر المحترف. وقلما كان هؤلاء الملاحون الأوائل لديهم شيء يبيعونه سوى العبيد. وثمة دراسة تحليلية[٧٢] جديدة استقرت على نتيجة مفادها، أن الشخصيات التى ذُكرت فى المراجع بالنسبة إلى هذه الفترة البالغة القدم وتردد عنهم القيام بأعمال تجارية فى مصر، لم يكونوا تجارًا محترفين حقيقيين، إذ إن كولايوس بوصفه مالكًا لسفينة تجارية ναύκληρος هو ربما بمثابة مسقط لشعاع خلفى من عصر هيرودوت يمتد حتى القرن السابع. والرحالة اللاحقين إلى مصر مثل شقيق ساپفو المدعو خاراكسوس ورجل الدولة الأثينى صولون، لم يقوما بعمليات تجارية بالمعنى الحقيقى أيضًا، على العكس من بيانات المؤلفين الكلاسيكيين

(*) جزيرة على الساحل الليبى فى خليج بومبا، إلى الغرب من طبرق (المؤلف).

(مثل المحطات التجارية κατ΄ ἐμπορίαν عند سترابون وأرسطوطاليس)، لكنهم أحضروا معهم من ممتلكاتهم أشياء معينة(*) قامت بوصفها هدايا ضيافة مقام تبادل هدايا أو كأنها لتمويل الرحلات الدراسية أيضًا. والثرى المعروف سوستراتوس الذى ينحدر من إيجينا، وذكره هيرودوت (الكتاب الرابع ١٥٢) فى سياق الحديث عن كولايوس، ويبرهن على مهارته التجارية نقش فى جراڤيسكايا، ذلك الميناء لمدينة تارقوينيا الإتروسكية، إضافة إلى بطاقات التجار على الأوانى («SO»)، فإنه وفقًا لدراسة أ. مولّر A. Möller لا يزال يُعدُّ استثناءً فى كونه «تاجرًا محترفًا» professional trader من نهاية القرن السادس.

وعلى الرغم من ذلك، فإن وجود الإمپوريا Emporia، أى تلك المحطات التجارية الكبيرة مثل المينا فى سوريا وناوقراطيس فى مصر، تبين أنه كانت توجد من قبل أيضًا أنواع أخرى من البضائع المطلوبة بمثابة «تبادل امتيازات سلبى» negative reciprocity، وهو المصطلح الفنى التجارى للقرصنة البحرية وما شابه، وأيضًا بوصفها تبادل هدايا مباشرة أو مؤجلة بين أشخاص معروفين لبعضهم من المرتبة الاجتماعية نفسها، حيث إن «تبادل هدايا» gift exchange يُعَدُّ «تبادل امتيازات متوازنًا» balanced reciprocity و«تبادل امتيازات عامة» generalized reprocity.

ونجد عند ديودوروس الحديثين الطريفين التاليين:

– «كان پسمَّاتيخوس ملك سايس، وهو أحد الملوك الاثنى عشر الذى حكم المناطق القريبة من البحر، قد جهز الحمولات لسائر التجار، وخاصة للفينيقيين ولليونانيين منهم. وبهذه الطريقة صرَّف (المنتجات) فى بلاده بربح واستبدلها عند الشعوب الأخرى بما هو متوافر عندها، فأحرز من خلال ذلك ليس الترف الكبير فحسب، بل أيضًا الصداقة مع (سائر) الشعوب و(سائر) الحكام» (I 66, 8).

(*) وفى حالة خاراكسوس فقد أحضر نبيذًا (المؤلف).

– «لكن أثبت (پسمَّاتيخوس) إزاء أولئك الأجانب أيضًا أنه محسن للذين سافروا إلى مصر طواعية. وبما أنه كان ودودًا جدًا لليونانيين، فقد خصص لأبنائه تربية يونانية. وبصفة عامة، افتتح بوصفه أول ملوك مصر للشعوب الأخرى المحطات التجارية فى بقية(*) البلاد وضمن للأجانب القادمين أمانًا كبيرًا» (I 67, 9).

ويطلعنا سترابون عن الأمر بوجهة نظر أخرى فى كتابه الأخير عن الجغرافيا (XVII, 1, 18):

«السور الميليتى: تحت حكم پسمَّاتيخوس – وقد عاش هذا فى عصر الميدى كياكساريس – نزل الميليتيون بثلاثين سفينة إلى المصب البولبيثى، حيث اتجهوا برًا وحصَّنوا المستوطنة المذكورة (أى السور الميليتى): بعد بعض الوقت، أبحروا إلى الإقليم الصاوى، وهزموا إيناروس فى معركة بحرية، وأسسوا ناوقراطيس، ليس بعيدًا فوق (أى إلى الشمال من) شيديا».

وعالجت أ. مولِّر(٧٣) A. Möller تلك الموروثات المذكورة آنفًا التى لها علاقة بناوقراطيس بوصفها مصدرًا له اعتباره باستمرار، ووصلت إلى نتيجة مفادها، أن دور ميليتوس قد أُبرز بأكثر مما يستحق فى عصر لاحق، عندما استخدمت ناوقراطيس «أسطورة التأسيس». ومن الناحية الأثرية، فإنه لا يُستدل على شىء بوجه عام عن منشأة لحصن. وتضيف مولِّر بأنه «يصعب أيضًا إمكانية تصور وجود مستعمرة يونانية من الخلفية التاريخية المصرية، وأن ظاهرة ناوقراطيس تتضح بصورة أكثر بمساعدة نموذج پولانياى(**) Polanyi لـ 'ميناء التجارة' (port of trade)». لهذا السبب، فإن ما نُقل عن أريستاجوراس (الميليتى؟) مريب، من حيث إن تأسيس المستعمرة لم يتم دون معارك سابقة مع الأهالى(٧٤).

(*) تُحتمل قراءة 'كل' عوضًا عن كلمة 'بقية' (المؤلف).

(**) يُعد كارل پولانياى الذى يميل الكثير من الباحثين إلى الاستشهاد به صاحب نظرية اقتصادية تُسمى اصطلاحًا نموذج پولانياى (المترجم).

وشاء القدر أن بقيت ناوقراطيس الواقعة على الضفة الشرقية لفرع النيل الكانوپى، ليس بعيدًا عن العاصمة سايس فى ذلك الوقت، المركز الكبير للتجارة والحضارة اليونانية فى مصر لثلاثمائة عام تالية (شكل ١٠٧). ومع أن بيانات سترابون تفصيلاً ليست صحيحة فيما يبدو، فإنه من المؤكد من الناحية الأثرية أن تأسيس ناوقراطيس قد تم فى الواقع فى عصر ملك يُدعى پسمَّاتيك، وهو الأول تحديدًا، وهو ما يبرهن عليه من دون شك فخار كورينثى وآخر من شرق اليونان يعود إلى الثلث الأخير للقرن السابع.

ويطلعنا هيرودوت بتقرير تفصيلى عن أهمية ناوقراطيس وتنظيمها: «بعد ما أصبح محبًا لليونانيين، أثبت أمازيس لبعض من اليونانيين هذا، ولآخرين ذاك، فوهب للذين جاءوا منهم إلى مصر مدينة ناوقراطيس ليسكنوا فيها. أما الذين لا يريدون منهم السكن هناك، وساروا فى البحر (لممارسة التجارة)، فقد أعطاهم أماكن لتشييد هياكل ومناطق مقدسة للآلهة. وأكبر منطقة مقدسة لهم وأشهرها وتُزار من أغلبهم تُسمى الهيلينيون. وتلك هى المدن التى شيدت معًا: من (مدن) الأيونيين: خيوس، ثيوس، فوكايا، كلازومناى؛ ومن (مدن) الدوريين: رودس، كنيدوس، هاليكارناسُّوس، فاسيليس؛ ومن (مدن) الأيوليين: (مدينة) الميتيلينيين وحدها (أى من ميتلينه). وهذه (المدن) تتبعها تلك المنطقة المقدسة، وهذه المدن هى أيضًا التى تحدد (الـ)مشرفين على المركز التجارى (προστάτας τοῦ ἐμπορίου). وسائر المدن الأخرى التى تطالب بذلك، فهى تدعى من دون حق. وبمعزل عنهم شيد الأيجينيون لأنفسهم منطقة مقدسة لزيوس، والساموسيون (منطقة) أخرى لهيرا، والميليتيون لأپوللون. وكانت ناوقراطيس فى الأصل هى المركز التجارى الوحيد لمصر؛ ولم يكن يوجد آخر. لكن إذا بلغ أحد ما داخل مصب آخر من مصاب النيل، وجب عليه أن يقسم إنه لم يأتِ بمحض رغبته، وبعد أداء القسم كان عليه أن يبحر بسفينته إلى (مصب النيل) الكانوپى. وإذا لم يكن فى استطاعته الإبحار ضد رياح مضادة، كان يتحتم عليه أن ينقل حمولاته فى سفن بضائع تطوف بالدلتا، حتى يصل إلى ناوقراطيس. وهكذا كانت ناوقراطيس محترسة» (الكتاب الثانى ١٧٨-١٧٩).

أجل، إن بيانات هيرودوت لا تصف تأسيس ناوقراطيس الذى حدث قبل ذلك بعدة عقود من السنين، لكنها تعكس فيما يبدو تنظيمًا جديدًا، ونتيجة لذلك انتعاشًا متناميا[٧٥]. ومبدئيًا، فإن الدور الخاص الذى لعبه پسمَّاتيك الأول قد تعرف عليه ديودوروس فى وقت لاحق بكثير على الوجه الصحيح، وإن كانت بياناته فيما يتصل بالافتتاح المزعوم لمحطات تجارية أخرى فى البلاد لا يمكن تصديقها، حسبما يتراءى لى الأمر. وفيما يختص بناوقراطيس، فإن أقدم مرحلة لبناء الهيلينيون يعود تاريخها فى الواقع إلى عهد أمازيس (حوالى ٥٧٠-٥٥٥)، مثلما تبرهن على ذلك بحوث الآثار. ووفقًا لوصف هيرودوت، فإن التنظيم «شبه السياسى» لهذا المعبد، يرتبط فى الواقع تبعًا لذلك بأمازيس (يُحتمل أن «المشرفين على المركز التجارى» أصبحوا الممثلين الرسميين لليونانيين أمام الفرعون والمسئولين عن مراقبة الصفقات التجارية). كل ذلك كان أقل من أن يكون امتيازًا خاصًا، كما قصد هيرودوت، ومثلما أرادت الإدارة المصرية أن تجعل اليونانيين يصدقون ذلك، لكن حدث هذا بطبيعة الحال نظرًا إلى سيطرة «الدولة» الأكثر فعالية، «فتحول 'الميناء التجارى' port of trade إلى وسيلة للتجارة الحكومية، بحيث قام بتسهيل تحصيل الجمارك، ومراقبة حركة تبادل البضائع؛ فأصبح – على وجه الخصوص – مصدًّا بين شكلين اقتصاديين مختلفين منظمين، وحمى بذلك نظامًا اقتصاديًا منظمًا بصورة مركزية صارمة فى العادة من تأثيرات شعب تجارى يعمل بصورة أكثر حرية»[٧٦].

إن المقارنة بين ناوقراطيس ونجازاكى (وجزيرة دچيما التى تتصدرها مباشرة)، وهى المركز التجارى الوحيد الخاضع للإشراف والمسموح به رسميًا للأوربيين فى اليابان فى بواكير العصر الحديث، لن تكون هنا فى غير محلها، بل إن لوائح السفن الراسية لها مثيلاتها كذلك، وهو ما يُخلَص إليه من تقرير إنجلبرت كيمپفر Engelbert Kaempfer الذى سافر إلى نجازاكى عام ١٦٩٠:

«فى أحدث المراسيم للتعامل مع الأجانب التى أعقبت الإبادة الوحشية الأخيرة للمسيحيين فى عام ١٦٣٨، نالت ناجازاكى الأفضلية بعدم جواز استقبال الأجانب الذين يمكن تحملهم فى أى مكان آخر من الإمبراطورية فيما عدا هذا

المكان. وحتى إذا ما طُوِّح بهم بسبب عاصفة على ساحل يابانى آخر، كان لا بد أن يُحضروا إلى هنا وأن يثبتوا أيضًا من خلال شواهد سارية المفعول ما ألمَّ بهم من سوء الحظ»[٧٧].

والآن، يمكننا حصر أهم الأماكن فى ناوقراطيس[٧٨] (شكل ١٠٨): إلى الجنوب يقع بناء عَدَّه پترى Petrie حصنًا، ورأى فيه فون بيسِّينج von Bissing على العكس من ذلك دار خزانة أو صومعة غلال من الطراز المصرى من القرن السابع المتأخر. لكن بريان ميوز[٧٩] Brian Muhs عارض هذه الفكرة مؤخرًا، موضحًا أنه على الأرجح بناء معروف باسم «المعبد المرتفع» Hochtempel من عصر البطالمة، شبيهًا ببناية پسَمُّوتيس فى الكرنك ومنشآت أخرى من هذا النوع. أجل، إن هذا البناء فيما يبدو نتاج الحضارة المصرية (المتأخرة!) وليس منتج الحضارة اليونانية، لكنه لا يبرهن على وجود مستوطنة مصرية من عصر عتيق (قارن الصفحات التالية).

وإلى الشمال من هذا البناء، يقع معبد أفروديت الذى لم يذكره هيرودوت، حيث عُثر هناك على أوعية كثيرة من خيوس[٨٠]. ومن المحتمل كذلك، أن بعض القطع قد صنعها حرفيو فخار من خيوس فى ناوقراطيس نفسها. وبصفة عامة، يمكن القول هنا، إن ترتيب بعض المدن التى سمَّاها هيرودوت، مقارنة مع الفخار الذى عُثِر عليه – وهى نذور عمومًا – كان جائزًا، حيث نجد على سبيل المثال ليس بالقليل منتجات مهمة تمثل المدرسة الفنية لشمال أيونيا فى كلازومِناى.

وإلى أعلى الشمال من معبد أفروديت، كانت توجد معابد لهيرا، وأپوللون، والديوسكور (أى أبناء زيوس التوأم). إن البقايا التى عُثِر عليها فى عام ١٨٩٩ لمعبد أكبر إلى الشرق من ذلك يمكن أن تتطابق مع الهيلينيون الذى ذكره هيرودوت، وهو التأسيس المشترك لدويلات عديدة بشرق بلاد اليونان. وفى حين أن بعض تأسيسات المعابد المستقلة كانت لا تزال تعود على أقل تقدير حتى القرن السابع المتأخر تقريبًا، فإن تأسيس الهيلينيون المذكور سالفًا يرجع إلى عصر أمازيس فى إطار إعادة تنظيمه لوضع ناوقراطيس. وتُذكر فى النقوش آلهة كثيرة، وأقصرها

فى الصيغة المميزة θεοῖς τῶν Ἑλλήνων «لآلهة اليونانيين» التى تتصادف بشكل متكرر.

ولا يمكن أن يدهشنا إلى هذه الدرجة ذلك الوجود القديم لكل هذه المعابد اليونانية الكثيرة على أرض مصرية التى لا يوجد منها شىء البتة اليوم، عندما نتذكر أن اليهود والآراميين فى إلفنتين وأسوان كانت لديهم أيضًا أماكن عبادتهم الخاصة. لكن من اللافت للانتباه تمامًا، أنه لا يُستدل على شىء من هذا القبيل ليونانيين فى المركز التجارى المسمى المينا بشمال سوريا، على خلاف جراڤيسكايا التى ذُكرت فى سياق رجل الأعمال الثرى سوستراتوس!

وتثير بعض نقوش أصحاب النذور فى المعابد تخمينات عديدة: فقد اعتقد بأن شخصًا يُسمى فانيس ليس شخصًا آخر سوى ذلك الهارب إلى العدو الذى خان مصر لحساب الفرس. كما توجد آنية نُذرت من شخص يُدعى هيرودوتوس، فعُقدت الصلة بينه وبين المؤرخ الكبير نفسه شخصيًّا. وكما كان متوقعًا، فقد ثبت أن مثل هذة التطابقات لم تكن على أسس سليمة[٨١]. وكيف لنا أن نعلم عما إذا كانت أرخيديكه المذكورة فى نقش نذرى تتطابق هويتها فعلاً مع الغانية أرخيديكه فى ذلك المكان التى ذكرها هيرودوت (الكتاب الثانى ١٣٥، ٥)، وكان «يُتغنى بها فى كل أنحاء بلاد اليونان»؟ كما كانت هناك سيدة أكثر شهرة تُسمى رودوپيس، وعُرفت أيضًا باسم دوريخا[٨٢]، التى اشتراها المدعو خاركسوس، شقيق شاعرة الأغانى الإغريقية الشهيرة ساپفو التى تنحدر من لِسبوس.

ويستحق اهتمامًا خاصًّا ذلك المصنع النشط لصناعة الجعارين المطلية بالمينا (الفيانس) من القرن السادس الذى كشف پترى عن بقاياه إلى الجنوب الغربى من السوق التجارية Emporion، حيث صُنعت هناك جعارين متمصرة وفنون صغرى أخرى، مثلما هو فى رودس، ذلك المركز التجارى الآخر المهم لمنتجات العاديات المصرية فى حوض البحر المتوسط، وصُدِّرت إلى عالم الإغريق الشرقيين، وإلى جنوب إيطاليا. وكما سبق الحديث عن ذلك من قبل، فقد شارك الفينيقيون بطبيعة الحال أيضًا مشاركة فعالة فى التجارة المربحة بمثل هذه الأشياء، وتنافس فيها

معهم اليونانيون، وإن لم يكن ذلك دائمًا باستماتة، على الرغم من تعليقاتهم التى تحط من قدر الفينيقيين. وكانت الفنون الصغرى المصرية والمتمصرة مطلوبة بشغف بسبب هيئتها التمائمية السحرية التى تدرأ الأذى. ومن المحتمل أن الدور القبرصى فى تطور ناوقراطيس منذ البداية كان أكبر مما يُسلم به غالبًا، غير أن مسألة وجود قبارصة فى ناوقراطيس هى موضوع نقاش[٨٣]. ومن الرؤية الفنية، فإن التأثير القبرصى أقرب فى التعبير عن نفسه فى النحت عنه فى موضوعات الفنون الصغرى (شكل ١٠٩). ويرجع الفضل بالتأكيد إلى القبارصة، وبوجه خاص الإغريق القبارصة الذين كانوا عرقيًا على صلة قرابة باليونانيين، فى لعب دور مهم فى انتشار موضوعات الفنون الصغرى. وربما قد ساعد فى ذلك، أنه كان يوجد منذ فترة طويلة شىء ما من لغة صور قبرصية مصرية مشتركة[٨٤]. وبما أن صناع هذه الأشياء فى ناوقراطيس لم يكونوا يونانيين، بل قبارصة، وإن كان ذلك غير مؤكد، كما سبق القول، فإن هذا الرأى لقى اعتراضًا، نظرًا إلى ظهور التمائم المتمصرة فى العالم الإغريقى فقط - بغض النظر عن المناطق المتاخمة - خلال العصر العتيق، وليس فى الفترة الكلاسيكية، حيث وجدت هناك أيضًا استعمالاً هامشيًا (مثل تماثيل لسيدات وأطفال).

هل عمل مصريون مع يونانيين (وأجانب آخرين) فى إنتاج الجعارين فى ناوقراطيس، أم كانوا يونانيين فقط فى هذه المهنة؟ ترتبط الإجابة عن هذا السؤال ليس أخيرًا بالمستوطنة المصرية المزعومة إلى الجنوب من المدينة، أى فى نطاق مصنع الجعارين تمامًا. وقبل فترة قصيرة، عارضت أ. مولّر A. Möller بشدة فكرة وجود مثل هذه المستوطنة (انظر حاشية ٨٩). وحسب المؤلفة نفسها، فإن تجديدات معينة للموضوعات الفنية تشير «بوضوح إلى إنتاج يونانى»[٨٥]. لكن ربما مازالت الكلمة النهائية فى ذلك الموضوع لم تُقل، وهى أن لوحات ٢٠ (ب-ج-د) تُبيّن جعرانًا مميزًا من ناوقراطيس، مثلما عُثِر عليه فى ميليتوس.

ولم يُحدد الموقع الدقيق لجبانات ناوقراطيس؛ وإن كنا نعرف بعض اللوحات الجنائزية القليلة فقط. فتوجد لوحة لها هيئة الباب الوهمى من القرن الخامس (شكل ١١٠)

عليها النقش التالى: «أنا أنتسب لأپوللوس ابن ثالينوس» Ἀπολλῶτος εἰμὶ το(ῦ) Θαλίνο(υ)، وهى تُذَكِّرنا بلوحة إكسيكيستوس (شكل ١١٣) وباللوحات الكارية من هذا الطراز (شكل ٨٧، ٨٨). وتنحدر من الفترة نفسها تقريبًا لوحة تياوس المستخدمة بشكل ثانوى فى بناء معبد الإلهين التوائم ديوسكوروس[٨٦].

وثمة شيء لا بد من توضيحه بصورة نهائية، لأنه كثيرًا ما يُغفل عنه فى البحث العلمى، وهو أن اسم ناوقراطيس يأتى فى المرتبة الثانية من حيث أهميته على عكس ما هو ظاهر من الخارج. ولا تزال تقع ناوقراطيس اليوم على مقربة شديدة من قرية النقراش التى يحتفظ اسمها بالتسمية المصرية القديمة «ناو-قِرج»[٨٧]، وهى تسمية يُستدل عليها منذ الأسرة السادسة والعشرين حتى عصر البطالمة. إلا أنه من أسباب صوتية فقط يُشتق تطور الاسم من المصدر المصرى القديم لـ «ناوقراطيس»، وليس العكس؛ بمعنى أن الاسم ناوقراطيس هو تفسير جديد فحسب للصيغة الأصلية المصرية على أساس يونانى، وتعنى «المسيطر على البحر» (قارن تركيب الكلمة مع ناوكراتـ- -ναυκρατ). وإذا كنا لا نعلم فى الحقيقة معنى الاسم المصرى، فهو ليس سببًا بالطبع لكى نعارض حقيقة مسلمًا بها فى أسبقيته وأصالته. إذ توجد أسماء أماكن شبيهة التركيب مثل ناو-تا-حوت فى الدلتا، وتُنطق ناثو.

بيد أنه توجد أيضًا أسماء مصرية أخرى لهذه المنطقة، وعلى وجه أخص پر-مريت، وبچچ / بدد[٨٨]. إن هذا التجاور فى نطق الأسماء يفضى بالضرورة إلى السؤال عن العلاقات بين المصريين واليونانيين فى ناوقراطيس.

كانت نتيجة مركزية التجارة اليونانية، أن اليونانيين هنا كانوا إلى حدٍّ بعيد بين نظرائهم، لكن ذلك لا يعنى بالضرورة، أنه لم تكن هناك اتصالات بالأهالى من المصريين. ومن المحتمل أن مصنع جعارين الفيانس المذكور سالفًا قد لعب دورًا فى ذلك، لكننا لا نعرف أية تفاصيل. صحيح أن النظرية القديمة عن وجود مستوطنة مصرية إلى الجنوب من المدينة نشأت من قبل فى فترة عتيقة قد رفضتها أ. مولِّر A. Möller بصورة قاطعة لأسباب أثرية[٨٩]، لكن هذا الإنكار العام لوجود مصريين فى ناوقراطيس يتناسى فى رأيى أمرين على أقل تقدير: أولًا، الحالة

المذكورة آنفا فى كون كلمة «ناوقراطيس» هى «اشتقاق شعبى» Volksetymologie لاسم مصرى فقط، ولا يدل بصفة خاصة على مستوطنة يونانية، وثانيًا، يُستدل عن يقين على نشاط لعبادات دينية من جانب مصريين لآلهة مصرية. ومن ثمَّ، نميل إلى الاعتقاد منذ البداية أن هؤلاء الأفراد من المصريين قد عاشوا فعلاً فى مكان ما فى محيط ناوقراطيس.

وبما أن النقطة الأولى قد عُولجت من قبل، فإنه يمكننا أن ننتقل معًا إلى السؤال الآخر، وهو: ماذا نعرف عن ناوقراطيس من خلال وثائق اللغة المصرية؟ وفى هذا الصدد لا بد كذلك من تتبع موضوع مهم آخر، ألا وهو مسألة سيطرة الدولة على المركز التجارى Emporion وفقًا للمصادر المصرية.

إن الأثر المعروف باسم لوحة ناوقراطيس[٩٠] هو مرسوم لنختانبو الأول (٣٨٠–٣٦٢)، رأس الأسرة الثلاثين، الذى أمر فيه بأن تُحال لصالح معبد نيت فى سايس عُشر الضريبة المفروضة على كل الواردات أو تلك الواجب أدائها من بحر إيجة (من «الأخضر الكبير للحاونبوت»)، وكذلك عُشر الضريبة المفروضة على جميع المبيعات أو تلك الواجب أداؤها من الإنتاج المحلى فى ناوقراطيس. إن صياغتنا المتكلفة «الضريبة المفروضة أو تلك الواجب أداؤها» ضرورية، لأنه ليس واضحًا تمامًا، عما إذا كانت البيانات تشير إلى المجموع الكلى الذى لم تكن تُؤدى عنه ضريبة، بحيث ترد إلى المعبد عُشر الضريبة ويحصل الملك على حصته غير المحددة، أو عما إذا كان المقصود هو أن تُحال إلى المعبد عُشر ضريبة جمرك الواردات التى تذهب إلى الدولة، وكذلك عُشر ضريبة المهن والصناعات. ولعل الخيار الثانى أقرب إلى المنطق. فقد أظهرت مريم ليشتهايم M. Lichtheim (حاشية ٩٠) أن التفسير الشائع القديم قائم على خطأ فى الترجمة، وهو تفسير من نتيجته أن الرسوم الجمركية والضرائب المذكورة سالفا كانت تشكل عُشر مجموع الإيراد، وأن هذا العُشر كان يذهب كله *in toto* لصالح معبد نيت. لكن لا يُعرف شيء على الإطلاق عن مقدار رسوم الواردات والضرائب المهنية نفسها، وإن كان علينا أن نخرج من ذلك بأنه كانت تُؤدى ضرائب من هذا القبيل إلى التاج فى عصر أمازيس، إن لم يكن قبل ذلك.

وافترض من قبل أن نظام الكتابة «الأبجدية» للوحة ناوقراطيس يعكس تأثيرًا يونانيًا[٩١]، لكن هذا الرأى لم يجد تأييدًا. وإلى جانب ذلك، اكتشف مؤخرًا آثاريون متخصصون تحت الماء Unterwasserarchäologen لوحة مماثلة تقريبًا فى خليج أبوقير[٩١أ] (لوحة ١٣ ب).

إن المصدر الثانى بعد لوحة ناوقراطيس، وإن يكن بطريق غير مباشر، يقدمه تمثال حامل الناووس من عصر أمازيس (شكل ١١١). فمنذ وقت بعيد كانت توجد الكسرة الكبيرة من ذلك التمثال فى ليون، وتحقق ده مولينارە De Meulenaere مؤخرًا من الرأس التابع للتمثال فى متحف برلين، حيث أمكن جمع القطعة بأكملها على وجه السرعة[٩٢]. وكان صاحب التمثال هو الـ «مشرف على فتحات الباب (أى الحدود) للبلاد الأجنبية فى البحر» المدعو نِختحورحِب. ومن المرجح جدًا، أنه قد عُهد إلى هذا الرجل بالمراقبة العليا على التجارة اليونانية فى ناوقراطيس. ومن ثمَّ، كانت من مسئولياته التى تناولها الحديث من قبل والمكلف بها فى الهيلّينيون هى وظيفة «المشرف على المركز التجارى».

ومن العام العاشر لعهد أمازيس (عام ٥٦١)، تُورخ لوحة هبة فى سان بطرسبورج[٩٣]، حيث تسجل أن أسرجة الإضاءة المهداة لأوزيرويس، إله سايس، كانت من المدعو «نفريريزينَيت (ابن) قِرخس، الذى يكون من ناوقراطيس». وتُعَدُّ اللوحة بذلك أقدم دليل لمرادف مصرى لكلمة «ناوقراطيس»! إن التعبير المترجم بـ «الذى يكون من» يأتى عادة متبوعًا باسم مكان بمعنى «حاكم لـ ...»، لكنه يُبيّن أيضًا وبصفة عامة الموطن الأصلى. وفى حين أن اسم العرش لبسمَّاتيك الثانى يتوارى فى اسم نفريريزينَيت، فإن اسم الأب قِرخس غير مصرى، إذ إن فكرة اسم يونانى تنطوى وراءه من الخلفية الجغرافية تبدو مغرية للغاية[٩٤]، ومن الناحية الزمنية، يتطابق جيدًا مع اسم العلم كوراكوس (قوراقوس). لذا، فإنه يجوز أن صاحب الهبة كان يونانيًا مندمجًا مثل واحئيبرع-إم-آخت (لوحة ١٩، ٢٠ أ)، بل من المرجح أنه كان مشرفًا على «الميناء التجارى» port of trade، لكونه شخصًا «متعدد الثقافات» multikulturell! لكن مثل هذه التخمينات تُعَدُّ تجاوزًا لحدود المسموح به تقريبًا ...

وثمة لوحة فى برلين الآن[٩٥] تعود إلى ماضٍ بعيد نسبيًا (شكل ١١٢)، أى إلى عصر أبريس (٥٨٩-٥٧٠)، حيث تُسجل هبة لآمون-رع-بچد، أى آمون ناوقراطيس.

وفيما يختص بناوقراطيس فى المصادر المصرية الأخرى، فإنه بطبيعة الحال كان يجب أن تكون تلك المصادر ذات أهمية لموضوعنا فى المقام الأول، حيث يمكن أن تلقى بطريقة ما بعض الضوء على العلاقة بين اليونانيين والمصريين، وألا تكون شواهد من ذلك الطراز التى تتصل بطقوس العبادات الوطنية. غير أنه من المهم ذلك التمثال البطلمى فى القاهرة[٩٦]، الذى يصور «الحاونبوت ورجل من <پ>خات، كاهن مين، سيد بچد، حورمحب ابن كراتيس، المولود لسيدة البيت شسمتت». وهذا التمثال العملاق الذى عُثِر عليه في ناوقراطيس (كوم جعيف) كان مقامًا على الأرجح فى معبد آمون هناك، حيث كان آمون هو الإله الرئيسى لمصريى ناوقراطيس. واسم والده يونانى بوضوح، وإلى جانب ذلك تتوافق جيدًا تسمية الموطن الأصلى حاونبوت بالنسبة إلى الابن[٩٧]، غير أن اسمه المصرى يشير إليه بوصفه يونانيًا متمصرًا. إن هذا التمصير هو أيضًا شرط ضرورى بموجبه استطاع أجنبى تولى منصب كاهن للطقوس المصرية؛ ولا بد من التذكير فقط بالفينيقى خعحاپ (شكل ٣٣) والمعينى زيدئيل[٩٨] (شكل ٩٣-٩٤).

ولا بد أن حورمحب ذلك لم يكن معاصرًا للبطالمة، بل إنه كان بمثابة بطل أسطورى مؤله على ما يبدو، حيث إن لقب «كاهن حورمحب فى پيخات» معروف لنا من تمثالين بطلميين. وقد نظر يويوت[٩٩] Yoyotte فى الأمر بعين الاعتبار، فطابق هذا المعبود بحورمحب هذا الموجود فى القاهرة الذى تحدثنا عنه توًا. ويرجّح يويوت أن حورمحب هذا لعب دورًا بارزًا فى تاريخ ناوقراطيس، وأصبح لهذا السبب شبيهًا بأمنحوتپ ابن حاپو، ذلك الكاتب الملكى الشهير فى الأسرة الثامنة عشرة الذى أُلِّه فى العصر المتأخر. ولا نعرف أى دور يمكن أن يكون قد قام به حورمحب هذا. وإذا كان التفسير البارع ليويوت صائبًا، فإنه بالطبع غير مفهوم كلية أن حورمحب ذلك قد حظى فى مصر العليا بشكل خاص بأفضلية

خاصة لدى الناس. على أية حال، فإن اسم حورمحب هناك شائع بوجه خاص، ولا يمكن أن نعقد صلة بينه وبين ذلك الوالى المؤله فى ناوقراطيس.

وقبل فترة قصيرة، عنى يانسن-ڤينكِلن[١٠٠] Jansen-Winkeln بنشر جديد لقاعدة مذبح قرابين غريب فى نوعه بنقوش هيروغليفية، ويوجد أيضًا بالقاهرة. ولا يُعرف مكان اكتشاف هذه القطعة، لكنها تنحدر بسبب اسم بجد من ناوقراطيس على الأرجح، ويُحتمل أن تأريخها يعود إلى الأسرة الثلاثين. وخلص يانسن-ڤينكِلن من نعوت معينة إلى أن صاحب الهبة نختنبف كان تاجرًا، فهو «الثرى، سيد الأطيان(*)، ذو الثروات الطائلة، والأكياس القيمة، ذو المخازن (؟)(**) الواسعة، والخزائن الكثيرة»، أى أنه حشد غير مألوف من التعبيرات اللغوية للتأكيد على ثروته. ولم تُذكر مناصب كهنوتية، على الرغم من أن نختنبف يزعم بأنه قام بتعيين القرابين. والمكان المفروض أن تكون تلك القاعدة قد اكتشفت فيه والروح التجارية السائدة هناك، تجعلنا نفكر بصورة حتمية فى المركز التجارى فى ناوقراطيس؛ كما أن الإلهتين المحليتين المذكورتين فى النقش موت وحتحور تحتمان علينا التفكير فى معابد الإلهتين النظيرتين لهن، أى هيرا وأفروديت. لذا، فهل كان نختنبف على الرغم من اسمى والديه المصريين يونانيًا متمصرًا؟ ربما يكون الأمر كذلك؛ إذ إن «اليونانيين الذين وُلدوا فى مصر»[١٠١] فى الوثائق الديموطية البطلمية كانت لديهم فى الغالب أسماء مصرية.

وربما يكون صحيحًا تمامًا أن السلع المستوردة إلى مصر مثل النبيذ وزيت الزيتون كانت مرغوبة فى المقام الأول من اليونانيين المقيمين فى البلاد؛ لكن لا نستطيع أن نتصور كقاعدة عامة أن هؤلاء كانوا الزبائن الوحيدين فقط. ومثلما تساءل بيتر هايدر Peter Haider، «فلماذا لم يحل للمصريين من الأهالى أيضًا

(*) ترجمة الكلمة ليست مؤكدة تمامًا، وإن كانت الترجمة الحرفية وفقًا للنص هى «سيد الممتلكات» أو «سيد الأملاك» أو ما شابه **(المترجم)**.

(**) يشير اللقب، وبوجه خاص تعبير "ذو المخازن" (؟) الواسعة - إذا صحت قراءته - إلى احتمال أن صاحبه كان مستوردًا **(المترجم)**.

استساغة النبيذ والزيت اليوناني؟»[١٠٢]. وعلى الرغم من أن الفخار اليوناني في مصر يقترن في العادة بوجود مستهلكين له من اليونانيين، فإنه توجد حالات أيضًا تستدعي الحيطة. إذ إن الاكتشافات الغزيرة للفخار الوارد من شرق بلاد اليونان التي أُجريت في السنوات الأخيرة في مقبرتي وچاحوررسنت وإيوفعا في أبوصير لم تأتِ مثلاً من دفنات ثانوية، أي من قِبل شخص آخر غير صاحب المقبرة الأصلي، وإنما كانت من بين محتويات مقبرتي الوجيهين المصريين المذكورين سالفًا وتخصهم. ومع أنه لا يجوز من حيث المبدأ الجدال في أن زخارف الفخار كانت لها قيمتها لذاتها *per se* بالنسبة إلى المستهلكين اليونانيين (أو أن منتجي النبيذ قد انتهوا إلى ذلك)، وأن الأواني لم تكن فقط لغرض النقل، ومع أنه قد يكون صحيحًا أن الفخار اليوناني كانت له هنا وهناك في شرق البحر المتوسط قيمته عند غير اليونانيين، ولا يدل بصورة تلقائية على وجود يونانيين[١٠٣]، فإن الفخار في هذه المقابر يشير في المقام الأول إلى عشاق للنبيذ اليوناني – ولنترك بحث مسألة عما إذا كانت النقوش والرسوم الملونة على الأوعية تعني لهم شيئًا ما[١٠٤]!

لقد تعرفنا إلى يونانيين في عصر ما قبل الهلينستي في الدلتا، أي في تلك الـ «ستراتوپيدا» (الثكنات) ودافناي ومِجْدول وناوقراطيس. وسوف نتعرف بعد قليل إلى يونانيين كذلك في تل المقدام (ليونتوپوليس)، ولقيناهم في منف وطيبة وأبوسمبل. وفي نطاق الإسكندرية لاحقًا، كان يرابط في فترة مبكرة في حصن راكوتيس جنود مرتزقة يونانيون[١٠٥]. لكن كان يوجد أيضًا يونانيون في واحة ما[*] وفقًا لهيرودوت (الكتاب الثالث ٢٦، ١)، وإن كان لا يُستند حتى الآن على هذه المعلومة أثريًا[١٠٦]. يُضاف إلى ذلك، فإنه يبدو وجود مستوطنة يونانية في مكان آخر مجهول عند أخميم يُسمى نياپوليس، ويذكره هيرودوت. وكما هو ثابت من قبل في بداية هذا الفصل، فإن هيرودوت يُسمِّي مدنًا مصرية في العادة، إما بالنطق الصوتي المقابل، وإما في ترجمة مقاربة وفقًا للإله الرئيسي. ونياپوليس تلك هي بمثابة مرجع جغرافي كان يُفترض معرفتها فيما يبدو لدى قرائه، لأن هؤلاء

(*) ربما كانت الخارجة (المؤلف).

«يتجنبون اتخاذ العادات اليونانية، لكن اختصارًا للقول، فإنهم يتجنبون أيضًا عادات أى أناس آخرين. وهكذا يراعى سائر المصريين ذلك. إلا أنه توجد فى إقليم طيبة المدينة العظيمة خِمِّيس (أخميم)، وهى غير بعيدة عن نياپوليس» (الكتاب الثانى ٩١، ١). إن التقرير الذى تلا هذه المقدمة عن موضوع التأثيرات اليونانية فى عصر ما قبل الهلينستى على مصر أو على المصريين له دلالة كبيرة للغاية. ويُفترض أنه كان يوجد فى خِمِّيس معبد مربع الشكل للإله پرسيوس ابن داناى، و«يروى أهل خِمِّيس هؤلاء أن پرسيوس كثيرًا ما يتجلى لهم فى البلاد، لكن كثيرًا ما يظهر داخل معبده (...). وفيما يلى ما يفعلونه على الطريقة اليونانية من أجل پرسيوس (تقديسًا له): يقيمون مباراة رياضية تشمل جميع ضروب المسابقات، ويعينون جوائز للمباريات من الماشية، والمعاطف، والجلود. وعندما سألت، لماذا يُظهر پرسيوس نفسه لهم وحدهم، ولماذا أقاموا مباراة رياضية مخالفين بذلك سائر المصريين، قالوا إن پرسيوس ينحدر من مدينتهم، وإن داناوس ولينكيوس كانا من أهل خِمِّيس، وهاجرا إلى بلاد اليونان. وذكروا الأنساب التى تبدأ بهما وتنتهى بپرسيوس» (الكتاب الثانى ٩١، ٣-٥). وقد بحثت لويد[١٠٧] Lloyd هذا الفصل بإسهاب ووصلت إلى نتيجة مفادها، أننا إزاء عبادات وعادات لمزيج من الإغريق وتقاليدهم، μιξέλληνες أى من الإغريق المصريين. ويزداد هذا الانطباع من خلال قرب نياپوليس المذكورة سالفًا. وحسب لويد، فإنه من الصعب أن يكون «پرسيوس» المقصود به الإله مين فى صياغة أخرى، وهى پاورش، أى «الحارس»، وهو معروف دون شك أنه لقب للإله مين فى العصر المتأخر[١٠٨]. ويستشهد هيرودوت بآلهة مصرية، إما بمقابلها الصوتى المتأغرق مثل إيزيس وأوزيريس، وإما وفقًا للنظير التقليدى من الآلهة اليونانية مثل مطابقة زيوس بآمون. وپرسيوس فى تلك الأسطورة ليس له شىء يشترك فيه مع مين، بل إنه أقرب كثيرًا لحورس بوصفه محاربًا للإله ست. لكن هل يجوز أن نخلص إلى أن السمة الصوتية من [پورش] إلى پرس(يوس) هى مجرد صدفة؟

وفضلاً عن الجنود والتجار، كان يوجد أيضًا بالطبع رحالة استكشافيون ومفكرون سافروا إلى مصر[١٠٩]. إن من بين الفلاسفة الذين يُقال إنهم زاروا مصر

كان طاليس الميليتى وفيثاغورس وأفلاطون[١١٠]، ولا يجوز نسيان المشرع الأثينى صولون المذكور سالفا. ويُقال إن هوميروس كان فى مصر. لكن من المشكوك فيه أن جميع هذه الشخصيات قد زارت فعلاً أرض النيل. ولا يزال هناك اعتقاد ترك أثرًا حتى يومنا هذا («ومن قبل عند المصريين القدماء») ولعب دورًا فارقًا لمثل هذا النمط من الموروثات، فى كون الحكمة كلها كانت منشأها مصر[١١١]. وعلى الرغم من رأى هيرودوت بأن الإغريق قد اقتبسوا ديانتهم من المصريين (الكتاب الثانى ٥٠، ١)، فإن تأثيرات مصر على الحضارة اليونانية للحقبة ما قبل الهلينستية (وقبل الكلاسيكية) كانت فى واقع الأمر أقل مما يود أن يعتقد الباحث فى علم المصريات. وبصرف النظر عن «اتجاهات متمصرة فى بعض المناظر وفى الرسوم المتعددة الألوان للفخار العتيق»، نذكر على وجه الخصوص ثلاثة مجالات أثرت فيها مصر على بلاد اليونان، وهى: «المعابد، ومنشآت لتقديس أشخاص، والتماثيل الضخمة»[١١٢].

وفيما يختص بالتأثيرات الأجنبية على التطور المبكر للآداب والأساطير اليونانية، فإن الشرق الأدنى ينتصر فى هذا الميدان[١١٣]، وهو ما يمكننا مشاهدته ظاهريًا فى الأبجدية اليونانية. غير أن هذه التأثيرات تكاد تخلو تمامًا من النبضات المصرية، حتى وإن كان متنازعًا على نوع هذه النبضات وشدتها. وهكذا، فإنه منذ وقت ليس ببعيد بُرهن[١١٤] – وإن كان ليس من جانب الباحثين فى علم المصريات – على أن بعض التصورات المصرية للعالم الآخر وجدت سبيلاً لها فى شعر الملحمة اليونانية المبكرة. وأكثر من هذا، يُقال إن من بين ذلك الفكرة غير اليونانية التى برزت فى النشيد الحادى عشر للأوديسة (لأسطورة نيكيا الشهيرة) التى تجعل الميت فى استطاعته التحدث إلى الأحياء من خلال قربان من الدم بوصفه غذاءً. وصيغت مرة أخرى نظرية فحواها أن الكلمة اليونانية مَقار μάκαρ، أى «مبارك» تعود من الناحية الصوتية إلى المصرية القديمة ماع-خرو، أى «صادق الصوت، مُبرأ»، وهو نعت تقليدى للميت المبارك. إن احتمالات هذا الاشتقاق المغرى يمكن تقييمه تقييمًا كبيرًا أو التقليل من شأنه مثل الفكرة المبتكرة من المؤلفة نفسها فى

الحكم على الكلمة اليونانية نكتار νέκταρ، بأنها استعارة منذ العصر البرونزى فى اليونان من كلمة نترى المصرية، أى «إلهى»[١١٥].

وكيفما كان الأمر، فإن الشىء الذى لا ريب فيه هو أن بعض التصورات المصرية للعالم الآخر كشأنها دائمًا قد أثرت على التعاليم السرية فى العصور القديمة المعروفة باسم أورفيك Orphik، ما يُعرف باسم «صكوك الموتى الذهبية»[١١٦] Die goldenen Totenpässe.

وفضلاً عن هيرودوت، فإن من بين المؤلفين الرحالة فى عصر ما قبل الهلينستى هو سلفه هيكاتيوس الميليتى[١١٧]، الذى زار البلاد فى عهد أمازيس (٥٧٠-٥٢٦)، ولا يجوز خلط اسمه مع هيكاتيوس الأبديرى من بداية الحقبة البطلمية.

وما زالت أخبار هيرودوت[١١٨]، وإن كانت تُستخدم بحذر وحرص، ينبوعًا ذا قيمة فائقة للغاية لمعرفة تاريخ مصر فى عصرها المتأخر. تُضاف حقيقة أخرى، وهى أن الأيونى هيرودوت لم يكن لديه وعى باستقلالية حضارة أجنبية، وأن كل ما شاهده وسمعه وضعه فى قوالب يونانية[١١٩]، وليس بالطبع من دون اعترافه فى أغلب الأحوال بتفوق «البرابرة» (!)؛ لكن إذا كنا نريد لومه على ذلك، لكان مفارقة تاريخية واهية. وقد شُهِّر بمحتوى أقوال هيرودوت فى قاموس مرجعى جديد بوصفها «مزاعم مضللة للبحث العلمى الحديث»[١٢١]، وأن رحلته إلى مصر التى تؤرخ فى حوالى عام ٤٤٥ لم تقع قط[١٢٠]، وأنه بوصفه روائيًا عبقريًا ابتكر تواريخه إلى حدٍّ بعيد على مكتبه. وللرد على الاتهام المتكرر ضده بالسذاجة وسرعة التصديق، طابت للبعض المواضع الكثيرة التى أبدى فيها هيرودوت نفسه شكوكه، وتأكيده بأنه يتحدث وفقًا لأقوال سُمعت أو لما هو ظاهر للعين (على الرغم من أن بعض هذه الشكوك يمكن أن تكون ناتجة عن الهجوم العنيف ضد هيكاتيوس). ويعرض أبو التاريخ بجلاء مبدأه: «إنه من واجبى القول بما يُقال، لكن بالطبع ليس من واجبى تصديقه. وهذه العبارة تسرى على العمل التاريخى كله» (الكتاب السابع ١٥٢، ٣)[١٢٢].

لكن إذا ما كان على هيرودوت حقًا أن يتقصى تفصيليًا إلى أبعد حد، فإنه من الصعب من ناحية أخرى إثبات أنه فعل ذلك فى المكان على الطبيعة، أى أنه كان بالفعل فى مصر، ناهيك تمامًا عن بلاد أخرى. إن من السهل بمكان على المعارضين من أصحاب نظرية الرؤية الذاتية(*) الإشارة إلى بعض التناقضات عند هيرودوت. وهكذا، فقد اعترض تفصيليًا قبل فترة قصيرة فقط - وليس من دون التهجم بعنف شديد ضد جماعة «المصدقين لهيرودوت» - بأن بيانات هيرودوت عن الفيوم وعن بحيرة موريس (قارون) إنما تكشف النقاب عن «أن هذا اليونانى لم يكن أبدًا فى الفيوم»[١٢٣]، وأن معلوماته عن مصر قد استقاها ببساطة شديدة من يونانيين أيونيين، ويونانيين كاريين، ويونانيين دوريين عادوا من مصر إلى وطنهم - هكذا يؤكد المؤلف المُستشهد به.

ومن المعروف أنه لا يمكن إطلاقًا أن تكون معلومة عن طريق غير مباشر «أكثر زيفًا» من التجربة الذاتية ورؤية المكان على الطبيعة، ومن ناحية أخرى، يمكن بسهولة حدوث سوء فهم وخداع للذات فى الذاكرة، بل كل الأخطاء الأخرى المحتملة من تحريفات وتناقضات جسيمة أيضًا فى المشاهدة المحلية للمناطق المعنية. وكم لم يشاهد كل شيء معظم رحالة العصور الوسطى والعصر الحديث فى مصر وفى بلاد أخرى «عجيبة» أيضًا، وكيف أنهم كثيرًا ما لاحظوا أشياء وتحدثوا عنها، ثم رسموا صورة ممسوخة لتلك الأشياء، إلى درجة أنه كان علينا أن نشكك فيما إذا كانوا هناك حقيقة، وإلا لما كانت مسجلة بصورة مؤكدة! ومن ثمَّ، فإنه من الصعب لذلك، وهو ما نكرره، الحسم بموضوعية فى مسألة الرؤية الذاتية عند هيرودوت. وعلى الرغم من أن هيرودوت لم يكن بالطبع مؤرخًا بالمعنى الحديث للكلمة، وتبعًا لذلك يستوجب الأمر القياس بمعايير أخرى، فإنه يصعب على المشاهد المحايد نفى شهاداته الذاتية المؤكدة، بإنكار رحلاته وتقصيه فى الأماكن التى شاهدها على الطبيعة، وعلى ذلك، فلا يجوز وسمه على الأقل فى

(*) يستعمل المؤلف تعبير Autopsie-Theorie الذى فضلت ترجمته حرفيًا، وهو تعبيرغالبًا ما يُستعمل أيضًا فى سياق آخر، وتحديدًا فى الطب الشرعى (المترجم).

هذه العلاقة بأنه محتال وكذاب ودجال، لكن كل هذا يجب أن يوضع لذاته فى «إطار الشخصية الأدبية المتحررة» المميزة لهيرودوت، من حيث عدم التنكر له بالطبع[١٢٤]. أيضا، إن القول بأن «ما نفتقده فى ذلك من معلومات واقعية، نستخلصها من خلال الاطلاع على فكر الروائى الكبير الهاليكارناسى»[١٢٥]، يصعب عزوه إلى ضياع المصداقية والأصالة والأمانة (!)، أم أن ذلك تفكير «حديث» مغالى فيه ثانية؟!

لكن إذا كان أبو التاريخ قد رأى أرض النيل فعلاً، كما نأمل ذلك، فإنه من المؤكد بالطبع أن مَنْ أدلوا له بمعلومات من المصريين لم يكونوا دائمًا من النخبة المثقفة. فهولاء «الكهنة» الذين يستشهد بهم أحيانا لم يكونوا من الطبقات العليا، الذين كان يصعب أيضًا على اليونانى الالتقاء بهم (!)، بل كانوا فيما يبدو بصورة أكثر ترجيحا من الرتب الدنيا فى الكهنوت الذين قل نصيبهم من الإلمام بالقراءة والكتابة بصفة عامة[١٢٦]. وفى بعض الحالات، كان ممن قدموا معلومات لهيرودوت على الأرجح، خليط من الإغريق المصريين (μιξέλληνες) الذين كانوا على قدر بسيط من المعرفة عن النواحى اليونانية والمصرية، وليس فقط تلك الأشياء ذات الطبيعة المادية بالدرجة الأولى. ومن الطريف أن يحصل هيرودوت فى أحيان أخرى على معلومات من «كهنة» محليين، تفترض على مَنْ قدموا له معلومات معرفة غير متوقعة تمامًا لمحتوى أساطير وموروثات يونانية مثل الأسطورة التى تتحدث عن الأصل المصرى لنبوءتى الوحى اليونانية فى دودونا وليبيا، التى كان هيرودوت يدعى رغبته فى سماعها من «كهنة زيوس فى طيبة»، أى كهنة آمون (الكتاب الثانى ٥٤). وعلى كل، لم يخترع هيرودوت ولا مصدقيه تلك الأسطورة الأكثر قدمًا على الأرجح[١٢٧]! وثمة مثال آخر، وهى تلك القصة التفصيلية عن وصول هيلينا إلى پروتويس فى مصر، التى قيل إن كهنة منف قد رووها لليونانى هيرودوت (الكتاب الثانى ١١٣-١١٦). وإلى جانب ذلك، يأتى هناك ثون المعروف لنا من قبل فى الأوديسة فى هيئة ثونيس. وفى حالات أخرى، يجوز أن القبارصة اليونانيين قد لعبوا دور وساطة مهمًا، وعلى سبيل المثال، فى تناظر الآلهة اليونانية والمصرية[١٢٨].

كان يطيب لنا أن تكون لدينا أخبار حقيقية عن التلاقى بين روحانية يونانية ومصرية من رؤية المصريين. وحين يجعل أفلاطون(*) كاهنا عجوزًا للإلهة نيت يصيح فى وجه الزائر الأجنبى قائلاً: «يا صولون، يا صولون، أنتم يا إغريق ستبقون دائمًا أطفالاً، ولا يوجد إغريقى كبير»، وما قيل عما أوضحه هذا الكاهن إثر ذلك بقوله: «أنتم جميعًا صغار الروح، لأنكم لا تحملون فيها رؤية لما ينحدر من موروث قديم، وأخبار لم تشيب مع الزمن»، فإن ذلك بطبيعة الحال رواية أدبية خيالية تقوم ثانية على أساس تقدير قديم لمصر لكونها منبعًا للحكمة، وإن كان ذلك يتفق بصورة غريزية مع الشعور بالتفوق للخصوصية الثقافية التى كان يستشعرها المصرى تجاه اليونانيين(١٢٩)، بل أيضًا تجاه الأجانب الآخرين!

* * *

والآن، نود مشاهدة تتجاوز النصب التذكارية التى شاهدناها حتى الآن لآثار مختلفة أخرى جديرة بالذكر لإغريقى مصر قبل العصر الهلينستى التى توضح العلاقة ببيئتهم المصرية بطريقة أو بأخرى، وهى على كل حال ليست آثارًا كثيرة إطلاقًا.

ومما تركه إغريقو منف Hellenomemphiten، أى أولئك اليونانيون الذين عاشوا فى منف فى العصر ما قبل الهلينستى، فإنها فى واقع الأمر بقايا قليلة نسبيًّا. وقد أدى هذا إلى الافتراض بأنهم اندمجوا إلى حدٍّ بعيد فى الحضارة المصرية، إلى درجة أنهم فى «إغريقيتهم» إلى أقصى حد أصبحوا مبهمين لنا. وفى الواقع، علينا أن نسأل أنفسنا ما إذا كان السبب فى ذلك يرجع إلى صدفة الحفائر حقًا، من حيث إن عدد الآثار الجنائزية اليونانية الخافية أقل من عدد الآثار الكارية، وهى آثار حسب تقديرات كامِّرتسل Kammerzell يمكن أن يكون قد تركها حوالى واحد بالمائة فقط من مجموع السكان الكاريين فى مصر(١٣٠)!

وامتدت جبانات الجنود المرتزقة اليونانيين مثل جبانات الكاريين بين شمال سقارة وأبوصير. إن من بين الآثار النادرة شاهد قبر عتيق، يُذَكِّر بصورة مدهشة بالأمثلة

(*) Timaios 22b، ترجمة شلايرماخر Schleiermacher (المؤلف).

الكارية (شكل ١١٣)، فنقرأ هناك التالى: Ἐξηκέστο(υ) εἰμὶ το(ῦ) Χάρωνος
«أنا أنتسب إلى إكسيكيستوس ابن خارون»[١٣١]. وعند حافة أبوصير الجنوبية، حيث تأتى منها أيضا اللوحة الكارية فى برلين التى تحدثنا عنها فى الفصل السادس ذات منظر الدفن (شكل ٨٤)، اكتشفت وقتذاك منطقة مقابر يونانية، وإن كان قد كُشف عنها بصورة غير كاملة. وإلى جانب ذلك، ففى إطار بعثات الحفائر التشيكية، كان قد عُثِر فى أبوصير من قبل، ثم فى السنوات الأخيرة على كسرات بها رسوم ملونة لفخار من خيوس ذات «طراز أبوالهول والأسد» من القرن السادس[١٣٢]، وهو أمر جدير بالذكر، من حيث إن لا شيء من هذا القبيل قد جاء من منف نفسها، على الرغم من أنه كانت هناك ثكنات عسكرية يونانية. لكن هذه الحالة تُفسر بأن الكسرات فى أبوصير كانت تشكل جزءًا من أثاث المقبرة.

ويجب أيضا مناقشة أثر غريب من نوعه فى سياق جبانات إغريقى منف، وهو عبارة عن شاهد قبر لسيدة من سقارة[١٣٣] (شكل ١١٤) نُشر مؤخرًا، ويشير إلى صفين من مناظر خشنة تمامًا فى تنفيذها: إلى أعلى، نشاهد منظر الدفن الأول مع الحزانى بالأسلوب الفنى لشرق بلاد اليونان؛ وقلما نلاحظ فيه تأثيرات مصرية. وفى الصف الأسفل، نشاهد إلى اليسار أوزيريس بتاج الأتف جالسًا على العرش وأمامه صاحب القربان ومائدة القرابين. وفيما بين صفى المناظر، يوجد نقش يونانى لم يمكن للأسف ترميمه بصورة كاملة. ويفترض ماصُون Masson، أننا هنا إزاء كارى متأغرق (قارن الاسم الكارى المذكور پليكوس فى أبوسمبل صفحة ٢٤٥).

– ثمة أثر من سقارة لا يُعرف مكان حفظه الآن، لكن توجد نسخة دقيقة منه فحسب من القرن السابع عشر الميلادى، وكان مثارًا للدهشة على ما يبدو فى ذلك الوقت[١٣٤] (شكل ١١٥). ويمكن التحقق من النقوش الهيروغليفية بشكل جيد نوعًا ما، حيث نرى الثالوث آمون، وموت، وخونسو (ومن المحتمل أننا إزاء ناووس لتمثال حامل له). ويوجد فوق أشكال الآلهة نقش يبدو فى جوهره يونانيًا. وتتشابه العلامتان الأوليان فى النسخة بالصدفة مع الحروف الأبجدية الكارية (وفقًا للقراءة الحديثة *ú-k*)، لكن بقية العلامات تُعدُّ يونانية خالصة، إذ تتناظر الكلمتان ημι وεἰμί،

أى «أنا أكون»؛ أى أن القطعة أو بمعنى أدق، فإن النقش يتحدث مرة ثانية[١٣٥].
ويقرأ ماصُون Masson من دون ذلك Πιραπια (پيراپيا) بوصفه اسمًا لرجل متأغرق ينحدر من أصل أناضولى، ويطابقه مع اسم صاحب اللوحة فى النص الهيروغليفى[١٣٦]. لذا، فإن النقش اليونانى ليس ثانويًا على ما يبدو، لكنه جزء من النقش كله، والأم لها اسم مصرى (خع(و)-اس-إن-موت)، ولم يُذكر اسم الأب. ويُفترض أن تاريخ اللوحة يعود إلى النصف الأول من القرن السادس.

– توجد كسوة برونزية فى نيويورك[١٣٧] (شكل ١١٦)، كانت تُبطِّن قاعدة خشبية لحفظ تمثال نذرى فُقد كلاهما الآن، وتشير على الوجه الأمامى إلى مناظر خشنة التنفيذ وبنسب غير متناسقة، فيظهر آمون بصولجان واست، وموت تمسك بيده، وأمامهما شخص عابد. وإلى اليمين واليسار، جاء فى مستطيلين خصصا مكانهما لعبارة «آمون يعطى» (آمون دى). وفوق ذلك، يوجد النقش الهيروغليفى المتوقف فجأة «آمون يهب الحياة لـ 'بر' ابن». ويُذكِّر ذلك بتلك اللوحة الكارية المصرية[١٣٨]، حيث يتوقف الزوج المصرى (آمون وموت) فجأة خلف الـ «ابن» الثانى، وحيث كان ينبغى أن يُذكر اسم الجد. ويُعَدُّ اسم بر أو بلَه («أعمى») وفقًا للنطق الفعلى، مفضلاً جدًا فى العصر المتأخر، حيث يُفهم اسم «أعمى» فى المقام الأول بأنه تسمية إله[١٣٩]، وهو فيما يبدو الاسم الثانى المصرى لصاحب النذر اليونانى الذى يذكره لنا النقش الأيونى اليونانى العتيق (حوالى ٥٥٠–٥٢٥): [Με]λάνθιός με ἀνέθηκε τῶι Ζηνὶ Θηβαίωι ἄκαλμα (sic) «[مي]لانثيوس نذرنى (بصفتى) تمثالاً لزيوس الطيبى». إن زيوس هو آمون وفقًا للتفسير الإغريقى *interpretatio graeca* الشائع. لكن الإضافة Θηβαῖος «ثيبايوس» لا تعنى بالضرورة أن القطعة تنحدر من طيبة. وكما ذُكر من قبل، فقد قُدس آمون فى ناوقراطيس، ونجده أيضًا فى غير هذا المكان بمصر السفلى. لذا، فإن القطعة يمكن أن تكون قد نُذرت من شخص إغريقى منفى. وتتفق ازدواجية الاسم مع العادة التى يُستدل عليها على أفضل وجه فى عصر البطالمة. وفيما عدا ذلك، فقد شهدنا من قبل أيضًا هذه الظاهرة مرة ثانية، وإننا لنتذكر الفارسى أرياڤارتا المدعو چدحر من وادى الحمامات[١٤٠] أو المصرى إيسحور المسمى ناتان من أرشيف ميبطاحيا الآرامى[١٤١].

– فيما بين عامى ٥٠٠ و ٤٥٠ يُؤرخ تمثال برونزى لأپيس، ويوجد فى المتحف البريطانى، وكما يُقال، فإنه ينحدر من الدلتا[١٤٢] (شكل ١١٧). وعلى خلاف آپيس الكارى، فهو أحادى اللغة: Tõι Πανεπι μ´ανέστασε ΣōϘύδης «نذرنى سوكوديس لپانپى». وطبقًا لماصُون Masson، فإن سوكوديس شخص دورى، لكن من هو پانپى؟ فالبادى للعيان أنه أپيس (hepi = -επι) الماثل بالصورة. وللأسف، لا توجد كلمة ربط مصرية معروفة يمكن من خلالها اشتقاق پانپى هذا من دون تحفظ. واعتقد شپيجلبرج[١٤٣] Spiegelberg، أنه «الثور آپيس»، لكن كلمة الربط المفترضة منه لذلك ليست مثبوتة مرجعيًا. ومن المحتمل فهم الاسم بوصفه مرادفا لكلمة پا-حپ، أى «الذى يتبع آپيس»، وبما يعنى «الابن لأپيس»[١٤٤].

– يوجد فى القاهرة تمثال إيزيس البرونزى الصغير مع الطفل حورس[١٤٥]، الذى يرجع تاريخه إلى حوالى العام ٥٠٠، ويتضمن النقش النذرى الأيونى التالى: Πύθερμός με ὁ Νε(ί)λωνος ἐλύσατο τῆς ᾿Εσιος ἄγαλμα «پوثيرموس[١٤٦] ابن نايلون نذرنى، تمثال إيزيس». وتظهر اشتقاقات من نايلوس Νεῖλος الذى كان الحديث أخيرًا من قبل عن أصله المصرى فى النقوش اليونانية فى القرن السادس. كذلك علينا إبراز أنه لدينا أقدم تكريس يونانى إلى إيزيس، وتحديدًا بالنطق المميز الأصلى إزه [ēsc] القريب من الصيغة الأكثر قدمًا إزيس Εσις᾿، عوضًا عن إيزيس Ισις". لكن تماثيل إيزيس الصغيرة فى بحر إيجة يُستدل عليها من قبل ذلك، منذ الفترة حوالى عام ٩٠٠ (Lefkandi)؛ وفيما بعد (Eleusis إلخ)[١٤٧].

– ثمة تمثال برونزى صغير من الطراز نفسه، ومعروف منذ عهد قريب، كذلك فى القاهرة، وهو أحدث من تمثال إيزيس الصغير الذى تحدثنا عنه توًا، إذ يُؤرخ تقريبًا ببداية القرن الرابع، وينحدر من تل المقدام، وهى ليونتوپوليس القديمة، ويتضمن: Ἀλεξιάδης καὶ Ταβω ἄγαλμα τῆς ᾿Εσιος ἀνέστασαν «ألكسياديس وتابو أقاما تمثالاً لإيزيس». ومن الزوج نفسه – وهما على ما يبدو يونانى ومصرية –، نُذر تمثال صغير آخر لأوزيريس ويوجد الآن فى ڤيرڤيرز Verviers ببلچيكا (لوحة ٢١ أ–ب)؛ وتبعًا لذلك، فإن النص يتغير هنا لكونه ἄγαλμα τοὐσίριος «تمثالاً لأوزيريس»[١٤٨].

– نفذ تمثال برلين الصغير[١٤٩] (شكل ١١٨) بهيئة خاصة للإله أوزيريس، غالبًا ما يُطلق عليها في البحث العلمي اسم أوزيريس-لونوس (أي أوزيريس-القمر)، ويُؤرخ تقريبًا في الوقت نفسه مع القطع التي تحدثنا عنها توًّا، حوالي عام ٤٠٠. ويتضمن النقش التالي: Ζηνῆς Θεοδότο(υ) Σελήνης ἄγαλμα ἐποιήσατο «زينيس ابن ثيودوتوس صنع التمثال لسيلينا»، ويعقب ذلك صورتان هيروغليفيتان لعبارة «واهب الحياة» (أو ما شابه). والهيئة القمرية للمعبود المصور كانت فارقة للتناظر مع سيلينا؛ وفيما يبدو أنه لم يُعبأ بجنس المعبودة المؤنثة أصلاً لعدم توافقها.

– سلفًا من الفترة حوالي عام ٣٦٠، عندما أرسلت أثينا القائد خابرياس إلى مصر، يأتي نقش[١٥٠] نذري على مائدة استرعى الانتباه قليلاً، وينحدر من المنطقة فيما بين أبوصير وسقارة. وعلى الرغم من أن بداية النقش مدمرة، فإنه يتناول على الأرجح بنايات أُنشئت لتقديس إله يُسمى تانوس[١٥١]. فهل ينطوي وراء ذلك (بتاح)-تاتنن[١٥٢]؟ وأصحاب النذر هم يونانيون من أصول مختلفة، وإن كانت أغلبيتهم من أثينا، لكن أيضًا من هنا وهناك، من كورينثا، وقيرينية، ومدن أخرى؛ إذ إن المدعو ستراتون كارواند(يوس) Στράτων Καρυανδ(εύς)، على سبيل المثال، لا بد أنه كاري متأغرق. وجدير بالذكر كذلك شخص آخر يُدعى آمُرتايوس إروديوس Ἀμυρταῖος Ῥόδιος، الذي يظهر بصفته الأخير من بين عشرة أشخاص. إذن، فقد اتخذ بالتأكيد هذا الرجل الذي ينحدر من رودس اسمًا مصريًّا، عندما كان في مصر؛ ومعنى اسمه «آمون هو ذلك الذي أعطاه»، وهو اسم شائع جدًّا حمله أيضًا الحاكم الوحيد للأسرة الثامنة والعشرين (٤٠٤-٣٩٩)، إضافة إلى ذلك الثائر الذي سبق عنه الحديث من قبل في هذا الفصل.

وختامًا، لا ينبغي نسيان مقبرة بتوزيريس، كبير كهنة تحوتي في تونا الجبل (هيرموبوليس) (شكل ١١٩)[١٥٣]. ويقوم هذا الأثر في بداية الغزو اليوناني للإسكندر، إلا أنه لا يُعرف تاريخه على وجه الدقة لعدم ذكر اسم ملكي. ويكشف

النقاب فى زخرفته عن شتى التأثيرات اليونانية غير المألوفة[١٥٤]، التى تنوه بأن «كهنة العصر المتأخر (...)، كما هو ظاهر للعيان، لم يكونوا فى عزلة عن تأثيرات أجنبية»[١٥٥]. وبصفة عامة، فإن دراسة التأثيرات اليونانية الواقعية والمزعومة فى الفن والأدب المصرى[١٥٦] هى أيضًا موضع سجال مثير فى البحث العلمى المتخصص. وهنا نكون قد وصلنا إلى العصر البطلمى، وعلى وجه الخصوص الفترة الرومانية التى لا يمكن تناولها فى إطار هذا الكتاب.

الفصـل التاسع

تأملات متممة وموجزة

كان مرادنا فى هذا العرض بالدرجة الأولى هو إطلاع القارئ على وجود أجانب فى مصر، ثم إطلاعه أيضًا على وجود مصريين خارج بلادهم، وإن كان ذلك بصورة ثانوية، وذلك من خلال تنوع المصادر اللغوية والتصويرية المتعلقة بهذا الموضوع. وقد توافرت لهذا الغرض عناصر المادة الوثائقية وفق الأصل العرقى للأجانب، أو بالأحرى حسب الكتابة واللغة المستخدمتين، كما هى الحال على سبيل المثال فى فصل الوثائق الآرامية. وكان متوقعًا فى هذا بالطبع أن لا يُلتفت مطلقًا إلى أمور ومظاهر متصلة برؤية فردية معينة للإثنيات المختلفة وثائقيا أو بما تطرق الحديث عن بعضها فى فصول مختلفة.

وعلينا فى بداية هذا الفصل الختامى من تسجيل بعض النقاط المهمة: فمن البدهى، أنه كان يوجد أجانب فى أماكن متفرقة من البلاد أكثر مما تعرفنا عليه من الأرجح فى عرضنا. وحيث إنه لم يكن ممكنًا تحديد هوية هؤلاء الأجانب عرقيًا، من خلال إرث خاص تركوه أو من حيث وجود إشارات واضحة تقريبًا فى مصادر مصرية، فإنهم يبقون غائبين عن نظرنا وفى أثناء تجوالنا. وبعض الأمثلة التالية يمكن أن توضح ما المقصود بذلك:

١) توجد آثار تُنسب بوضوح لأجانب، لكن لا يمكن تحديد أصولهم عن كثب لافتقار علامات تصويرية مميزة أكثر وضوحًا أو لنقص نقوش إرشادية توضيحية. ومن ذلك لوحة متمصرة عُثر عليها فى سقارة، ونُشرت قبل فترة قصيرة، حيث يظهر أجنبيًا عابدًا أمام أوزيريس وإيزيس، ويقف حورس خلفه[1]

(شكل ١٢٠). ولا نستطيع القول ما إذا كان ذلك الشخص فينيقيًا، أو آراميًا، أو كاريًا، أو شخصا آخر. وربما تضمن النصف السفلى المفقود نقشا، كان يكشف عن ذلك. أيضا تظهر الحيرة نفسها فى لوحة بحالة حفظ كاملة توجد فى ستوكهولم[٢]، لكنها لا تحتوى على أية نقوش.

٢) المصطلح الذى يُنطق بالطريقة التقليدية خاستيو/ خاسوت، ونجده مرارا وتكرارا فى هذا الكتاب، يرمز بصفة عامة إلى «قاطنى البلد الأجنبى»[٣]، ويمكن أن يكون المقصود بذلك – وكيفما اتفق – ليبيًا، أو سوريًا فينيقيًا، أو فارسيًا، وعموما وبصورة مطلقة تماما شخصا «أجنبيًا». ففى الألفية الأولى، لم يُطلق لقب «حكام البلاد الأجنبية» على الملوك الفرس وفيما بعد بصورة رسمية تماما على فيليپ أرهيدايوس[٤] فحسب، وإنما أُطلق أيضا فى القرن السابع والسادس المبكر على حكام طيبة، سواء بالصيغة الإضافية «فى طيبة» أو من دونها مثل مونتومحات، الذى أُشير إليه فى قائمة حكام آشوربانيپال بوصفه ملكا (شكل ١٣)، بل أُطلق كذلك على كبار وكيلى الممتلكات للزوجات الإلهيات لآمون إيبى وپاديحوررسنت. ونحن نعتقد بأن المقصود بذلك وببساطة شديدة كانوا جنودا مرتزقة أجانب رابطوا فى مصر العليا، على أن تحديد أصلهم العرقى غير ممكن[٥].

٣) فى لوحة «كبير المشوش» شوشنق من أبيدوس من بداية الألفية الأولى، يُذكر عميلان لشوشنق من «أرض الشمال» (أى مصر السفلى / الدلتا)[٦]، وهما «قاطن البلد الأجنبى خارو ('سوريا') وخادم آخآمن-كا-نخت» و«قاطن البلد الأجنبى خارو آخپتاح-كانخت»، أى أن كليهما أناس من سوريا وفلسطين بأسماء مصرية. ويمكن الخروج من ذلك بأنهما ساميان (وربما كانا فينيقيين متمصرين؟)، تلقيا أسماءً مصرية – ويُلاحظ التوازى فى طريقة تركيب اسميهما – لكن لا يمكن تفسير ذلك على وجه الدقة. وتطلعنا كذلك أسماء أماكن فى عصر البطالمة عن وجود سوريين فى أنحاء مختلفة من البلاد[٧].

٤) منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة، يُذكر فى النصوص «(بدو) الشاسو»[*] القاطنين فى الصحراء العربية. وفى القرن التاسع، نجدهم فى أفروديتوپوليس فى

(*) يعنى التعبير المصرى شاسو «المتجولين» (المؤلف).

الإقليم الثانى والعشرين (وفى أقصى الشمال) لمصر العليا، أى أنهم نوعا ما بعيدًا إلى الجنوب[٨]. وفى منتصف القرن السابع، أُوقفت طبقًا للوحة نيتوكريس من «أملاك (بدو) الشاسو الجنوبيين» أراض زراعية من نطاق أراضى إقليم سايس فى غرب الدلتا لسد نفقات الزوجة الإلهية المُعيَّنة جديدًا[٩].

٥) أمر آشوربانيپال بترحيل سكان «كيربيت الواقعة فى خالخاستا» – وهى منطقة لا يمكن تحديد مكانها عن كثب – إلى مصر بعد إخضاعهم[١٠]. ونستنتج من ذلك أنه أيضًا من خلال هذا النوع من العمليات الحربية استطاع أجانب الوصول إلى مصر. فمن ناحية، نخلص إلى أن هؤلاء الأجانب قد بقوا فى البلاد بعد نهاية فترة خلو العرش الآشورى على الأرجح، إلا أننا من ناحية أخرى لسنا مطلعين كذلك على أية تفاصيل فى هذا الشأن.

إن المصطلحات الإثنوجغرافية غير الواضحة تمامًا التى تصف الشعوب القديمة تحمل معها مشكلات أحيانًا، حين يتعلق الأمر بتحديد هوية الأجانب المذكورين فى النصوص. فكان يحلو عن قصد استخدام مسميات قديمة مرت عليها آلاف السنين، ولا سيما فى النقوش الهيروغليفية، وهى تسميات فقدت معناها الأصلى تقريبًا واتخذت معنى جديدًا يتلاءم والأحداث الناشئة آنذاك، كما هى الحال تقريبًا، «حين تظهر الشعوب الأجنبية فى التأريخ القديم المتأخر والبيزنطى التى لها علاقة بعصرنا مثل الجوت أو الهون أو البلغار أو الصرب بأسماء ضاعت منذ عهد بعيد لشعوب وردت الإشارة إليهم فى الأدب الكلاسيكى بوصفهم سكيثيين Skythen، أو وُدريسيين Odryser، أو كيمِّريين Kimmerier»[١١]. ومادام قد ثبت تغير معنى ملموس، فبقى كاملاً إلى حدٍّ ما ومعروفًا لنا (مثل تطور كلمة الحاونبوت، أى «أناس من شمال الدلتا» ومعناها الأصلى «اليونانيون»)، فإن ذلك ليس مهمًا، لكن بالرغم من ذلك يجب علينا زيادة للاطمئنان دراسة كل حالة بصورة فردية بقدر الإمكان. فبينما أمكن تحويل مسميات جغرافية كانت آنذاك موضوع الساعة، مثل «مقدونيا»، و«ليديا»، و«أراخوس»، وما شابه إلى النقوش الهيروغليفية، فإنه لم يُستحدث مطلقًا لهذه الغاية *ad hoc* نظير هيروغليفى للكلمة الديموطية 'وينن' *wynn*[١٢]، أى «أيونى» و«يونانى» (وفى القبطية 'وينين'). ففى المراسيم البطلمية

لمجامع الكهنة، دُعى إلى تدوين القرارات المتعلقة فى الجزء اليونانى (مرسوم كانوپوس) «بالحروف المقدسة، والمصرية (!)[*]، واليونانية»، أى الهيروغليفية، والديموطية، واليونانية: ἱεροῖς γράμμασιν καὶ Αἰγυπτίοις καὶ ῾Ελληνικοῖς؛ أو (مرسوم رشيد) τοῖς τε ἱεροῖς καὶ ἐγχωρίοις καὶ ῾Ελληνικοῖς γράμμασιν. وفى هذا السياق جاء فى النسخ الديموطية: «فى كتابة كلمات الله، وكتابة الرسائل، (و) كتابة يونانية (وينن)»؛ وفى النسخ الهيروغليفية «فى كتابة دار الحياة[**]، فى كتابة الرسائل، فى كتابة الحاونبوت»[١٣]. ومن الواضح بالطبع لأى شاهد محايد أن كلمة «حاونبوت» تشير هناك وفى بعض النصوص المتأخرة الأخرى إلى اليونانيين، لكن لا يمكن التأكيد بأن ذلك يوجد فى كل نصوص هذه الفترة من دون استثناء.

وفيما عدا ذلك، فإن المراسيم البطلمية لمجامع الكهنة تُبيِّن أيضًا تفضيل النقوش الهيروغليفية للأسماء التقليدية القديمة، فجاء فى الجزء اليونانى من مرسوم كانوپوس (قارن الفصـــل الثالث، حاشية ٩): «من سوريا، وفينيقيا، وقبرص» ἔκ τε Συρίας καὶ Φοινίκης καὶ Κύπρου، وفى الديموطى «منطقة الآشورى، (و) منطقة (أهل) خارو، (و) جزيرة سلاميس»، بينما ترد سوريا فى النسخة الهيروغليفية باسم «رتنو الشرقية»، وتوصف فينيقيا بأنها «أرض الكفتيو» أو (فى مرسوم رفح) «بلاد فينخ(و)»، وأخيرًا سُميت قبرص «جزيرة إيسي{ن}»، حيث وُصفت بأنها «فى وسط الأخضر الكبير»[١٤]، أى البحر المتوسط.

ومن ناحية أخرى، فإنه لا يجوز أن نغالى فى غموض معنى الأسماء والأماكن وتغيرها، «لكن من البدهى أن مثل هذه التغيرات إلى جانب عدد كبير لمدلولات طوبوغرافية ثابتة هى فقط الاستثناء»[١٥].

* * *

(*) فى حجر رشيد: أهل البلاد (المؤلف).

(**) فى حجر رشيد: فى كتابة كلمات الله (المؤلف).

لكن علينا الآن تناول بعض الموضوعات والمظاهر ذات الأولوية التى أشرنا إليها فى بداية هذا الفصل! وبداية، لا بد من تقرير حقيقة، وهى أن وجود الأجانب فى مصر خلال الألفية الأولى غالبا ما كانت تنطوى وراءه خلفيات عسكرية، سواء ظهر هؤلاء الأجانب طبقة حاكمة (مثل الليبيين والفرس)، أو جاءوا بوصفهم أسرى حرب، أو أولئك الذين قام الآشوريون بترحيلهم إلى البلاد، أو أخيرًا الذين عملوا جنودًا مرتزقة، أو حدادى أسلحة[١٦]، أو تجارًا لتزويد الجنود المرتزقة بالمواد التموينية إلخ. ولعله قد أصبح واضحًا من حديثنا هنا وهناك، أن الأجانب قد عاشوا فى مستوطنات خاصة بهم مع نظرائهم. ويكفى التذكير هنا فقط بالمستعمرات والحاميات العسكرية فى دافناى وماريا ومجدولوس وإلفنتين وثكنة الصُوريين Τυρίων στρατόπεδον فى منف. لكن هل كانوا فى الحقيقة فى عزلة تمامًا عن المصريين وعن الحياة المصرية؟ يمكننا الآن أن نقطع بنفى هذا السؤال. ولعلنا نتذكر على الأقل برديات إلفنتين الآرامية التى تطلعنا كثيرًا على الاتصالات بين مصريين وأجانب؛ غير أنه لا يجوز لنا أن ننكر أننا لم نعرف كل شىء كان يحلو لنا معرفته، بينما يبقى تفسير بعض الأشياء غير مؤكد.

وإذا كان الأجانب قد عاشوا فى مستوطنات خاصة بهم، فإن هذا لا يعنى أنه لم يسكن هناك أيضًا بعض المصريين. وقد شاهدنا أنه كان يوجد بيت أيضًا لأحد المصريين من ملاحى منطقة الشلال فى الحى الآرامى لإلفنتين[١٧] (شكل ٤٣، لوحة ٩ أ). وبوجه خاص فى ناوقراطيس، مدينة اليونانيين بلا منازع، كان يوجد مصريون، حتى إن لم نستطع القول أين كانت توجد مساكنهم.

ولم تكن زيجات أجانب من مصريات شيئًا نادرًا. وفى هذا الصدد، يتمثل النموذج الأساسى المفضل كما يلى:

(أ) أجنبى (باسم أجنبى) ∞ مصرية

|

ابن متمصر

(باسم مصرى)

إن من بين هذه الفئة چدحر من تل المسخوطة وكذلك چدحربس من سقارة (لوحة ٦، شكل ٦٦)، فهما ينحدران من ناحية الأب من أصل فينيقى أو إيرانى، بينما يفترض اسم الأم المصرى لكل منهما أنهما مصريتان. ومبدئيًا، يجب علينا توخى الحذر، إذ إننا نعلم فى خلال ذلك أنه ليس كل شخص يحمل اسمًا مصريًا يعنى بالضرورة أن يكون مصريًا. لكن فى تلك الحالة المميزة، أى أن يكون هناك ابن وأم بأسماء مصرية وأب باسم أجنبى، فإن استنتاجًا فى المعنى المذكور آنفًا هو الاستنباط الوحيد المناسب!

إن «التمصير» – وإن كان بالطبع ليس ملزمًا لذاته دائمًا، مثلما يتبدى فى اتخاذ اسم مصرى، إضافة إلى اقتباس عادات دفن مصرية وما يرتبط بذلك من تصورات دينية معينة[١٨] – لم يستلزم حدوثه بالضرورة عن طريق أم مصرية، ربما كانت قد أعطت الاسم وفقًا للعادات المصرية وتقاليدها[١٩]، بل حتى وإن كان كلا الوالدين أجنبيًا، فإنه يجوز أن الابن كان متمصرًا:

(ب) أجنبى (باسم أجنبى) ∞ أجنبية (باسم أجنبى)

|

ابن متمصر

(باسم مصرى)

ويُعَدُّ ذلك الشخص المدعو واحئيبرع-إم-آخت مثالاً مميزًا لهذه الفئة، فقد كان والداه يونانيين، وكان قد أمر بأن يُصنع له تابوت حجرى ضخم بهيئة إنسانية (لوحة ١٩)، إضافة إلى تماثيل الأوشبتى (لوحة ٢٠ أ) والأوانى الكانوبية.

إن من الصعب إمكانية التحقق من هوية أجنبى، إذا ما كانت الأسماء المذكورة جميعها مصرية وفق النموذج التالى:

(ج) أجنبى (باسم مصرى) ∞ مصرية

|

ابن متمصر

(باسم مصرى)

ويمثل تلك الحالة ذلك السورى الفينيقى خعحاپ الذى ينحدر من منف (شكل ٣٣)، وما كان يمكن لنا التعرف عليه مطلقًا بوصفه «أجنبيًا»، لولا رداؤه المميز وتسريحة شعره – وفضلاً عن ذلك، فإن اللوحة نفسها مصرية خالصة فى نقوشها وزخارفها. كذلك يحمل سيأمون مثل والديه وزوجته اسمًا مصريًّا، كما أن له مقبرة فى جبل الموتى بواحة سيوة من العصر المتأخر لم يمكن تحديد تأريخها بدقة (لوحة ٢٢ أ)، لكن «لا يمكن بسبب لحيته على أقل تقدير أن يكون ذا دم مصرى خالص»؛ غير أنه لا يمكن أيضًا تحديد هويته ببساطة بوصفه ليبيًا أو يونانيًا[٢٠].

وعلى سبيل استيفاء الأمثلة، يجب أيضًا وضع النموذج البدهى التالى الذى لا يحتاج فى الواقع إلى تعليق:

(د) أجنبى (باسم أجنبى) ∞ أجنبية (باسم أجنبى)
|
ابن
(باسم أجنبى)

ويمثل هذه المجموعة إيباشى-إيلى من اللوحة المصرية الآرامية المحفوظة وقتذاك فى برلين وتنحدر من العام ٤٨٢ (شكل ٤٧). لذلك، فإن اقتباس العادات الجنائزية المصرية لم يكن دائمًا سببًا لاتخاذ اسم مصرى. والفينيقى يعلعَشتارت الذى أمر بعمل لوحة حورس ذات النقوش المصرية والفينيقية كان له أيضًا مثل أسلافه، وأولاده، وزوجته[٢١] اسم فينيقى (شكل ٣٦، ٣٧)، «فلم يكن الاندماج من خلال التسمية» باسم مصرى مشكلة بالنسبة إليه.

بيد أن النموذج (د) يمكن توحده أو اختلاطه بسهولة مع النموذج (ب)، حين يكون للابن اسم مزدوج، وفقًا للشكل التالى:

(ب/د) أجنبى (باسم أجنبى) ∞ أجنبية (باسم أجنبى)
|
ابن
(باسم أجنبى واسم مصرى)

ويُعدُّ مثالاً لذلك الفارسى أرياڤارتا المُسَمَّى چدحر فى وادى الحمامات[٢٢]، بينما أخوه أثياڤاهيا – وفقًا للمصادر المحفوظة لدينا على أية حال – من بين الفئة (ب) فقط. إن هذا الشكل من ازدواجية الأسماء، مثلما هو شائع جدًّا فيما بعد، وبوجه خاص فى مصر البطلمية بوصفه تعبيرًا عن ثنائية الثقافة، كان يُمارس عمليًا بصورة متكررة فى عصر ما قبل الهلينستى، حين سمحت ظروف العثور على المكتشفات بالتعرف على ذلك.

وتطرح الأسماء المصرية للأجانب موضوع تكيفهم فى الثقافة المصرية. فقد ظهرت فى هذا الكتاب كثيرًا مدلولات مثل «التفاعل الثقافى» و«التشابك الثقافى» و«الانصهار» ومثيلاتها. ونتساءل الآن: كيف عَبَّرت تلك الظاهرة عن ذاتها، وإلى أى مدى سار الانصهار و«التمصير»؟ ونجيب بأن المعنى الواسع لذلك يظهر فى التكيف مع معايير السلوك المصرية، والعادات والتقاليد، والتصورات العقائدية، واتخاذ لغة الكتابة المصرية. إلا أنه يجب حصر ذلك الانصهار ووضعه فى موضعه الصحيح، إذ إن الليبيين عُدُّوا مندمجين ومتمصرين بالكامل حتى قبل عقدين من السنين (بل بالنسبة إلى البعض حتى يومنا هذا)، لكننا شاهدنا فى الفصل الأول أنه لا يجوز الحديث حقيقة عن «تفاعل ثقافى» كامل.

وبالطبع، يُؤخذ فى الاعتبار أن الليبيين من خلال توليهم السلطة فى نهاية الدولة الحديثة، ومن خلال خصوصيتهم الثقافية، قد أصبحوا فى أزمة تعارض تجاه أنماط معينة للثقافة المصرية التقليدية. ومن ثَمَّ، فهى أزمة لم تواجه مطلقًا ممن لم يجيئوا غزاة ولا حكامًا من الأجانب من ناحية، وممن لم يكن تنظيمهم قبليًّا مثل هؤلاء الليبيين من ناحية أخرى. وبالرغم من ذلك، يجب أن نسلم بأن الليبيين كانوا فى مجموعهم على رأس القطب الإيجابى للتمصير إن جاز هذا التعبير. ولا ريب أن الآشوريين كانوا فى نهاية القطب السلبى الآخر، ولا يمكن تعليل ذلك بالفترة القصيرة لحكمهم فحسب. فعلى خلاف الفرس (ومنذ بداية حكم قمبيز!) لم تكن لدى آسرحدون وأشوربانيپال أية رغبة فى الظهور كفراعنة شرعيين،

وفيما يبدو كذلك أنه لم يخطر ببال الموظفين والمندوبين الآشوريين فى مصر أن يقروا بتبجيلهم لآلهة مصرية.

واقتبس أجانب آخرون - ساميون ويونانيون وكاريون، بل أيضًا بعض الفرس - عناصر أساسية للثقافة المصرية بمعايير مختلفة. وبالنسبة إلينا، فإنها عادة خمسة أوجه ملموسة على الأقل، وهى مجالات سبق الحديث عن بعضها، وإن لم تكن بالطبع متزامنة (!) كلها على أية حال:

(١) تسمية الأسماء.
(٢) التوجه إلى عبادات مصرية.
(٣) اتخاذ عادات الدفن المصرية وما يرتبط بذلك من بعض تصورات عقائدية.
(٤) موضوعات المناظر المصرية للآثار التى تذكر الأشخاص المعنيين.
(٥) استخدام النقوش الهيروغليفية فى القطع الفنية (وربما أيضًا إضافة الكتابة الخاصة بهم).

ويفترض أسمان[٢٣] Assmann أن التطور فى العصر المتأخر على النقيض من حقب زمنية أكثر قدمًا قد شهد تمييزًا متزايدًا تجاه الأجانب من خلال «زيادة نفوذ الكهنوت» Klerikalisierung[*] على الثقافة ونشأة «نمط حياة يحمل طابعًا لمحرمات دينية بشكل قوى، وخاصة فيما يتصل بقواعد المأكل والنظافة» تجاه هؤلاء الأجانب، وكأنه تطور من شأنه الحفاظ على الهوية الثقافية الخاصة بعد معايشة ترك بعضها جرحًا نفسيًا من سيادات أجنبية مختلفة. ولعل ذلك يحمل شيئًا من الصواب، عندما نستحضر فى أذهاننا المقولتين التاليتين:

(*) يعنى تعبير Klerikalisierung حرفيًا «تديين» أو «قسوسة» الأشياء وجعلها «كهنوتية»، أى لصق كل أمور الدنيا بالدين والكهنوت (المترجم).

- «ولهذا السبب لا يُقبِّل مصرى ولا مصرية يونانيًا على الشفاه، ولا يستعمل سكين يونانىٍّ ولا سفافيد(ه) ولا قدور(ه)، ولا يذوق لحم ثور طاهرًا، إذا قُطع بسكين يونانية» (هيرودوت، الكتاب الثانى ٤١، ٣).

- «فقدموا له وحده (ليوسف) ولهم وحدهم (لإخوته)، وللمصريين الآكلين عنده وحدهم، لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعامًا مع العبرانيين، لأنه رجس عند المصريين» (سفر التكوين ٤٣، ٣٢).

وعلى العكس من ذلك، فقد جاء فى عصر الرعامسة فى التقرير عن الزفاف الحيثى الأول أن الجنود المصريين والحيثيين «أكلوا وشربوا معًا، وكانوا قلبًا (وروحًا واحدة) مثل إخوة»[٢٤]!

على أن آداب المائدة تلك الرامية إلى التمييز شىء، والاختلاط بالأجانب الذى لا يمكن تجنبه دائمًا شىء آخر. فعندما يجد براهمى متزمت من أفراد الطبقة العليا عند الهندوس نفسه مضطرًا إلى دعوة شخص لا ينتمى إلى هذه الطبقة - وهو أجنبى بصورة تلقائية - إلى الطعام فى منزله، فإن عليه بعدها إجراء طقوس نظافة معقدة لبيته. لكن عندما يجيب براهمى عن أسئلة شخص أوربى فضولى، فإنه على عكس ذلك ليس مضطرًا إلى فعل ذلك، كما فعل المصريون مع هيرودوت على نحو ما يُقال. لكن من البدهى أن الاتصالات بين أناس ينحدرون من أصول أجنبية عاشوا فى مصر والمصريين كانت يسيرة جدًا، عندما أصبح هؤلاء الأجانب مهيئين وفى استطاعتهم الاندماج والانصهار قدر جهدهم. ويُفترض أن الزيجات بنسوة من الأهالى الأصليين قد أسهم فى هذا الاندماج، إذ إن اكتساب قدر من معرفة اللغة التى يُتحدث بها يمكن أن يكون قد نُمِّى عن طريقهن أيضًا، وكذلك عنصر الألفة مع العادات الدينية والتصورات العقائدية. ولا يشهد بذلك فقط العدد الكبير من النذور الباقية (مثل التماثيل البرونزية وما شابه) التى قدمها أصحابها من الفينيقيين والكاريين واليونانيين إلى معابد مصرية، إضافة إلى قطع الأثاث الجنازى (مثل لوحات القبور والتوابيت، وما شابه)، فنحن لدينا أيضًا لوحة خشبية ملونة جاءت على الأرجح من تابوت فى

سقارة وعليها منظر لرجل وثلاث سيدات (لوحة ٢٢ ب) – وجميعهم من اليونانيين أو الكاريين – يسيرون فى موكب جنازى ومعهم بقرة («أم (ثور) أپيس») وثور[٢٥]. وبالرغم من ظهور هؤلاء الأشخاص الأربعة فقط – لأنهم ربما كانوا مقربين لصاحب الأمر بصفة خاصة أو كانوا ينتمون إلى جماعته –، فإنه من غير المحتمل تصور أن مصريين حقيقيين أيضًا لم يسيروا فى تلك الجنازة كذلك.

إن مشاركة أجانب بصورة فعَّالة فى وظائف لها واجباتها فى مجال العبادات والطقوس الدينية لحياة المصريين، شاهدناه بشكل ملموس فى أمثلة السورى الفينيقى خعحاپ، والمعينى زيدئيل، واليونانى أريستون: فالأول والثانى كانا ينتميان إلى طبقة الكهنوت المصرى فى منف، وكان أريستون على علاقة بطريقة ما بطيور الإيبيس المقدسة فى هيرموپوليس. وذكرنا أيضًا فى فصل الكاريين كاهن كواكيت، أى كاهنًا جنائزيًّا بسيطًا ذا اسم ليس له وقع مصرى تمامًا ...

وأعربنا عن الظن بأن الجنود من المرتزقة الأجانب وأتباعهم قد اكتسبوا معرفة اللغة المصرية من نسوة من الأهالى الأصليين. ولا نعرف إلى أى مدى بلغت الكفاية اللغوية بصفة عامة لهؤلاء الأجانب الذين عاشوا فى مصر، وإن كان اليونانيون بوجه خاص أبعد ربما من أن يكونوا أناسًا يتحدثون لغات كثيرة. وحين ينقل إلينا الطبيب المشهور جالينوس، أنه «كان يوجد فى عصر قديم شخص ثنائى اللغة، وأن ذلك كان معجزة أن يفهم ويتقن إنسان لغتين»[٢٦]، فإنه يصعب علينا اليوم الشعور بهذا الإعجاب ومشاطرته ذلك. فقد كانت الاتصالات الدولية من اختصاص التراجمة من الفينيقيين، والمصريين، والكاريين[٢٧]. ولم تصل إلينا للأسف قواميس أو كتب محادثة متعددة اللغات، مثلما نعرف أولها من بلاد الرافدين أو تلك الأخيرة من مصر القبطية.

لكن لا بد أنه كان يوجد سلفًا، وخاصة فى عصر الفرس وقبل البطالمة حركة ترجمة نشيطة – كتابة وشفاهة – عندما كانت الآرامية هى اللغة المشتركه لدولة الأخمينيين. ونذْكُر ببردية أمهرست ٦٣ الكبيرة (Amherst 63) المكتوبة بالديموطية، وإن كانت باللغة الآرامية، وهى ذلك الخطاب الذى جاء من مراسلات

فيريندانس (شكل ٥٥)، وهو فيما يبدو مترجم من الآرامية. ونذكِّر أيضًا بالبطاقات الآرامية الديموطية من منف (شكل ٦٢)، وكذلك بمجموعة تشريعات داريوس الأول. وفى ضوء التلاقى اللغوى والثقافى الوثيق بين أجانب ومصريين، نشهد أيضًا الرسوم الملونة Dipinti الآرامية فى بلدة الشيخ فضل، مع نص أدبى يُذَكِّر بصورة قوية بالقطع الإنشائية الديموطية لپتوباستيس وإيناروس. وقد ناقشنا كل هذه المصادر فى الفصل الرابع أو فى الفصل الخامس وما يتصل بمجموعة القوانين غير المحفوظة.

وبطبيعة الحال، فإنه يغلب على الظن أن المشاركة فى الأعياد – الذى كان مباحًا بدرجة ما – وكذلك اتخاذ عادات وأفكار دينية معينة تكررت الإشارة إليها، بل ربما أيضًا قدر من إتقان اللغة، أى كل ما نعده عناصر الاندماج، قد قلل من غربة الأجنبى فى محيطه الأقرب، أو انعدم هذا الشعور بصفة عامة على أحسن تقدير. وتقيدنا فيما يختص باستعمال تعبير 'المحيط الأقرب' مهم بالطبع، لأن «الغربة» قد تبدأ بالنسبة إلى المصرى، ولا سيما لمصرى العصر المتأخر عمومًا، مثلما تصفها التعاليم الديموطية لبردية إنزينجر P. Insinger، خارج نطاق مدينته أو قريته التى يعيش فيها[٢٨]. كذلك أثرت حدة المسافات على ذلك التباين المعروف بين الشمال والجنوب الذى لم يكن يقتصر على مصر؛ إذ تُستعمل كلمة «صعيدى»[*] فى نص ديموطى مرتين بوصفها تسمية وضيعة[٢٩]، ويتسع استخدامها حينا آخر لتصف الصعيدى بأنه «جبان من بلاد الصعيد». على أية حال، وكما يرى أسمان Assmann، فإنه بالنسبة إلى المصرى لم تكن لغته بمثابة «مُوَلِّد» للانتماء إلى مصر بأسرها، بل أيضًا سلالته، وديانته، ونظام معيشته، وأرضه المصرية جملة!

ولا يمكننا معرفة أية فترة زمنية يمكن أن تكون قد استغرقتها على وجه الخصوص عملية الاندماج والتمصير البالغ من حيث المظهر الخارجى؛ إذ إن المصادر تطبق الصمت تمامًا عن ذلك، بل حتى خعحاپ الذى تقلد أيضًا مناصب

(*) وفقًا للنص الديموطى الحرفى (*rmt-rsy*)، يستعمل المؤلف تعبير Südländer، بمعنى «جنوبى» (المترجم).

كهنوتية على الأقل يُصوَّر على لوحة قبره بزيه الأصلى (شكل ٣٣)، وما كان يفعل فنان هذا – حتى وإن كانت ذلك ليست رغبة المتوفى أو أن الأسرة هى صاحبة الأمر – لما كان هناك طابع قريب من الواقع فى مظهر ذلك السورى الفينيقى. وبعبارة أخرى، فإن قدرًا كبيرًا من التمصير نفسه لم يكن يستتبع بالضرورة استسلامًا ثقافيًا للأجانب – ومن ثَمَّ، فهم غالبًا ما يعيشون فى الواقع «حياة مزدوجة»، ويبرهن على ذلك الخلط فى الأسلوب الفنى، واللغة، والكتابة على قطع فنية كثيرة.

ومثلما هى الحال فى أماكن أخرى[٣٠]، فقد كان إلى جانب الملابس أيضًا الطعام فى مصر «دليلاً على الهوية الثقافية لشعب»، ويوجد نص أدبى متأخر يتهكم على الطهى النوبى[٣١].

هل كانت توجد فى مصر خلال عصرها المتأخر حالات من كراهية متناهية للأجانب، واضطهاد، وتمييز ضدهم؟ وطبقًا للأكليشيه المتواتر فى مصر طوال آلاف السنين فى النقوش الملكية ونقوش المعابد وتعاليم الحكمة ونصوص أخرى، فإن الأجنبى هو العدو الذى يهدد على الدوام بفناء نظام العالم[٣٢]– وإننا لنتذكر صروح المعابد ذات المنظر التقليدى السابق للملك وهو يضرب الأعداء المقيدين ببعضهم[٣٣]. ونشاهد مثل هذه التصورات شائعة تمامًا أيضًا خارج نطاق أسوار المعبد[٣٤]، لكن قلما نشهده فى الواقع غير الدينى والطقسى. ومن المؤكد أن المصرى كان مقتنعًا بتفوقه الحضارى ولم يحب الأجانب بوجه خاص، لكنه لم يضطهدهم أيضًا فى الأحوال العادية. إن التوترات المتنامية بين يهود ومصريين فى مصر بجزيرة إلفنتين فى عصر الفرس لم تكن من حيث المبدأ ناشئة عن يقظة قومية للمصريين، ولا على أساس تعصب تجاه أصحاب رأى مختلف؛ وبالرغم من ذلك، فإن الأسباب الحقيقية تبقى غير واضحة فى نهاية الأمر. ولا يمكن استبعاد أن الصدام مع نظامى معيشة صارم ومغالى فيه على كلا الجانبين، كان بمثابة حافز لذلك. فقد كان لليهود معبد ياهو، وللآراميين معابدهم «الوثنية» فى سوينه، وتباهى يونانيو ناوقراطيس بمجموعة من أماكن العبادة لا يُستهان بها.

وكما كان الأجانب يبجلون الآلهة المصرية كثيرًا بما فيه الكفاية، فإنه حسبما رأينا لم يحدث عكس ذلك أن اضطهدت «الدولة»، ولا «الكهنوت»، ولا «الشعب» عبادات أجنبية وأتباعها؛ على النقيض من ذلك، كانت توجد فى العصر المتأخر من جانب المصريين عبادة لآلهات الشرق الأدنى القديم عَنات وعَشتارت. ووفقًا للوحة من الأسرة السادسة والعشرين – إذا كان تفسيرها صحيحًا، غير أنه ليس مؤكدًا تمامًا، بالرغم من أنها وجدت قبولاً إيجابيًا من جانب المتخصصين فى التاريخ القديم[٣٥] –، يبدو أن الملك بصفته العليا قد قام بنفسه بتقديم الأضاحى لآلهة الجنود المرتزقة الأجانب. فقد جاء فى سياق حملة پسمَّاتيك الثانى على النوبة لعام ٥٩٣ فى الأثر المعروف باسم لوحة الشلال أن «جلالته أحضر قربانًا كبيرًا من الأبقار من ذوات القرون القصيرة والطويلة لسائر آلهة مصر العليا والسفلى وقربانًا(*) لآلهة حرسه الشخصى»[٣٦].

وبطبيعة الحال، فقد كانت تظهر توترات شديدة، بمجرد أن يزحف أجانب إلى مناطق مقدسة، مثلما حدث فى سياق أحداث الغزوات، والإجراءات العقابية، وعمليات السلب والنهب، واستعراضات القوة (من جانب الآشوريين والفرس)، لكن أيضًا عمليات أقل وحشية مثل مرابطة العسكر عند أطراف نطاق المعبد. ومن البدهى أن إنهاء هذه الحالة المذلة كان يقع على عاتق النخبة الكهنوتية؛ إذ تتحدث النصوص عن هذا أحيانًا، والشاهد الكلاسيكى *locus classicus* على ذلك هى نقوش وچاحوررسنت[٣٧]. وتحتوى بردية من سقارة[٣٨] تنحدر من بداية عصر الغزو المقدونى (شكل ١٢١) على أمر پويكِستاس Peukestas – وهو بالتأكيد الحاكم المعروف عند المؤرخ أرِّيانوس (3.5.5) – إلى قواته بعدم اقتحام أرجاء الأراضى الكهنوتية. ولا نعلم عما إذا كانت أية أحداث شديدة دافعًا إلى ذلك. ويمكن أن يكون وجود الجنود من المرتزقة الأجانب فى الأماكن المقدسة للبلاد قد أثار إلى حدٍّ ما مشاعر مشابهة لما هو عند المسلمين فى وقتنا الحالى بعسكرة الجنود الأمريكيين فى المملكة العربية السعودية، والعراق، وأفغانستان ...

(*) تُرجم أيضًا: قدمت الأضاحى (المؤلف).

وكما تقدم، ففي العصر المتأخر، تزايد من دون شك ما سمّاه يان أسمان[٣٩] J. Assmann «تفاقم حدة الحدود الثقافية» Verschärfung der kulturellen Grenzen، وذلك بسبب تجارب نفسية أليمة معينة مع الأجانب، حين تخربت المباني المقدسة والأشياء المادية المحسوسة والمنظورة، وحين حدثت اختطافات لتماثيل العبادة إلخ في عهد الآشوريين والفرس[٤٠]. ولا عجب أن يُغالى فى تشكيل صورة الأجنبى ليصبح جوهر النجاسة والدنس والتهديد بصفة عامة، وبوصفه شخصًا يستلزم إبعاده عن المعبد. وتصوغ نقوش معابد لاحقة هذه الضرورة فى حدة قوية، فهو «المكان المستتر للأقوياء فى بيت الصلاصل فى حالة تسلل المخربين إلى مصر، فلا يطأه هناك الآسيويون (عامو)، ولا يلحق البدو (شاسو) الضرر به»[٤١] إلخ، أو بشأن دار الحياة، التى «لا يجوز للآسيوى أن يدخلها، ولا يجوز أن يرى شيئًا البتة»[٤٢]. لكن علينا أن نمعن التفكير ثانية فى أن الدخول إلى أنحاء المعبد الداخلية للمصرى العادى غير المطلع فى الوسط الكهنوتى – وهؤلاء كانوا قلة للغاية! – كان مستحيلاً، بينما يمكن تصور عكس ذلك لأجنبى متمصر مثل خعحاب، عندما كانت لديه كل متطلبات رسمه كاهنًا، أن يجتاز العتبة إلى مسكن المعبود. ولم يكن بسهولة أيضًا إبعاد شخص ما مثل خعحاب عن معرفة العلوم المقدسة، مثلما تصورها كاتب كتاب الموتى من العصر الصاوى المحفوظ فى كولونيا بألمانيا: «إنه سر حقيقى لا ينبغى أن يعرف<ه> الحاونبوت فى أى مكان». وتأتى «حاونبوت» (قارن الفصل الخامس، حاشية ١٠٢) – وهى هنا فى صيغة حاوتيو-نبو – عوضًا عن الكلمة المستعملة فيما عدا ذلك فى هذا المكان، والشبيهة فى بدايتها بكلمة حاو-مِر، أى «غوغاء»، لكن هذا «الخلط» لم يكن مجرد صدفة محضة[٤٣] ...

وقد أُشيع عن بعض البلاد الأجنبية قوة تأثير هائلة فى مجال السحر، وهو أمر ذو حدين أثار الإعجاب والفزع معًا. وفى هذا الجانب يلوح ذلك غريبًا، على اعتبار أن لمصر فى العصور القديمة شهرة واسعة بوصفها موطن السحر نفسه، حيث جاء فى التلمود «وظهرت فى هذا العالم عشرة مكاييل من السحر، فتلقت مصر تسعة منها، ومكيالاً واحدًا لبقية العالم كله»[٤٤]، لكن فى مصر تُعَدُّ النوبة بوجه خاص موطن السحرة، ولا سيما الماهرين منهم. إن هذا التصور الذى أصبح

موضوعا يثير الإعجاب فيما يعرف باسم القصة الثانية لستنا Setne، ولا ينطوى وراءه شيء آخر سوى «الغرابة المقلقة» l'inquiétante étrangeté، لا بد أنه قد تم تأليفه قبل ذلك بكثير من الوقت[٤٥]. وكما يظهر المغربى فى قصص خرافية مصرية عربية بوصفه ساحرا أسودَ كئيبًا[٤٦]، فإن الأمر كذلك بالنسبة إلى الساحر النوبى فى القصة الثانية لستنا، فهو فى نهاية الأمر الشخص الأقل تفوقًا بالطبع. وإلى جانب ذلك، نُسب أيضا إلى سوريا وبلاد أجنبية أخرى دور فى هذا المجال. ففى مراسيم وحى النبوءة لعصر الانتقال الثالث، تؤكد الآلهة مرارا وتكرارا رغبتها فى حماية ربيبها «من سحر سورى، من سحر نوبى، من سحر ليبى، من سحر مصرى» إلخ (وما شابه)[٤٧]. وبينما تُقدَّر فى هذه المجموعة من النصوص قيمة جميع السحرة من السكان الأصليين والأجانب بالقدر نفسه *ex aequo*، تُصوَّب اللعنة إلى الأجانب منهم فقط فى ذيل مجموعة نصوص سحرية طقسية ذات رسوم من النصف الثانى للقرن الرابع، حيث جاء «ما يختص كل رجل من كل بلد أجنبية من النوبة وكوش وسوريا، الذى يمحو هذا الكتاب (...)، لا يجوز أن تُدفن جثثهم» إلخ[٤٨].

إن الاعتقاد فى التأثير الهائل (والخطير!) للسحر الأجنبى يتبدَّى كذلك فى استعمال صيغ سحرية غير مصرية معمول بها، لكونها ذات قوة عجيبة – وهى ظاهرة لها تقاليد عريقة فى مصر، لكن من المعروف أنها لا تقتصر إطلاقًا على هذا البلد. وقد شاهدنا قرب نهاية الفصل الرابع مثل هذا النوع من التعاويذ السحرية، ويُحتمل أن تكون آرامية بعض الشيء، وتنحدر من وادى الحمامات (شكل ٥٧). ولا تزال توجد فى مصر حتى اليوم 'لغة السُريانى'، التى تعنى «لغة العفاريت»، وهى فى الحقيقة لا تنتمى إلى لغة إنسانية يُتحدث بها أو مكتوبة[٤٩].

وفى نهاية الأمر، يجب إبراز حقيقة معينة، وإن كانت بالنسبة إلى مفاهيمنا أشياء مبتذلة تماما، وهى أن الأجانب كانوا يُعَدُّون «بشرًا» بالنسبة إلى المصريين، وأيضا طبقًا للمدلول نفسه. وما كنا نحتاج الإشارة بصورة إضافية إلى هذه الحقيقة غير الواضحة تماما، لولا أننا نقرأ كثيرًا أن المصريين كانوا يعتبرون أضرابهم

فقط (تقريبًا) «بشرًا» (رمثو)[٥٠]، إذ تُترجم پيروميس πιρῶμις المشتقة أصلاً من المصرية پا-رمث، أى «الإنسان» المشار إليها عند هيرودوت (الكتاب الثانى ١٤٣)، بمعنى «الرجل الفاضل» καλὸς κἀγαθός. وفى الواقع هناك ظاهرة معروفة جيدًا فى علم الأعراق البشرية، وهى أن بعض الشعوب تطلق على نفسها «بشرًا» فى مسمياتها الذاتية. وليس لزامًا علينا إطلاقًا أن نذهب بعيدًا إلى شعب الداياك فى جزيرة كاليمنتان بأندونيسيا للتعرف على ذلك، إذ إن كلمة «دُويتش(ه)» Deutsch(e)، أى «ألمان(ى)»، أيضًا معناها «ناس، شعب»[٥١] من حيث اشتقاقها التاريخى. لكن فى مصر فى عصر الدولة الحديثة على الأكثر، اهتُدى إلى عقيدة بأن الله يتدبر أمر كل الشعوب الأجنبية والمصريين كذلك، وإن اختلف لون البشرة واللغة، وأن تلك الشعوب الأجنبية لديها «نيل فى السماء»[٥٢]. ففى الساعة الخامسة من «كتاب البوابات» Pfortenbuch، أحد كتب العالم السفلى التى وُضعت منذ عهد حورمحب (نهاية الأسرة الثامنة عشرة) فى المقابر الملكية، يظهر مصريون، وآسيويون، ونوبيون، وليبيون، بالنص والصورة مجتمعين بوصفهم «ماشية رع»[٥٣] (شكل ١٢٢). وبالرغم من أن المنظر هنا يُصنف عادة بأنه «عالمى» kosmopolitisch، فإنه يُشار هنا إلى المصريين فى الواقع بوصفهم «بشرًا»، بينما تُسمى الشعوب الأخرى بأسمائها الشائعة[٥٤]. لكن توجد من الألفية الأولى قرائن كافية لذلك تبين أن المصطلح رمث استعمل أيضًا فى الإشارة إلى أجانب[٥٥]، وهم تحديدًا أجانب غير متمصرين إطلاقًا!

* * *

الآن، وقد وصلنا بصورة نهائية إلى خاتمة مدخلنا: ولا ريب أن هناك بعض الأشياء كان يمكننا معالجتها بأسلوب آخر؛ ولا ينبغى الإنكار بأن ولعًا وميولاً شخصية لبعض الجوانب قد لعبت أيضًا دورًا ما. ففى خاتمة كتابه الذى لا يزال جديرًا بالقراءة «تاريخ مصر القديمة»، كتب جاردنر[٥٦] Gardiner الجمل الآتية: «ونحن نعلن بصراحة أننا أردنا الدعاية من أجل البحث العلمى، وأننا لن نَعُدَّ أنفسنا قد حققنا مرادنا، إلا بنجاحنا على الأقل فى كسب تلميذ جديد فى ميدان هذا

البحث». وقد كان غرض مؤلف هذا الكتاب أيضا هو الدعاية بعض الشيء، ليس فقط من أجل رؤية واسعة الأفق ونظرة مستقيمة تتجاوز حدود منطقة معينة – وهو ما يجب علينا توقعه بصورة بدهية! –، لكن أيضا من أجل شيء من الاهتمام – أيًا كان ذلك الاهتمام سطحيًا بعيدا عن الجوهر أو في مرحلته الأولية – بكتابات ولغات خارج نطاق تخصصنا. فعلى سبيل المثال، عندما يكون باحث المصريات (ولنبقى في تخصصنا) قادرا من خلال الأشكال والتوضيحات في هذا الكتاب على التعرف على نقش لمخربشة معينة بوصفها كارية، أو فينيقية، أو قبرصية، أو عربية جنوبية قديمة، بل يشعر ربما أن لديه الحافز لدراسة هذه أو تلك اللغة وكتابتها بشيء من الدقة، فإن جهدي لم يكن سُدى.

هوامش الفصول

هوامش الفصل الأول : مصر والليبيون

[1] In Transkription *Ṯḥnw* und *Ṯmḥw*. – Vgl. zuletzt (für die Verhältnisse in der Spätzeit) L. Gestermann, *RdE* 52, 2001, 135ff.

[2] In Transkription *Mšwš*, *Rbw*, *'Isbt* und *Hs*. Die beiden letzteren Stämme (P. Harris 1, LXXVII 15, s. *BiAeg* V, 93,15 und 16; P. Grandet, *Le papyrus Harris I* (= *BdE* 109), Le Caire 1994, I 337; II pl. 78) sind wohl mit den 'Ασβύσται / 'Ασβύται und Αὐσέες Herodots (IV 170. 180. 191) identisch.

[3] J. Osing, in: *LÄ* III 1020.

[4] Vgl. G. Vittmann, in: *Gs Quaegebeur* II 1240.

[5] B. Haring, in: R. J. Demarée – A. Egberts (Hrsg.), *Village Voices*, Leiden 1992, 80.

[6] K*RI* IV 4, 14–15.

[7] K*RI* IV 4, 11.

[8] Damals versuchte Apophis, den Herrscher von Nubien auf seine Seite zu ziehen, um das Land auf Kosten des Kamose untereinander aufzuteilen.

[9] K*RI* IV 12ff.; bearbeitet von E. Hornung, in: *Fontes atque Pontes* (= *ÄAT* 5), Wiesbaden 1983, 224ff. Die von uns zitierte Stelle 227 und bei K*RI* IV 14, 10 – 15, 1. Die Vereinsamung des Fürsten, dem man seine Frauen geraubt hat, findet einen späten (aber wohl auf Zufall beruhenden) Nachhall in der Schilderung Antiochos' III. im sog. Raphia-Dekret (217 v.Chr.).

[10] Vgl. H. W. Fairman, *BIFAO* 43, 1945, 87 (i); Kuhlmann, *Ammoneion* 20 und Anm. 57.

[11] Vgl. Karte bei D. O'Connor, in: B.G. Trigger et al., *Ancient Egypt. A Social History*, Cambridge 1983, 273.

[12] Vgl. zu all diesem P. Grandet, *Ramsès III. Histoire d'un règne*, Paris 1993, 163f.

[13] Zum ersten Libyerkrieg Ramses' III. in seinem 5. Regierungsjahr s. K*RI* V 10ff.; W. F. Edgerton – J. A. Wilson, *Historical Records of Ramses III* (= *SAOC* 12), Chicago 1936, 4ff.; vgl. zusammenfassend Grandet, *Ramsès III* 179ff. und generell zu den Kriegen Ramses' III. Grandet, a.a.O. 161ff.; J. Trello, *Boletín de la Asociación Española de Egiptología* (Madrid) 10, 2000, 117ff. Wichtig für das tiefere Verständnis der historischen Situation ist der kürzlich erschienene Beitrag von K. Jansen-Winkeln, in: *Die nahöstlichen Kulturen und Griechenland* (...), Möhnesee 2002, 123ff.

[14] Nachweise für die obengenannten Zahlenangaben (der Deutlichkeit halber hier in Klammern beigefügt): K*RI* IV 8, 7 (6359); 9, 3 und 38, 4 (9376); K*RI* V 15, 13–14 und 18,12–15 (12860+12535+3000, wobei ich im Anschluß an O'Connor, a.a.O. 272 die letztere in vier Registern wiederholte Zahl vorsichtshalber nur einmal zähle); K*RI* V 44, 12 und 53, 7 (2175); 44, 11 und 53, 6 (2052); 53, 4 (1100 + [100]); 54, 8 (42721 ergänzt aus den Einzelposten; vgl. Edgerton – Wilson, *Historical Records* 67f.; K*RI* V 54, 1–8).

[15] Vgl. für diese positive Einschätzung Jansen-Winkeln, a.a.O. 128f.

[16] P. Harris I, LXXVII 4–6, vgl. *BiAeg* V, 93,17 – 94,5; P. Grandet, *Le papyrus Harris I* (= *BdE* 109), Le Caire 1994, I 337; II pl. 78; Jansen-Winkeln, a.a.O. 140.

[17] *KRI* V 53, 6–7; Edgerton – Wilson, *Historical Records* 66 und Anm. 27e. Zum zweiten libyschen Krieg Ramses' III. in seinem 11. Regierungsjahr vgl. zusammenfassend Grandet, *Ramsès III* 207ff.

[18] Vgl. S. Richardson, *JARCE* 36, 1999, 152ff.

[19] Vgl. zum folgenden Grandet, *Ramsès III* 176f.; speziell zu Zawiyet Umm er-Racham L. Habachi, *BIFAO* 80, 1980, 13ff.; S. Snape, *Egyptian Archaeology* (London) 11, 1997, 23f.; für die Westgrenze des Deltas S. Thomas, *MDIK* 56, 2000, 371ff.

[20] Vgl. K. A. Kitchen, in: *Libya and Egypt*, London 1990, 21.

[21] *KRI* V 91, 5–7; Übersetzung bei A. J. Peden, *Egyptian Historical Inscriptions of the Twentieth Dynasty*, Jonsered 1994, 63ff.; K. A. Kitchen, *Poetry of Ancient Egypt*, Jonsered 1999, 209ff. Vgl. auch ders., in: *Libya and Egypt*, 21; A. Gnirs, in: K. Raaflaub – N. Rosenstein (Hrsg.), *War and Society in the Ancient and Medieval Worlds*, Cambridge Mass. 1999, 90; Jansen-Winkeln, in: *Die nahöstlichen Kulturen und Griechenland* (...) 140.

[22] Vgl. G. Vittmann, *Altägyptische Wegmetaphorik*, Wien 1999, 91.

[23] P. Wilbour (ed. A. H. Gardiner), A 17, 14; A 23, 20; A 55, 7; vgl. Grandet, *Ramsès III* 173.

[24] Vgl. P. Wilbour, A 46, 28; 58, 43.

[25] K. A. Kitchen, in: *Libya and Egypt* 21 (zu *KRI* II 206, 15–16).

[26] B. Haring, in: *Village Voices* 71ff.; ders., in: *Atti sesto congr. intern. eg.* II 159ff. Zur Interpretation vgl. jetzt auch K. Jansen-Winkeln, in: *Die nahöstlichen Kulturen und Griechenland* (...) 135ff.

[27] Paianch war Vorgänger – nicht Nachfolger, wie früher immer angenommen – des oberägyptischen Machthabers Herihor, vgl. K. Jansen-Winkeln, *ZÄS* 119, 1992, 22ff.; ders., *GM* 157, 1997, 49ff.; A. Egberts, *GM* 160, 1997, 23ff.; J. H. Taylor, in: *Proceedings of the Seventh International Congress of Egyptologists* (= *OLA* 82), Leuven 1998, 1143ff.; A. Thijs, *GM* 177, 2000, 69.

[28] Zu dem hier gezeichneten Bild vgl. zuletzt Jansen-Winkeln, in: *Die nahöstlichen Kulturen und Griechenland* (...), 135ff. (mit bemerkenswerten Parallelen zwischen der Völkerwanderung und dem Untergang des Römischen Reiches). Das Zitat a.a.O. 142.

[29] Vgl. K. Jansen-Winkeln, *BN* 71, 1994, 78ff.

[30] A. Leahy, *Libyan Studies* (London) 16, 1985, 51ff.

[31] Facsimile bei P. Grimal, *La stèle triomphale de Pi(ankh)y* (= *MIFAO* 105), Le Caire 1981.

[32] Im Hinblick auf die akkadischen und griechischen Entsprechungen *La-me-in-tú* (Abb. 13) und Λαμενθις (vgl. auch demot. *Lmnṯ*, *Demot. Nb.* 725) gebe ich *Nmrṯ* annäherungsweise mit Namert (und nicht Nimlot oder gar Nimrod) wieder.

[33] Statue Kairo CG 657; Neupublikation von R. El-Sayed, *BIFAO* 81, 1981, 53ff.

[34] Vgl. G. Vittmann, *SAK* 10, 1983, 333ff.

[35] J. Yoyotte, *Mélanges Maspero* I/4 (= *MIFAO* 66), Le Caire 1961, 121ff.

[36] Assmann, *Ägypten* 346. Diese treffende Charakterisierung sollte aber nicht darüber hinwegtäuschen, daß Assmanns in der alten ägyptologischen Tradition stehende Sicht, die Libyer hätten den Ägyptern als voll assimiliert gegolten (a.a.O. 312), nach den neuen Forschungen keine Gültigkeit mehr beanspruchen kann; vgl. K. Jansen-Winkeln, *Or* 69, 2000, 4.

[37] Vgl. K. Jansen-Winkeln, *WdO* 30, 1999, 7ff.

[38] H. K. Jacquet-Gordon, *JEA* 46, 1960, 12ff. (hier 16 und pl. VII, Z. 7–9); K. Jansen-Winkeln, *Or* 69, 2000, 7.

[39] O. EL-AGUIZY, in: *Multi-Cultural Society* 91ff.

[40] Hierher gehört auch das Numidische, vgl. O. RÖSSLER, in: *Die Numider*, Bonn 1979, 95f. (nennt auch mehrere mit *mas* gebildete Personennamen wie z.B. *Mas-ilan* „Der Herr hat zu eigen" = latinisiert *Deushabet*).

[41] Ob irgendein Zusammenhang mit dem sudanesischen Herrschertitel *mek* möglich ist (im 19. Jahrhundert gab es in Schendi – in der Nähe von Meroe – einen durch seine Auseinandersetzungen mit der Familie des Mohammed Ali in die Geschichte eingegangenen Lokalherrscher Mek Nimr)? – Zum Titel *mk* vgl. jetzt B. BORLA – F. COLIN, *BSEG* 24, 2000, 18ff.

[42] Vgl. A. LEAHY, *Libyan Studies* 16, 1985, 60 mit Literatur.

[43] P. Moskau 127, V 5, s. R. A. CAMINOS, *A Tale of Woe*, Oxford 1977, pl. 11/12 und Kommentar S. 68 (vermutet Bezeichnung für „a warrior or soldier of a special class"); P. Kairo CG 30865, 6 (G. VITTMANN, *Enchoria* 27, 2001 [im Druck]).

[44] Vgl. R. STADELMANN, *MDIK* 27, 1971, 111ff.; C. TRAUNECKER, *Coptos* (= *OLA* 43), Leuven 1992, 387ff.

[45] Zu diesem vgl. C. INSLEY, *JEA* 65, 1979, 167ff.

[46] R. K. RITNER, *Enchoria* 17, 1990, 101 Anm. 1.

[47] Vgl. K. JANSEN-WINKELN, *BN* 71, 1994, 78ff.; ders., *Or* 69, 2000, 1ff.; ders., *Or* 70, 2001, 153ff. (bes. 164ff.).

[48] K. JANSEN-WINKELN, *BN* 71, 1994, 81.

[49] Vgl. K. JANSEN-WINKELN, a.a.O. 81f. und 91; ders., *Or* 70, 2001, 170ff.

[50] K. JANSEN-WINKELN, *WdO* 30, 1999, 18f.

[51] K. JANSEN-WINKELN, a.a.O. 16 und Anm. 48; ders., *AoF* 28, 2001, 172.

[52] Vgl. A. SPALINGER, *CdE* 53, 1978, 24.

[53] Vgl. zuletzt D. STOCKFISCH, in: M. SCHADE-BUSCH (Hrsg.), *Wege öffnen. Festschrift für Rolf Gundlach* (= *ÄAT* 35), Wiesbaden 1996, 315ff.

[54] J. DE MORGAN, *Kom Ombos*, Vienne 1895, Nr. 174 (*Ḥtt*) und 168. – Eine späte Erwähnung der Meschwesch (2. Jh. n.Chr.) auch in einer Fremdvölkerliste aus Komir (nahe Esna), vgl. M. GÖRG, *BN* 23, 1984, 14f.; ders., in: *Fs Huß* 380f.

[55] Für die Zeit Psammetichs I. vgl. H. DE MEULENAERE, *CdE* 31, 1956, 255f.

[56] Vgl. etwa *Die Verbotene Stadt. Aus dem Leben der letzten Kaiser von China*, Mainz 1997, 30 (P.-É. WILL); 108ff. (O. MOORE).

[57] Vgl. a.a.O. 184ff., bes. 185f. (N. STUPAR).

[58] Vgl. jetzt die Neuedition in *TAD* IV 254f. (D20.3) (die entscheidende Stelle wurde bis dahin falsch gelesen) und dazu J. YOYOTTE, *Trans* 9, 1995, 91.

[59] Vgl. jetzt L. GESTERMANN, *RdE* 52, 2001, 127ff.

[60] Nach der sog. Adoptionsurkunde der Nitokris, vgl. R. A. CAMINOS, *JEA* 50, 1964, 71ff.

[61] Vgl. J. QUAEGEBEUR, *AS* 21, 1990, 241ff.

[62] *T3-smṯk*, vgl. S. PERNIGOTTI, *SEAP* 1, 1987, 1ff.

[63] Vgl. zuletzt K. JANSEN-WINKELN, *Or* 69, 2000, 16 („deutlich libysch") mit Anm. 56. Für die zweite Namenshälfte *ṯk* verweist er auf die libyschen Namen *Ṯkrt* und *Jwṯk*. Für eine anatolische Herleitung plädierte J. D. RAY, *JEA* 76, 1990, 196f.

[64] Stele „Saqqara VII", s. H. GOEDICKE, *MDIK* 18, 1962, 26ff.; Neuedition P. D. MANUELIAN, *Living in the Past*, London 1994, 323ff. Vgl. auch PERNIGOTTI, *I Greci* 36ff.

[65] Für beide Zitate vgl. GOEDICKE, a.a.O. 34.

[66] Bemerkenswert ist, daß zweimal (in Z. 4 und 5 der Inschrift) auf die tribale Organisation der Libyer und ihrer Häuptlinge Bezug genommen wird. Ich halte es nämlich für sicher, daß Ritners Vorschlag (bei MANUELIAN, a.a.O. 329 Anm. 138 und 142), *mht* bzw. im Plural *mhwt* als „tribes / clans" zu verstehen, das einzig Richtige ist, auch wenn Manuelian (wie später dann Pernigotti) diesen Vorschlag nicht akzeptiert hat und für *thm* „mobilisieren" – trotz der verkehrten Zeichenstellung – plädiert.

[67] Stele Louvre E 10572, s. J.-CL. GOYON, *Les dieux-gardiens et la genèse des temples* (= *BdE* 93), Le Caire 1985, II, pl. XXXIV; vgl. auch I 156 Anm. 6 (Literatur). In der bildlichen Darstellung ist der Stifter dann freilich wieder der König, wie es die Theorie verlangte.

[68] R. K. RITNER, *Enchoria* 17, 1990, 101ff. Für die betreffende Quelle vgl. jetzt VITTMANN, *P. Rylands 9*.

[69] Zum Ursprung der Kalasirier (neben den Hermotybiern die zweite Soldatenkaste) vgl. J. K. WINNICKI, in: *Gs Quaegebeur* II, 1503ff.

[70] Vgl. BRIANT, *Histoire* 402 (vergleichende Tabelle nach Herodot III 90–94); 415.

[71] *Cahiers de la Délégation Archéologique Française en Iran* 4, Paris 1974, 207, fig. 23, Nr. XXI.

[72] P. Loeb 1 (früher irrig gelesen); s. G. VITTMANN, *Enchoria* 25, 1999, 123f.

[73] Thukydides I, 110,3; vgl. Kapitel V.

[74] Das folgende stützt sich stark auf KUHLMANN, *Ammoneion* 102ff. Es wird nicht jedesmal speziell darauf verwiesen.

[75] KUHLMANN, *Ammoneion* 102.

[76] Seth ist nicht nur Ausländer- und Wüsten-, sondern auch Oasengott. Auf der Großen Dachla-Stele (A. H. GARDINER, *JEA* 19, 1933, 19ff.) erscheint er als Orakelgott. Ein unpubliziertes hieratisches Ostrakon aus Charga im Metropolitan Museum enthält den Namen Sethnacht (*Swtḫ-nḫt*) „Seth ist stark".

[77] Originaltranskription *Rrwtt-nb*; vgl. J. OSING, in: *LÄ* V 968 Anm. 7. KUHLMANN, *Ammoneion* 104 liest dagegen *Phr-rwḏ-nb(.j)* „ein kräftiges Heilmittel ist mein Herr", doch hält P. DERCHAIN, *BiOr* 48, 1991, 800 (in seiner Besprechung dieses Buches) Osings „libysche" Lesung mit Recht für wahrscheinlicher.

[78] KUHLMANN, *Ammoneion* 107.

[79] KUHLMANN, *Ammoneion* 106.

[80] KUHLMANN, *Ammoneion* 102f. Der ägyptische Ausdruck ist *nb mꜣꜥ*.

[81] Vgl. F. PREISIGKE, *Namenbuch* (...), Heidelberg 1922, 109; D. FORABOSCHI, *Onomasticon alterum papyrologicum*, Milano 1971, 112; P. M. FRASER – E. MATTHEWS, *A Lexicon of Greek Personal Names*, I: *The Aegean Islands, Cyprus, Cyrenaica*, Oxford 1987, 168f.

[82] Vgl. H. DE MEULENAERE, *CdE* 31, 1956, 255f.; A. LEAHY, in: A. B. LLOYD (Hrsg.), *Studies in Pharaonic Religion and Society in Honour of J. Gwyn Griffiths*, London 1992, 146ff.

[83] Wichtigste Publikationen der einschlägigen Quellen: W. SPIEGELBERG, *Der Sagenkreis des Königs Petubastis*, Leipzig 1910; HOFFMANN, *Inaros*. Die Thematisierung dieser vergangenen Welt schließt natürlich eine Anregung und Befruchtung durch griechische Vorbilder nicht aus; vgl. hierzu H. J. THISSEN, *SAK* 27, 1999, 369ff.

[84] Vgl. VITTMANN, *„Riesen"* 28 (mit Literatur) und 34 Abb. 5.

[85] Vgl. E. GRAEFE, *Enchoria* 5, 1975, 13ff., bes. 14; M. SMITH, *The Liturgy of Opening the Mouth for Breathing*, Oxford 1993, 62 oben. Libyen wird hier *Pjt* genannt.

[86] *Ỉmḫjt*; vgl. J. OSING, *LÄ* III 1023.

[87] Zu Ha vgl. J. YOYOTTE, *ACF* 92, 1991/92, 627ff.; *ACF* 94, 1993/94, 667ff.

[88] Vgl. G. Vittmann, *ZÄS* 117, 1990, 87f.
[89] Kuhlmann, *Ammoneion* 64 Anm. 397.
[90] Vgl. *Demot. Nb.* 810.
[91] Vgl. G. Legrain, *ASAE* 15, 1915, 284ff.; M. Thirion, *RdE* 37, 1986, 134ff.; *Demot. Nb.*, Korrekturen und Nachträge zu S. 1160 (neuer Frauenname *T3-dj-št*). Zur Zeit Psammetichs I. gab es einen General namens Padischehdedit („Der, den Shehdedit gegeben hat"), der wohl Libyer war; vgl. Anm. 55.
[92] Vgl. etwa allgemein E. Lüddeckens, in: *Ägypten. Dauer und Wandel*, Mainz 1985, 105ff. und spezieller G. Vittmann, *Enchoria* 24, 1997/98, 90ff.

هوامش الفصل الثانى : علاقات مصر بآشور وبابل

[1] Ein literarischer Papyrus aus römischer Zeit (P. Krall, V 7) nennt *3slštnj* = Asarhaddon. Derselbe Herrscher wird auch in dem aramäischen literarischen Text von Schech Fadl genannt ('S<R>ḤDN, panel 12, 12); vgl. für beide Quellen Kapitel IV mit Anm. 62. Sanherib verbirgt sich wohl hinter der „pseudo-etymologischen" Wiedergabe *Wsḫ-rn=f* (vgl. *Demot. Nb.*, Nachträge zu S. 129 und Kitchen, *TIP* 459 Anm. 145.
[2] J. Leclant, *Montouemhat* (= *BdE* 35), Le Caire 1961, 199 (doc. 44) und 202f.; G. Vittmann, *Altägyptische Wegmetaphorik*, Wien 1999, 45f. (5.22).
[3] Leclant, a.a.O. 236f.; vgl. im Anschluß daran auch T. Schneider, *BN* 44, 1988, 70.
[4] Assmann, *Stein und Zeit* 278ff.
[5] Kitchen, *TIP* 398 hält dies als Alternative zu Leclants Deutung für möglich.
[6] Vgl. Vittmann, *P. Rylands 9*. Die betreffenden Stellen sind VI 16 und VII 3.
[7] Ilias IX 381–384 und Nahum 3, 8 ff.; vgl. T. Schneider, *BN* 44, 1988, 63ff. (mit Hinaufdatierung des Nahum); Schipper, *Israel* 224ff., und für die Ilias Schneider, a.a.O. 71 (mit Verweis auf W. Burkert, *Wiener Studien* [Wien] 10, 1976, 5ff. und der Vermutung, daß eine spätere Interpolation „vielleicht wahrscheinlicher" ist als Burkerts Spätdatierung des ganzen Epos).
[8] Deswegen nicht gesichert, weil akkad. *Muṣri* nicht notwendigerweise immer „Ägypten" bezeichnet, sondern auch andere Regionen (im Osttigrisland und in Nordsyrien); vgl. im Zusammenhang Schipper, *Israel* 144ff.
[9] Eine neue Gesamtedition der Inschriften dieses Herrschers liegt vor in H. Tadmor, *The Inscriptions of Tiglath-Pileser III King of Assyria*, Jerusalem 1994.
[10] Zum *bīt kāri* (im Sinne von „Handelsstation bzw. -zentrum") Tiglatpilesars III. (744–727) und Sargons II. (721–705) in der „Stadt vom Wadi / Bach Ägyptens" (*āl naḫal Muṣur*) bei El-Arish vgl. Eph'al, *Ancient Arabs* 92f.; 101ff.; Redford, *Egypt* 345.
[11] Vgl. H.-U. Onasch, *Die assyrischen Eroberungen Ägyptens* (= *ÄAT* 27), Wiesbaden 1994, I 5f.
[12] Onasch, a.a.O. 6.
[13] Vgl. zuletzt ausführlich B. U. Schipper, *BN* 92, 1998, 71ff.; ders., *Israel* 151ff.
[14] H. Goedicke, *BASOR* 171, 1963, 64ff.; akzeptiert u.a. von Redford, *Egypt* 346 und S. Aḥituv, in: I. Shirun-Grumach (Hrsg.), *Jerusalem Studies in Egyptology* (= *ÄAT* 40), Wiesbaden 1998, 3 Anm. 1.

[15] Vgl. Redford, *Egypt* 347. An eine Identifizierung mit Tefnachte denkt – mit Zitat der erwähnten Diodor-Passage – jetzt auch D. Kahn, *Or* 70, 2001, 13f. (der allerdings Anm. 75 als „most recent study on the subject" lediglich auf A.R.W. Green, *JNES* 52, 1993, 99ff. verweist).

[16] S. Anm. 13.

[17] *R'* „Re" ist in der Spätzeit nicht mehr als Personenname gebräuchlich; es könnte sich aber um *Rj* handeln (Spätzeit-Uschebti Kopenhagen A.A. 614). Vgl. auch Schipper, *Israel* 154 Anm. 250.

[18] Jesaja 20, 1; 2 Könige 18, 17.

[19] Vgl. Redford, *Egypt* 347f.

[20] Kalach-Prisma Sargons II.; übersetzt von R. Borger, in: *TUAT* I 382.

[21] Vgl. A. Mazar, *Archaeology of the Land of the Bible 10,000–586 B.C.E.*, New York 1992, 547.

[22] H. Tadmor, *JCS* 12, 1958, 77f.; Übersetzungen auch in *TUAT* I 383 (Borger) und Onasch, *Die assyr. Eroberungen* I 7. – Zum assyrisch-ägyptischen Pferdehandel vgl. L. A. Heidorn, *JNES* 56, 1997, 105ff.; generell zum ägyptisch-vorderorientalischen Pferdehandel ausgehend von 1 Könige 10, 28f. Schipper, *Israel* 73ff.

[23] J. Yoyotte, *Kêmi* 21, 1971, 52; vgl. jetzt M. Borla – F. Colin, *BSEG* 24, 2000, 21f.

[24] Vgl. Schipper, *Israel* 156 („kein Zweifel").

[25] L. Depuydt, *JEA* 79, 1993, 269ff. setzt den Feldzug um 709 an, was viel zu spät ist (er datiert Pianchi 728–706). D. Kahn, *Or* 70, 2001, 18 kommt unter Berücksichtigung der Tang-i Var-Inschrift zu dem realistischeren Ansatz 734/33.

[26] Vgl. S. 8 und Abb. 2.

[27] H.W.F. Saggs, *Iraq* 17, 1955, 134f. Nr. XVI und pl. XXXIII; vgl. Redford, *Egypt* 347 Anm. 135, wo auch auf R. F. Harper, *Assyrian and Babylonian Letters*, Chicago 1892–1914, Nr. 1427 verwiesen wird; Onasch, *Die assyr. Eroberungen* I 7.

[28] Khorsabad-Annalen 123–125 und „Große Prunkinschrift" 27; Übersetzung in *TUAT* I 380; 383 (Borger); vgl. Eph'al, *Ancient Arabs* 109.

[29] Vgl. hierzu auch J. Bär, *Der assyrische Tribut und seine Darstellung* (= *AOAT* 243), Neunkirchen – Vluyn 1996.

[30] Vgl. Schipper, *Israel* 155: „Auch wenn man nur schwer an ein Vasallenverhältnis glauben mag, so muß doch eine Unterordnung des ägyptischen Pharao gegenüber dem assyrischen König erfolgt sein."

[31] Vgl. A. Spalinger, *JSSEA* 11, 1981, 46–49 und fig. 3–4; Redford, *Egypt* 357 Anm. 185.

[32] J. Quaegebeur, in: *Fs Lipiński* 245ff.

[33] Vgl. zuletzt (mit Literatur) Vittmann, *P. Rylands 9*, 494f.

[34] Hauptquellen für Jamani von Asdod und sein Schicksal sind die „Große Prunkinschrift" Sargons II., Z. 95–112 (Übersetzung von R. Borger in *TUAT* I 384f.) und die Inschrift von Tang-i Var im Iran, vgl. unten. – In dem Namen (bzw. Appellativ) Jamani steckt etymologisch der „Ionier"; vgl. R. Rollinger, *RA* 91, 1997, 167ff. Ob der Mann wirklich griechischer Herkunft war (wie ich es für wahrscheinlich halte), ist ungeklärt. W.-D. Niemeier, *BASOR* 322, 2001, 16f. bezweifelt es; J. Boardman, ibid. 40 Anm. 9 erblickt in ihm einen „Cypriot Greek", vgl. in diesem Sinne auch P. Haider, in: *Wege zur Genese* 81f.

[35] Ninive-Prisma Sargons II., übersetzt von R. Borger, in: *TUAT* I 381.

[36] Zu diesem Datum vgl. Schipper, *Israel* 202 und Anm. 24.

[37] Vgl. (im Anschluß an das *Chicago Assyrian Dictionary*) A. Spalinger, *JARCE* 10, 1973, 97 und im Anschluß daran D. B. Redford, *JSSEA* 22, 1985, 7. D. Picchi, *Il conflitto tra Etiopi ed Assiri*

nell'Egitto della XXV dinastia, Imola 1997, 16 und Anm. 8 referiert beide Alternativen, ohne sich selbst auf eine festzulegen.

[38] So z.B. R. Borger, in: *TUAT* I 384.

[39] Zitiert von Redford, *Egypt* 351 Anm. 160.

[40] G. Frame, *Or* 68, 1999, 31ff.

[41] Zur Chronologie vgl. zuletzt überzeugend D. Kahn, *Or* 70, 2001, 1ff.

[42] Die beiden Zitate nach *Fischer Weltgeschichte* 4: *Die altorientalischen Reiche* III, Frankfurt 1967, 69.

[43] Übersetzung in *TUAT* I 388ff. (Borger). Originaltext bequem zugänglich bei R. Borger, *Assyrisch-babylonische Lesestücke* (= *Analecta Orientalia* 54), Roma 1979, I 73ff. (Transkription), II 329f. (Keilschrifttext). Zum Ägypten-Feldzug des Sanherib vgl. mit besonderer Berücksichtigung der Chronologie J. v. Beckerath, *UF* 24, 1992, 3ff. – Zu den Inschriften des Sanherib vgl. jetzt E. Frahm, *Einleitung in die Sanherib-Inschriften* (= *Beihefte AfO* 26), Horn 1997; Übersetzung der betreffenden Stelle S. 59; Transkription (und kritischer Apparat) S. 54 (Rassam-Zylinder, Z. 43ff.).

[44] 1996 wurde in Tel Miqne – Ekron eine Inschrift in einem lokalen nordwestsemitischen Alphabet entdeckt, welche die Widmung eines Tempels durch einen 'KYŠ, König von Ekron und Sohn eben jenes Padi, dokumentiert. Dabei werden die bisher nicht bekannten Vorfahren des Padi über drei Generationen hin angegeben; s. S. Gitin – T. Dothan – J. Naveh, *Israel Exploration Journal* (Jerusalem) 47, 1997, 1ff.; V. Sasson, *UF* 29, 1997, 627ff.

[45] So etwa Redford, *Egypt* 351ff.

[46] Vgl. in diesem Sinne Redford, *Egypt* 353 Anm. 163.

[47] Publiziert von M. F. Laming Macadam, *The Temples of Kawa*, I, London 1949; vgl. A. Spalinger, *CdE* 53, 1978, 22ff. Die im folgenden erwähnten Stelen aus dem 8. und 10. Jahr sind Nr. III und VI (Transkription und Übersetzung der letzteren jetzt in *Fontes hist. Nub.* I 164ff.). Vgl. auch Schipper, *Israel* 277.

[48] Publiziert von P. Vernus, *BIFAO* 75, 1975, 26ff.; vgl. auch *Fontes hist. Nub.* I 181ff. Nr. 26.

[49] A. Spalinger, *CdE* 53, 1978, 29ff.

[50] Edition und Bearbeitung der Inschriften des Asarhaddon R. Borger, *Die Inschriften Asarhaddons, Königs von Assyrien* (= *Beihefte AfO* 9), Graz 1956.

[51] Prisma A des Asarhaddon, II 65ff., übersetzt in *TUAT* I 395f. (Borger).

[52] Vgl. hierzu H. Verreth, *JAOS* 119, 1999, 237f.

[53] Zitiert von Onasch, *Die assyr. Eroberungen* I 18.

[54] J. Winnicki, *JJP* 24, 1994, 149ff. (speziell zu den Assyrern als Statuenräubern: 156ff. und 167).

[55] Vgl. H. Schmökel, *Ur, Assur und Babylon* (Ausgabe des Phaidon-Verlags, o.J.) 106 und Taf. 91. Die größere Figur dahinter stellt entweder Baal von Tyros oder Abdimilkutti von Sidon dar.

[56] Zincirli-Stele Z. 44ff., vgl. Onasch, a.a.O. I 24f.; II 17f.

[57] Prisma E des Assurbanipal, III 16–19; vgl. Onasch, a.a.O. I 94f.; II 29.

[58] Zur Okkupationspolitik Asarhaddons vgl. Onasch, a.a.O. I 30ff.

[59] H. Verreth, *JAOS* 119, 1999, 238f. Danach liegt der Ort eher im Gebiet von *Pr-Spdw*.

[60] Prisma A des Assurbanipal, I 89; vgl. Onasch, a.a.O. I 118f.

[61] Vgl. Onasch, a.a.O. II 24ff.; Einleitung und Übersetzung I 61ff.; R. Borger, *Beiträge zum Inschriftenwerk Assurbanipals: Die Prismenklassen A, B, C=K, D, E, F, G, H, J und T sowie andere Inschriften*, Wiesbaden 1996, 210ff. (mit Microfiche-Beilagen für die Keilschrifttexte).

[62] Vgl. vor allem BORGER, *Assyrisch-babylonische Lesestücke* I 89ff. (Transkription); II 336ff. (Keilschrifttext). Eine Transkription und Übersetzung gibt L. CAGNI, *Crestomazia accadica*, Roma 1971, 50ff.

[63] Haupttext: Prisma A des Assurbanipal, I 90–109; vgl. ONASCH, a.a.O. I 36ff. und 118f.; synoptische Transkription aller Textzeugen II 106ff. Vgl. jetzt BORGER, *Beiträge* 213.

[64] Vgl. S. 7ff.

[65] Die Ägypter bezeichneten die Herrscher fremder Länder üblicherweise als *wr* „Großer". Erst seit der Ptolemäerzeit ist dafür vereinzelt die Bezeichnung *pr-ꜥꜣ* „Pharao" nachweisbar (Antiochos III. im sog. Raphia-Dekret; die – nur literarisch bezeugte – Königin des Landes der Frauen in der späten Erzählung „Ägypter und Amazonen" wird regelmäßig als *pr-ꜥꜣ.t* bezeichnet).

[66] Vgl. ONASCH, a.a.O. I 40f.

[67] Vgl. VERRETH, *JAOS* 119, 1999, 239ff. Die frühere Liste steht in Assurbanipals Prisma C und nennt lediglich sechs Herrscher, die mit einer Ausnahme alle auch in dem jüngeren Prisma A aufgeführt werden (zu dieser Ausnahme vgl. Anm. 70).

[68] Vgl. *Demot. Nb.* 277 (*pꜣ-qrr*).

[69] Vgl. SPIEGELBERG, *Petubastis* 79* (552); HOFFMANN, *Inaros* 434.

[70] Vgl. G. VITTMANN, *SAK* 10, 1983, 333ff.; ONASCH, *Die assyr. Eroberungen* I 48ff. VERRETH, *JAOS* 119, 1999, 244 setzt als Vorgänger dieses Bukunani'pi den im Assurbanipal-Prisma C 89 erwähnten [...]au von Athribis (der also zwischen 671–667 regiert haben müßte) an. Vgl. auch a.a.O. 239 mit Anm. 50 mit Zitat der Lesung des unvollständig erhaltenen Herrschernamens als ˡx-[ ]-EZEN?-*a-u* durch Borger. In welchem Verhältnis dieser [...]au zu der lokalen Dynastie von Athribis steht, ist völlig unklar. Ebenso unklar sind Lesung und Ergänzung des Namens. Das Zeichen EZEN hat die Lautwerte *sar* / *šar*. Das läßt an einen Namen [...]*s-r=w* „[...]s ist gegen sie (Pl.)" denken, doch ist dies sehr unsicher. Vgl. auch ONASCH, a.a.O. 42.

[71] A. LEAHY, *GM* 35, 1979, 31ff.

[72] Vgl. LECLANT, *Montouemhat* (Anm. 2).

[73] Prisma A, I 110–114, vgl. ONASCH, *Die assyr. Eroberungen* I 118f.

[74] Prisma A, I 118–126; vgl. ONASCH, a.a.O. 120f.

[75] Zur Revolte der Deltafürsten und der Begnadigung Nechos vgl. ONASCH, a.a.O. 151ff.

[76] Vgl. ONASCH, a.a.O. 153f. (trennt mit *Chicago Assyrian Dictionary*, A, pt. I, 357 dieses *allu* von dem gleichlautenden sumerischen Lehnwort mit der Bedeutung „Hacke").

[77] In assyrischer Wiedergabe UR-*da-ma-né-e*; vgl. synoptische Transkription bei ONASCH, a.a.O. II 127. Das erste Zeichen (UR) kann *ur*, *lik* oder *taš* gelesen werden; nur die letztere Lesung (also *Taš-da-ma-ne-é* = *Tašdamanê*) läßt sich mit der mutmaßlichen Aussprache „Tanwatamani" (o.ä.) entfernt in Verbindung bringen. Russische Ägyptologen gehen indessen von der Lesung Urdamane aus, das sie offenbar lautlich stillschweigend mit dem *Wr-t(p)j-imn-nw.t* im demotischen P. Krall identifizieren, aber jedenfalls auf die Person des Könis Tanwatamani beziehen, vgl. A. O. BOLSHAKOV – A. G. SOUSHCHEVSKI, *GM* 164, 1998, 23 (Anm. 70 mit Berufung auf die Beweisführung durch O. D. Berlev, aber leider ohne Literaturangabe).

[78] Maßgebliche Neuedition N.-C. GRIMAL, *Quatre stèles napatéennes au Musée du Caire* (= *MIFAO* 106), Le Caire 1981, Übersetzung bei ONASCH, a.a.O. I 129ff. Transkription, Übersetzung und zusammenfassender Kommentar von L. TÖRÖK in *Fontes Hist. Nub.* I 193ff. Nr. 29.

[79] Zur Plünderung Thebens vgl. ONASCH, a.a.O. 156ff. (mit Hinweis auf die Darstellung der beiden Obelisken im Grab des Puiemre [Grab Theben 39] aus der 18. Dyn.; vgl. C. DESROCHES-NOBLE-

court, *RdE* 8, 1951, 47ff.; L. Habachi, *Die unsterblichen Obelisken Ägyptens*, Mainz 2000, 47f. mit Abb. 49).

[80] L. Gestermann, *Hallesche Beiträge zur Orientwissenschaft* (Halle) 29, 2000, 63ff.

[81] W. M. F. Petrie, *Six Temples at Thebes*, London 1897, 18f. und pl. XXI; T. Schneider, *BN* 44, 1988, 70; Schipper, *Israel* 226 Anm. 174.

[82] Vgl. hierzu A. J. Spalinger, *JAOS* 98, 1978, 400ff.

[83] Vgl. zum Thema A. I. Ivantchik, *Les Cimmériens au Proche Orient* (= *OBO* 127), Freiburg Schweiz – Göttingen 1993.

[84] Onasch, *Die assyr. Eroberungen* I 158.

[85] Prisma A II 114–115, vgl. Borger, *Beiträge* (Anm. 61) 219.

[86] W. Struve, *ZÄS* 62, 1927, 66; Onasch, a.a.O. 14f.; vgl. auch Schipper, *Israel* 267.

[87] Vgl. die Angaben in der Bibliographie sowie die von Schipper, a.a.O. 268f. besprochene Liste.

[88] Enthalten in J. N. Postgate – B.K. Ismail, *Texts from Niniveh* (= *Texts in the Iraq Museum* XI), o.J./o.O. (ca. 1993), passim (vgl. hierin A. Leahy, „The Egyptian Names", 56–62). Die ägyptischen Originalformen der drei nachfolgend genannten Personennamen lauten *Pꜣ-dj-ꜣs.t* ("Der, den Isis gegeben hat), *Pꜣ-dj-mꜣj-ḥsꜣ* („Der, den Miysis [= 'grimmig blickender (Löwe)'] gegeben hat"), *'r=w-Ḥp-r-Mn-nfr* („Sie haben den Apis nach Memphis gebracht"). Die betreffenden Urkunden sind Nr. 14 und 15.

[89] H. Ranke, *Keilschriftliches Material zur altägyptischen Vokalisation* (= *Abhandlungen der Königl. Preussischen Akademie der Wissenschaften*), Berlin 1910.

[90] A. Spalinger, *SAK* 5, 1977, 222.

[91] Zu den Skythenzügen s. Herodot I 105–106; zur Einnahme von Asdod Herodot II 157 und dazu Schipper, *Israel* 233 und Anm. 211.

[92] Vittmann, *P. Rylands 9* (Col. VIII 14).

[93] Text É. Chassinat, *RecTrav* 22, 1900, 166 Nr. LXXXIX (eine Neuedition wäre wünschenswert: steht in Z. 10 *smr-njswt*, wie Chassinat hat – und wie mir wegen des typischen Determinativs plausibler scheint –, oder *sḥḏ-njswt*, was Spalinger, *SAK* 5, 1977, 228 gibt?). Vgl. auch Schipper, *Israel* 230f.

[94] Wadi-Brisa-Inschrift Nebukadnezars II., B IX 23–25; Übersetzung in *TUAT* I 405 (Borger); vgl. Spalinger, a.a.O.; D. J. Wiseman, *Nebuchadrezzar and Babylon*, Oxford 1985, 22.

[95] Erstpublikation G. Steindorff, *JEA* 25, 1939, 30–33. Die Spätdatierung etwa bei Spalinger, a.a.O. 229; B. Porten, *The Biblical Archeologist* (Missoula) 44, 1981, 44 (nach Albright); Redford, *Egypt* 442 ("probably of Saite date").

[96] Vgl. hierzu Näheres in Kapitel III, S. 57.

[97] Dieser ist nicht, wie gelegentlich behauptet, einfach mit Assurbanipal gleichzusetzen.

[98] *Fischer Weltgeschichte* Bd. 4, 98 (Labat).

[99] 2 Könige 23, 29–30; 2 Chronik 35, 20–25. In Megiddo konnte eine aus der Zeit nach 616 datierende Festung Psammetichs I. identifiziert werden, vgl. A. Malamat, *JANES* 5, 1973, 267ff.

[100] Schipper, *Israel* 234ff. (das Zitat 235) im Anschluß an N. Na'aman, *Tel Aviv* (Tel Aviv) 18, 1991, 51ff.

[101] Pithom-Stele Z. 10; vgl. zur Stelle (mit Literatur) C. Thiers, *GM* 157, 1997, 95ff.

[102] Zu den Ereignissen vgl. – mit Übersetzungen aus der sog. „Babylonischen Chronik" – *Von Sinuhe bis Nebukadnezar* 189ff.

[103] B. PORTEN, a.a.O. (Anm. 95) 35ff.; *TAD* I, 6f. (A1.1). Vgl. auch WISEMAN, *Nebuchadrezzar* 25. Zum demotischen Adressenvermerk s. G. VITTMANN, *Enchoria* 25, 1999, 124ff.

[104] Transliteriert PR'H wie im Hebräischen (vgl. auch assyr. *pir'u*).

[105] Col. XIV 17–18; vgl. VITTMANN, *P. Rylands 9* und zum historischen Hintergrund SCHIPPER, *Israel* 242ff.

[106] Lachisch-Ostrakon Nr. 3; vgl. *KAI* 193; *Von Sinuhe zu Nebukadnezar* 197; *TUAT* I 621f. (D. CONRAD); J. RENZ, *Die althebräischen Inschriften*, I, Darmstadt 1995, 412ff. (Nr. 3); Facsimiles des hebräischen Originaltextes III, Darmstadt 1995, Taf. XLIX,4 und L,1. Zum Thema vgl. SCHIPPER, *Israel* 245f.

[107] Zum Schicksal des Reiches Juda unter Nebukadnezar vgl. O. LIPSCHITS, *UF* 30, 1998, 467ff.

[108] Vgl. P.-M. CHEVEREAU, *Prosopographie des cadres militaires égyptiens de la Basse Époque*, Paris 1985, 324f.

[109] Zu diesem Terminus (von ägypt. *pꜣ tꜣ-rsj* „das Südland") vgl. VITTMANN, *P. Rylands 9*, 287ff.; M. GÖRG, in: *Ägypten und der östliche Mittelmeerraum* 23ff.

[110] Daran ändert nichts, daß Ägypten in einem babylonischen literarischen Text zu den Ländern gehört, in denen Nebukadnezar, der „König der Gerechtigkeit" (*šar mīšarim*), siegreich war: W. G. LAMBERT, *Iraq* 27, 1965, 7 (Transkription, Vso V 20); 10 (Übersetzung); vgl. WISEMAN, *Nebuchadrezzar* 22.

[111] D. J. WISEMAN, *Chronicles of Chaldaean Kings (626–556 B.C.) in the British Museum*, London 1956, 94f. (Beschreibung) und pl. XXI (BM 33041); E. EDEL, *GM* 29, 1978, 16 und 20 Anm. 6 und (ohne Berücksichtigung von Edels Artikel) WISEMAN, *Nebuchadrezzar* 39f.

[112] EDEL, a.a.O. 15f.

[113] EDEL, a.a.O. 13ff.

[114] D. VALBELLE, in: *Fs Leclant* IV 379ff.

[115] *mḥ-jb*. So wurden auch die vorher genannten Asiaten bezeichnet!

[116] Zur Abstammung des Amasis vgl. G. VITTMANN, *Or* 44, 1975, 380.

[117] Erst in jüngster Zeit konnten in dieser Region Felsinschriften von verschiedenen Begleitern des Nabonid in „taimanischer" Schrift identifiziert werden; vgl. W. W. MÜLLER – S. F. AL-SAID, *BN* 107/108, 2001, 109ff.

[118] Vgl. (mit Literatur) H.-J. THISSEN, *Enchoria* 23, 1996, 145ff.; T. S. RICHTER, *Enchoria* 24, 1997/98, 54ff.

[119] Vgl. G. COLIN, *RdE* 46, 1995, 43ff.

[120] Zu den Nennungen Jojachins auf Zuteilungslisten aus Babylon vgl. *Von Sinuhe bis Nebukadnezar* 195f.; M. GERHARDS, *BN* 94, 1998, 64ff.

[121] Vgl. A. C. V. M. BONGENAAR – B. J. J. HARING, *JCS* 46, 1994, 59ff. und generell für Ägypter in Assyrien und Babylonien die Bibliographie. Vgl. auch SCHIPPER, *Israel* 269.

[122] Dazu und zum folgenden vgl. I. EPH'AL, *Or* 47, 1978, 76ff. Der zitierte Keilschrifttext hat das Siglum Camb. 85.

[123] Vgl. SCHIPPER, *Israel* 269f.

[124] Von ägyptisch *ḥrj-tp* „Magier"; im Alten Testament als (hebr.) *ḥarṭummīm*, (aram.) *ḥarṭummīn* (beides Plural zum nicht belegten Singular **ḥarṭom*) bezeugt. Den Versuch von H. GOEDICKE, *Or* 65, 1996, 24ff., *ḥarṭummīm/n* von *ḥrj-tmꜣ* „der auf der Matte" abzuleiten, betrachte ich als mißglückt.

[1] M. Görg, in: *Fs Hufs* 379 meint, daß sich in griechisch-römischer Zeit *fnḫw* und Φοίνικες lautlich und semantisch entsprochen hätten, was auch immer die primäre Etymologie gewesen sei. Ich würde lieber nur von einem vagen lautlichen Anklang sprechen.

[2] Vgl. Chadwick, *Documents* 573 (mehrere Belege).

[3] W. Spiegelberg, *Der demotische Text der Priesterdekrete von Kanopus und Memphis (Rosettana) mit den hieroglyphischen und griechischen Fassungen*, Heidelberg 1922, 10f. (A 5 = B 18 = C 9) und 68 (griech. Fassung Z. 17).

[4] Zur Frage nach Ursprung und „Werden" der Phöniker vgl. an neueren Arbeiten M.-E. Aubet, *The Phoenicians and the West*, Cambridge 1993, 5ff.; S. Moscati, in: *Die Phönizier* 24f.; G. Garbini, *La Parola del Passato* (Napoli) 48, 1993, 321ff.; W. Röllig, in: *I Fenici: ieri oggi domani*, Roma 1995, 211ff., mit Literatur; P. Xella, ibid. 142f.; S. Moscati, *Nuovi studi sull'identità fenicia*, Roma 1993.

[5] Vgl. J. E. Hoch, *JSSEA* 20, 1990(1993), 115ff. mit Literatur.

[6] Neue Übersetzung von G. Moers, in: *TUAT* III 912ff. (mit Literatur). Gegen die übliche Ansicht, daß das erhaltene Manuskript unvollständig sei, wendet sich F. Haller, *GM* 173, 1999, 9; dazu bestätigend E. Graefe, *GM* 188, 2002, 73ff. – Zum „Wenamun" als Quelle der Beziehungen Ägyptens zu Syrien-Palästina vgl. v.a. J. Leclant, in: W. A. Ward (Hrsg.), *The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations*, Beirut 1968, 9ff. und den unten Anm. 17 zitierten (und ausführlich herangezogenen) Beitrag von G. Bunnens. Eine neue juristische Analyse des „Wenamun" bietet jetzt – mit in-extenso-Zitaten der betreffenden Abschnitte – R. de Spens, in: *Commerce* 105ff. Vgl. auch K. Schipper, *Israel* 56ff.

[7] Vgl. etwa J. Osing, in: *Festschrift C.D.G. Müller*, Köln 1988, 37ff.; A. Scheepers, in: *Amosiadès. Mélanges offerts au Professeur Claude Vandersleyen*, Louvain-la-Neuve 1992, 355ff. ("Wenamun" als literarische Verarbeitung eines authentischen Berichtes; nicht als rein literarisch oder nichtliterarisch zu klassifizieren). A. Erman, *ZÄS* 38, 1900, 2 erblickte in dem Text einen Tatsachenbericht und wollte „ihn sogar für das Original oder die aktenmäßige Kopie halten". Vgl. jetzt auch J. Baines, in: J. Assmann – E. Blumenthal, *Literatur und Politik im pharaonischen und ptolemäischen Ägypten* (= *BdE* 127), Le Caire 1999, 209ff., wonach die Wenamun-Erzählung „a work of fiction and not a report" ist und kein Grund besteht, die Frage offen zu lassen (S. 233) und in diesem Sinne G. Moers, in: ders. (Hrsg.), *Definitely: Egyptian Literature*, Göttingen 1999, 43ff.; ders., *Fingierte Welten in der ägyptischen Literatur des 2. Jahrtausends v.Chr. Grenzüberschreitung, Reisemotiv und Fiktionalität* (= *Probleme der Ägyptologie* 19), Leiden etc. 2001 (hierin zu Wenamun speziell 44ff. [Zusammenstellung bisheriger Einschätzungen]; 74ff.; 140ff. und 263ff.; 273ff. zum Moskauer Literarischen Brief). Leider konnte diese wichtige Monographie für unser Buch nur mehr peripher herangezogen werden.

[8] Zu diesen beiden Texten s. R. A. Caminos, *A Tale of Woe*, Oxford 1977; Vittmann, *P. Rylands 9*.

[9] A. H. Gardiner, *Geschichte des alten Ägypten*, Stuttgart 1965, 340 (die englische Originalausgabe *Egypt of the Pharaohs*, Oxford 1961, 306 bezeichnet die betreffende Frage als „academic"). K. Jansen-Winkeln, *OLZ* 96, 2001, 684 (in einer Besprechung zu G. Moers [Hrsg.], *Definitely: Egyptian Literature*) bemerkt m. E. immer noch mit Recht: „Aber es ist ja auch recht belanglos, ob Wenamun oder Tjekerbaal tatsächlich gelebt haben oder nicht. Viel wichtiger ist, daß wir hier ein offenbar zutreffendes Bild der Zeit haben."

[10] *Mngbt*, vgl. hierzu T. Schneider, *Asiatische Personennamen in ägyptischen Quellen des Neuen Reiches* (= *OBO* 114), Freiburg Schweiz – Göttingen 1992, 127f. (N 272).

[11] Odyssee VII 39; XV 415 (ναυσικλύτοι).

[12] Vgl. noch Redford, *Egypt* 252.

[13] E. Edel, *BN* 23, 1984, 7f.

[14] Vgl. E. Stern, in: S. Gitin et al. (Hrsg.), *Mediterranean Peoples in Transition. Thirteenth to Early Tenth Centuries BCE. In Honor of Professor Trude Dothan*, Jerusalem 1998, 345ff.

[15] Nach dem Zeugnis der großen Eschmunazar-Inschrift, vgl. unten Anm. 71.

[16] J. Černý, *Late Ramesside Letters* (= *BiAeg* 9), Bruxelles 1939, 36,12 (= Nr. 21, 9-vso 1); Übersetzung E. Wente, *Letters from Ancient Egypt*, Atlanta 1990, 183 Nr. 301.

[17] G. Bunnens, *RSF* 6, 1978, 1ff. Dieser Artikel ist für die folgenden Ausführungen grundlegend.

[18] Übersetzung bei Moran, *Lettres* 191.

[19] Positiv äußerte sich z.B. M. Botto, *EVO* 11, 1988, 135 (unter Berufung auf A. Mele). Eine stark abweichende Sicht vertritt A. Möller, *Naukratis*, Oxford 2000, 59; vgl. hier S. 210f.

[20] Vgl. R. de Spens, in: *Commerce* 122 mit Verweis auf M. Liverani, *Prestige and Interest. International Relations in the Near East ca. 1600–1100 B.C.*, Padua 1990, 247ff. Vgl. auch Schipper, *Israel* 56 Anm. 267.

[21] Diese Passage wird in der Literatur stark unterschiedlich übersetzt; vgl. die Diskussion bei J. Winand, *GM* 139, 1994, 95ff. mit früherer Literatur. Die obige Übersetzung versucht, Grammatik und Syntax einerseits wie innerer Logik und Kohärenz andererseits gerecht zu werden.

[22] Kilamuwa-Inschrift (*KAI* 24; Gibson, *Textbook* III 13), 12–13; übersetzt in *TUAT* I 639 (H.-P. Müller).

[23] Vgl. Botto, a.a.O. 118 (Getreide, Leinen, Byssos) und 128 (Tiere).

[24] In freier, sinngemäßer Übertragung „Wie großartig ist doch Ägypten, die Mutter der Welt!" Ich greife hier einen mir unvergeßlichen Ausruf auf, den ich vor vielen Jahren aus dem Munde ägyptischer Besucher der ägyptischen Abteilung des Wiener Kunsthistorischen Museums vernommen habe.

[25] *Pꜣ-n-jmn* (demot. *Pa-ỉmn*); vgl. Ranke 106, 8; *Demot. Nb.* 350.

[26] Zu Alašija = äg. *Jꜣsj*, *Jsj* (neben späterem *Jrs*) = Zypern vgl. zuletzt mit überzeugenden Argumenten F. J. Quack, *Ä&L* 6, 1996, 75ff., bes. 79ff.

[27] Zur Bevölkerung Zyperns speziell im 11. Jh. (Phöniker, Griechen, Eteokyprer) vgl. O. Negbi, in: *Fs Dothan* (Anm. 14) 87ff.

[28] Vgl. Schneider, *Asiat. Personennamen* 173 (N 367), mit semitischen Parallelen. Der Koran (Sure 111, 4) erwähnt übrigens eine völlig negativ und als sozial tiefstehend konnotierte *ḥammālata l-ḥaṭab* „Brennholzträgerin".

[29] H. Satzinger, *LingAeg* 5, 1997, 171ff.; danach auch Moers, *Fingierte Welten* (Anm. 7) 74f.

[30] Vgl. jetzt A. Egberts, *GM* 172, 1999, 17ff.

[31] Vgl. Schneider, a.a.O. 256f. (N 553).

[32] B. Sass, *The Genesis of the Alphabet and its Development in the Second Millennium B.C.* (= *ÄAT* 13), Wiesbaden 1988, 84 und Abb. 212–213. Diese – freilich unsichere – Identität erwägt H. Klengel, *Syria 3000 to 300 B.C. A Handbook of Political History*, Berlin 1992, 186 (vgl. auch 181).

[33] Aus der reichen Literatur sei hier nur die Übersetzung in *TUAT* II 582ff. (C. Butterweck) genannt.

[34] S. F. Bondi, in: S. Moscati (Hrsg.), *Die Phönizier*, o.J. (deutsche Ausgabe des Begleitbandes zur großen Phönikerausstellung Venedig 1988) 35; Detailphoto vom Sarkophag auf S. 127.

[35] Farbige Abbildung in *Die Phönizier* 305. J. Leclant, in: Ward, *The Role of the Phoenicians* 19 spricht konkret von „l'amalgame des thèmes égyptiens et perses".

[36] M. Chehab, in: Ward, *The Role of the Phoenicians* 8 und pl. VIb.

[37] Vgl. J. Leclant, in: Ward, *The Role of the Phoenicians* 12f. und pl. VIIIa. Die beiden Inschriften sind ediert und kommentiert *KAI* 5–6; Gibson, *Textbook* III 7–8. Vgl. auch Schipper, *Israel* 173ff.; P. Xella, in: *Fs Huß* 21ff.

[38] Die Präposition B ist öfters in der Bedeutung „aus" belegt; vgl. J. Friedrich – W. Röllig, *Phönizisch-punische Grammatik*, Rom 1999³, §283.1a.

[39] Vgl. G. Scandone, *RSF* 12, 1984, 159; M. Botto, *EVO* 11, 1988, 128f.

[40] Vgl. J. Leclant, in: Ward, *The Role of the Phoenicians* 13 unten und 25 (36) (Literatur); Scandone, a.a.O. 139; M. Yon – A. Caubet, *Trans* 6, 1993, 54f. mit pl. III,7 (*non vidi*; ich entnehme den Verweis E. Gubel, in: *Ägypten und der östliche Mittelmeerraum* 72 – scheint anzunehmen, daß es sich sich um denselben Penamun wie im „Wenamun" handelt (!) – Anm. 18).

[41] H. G. Fischer, in: *Ancient Egypt in the Metropolitan Museum Journal*, New York 1977, 122ff.; vgl. auch Scandone, a.a.O. 144.

[42] Text und Übersetzung der ägyptischen Inschriften bei K. Jansen-Winkeln, *ZÄS* 116, 1989, 143ff.

[43] R. Borger, *Die Inschriften Asarhaddons, Königs von Assyrien* (= *Beihefte AfO* 9), Graz 1956, 8 § 5. Vgl. auch schon die Transkription und Übersetzung durch A. Falkenstein bei F. W. von Bissing, *Zeitschrift für Assyriologie* (Leipzig, später Berlin) 46, 1940, 159 (und 156 Abb. 8a/b).

[44] Zu den Aegyptiaca aus Almuñécar vgl. zusammenfassend I. Gamer-Wallert, *Ägyptische und ägyptisierende Funde von der Iberischen Halbinsel* (= *Beihefte zum Tübinger Atlas des Vorderen Orients*, Reihe B, Nr. 21), Wiesbaden 1978, 19ff.

[45] Jansen-Winkeln, *ZÄS* 116, 1989, 143ff. (Nr. 1).

[46] Vgl. hierzu L. Agostiniani, *Le „iscrizioni parlanti" dell'Italia antica*, Firenze 1982.

[47] Vgl. hierzu ablehnend K. Jansen-Winkeln, *ZÄS* 116, 1989, 146.

[48] Jansen-Winkeln, a.a.O. 151f. (Nr. 5).

[49] Vgl. M. Botto, *EVO* 11, 1988, 129f.

[50] S. Pernigotti, in: *Momenti precoloniali* 267ff.

[51] M. E. Aubet Semmler, in: *Die Phönizier* 233.

[52] Darauf macht mich G. Hölbl aufmerksam.

[53] Vgl. G. Hölbl, *Beziehungen der ägyptischen Kultur zu Altitalien*, 2 Bände (= *EPRO* 72), Leiden 1979.

[54] Hölbl, a.a.O. I 278f.; II Taf. 151.

[55] Vgl. hierzu J. Padró, *ASAE* 71, 1987, 213ff.; ders., in: *Commerce* 44f. und besonders A. Leahy, in: J. Curtis (Hrsg.), *Bronze-working Centres of Western Asia*, London 1988, 297ff.

[56] Beide Statuetten bei J. H. Breasted, *Geschichte Ägyptens*, Zürich 1954, Abb. 143 und 144.

[57] Vgl. J. Padró, in: *Commerce* 43.

[58] Vgl. zuletzt Schipper, *Israel* 119ff. (das Zitat 132).

[59] Vgl. oben S. 37 und jetzt die eingehende Diskussion bei Schipper, *Israel* 193ff.

[60] Daß der Vatersname semitisch ist, spielt auch in der Argumentation von Schipper, *Israel* 195 (mit weiteren Belegen in nordwestsemitischen Inschriften) eine Rolle.

[61] S. jetzt N. Avigad – B. Sass, *Corpus of West Semitic Stamp Seals*, Jerusalem 1997, 278 Nr. 747 (mit Abbildung; *non vidi*).

[62] *KAI* 29; GIBSON, *Textbook* III 20; M. G. GUZZO AMADASI, *Or* 59, 1990, 58ff.

[63] Zu *P3-kn'n* als Bezeichnung der Stadt Gaza vgl. SCHIPPER, *Israel* 194f.

[64] P. VERNUS, *Athribis* (= *BdE* 74), Le Caire 1978, 111 (doc. 123); G. SCANDONE, *RSF* 12, 1984, 146 mit tav. XXV, 11; XXVI 1–2.

[65] Vgl. SCANDONE, a.a.O. 146 Anm. 57.

[66] A. I. MEZA, in: *Proceedings of the Seventh International Congress of Egyptologists* (= *OLA* 82), Leuven 1998, 775ff. (liest *P3-ꜥ3-ḥr*).

[67] BUHL, *Sarcophagi* 32f. (C, a 3); K. LEMBKE, *Phönizische anthropoide Sarkophage* (= *Damaszener Forschungen* 10), Mainz 2001, 26ff.; 121f. (Nr. 1) und Taf. 1a.

[68] *KAI* 13; GIBSON, *Textbook* III 27; Übersetzung in *TUAT* II 589f. (BUTTERWECK).

[69] So nach brieflicher Mitteilung von W. Röllig vielleicht eher statt „man sammelte für mich kein Silber" mit Hinweis auf C. PERI, *RSF* 24, 1996, 70 (*non vidi*).

[70] BUHL, *Stone Sarcophagi* 34 (C, a 5); Abbildungen u.a. bei S. MOSCATI, *Die Phöniker*, Zürich 1966, Tafel bei S. 70; F. STÉPHAN, *Les inscriptions phéniciennes et leur style*, Beyrouth 1985, unnumerierte (fünfte) Tafel (zeigt auch die aufgegebene Inschrift auf dem Kopfende); zwei Detailphotos in: *Die Phönizier* 44f. – Vgl. jetzt LEMBKE, a.a.O. 27f.; 121f. Nr. 2 und Taf. 1b.

[71] *KAI* 14; GIBSON, *Textbook* III 28; Übersetzung in *TUAT* II 590ff. (BUTTERWECK).

[72] Vgl. LEMBKE, *Phönizische anthropoide Sarkophage* (Anm. 67) 122, Nr. 3 und Taf. 1c.

[73] Vgl. BUHL, a.a.O. 181.

[74] Beide Deutungsmöglichkeiten zur Diskussion gestellt von SCANDONE, a.a.O.

[75] Hier sind in erster Linie die zahlreichen einschlägigen Monographien von Günther Hölbl über die Aegyptiaca des Mittelmerraumes zu nennen (vgl. einige davon in der Bibliographie!)

[76] Vgl. für den Großteil der genannten Fundorte ASTON, *Egyptian Pottery* 28; 31; 35; 38; 48ff. Speziell für die Funde aus Abusir vgl. BAREŠ, *Udjahorresnet* 97 (Nr. 22–25) und 91 Fig. 16.

[77] Von ASTON, a.a.O. 40f. nicht angeführt; vgl. aber J. PADRÓ, in: *Commerce* 42 und Anm. 10; vgl. auch 45; 52–53 Fig. 3–4 (für Herakleopolis); B. VON PILGRIM, *MDIK* 55, 1999, 128 und 140f. (für Elephantine).

[78] Zu den phönikischen Abu-Simbel-Graffiti vgl. *CIS* I Nr. 111–113 (mit Tafeln); A. BERNAND – A. ALI, *Abou Simbel. Inscriptions grecques, cariennes et sémitiques des statues de la façade*, Caire 1959 (*non vidi*); J. FRIEDRICH, *ZDMG* 114, 1964, 225f.; P. MAGNANINI, *Le iscrizioni fenicie dell'oriente*, Roma 1973, 61ff.; E. BRESCIANI, in: *Momenti precoloniali* 258f.

[79] Ägyptische Personennamen sowie ägyptische theophore Namenselemente in phönikischen und punischen Inschriften sind zusammengestellt und besprochen bei MUCHIKI, *Eg. Proper Names* 14ff. (nicht unkritisch zu benutzen!).

[80] *CIS* I 111a; vgl. BRESCIANI, a.a.O. 258; H. HAUBEN, in: *Fs Huß* 64 (der die in dieselbe Richtung zielende Interpretation von Bresciani übersehen hat) und 68.

[81] *KAI* 49; MAGNANINI, a.a.O. 66ff. Einige Beispiele bespricht BRESCIANI, a.a.O. 260f. Die im folgenden zitierten Beispiele sind folgenden Nummern entnommen: 2; 7; 16; 22; 27; 34; 36.

[82] W. KORNFELD, in: *Anzeiger der Öst. Akad. d. Wiss., phil.-hist. Kl.*, 115(1978), Wien 1979, 193ff.

[83] Vgl. G. VITTMANN, *GM* 113, 1989, 92.

[84] Vgl. hierzu jetzt K.S.B. RYHOLT, *The Political Situation in Egypt during the Second Intermediate Period*, Copenhagen 1997, 182f. (mit weiterführender Literatur).

[85] ČERNÝ, *Late Ramesside Letters* Nr. 31, 1; letzte Übersetzung G. VITTMANN, in: PORTEN, *Elephantine Papyri* 68 (A 9).

[86] J. D. Ray, *Kadmos* 37, 1998, 134; zu dem demotischen Beleg vgl. Kapitel VI, Anm. 6.

[87] Der Ausdruck KRS kommt auch in einigen anderen phönikischen Texten vor, z. B. in einer Krugaufschrift aus Elephantine (Nr. 33) und in Zypern im Titel „Dolmetscher der KRSYM". Zu den Belegen für KRS, KRSY u.ä. vgl. Y. Garfinkel, *JNES* 47, 1988, 27ff. (mit anderer Deutung); Hoftijzer – Jongeling, *Dict.* I 537 (tut sich ebenfalls mit der Bedeutungsbestimmung schwer). Vgl. auch unten Anm. 138!

[88] M. Lidzbarski, *Ephemeris für semitische Epigraphik* III, Gießen 1915, 100. Umschrift des semitischen Begriffes: MLṢM.

[89] M. Lidzbarski, *Phönizische und hebräische Krugaufschriften aus Elephantine*, Berlin 1912; Magnanini, *Le iscrizioni fenicie* 71ff.

[90] *TAD* III, 211ff. (C3.12).

[91] Magnanini, a.a.O. 68ff. Zum folgenden vgl. Näheres G. Vittmann, *WZKM* 89, 1999, 263f.

[92] Magnanini, a.a.O. 69 Nr. 5 (Siglum RES 1512); vgl. Bresciani, in: *Momenti precoloniali* 260.

[93] Zur Inschrift und zum Namen vgl. G. Vittmann, *WZKM* 89, 1999, 264 und Anm. 60.

[94] *KAI* 50 und 51. Zu *KAI* 50 (dem besser erhaltenen Papyrus) vgl. J. C. Greenfield, *Or* 53, 1984, 242ff.; J. M. Lindenberger, *Ancient Aramaic and Hebrew Letters*, Atlanta 1994, 119f. Nr. 70.

[95] N. Aimé-Giron, *ASAE* 40, 1940/41, 447ff. und pl. XLII (Kairo JE 25147).

[96] *CIS* I Nr. 97 (dazu im Tafelteil tab. XV gute Reproduktionen der ganzen Sphinx sowie der Inschrift); Magnanini, *Iscrizioni fenicie* 63; vgl. dazu Bresciani, in: *Momenti precoloniali* 263; J. Leclant, in: *Actes du IIIe congrès international des études phéniciennes et puniques*, Tunis 1995, I, 50 (*non vidi*). Der Phöniker ist ʿZRBʿL Sohn des MSKN; die neupunische Inschrift ist (der Natur dieser Schrift entsprechend) weniger klar. – Demotische Inschriften auf Sphingen und Löwenskulpturen zusammengestellt bei Vleeming, *Short Texts* Nr. 111ff. (immer auf der Vorderseite angebracht!).

[97] Zu den Beziehungen zwischen Karthago und Ägypten vgl. die von Bresciani, a.a.O. 263 Anm. 19 angegebene Literatur sowie J. Leclant, a.a.O. 41ff.; S. Aufrère, in: *Commerce* 34f.; M. Fantar, in: *Fs Leclant* III 203ff. Die betreffenden Namen sind PNP' *Pa-nfr*, 'BDR' „Diener des Re"; es gibt noch weitere.

[98] M. Lidzbarski, *Ephemeris für semitische Epigraphik* III 118f.; vgl. Bresciani, a.a.O. 263. Eine neuere zuverlässige Publikation fehlt meines Wissens.

[99] M. Verner, *Verlorene Pyramiden, vergessene Pharaonen* (englische Ausgabe *Forgotten Pharaohs, Lost Pyramids*), Praha 1994, 205.

[100] Die zweizeilige Inschrift lautet: (1) MŠQL NPL 8 [...] (2) LŠMN'S⌜P⌝ [...] „(1) Gewicht ... 8 [...] (2) für Eschmun'asap(?) [...]". Was NPL bedeutet, ist auf Grund der nordwestsemitischen Wörter- und Namenbücher nicht zu ermitteln. W. Röllig, den ich über seine Meinung zu dieser Inschrift befragte, erwägt, NPL als N (abgekürzt für die Maßangabe NBL oder NṢP) + PL „Bohnen, *fūl*" aufzulösen, im Zusammenhang also „Bohnen im Gewicht von 8 *n*(*bl*/*ṣp*)". Zu N als möglicher Abkürzung für NṢP vgl. Hoftijzer – Jongeling, *Dict.* II 754. Der Name 'ŠMN'S⌜P⌝ „Eschmun hat versammelt" ist sonst nicht bekannt, die Ergänzung ist aber ziemlich sicher; vgl. den Namen 'SP bei Avigad – Sass, *Corpus* (Anm. 61) Nr. 85 und M. Noth, *Die israelitischen Personennamen im Rahmen der gemeinsemitischen Namengebung*, Stuttgart 1928², 181f.

[101] Zur Topographie und zur Frage der Lokalisierung von *Prw-nfr* vgl. K. Vandorpe, *Enchoria* 22, 1995, 158ff. Man kann in diesem Zusammenhang auch das auf einer Stele des Eje genannte „Feld

der Hethiter", das in dieser Region gelegen haben muß, verweisen, vgl. C. Zivie, *Giza au deuxième millénaire* (= *BdE* 70), Le Caire 1976, 181 (g).

[102] K.-Th. Zauzich – W. Röllig, *Or* 59, 1990, 320ff.

[103] Interpretierender Lesungsvorschlag: '(BG) D(HW) Z(Ḥ)Ṭ' Y(K)L M(N)S '. Der Verfasser – wann und wo auch immer er gelebt hat – hätte also mit dem 1. Buchstaben des Alphabets angefangen, dann den 2. und 3. ausgelassen, alsdann den 4. Buchstaben (R – wie die *ed. princ.* liest – und D sind sehr oft nicht zu unterscheiden) geschrieben und analog den 5. und 6. ausgelassen. Es geht weiter – unter der Voraussetzung, daß ' (O) fehlerhaft für Ṭ (⊗) geschrieben ist! – mit drei parallel gebauten Buchstabenfolgen: 7.+9., 10.+12., 13.+15. Buchstabe. Mit dem 16. Buchstaben des nordwestsemitischen Alphabets, dem 'Ajin, endet die Inschrift. Die drei Zeichen in der Mitte unten (Röllig: 'PH als Personenname) möchte ich in ähnlicher Weise als Schriftspielerei verstehen: '(B)G(D)H, also die ersten 5 Buchstaben des Alphabets mit Auslassung des zweiten und vierten (denselben Gedanken hatte übrigens schon Zauzich, a.a.O. 331 Anm. 27, doch ist ihm Röllig darin nicht gefolgt).

[104] H. Brunner, *Hieroglyphische Chrestomathie*, Wiesbaden 1992[2], Taf. 24. Weitere Literatur bei G. Vittmann, in: *Fs Quaegebeur* II 1244ff. (§26). Die folgenden Ausführungen sind eine Zusammenfassung davon.

[105] *ḥrj n mš' n Mdj*. Kopt. *matoi* „Soldat" hat sich aus aram. *mâḏây* „Meder" entwickelt. Die Schreibung von *Mdj* mit *ḏ* ist als rein graphische Kontamination mit *mḏ3j* zu verstehen. Das demotische Subskript schreibt jedenfalls eindeutig *mtj*, was mit *mḏ3j* nichts zu tun hat, da dieses Wort sein [č] (in demotischer Wiedergabe *ḏ*, aber nie *t*!) in der Spätzeit bewahrt hat. Vgl. hierzu weiteres in Kapitel V, S. 142.

[106] Berlin 2123 (nur der Kopf ist erhalten), vgl. H. Schäfer, *ZÄS* 40, 1903, 31; S. Frede, *Die phönizischen anthropoiden Sarkophage*, Mainz 2000, 134 und Taf. 114; Lembke, *Phönizische anthropoide Sarkophage* (Anm. 67) 69f. und 151 Nr. 113 und Taf. 54 a–b (befürwortet Sekundärbenutzung durch Chahap).

[107] Lembke, a.a.O. 69.

[108] Vgl. Abdalla Ali, *JSSEA* 19, 1989, 48f.; Frede, a.a.O. 133f. und Taf. 113; Lembke, a.a.O. 72 und 151 Nr. 115, Taf. 54c.

[109] Der Vatersname ist *G-r-m-g-r-t-jr* (das „Auge" statt des ähnlichen *r*) geschrieben, m. E. einfach eine Verschreibung für **Grmrgrt* = GRMLQRT (Germelqart), einen sehr beliebten phönikischen Personennamen; vgl. Benz, *Personal Names* 104.

[110] Bresciani, in: *Momenti precoloniali* 261; A. Fakhry, *The Egyptian Deserts. Baḥria Oasis*, I, Cairo 1942, 127; ders., *The Oases of Egypt*, II: *Baḥrîyah and Farafra Oases*, Cairo 1974, 133 fig. 63.

[111] Die Gewichte Wien 1334 und 1335: E. v. Bergmann, *RecTrav* 12, 1892, 10; König vor Anath: J.-Cl. Grenier, in: *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*, Paris 1985, 106 (Tafel von Tôd Nr. 281); Stele des Padiimhotep Amsterdam 7776: W. v. Haarlem, *Corpus Antiquitatum Aegyptiacarum Amsterdam*, fascicle 1, Mainz 1986, 54ff.

[112] Zu dieser Frage vgl. meinen Beitrag in *Gs Quaegebeur* II 1231ff.

[113] Kairo CG 9402 (ed. G. Daressy); Thompson, *Memphis* 88f. und pl. III; phönikische Inschrift *KAI* 48. Vgl. auch E. Bresciani, in: *Momenti precoloniali* 263f.

[114] Gibson, *Textbook* III 37–38.

[115] In typischer phönikischer Wiedergabe ḤRPKRṬ – mit K und nicht Ḥ wie im Aramäischen –; vgl. R. Degen, *WdO* 5, 1969/70, 218ff.

[116] Das schließt eine andere Bedeutung von *dj ʿnḫ* hinter dem Königsnamen in älterer Zeit nicht aus; vgl. F. Kammerzell, *GM* 67, 1983, 57ff.; H. Satzinger, *ZÄS* 124, 1997, 142ff.

[117] Vgl. G. Vittmann, *GM* 113, 1989, 91.

[118] P. K. McCarter, *BASOR* 290–291, 1993, 115ff.

[119] Louvre AO 2744, publ. N. Aimé-Giron, *BIFAO* 23, 1924, 2ff.

[120] T.C. Gouder – B. Rocco, *Studi Magrebini* 5, 1975, 1ff. (problematische Entzifferung der bescheidenen Reste); G. Hölbl, *Ägyptisches Kulturgut auf Malta und Gozo*, Wien 1989, 114ff.; kleines Farbphoto des Papyrus in: *Die Phönizier* 208.

[121] G. Garbini, *Epigraphica* (Faenza) 45, 1983, 95ff.; ders., *La religione dei fenici in occidente* (= *Studi semitici* NS 12), Roma 1994, 97ff. und tav. VIII (mit phön. Inschrift TZK LRʿ ʾYT TB ŠL).

[122] G. Hölbl, *Ägyptisches Kulturgut im phönikischen und punischen Sardinien* (= *EPRO* 102), Leiden 1986, 352f. (die Zitate 352); Garbini, *Religione dei fenici* 93ff. Die betreffende Inschrift (Sigel Sard 31 nach der Edition von M. G. Guzzo Amadasi, *Le iscrizioni fenicie e puniche delle colonie in Occidente*, Roma 1967, 108 und tav. XXXIX) ist schwer zu lesen. Der kursiv gesetzte Ausdruck lautet nach Garbinis Lesung LMQN PLS; seine Deutung hat in Hoftijzer – Jongeling, *Dict.* noch nicht Eingang gefunden. Statt QN würde man zwar lieber BʿL erwarten, vgl. aber die Gottesbezeichnung ʾL QN ʾRṢ „El, Schöpfer / Besitzer der Erde", Hoftijzer – Jongeling, *Dict.* II 1015f. (mit Verweis auf hethitische Nebenüberlieferung).

[123] G. Hölbl, *Or* 58, 1989, 318ff.

[124] Vgl. G. Hölbl, in: A. Bonanno (Hrsg.), *Archaeology and Fertility Cult in the Ancient Mediterranean*, Malta 1986, 197ff.

[125] Vgl. F. Poole, in: *Atti sesto congr. intern. eg.* II 407ff. Für Karthago ist die Verwendung als Siegel durch Abdrücke gesichert; für andere Fundorte des Mittelmeerraums ist sie indessen nach Mitteilung von G. Hölbl zweifelhaft bzw. sogar auszuschließen.

[126] S. Pernigotti, in: *Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici*, II, Roma 1983, 583ff.; Abbildung auch in *Die Phönizier* 528.

[127] H. W. Attridge – R. A. Oden, Jr., *Philo of Byblos*, Washington 1981; A. I. Baumgarten, *The* Phoenician History *of Philo of Byblos* (= *EPRO* 89), Leiden 1981; J. Ebach, *Weltentstehung und Kulturentwicklung bei Philo von Byblos*, Stuttgart etc. 1979; J. N. Carreira, in: *Atti sesto congr. intern. eg.* II 69ff.; K. Koch, in *Fs Bergerhof* (= *AOAT* 232), Neukirchen – Vluyn 1993, 59ff. (zu Wind und Zeit als Konstituenten des Kosmos bei Philo). – Zum Bild des Sanchuniathon in der Antike vgl. J. Dochhorn, *WdO* 32, 2001, 121ff.

[128] Vgl. P. Wagner, *Der ägyptische Einfluß auf die phönizische Architektur*, Bonn 1980 und speziell zum Beitrag Ägyptens zur Entwicklung der phönikischen Ikonographie E. Gubel, in: *Ägypten und der östliche Mittelmeerraum* 69ff. Vgl. auch Nunn, *Motivschatz* passim.

[129] Vgl. etwa *Der Königsweg. 9000 Jahre Kunst und Kultur in Jordanien und Palästina*, Mainz 1987, 131 Nr. 129 (Statue aus der Zitadelle von Amman).

[130] Hölbl, *Beziehungen der ägyptischen Kultur zu Altitalien* (Anm. 53) II 154f. (Kat. Nr. 618) und Taf. 160; G. Markoe, *Phoenician Bronze and Silver Bowls from Cyprus and the Mediterranean*, Berkeley etc. 1985, 188ff. und 274ff. (Abbildungen).

[131] Vgl. zuletzt J. Kamlah, *ZDPV* 115, 1999, 163ff. und M. Weippert, ibid. 191ff.

[132] Kamlah, a.a.O. 181.

[133] Zum Vorstehenden vgl. Kamlah, a.a.O. 181f. und Anm. 111.

[134] In dieser Richtung argumentiert S. AUFRÈRE in einem anregenden, wenngleich m.E. etwas spekulativen Beitrag, in: *Commerce* 19ff.

[135] Vgl. A. LEMAIRE, in: C. BONNET et al. (Hrsg.), *Studia Phoenicia* IV: *Religio Phoenicia*, Namur 1986, 87ff.

[136] M. J. LAGRANGE, *RB* 1, 1892, 275ff.; B. DELAVAULT – A. LEMAIRE, *RSF* 7, 1979, 24ff. Nr. 8; vgl. *TUAT* II 597f. (C. BUTTERWECK).

[137] BENZ, *Personal Names*. Leider berücksichtigt auch das neue Werk von MUCHIKI, *Eg. Proper Names* die Inschrift von Nabi Yunis nicht.

[138] A. M. HONEYMAN, *Le Muséon* (Louvain) 51, 1938, 285ff.; MAGNANINI, *Le iscrizioni fenicie* 126f.; vgl. auch TEIXIDOR, *Bulletin* 426 (= *Syria* 56, 1979, 366). Die zitierte Passage steht in Z. 5. – Der auf semitischer Basis nicht befriedigend zu erklärende Name PRM (vgl. BENZ, *Personal Names* 177 und 395; nur diese eine Quelle) scheint mir anatolisch zu sein; vgl. das in Halikarnassos belegte Πιρωμις (W. BLÜMEL, in: M. E. GIANNOTTA et al., *La decifrazione del Cario*, Roma 1994, 71) und wohl davon zu unterscheiden karisch *Parmeùm* (in ägyptischer Wiedergabe *Prjm*), s. S. 161 und Abb. 75. Daß der Vater des PRM einen phönikischen Namen trägt (Ger'aschtart), muß einer anatolischen Deutung nicht grundsätzlich im Wege stehen, vgl. oben S. 64 und Anm. 87 zu „phönizisierten" Karern.

[139] Vgl. hierzu M. DUBUISSON, in: W. HUSS (Hrsg.), *Karthago*, Darmstadt 1992, 227ff.; F. MAZZA, in: *Die Phönizier* 548ff.

[140] Vgl. Odyssee XIV 288f. (ἀπατήλια εἰδώς, τρώκτης). Vgl. dazu aber J. BOARDMAN, *BASOR* 322, 2001, 395: „More to the point is to realize that Homer reflects a landowning nobility to whom all merchants are suspect and inferior, and to see that throughout Homer all merchants, Greek and Phoenician, are treated in this manner."

[141] Zum Kinderopfer vgl. GARBINI, *Religione dei fenici* (Anm. 121) 67ff.; zu den Versuchen, die Phöniker von betreffenden Vorwürfen reinzuwaschen, a.a.O. 67 Anm. 1.

[142] Zur Kontroverse Kinderopfer versus Unterwerfungsgestus (Tempelreliefs des Neuen Reiches) vgl. E. FEUCHT, in: *Festschrift Jürgen von Beckerath* (= *HÄB* 30), Hildesheim 1990, 33ff.; V.A. DONOHUE, in: A.B. LLOYD (Hrsg.), *Studies in Pharaonic Religion and Society in Honour of J. Gwyn Griffiths*, London 1992, 82ff. (beide Arbeiten interpretieren im zweitgenannten Sinne).

[143] Vgl. hierzu zuletzt W. RÖLLIG, in: *Die Geschichte der hellenischen Sprache und Schrift vom 2. zum 1. Jahrtausend v.Chr.: Bruch oder Kontinuität?*, Ohlstadt 1999, 359ff. und (unter anderem Blickwinkel) R. HAUDE, *Saeculum* 50, 1999, 1ff.

هوامش الفصل الرابع : الوثائق الآرامية

[1] Vgl. hierzu die nur mit Vorsicht zu benutzende Arbeit von MUCHIKI, *Eg. Proper Names*.

[2] *TAD* C3.21, 2. 4. Zur griechischen Entsprechung Μεῖα (u.ä.), vgl. A. CALDERINI, *Dizionario dei nomi geografici e topografici dell'Egitto greco-romano*, III, Milano 1978, 252.

[3] Aramäisch TŠṬRS, von äg. *Tꜣ-šd-rsj* „der südliche Distrikt".

[4] Vgl. H. JARITZ, *MDIK* 53, 1997, 188f.; C. VON PILGRIM, in: H. GUKSCH – D. POLZ (Hrsg.), *Stationen. Beiträge zur Kulturgeschichte Ägyptens Rainer Stadelmann gewidmet*, Mainz 1998, 485ff.

[5] Sg. DGL, Pl. DGLYN.

[6] Die eingeklammerte Kombination aus Großbuchstaben und Zahlen verweist auf das unten vorgestellte vierbändige *Textbook of Aramaic Documents from Egypt* (*TAD*). Dabei steht A, B, C, D jeweils für den 1., 2., 3. und 4. Band; die folgende Verbindung „Zahl“ – „Punkt“ – „Zahl“ bezieht sich auf die Textnummer im betreffenden Band.

[7] Kursives *B* mit nachgesetzter Zahl bezieht sich auf die Nummern bei PORTEN, *Elephantine Papyri.*

[8] Jesaja 11, 11; Jeremias 44, 1. 15; Ezechiel 30, 14. Patrōs = *Pꜣ-tꜣ-rsj* „Das Südland“ steht hier gleichsam für die Hauptstadt Elephantine.

[9] Jeremias 26, 21.

[10] J. MÉLÈZE MODRZEJEWSKI, *The Jews of Egypt. From Rameses II to Emperor Hadrian*, Princeton 1997, 25f.

[11] Vgl. unten in Kapitel VIII, S. 201 und dazu Anm. 40.

[12] P. GRELOT, *Documents araméens d'Égypte*, Paris 1972.

[13] Alle in *TAD* I.

[14] E. BRESCIANI – M. KAMIL, „Le lettere aramaiche di Hermopoli“, in: *Atti della Accademia Nazionale dei Lincei*, Memorie, Classe di Scienze morali, storiche e filologiche, vol. XII (1965–166), Roma 1966, 361–428.

[15] A2.1 = *B1*, 9–10 (Hermopolis 4); A2.2 = *B2*, 12–13 (Hermopolis 2).

[16] Der Name bedeutet „Wer ist wie (die Götting) Banit?“, vgl. Michael („Wer ist wie Gott?“).

[17] Der im Aramäischen gebrauchte Ausdruck TQM ist von ägyptisch *dgm* entlehnt.

[18] Aram. MṢRYN, hebr. *Miṣrajim* = Unterägypten, *Patrōs / Paturīsu* „das Südland“ = die Thebais (vgl. VITTMANN, *P. Rylands 9*, II 287ff.), *Kusch / Kūsi* „Nubien, Kusch.“ Vgl. auch Kapitel VIII!

[19] Vgl. (mit diesen Alternativen) J. D. RAY, in: *AchHist* I 81.

[20] Der erste Name lautet in aramäischer Wiedergabe ḤRY. Welcher Name mit dem zweiten wiedergegeben werden soll (ungenau für *PṬMḤW= *Pꜣ-dj-mḥj.t?*), ist unklar.

[21] Vgl. die Arbeit von S. VINSON, *The Nile Boatman at Work* (= *MÄS* 48), Mainz 1998, die löblicherweise auch aramäische Quellen berücksichtigt.

[22] Dies sind die konventionellen ägyptischen Namenformen (in Transkription *Ḏd-ḥr* und *Ḥr*); die aramäischen Wiedergaben lauten ṢḤ' und ḤWR.

[23] Aramäisch *bʿʿēl ṭʿʿēm*; der entsprechende ägyptische Titel ist *sntj*.

[24] Vgl. zum Vorstehenden G. VITTMANN, *WZKM* 89, 1999, 264f.

[25] P. Rylands 9, XVI 18, vgl. VITTMANN, *P. Rylands 9*, I 172f.

[26] Vgl. vom historischen Blickwinkel aus zusammenfassend BRIANT, *Histoire* 620ff.

[27] Deutsche Übersetzung des Bagoasbriefes von W. C. DELSMAN in *TUAT* I 254ff.

[28] Dieser ist auch aus Esra 10, 6 und Nehemia 12, 22.23 bekannt.

[29] Vgl. C. VON PILGRIM, in: *Fs Stadelmann* (Anm. 4) 497; ders., *MDIK* 55, 1999, 142ff.

[30] Text (in hebräischer Schrift) und Übersetzung auch bei J. M. LINDENBERGER, *Ancient Aramaic and Hebrew Letters*, Atlanta 1993, 71ff.

[31] G. R. DRIVER, *Aramaic Documents of the Fifth Century B.C.*, Oxford 1954.

[32] ⸢Y⸣N[Ḥ]RW = *Jr.t-ḥr-r.w*; vgl. G. VITTMANN, *Or* 58, 1989, 216; MUCHIKI, *Eg. Proper Names* 89.

[33] ⸢'⸣N[D]RW. *TAD* I 110 verzichtet auf eine Ergänzung und gibt nur die tatsächlich dastehenden Konsonanten an (mit der üblichen Alternativlesung *d/r*). Für BRIANT, *Histoire* 998 steht die Lesung Anu-dārū – zu Unrecht – unzweifelhaft fest; Inaros kommt für ihn aus chronologischen Gründen nicht in Frage.

[34] Bei der 8. Internationalen Konferenz für Demotische Studien in Würzburg (27.–30. 8. 2002) präsentierte Michel Chauveau (Paris) ein demotisches Ostrakon aus El-Manawir (Oase Charga) aus dem späten 5. Jahrhundert, in dem *pꜣ wr n nꜣ bks.w ʼIr.t-ḥr-r.r=w* „Der Große der Rebellen Inaros" erwähnt wird. Es wäre jedoch voreilig, vor der Publikation dieses Textes über eine Identität der beiden Personen zu spekulieren.

[35] Vgl. oben S. 46ff.

[36] POSENER, *Domination perse*, 21f. (Z. 44) und 23 (i) mit Hinweis auf die ähnliche Formulierung in Sinuhe B 28–29. Vgl. auch Kapitel V und Anm. 13.

[37] Vgl. A. EGGEBRECHT, in: *LÄ* I 850ff.

[38] Solche Schiffsleute sind gleichermaßen aramäisch wie demotisch bezeugt, vgl. VINSON, *The Nile Boatman at Work* (Anm. 21) 14 und Anm. 20.

[39] Aramäisch 'RDKL ZY MLK', „*arad ekalli* (akkadisch, wörtlich 'Sklave des Palastes') des Königs". Die aramäische Namensform 'SḤWR für *Ns-ḥr* berücksichtigt den Umstand, daß das ursprünglich anlautende *n* in der tatsächlichen Aussprache längst geschwunden war.

[40] Die aramäische Namensform lautet PY' (= *Pa-iw* „Der des Hundes"?), Sohn des PḤY (= Pahi, *Pa-ḥj*).

[41] Vgl. PORTEN, *Elephantine Papyri* 189 Anm. 14.

[42] Vgl. oben S. 57.

[43] Die Stelle (Z. 15) lautet im Original ḤRWṢ BR PLṬW KMR ⌜ZY ḤN(?)⌝[...]⌜TY(?) 'LH'⌝.

[44] Also 'LH' (vgl. die vorige Anmerkung), nicht der Plural 'LHY', wie man bisher meist gelesen hat. Auf dem Photo der Erstpublikation ist eine Verifizierung des Sachverhalts schwierig, da die entscheidende Stelle recht undeutlich ist.

[45] Oder ist gar nicht der ägyptische, sondern ein semitischer Name (vgl. Ḥārūṣ, Schwiegervater des Königs Manasse, 2 Könige 21, 19) gemeint? P. E. DION, *BASOR* 308, 1997, 105 hält dies aber für weniger wahrscheinlich.

[46] PṬWSYRY ≐ *Pꜣ-dj-wsjr* („Der, den Osiris gegeben hat"), BL' = *Bl* („Blinder"), TBY = *Ta-bj* (unübersetzbares Hypokoristikon), LYLW = *Ljlw* („Kind").

[47] E. G. KRAELING, *The Brooklyn Museum Aramaic Papyri*, New Haven 1953.

[48] LḤN, akk. *(a)laḫḫinu*, vgl. TEIXIDOR, *Bulletin* 353 (21) (= *Syria* 53, 1976, 309); PORTEN, *Elephantine Papyri* 205f. Anm. 5; HOFTIJZER – JONGELING, *Dict.* I 573 („certain type of temple servant"). P. E. DION, *BASOR* 308, 1997, 105 vergleicht das griech. Äquivalent ναχόρος als Titel eines jüdischen Synagogenbeamten aus dem Fayum.

[49] Die aramäischen Namenformen sind TMT / TPMT (= äg. *Ta-pꜣ-mtr*, „Die des (göttlichen) Stabes") und PTW (= *Pa-tꜣ.wj* „Der der beiden Länder").

[50] C. VON PILGRIM, in: *Fs Stadelmann* (Anm. 4) 485ff. Von den beiden Alternativplänen, die in *TAD* II 176 angeboten werden, gilt demnach die erste ("oben" = „Norden", „unten" = „Süden", also der vorderasiatische, nicht der ägyptische Usus!).

[51] Vgl. K.-TH. ZAUZICH, *Enchoria* 10, 1980, 191f.; G. VITTMANN, *Altägyptische Wegmetaphorik*, Wien 1999, 53. Ägyptisches *d* wird aramäisch in aller Regel mit Ṭ wiedergegeben (Ausnahme: *dgm* „Rhizinusöl" > TQM, vgl. oben Anm. 17).

[52] Für mündliche Klarstellungen danke ich Cornelius von Pilgrim; vgl. im Detail dessen oben Anm. 4 erwähnten Artikel.

[53] KSPY, vgl. Stellennachweise in *TAD* II xxix.

[54] B. PORTEN, in: *Multi-Cultural Society* 259ff.

[55] Zur assyrischen Komponente in der Kultur der Aramäer von Elephantine vgl. F. M. FALES, *Trans* 9, 1995, 119ff.

[56] ŠNBY NḤWT = *šw nbj n ḥwṯ* „schuldhafte Leere des Bauern"; vgl. J. F. QUACK, *WdO* 23, 1992, 15ff. Die Neuedition in B1.1 ist in diesem Sinne zu berichtigen.

[57] J. B. SEGAL, *Aramaic Texts from North Saqqâra with Some Fragments in Phoenician*, London 1983; vgl. jetzt – mit mancherlei verbesserten Lesungen – *TAD* II und III (allerdings sind nicht alle Aramaica aus SEGAL in *TAD* aufgenommen worden; vor allem bedauert man, daß der wichtige Text Nr. 26 fehlt!). Zu hier vorkommenden ägyptischen Ausdrücken vgl. K.-TH. ZAUZICH, *Enchoria* 13, 1985, 115ff.

[58] Gemeinsam mit W. RÖLLIG publiziert in *TAD* IV (D3.16–18. 21; 4.23; 5.33–35. 41).

[59] Vgl. Inhaltsangabe *TAD* III S. xx–xxi und jetzt ausführlich (mit verschiedenen neuen Interpretationen) P. BRIANT – R. DESCAT, in: *Commerce* 59ff. Die beiden Autoren machen nebenbei darauf aufmerksam, daß die Ergänzungen in *TAD* III bisweilen zu schematisch sind. Unsere Erläuterungen sind diesem bedeutsamen Beitrag stark verpflichtet.

[60] Der Ort wird auch auf einer neuerdings von Unterwasserarchäologen in der Bucht von Abukir entdeckten Stele, die in Beschriftung und Dekoration stark der Naukratis-Stele ähnelt (vgl. *AW* 32, 2001, 411 mit Abbildung des oberen Teils), erwähnt (Taf. 13b).

[61] Sie sind jetzt bequem in *TAD* IV versammelt.

[62] Die aramäischen Formen für die zitierten Namen und Titel lauten: THRQ' MLK KŠY', PR'H NKW', 'S<R>ḤDN, 'TMNBN (= *Jtm nb Jwnw*), PSMŠK SRYS' bzw. SRYSH, ḤRY, YNḤRW. Porten hatte mich zur Zeit der Vorbereitung von *TAD* IV gefragt, ob ich etwas mit SNḤRW anfangen könne. Meine Rückfrage, ob nicht YNḤRW – was sich im Unterschied zu SNḤRW mühelos erklären ließe – zu lesen sei, beantwortete er negativ. Allerdings schlug, wie ich im Nachhinein *TAD* IV S. 294 entnehme, Lemaire (für „Panel" IX,7) YNḤTW vor, er hielt also das erste Zeichen ebenfalls für ein Yod (das Facsimile im *TAD*, a.a.O., zeigt ein Samech); das Original ist also offenbar nicht eindeutig. Ich erblicke darin eine gewisse Stütze für meine „ägyptische" Lesung.

[63] Vgl. HOFFMANN, *Inaros* 165 Anm. 735 (zu V 7) und S. 108 (Überblick über die Belege für *ꜣslštnj* = Asarhaddon und *'Ir.t-ḥr-r.r=w* = Inaros). „Atum Herr von Heliopolis" findet sich in IX 8 (im Eid).

[64] Vgl. HOFFMANN, a.a.O. 143 (II 4); 339 (XVIII 32); VITTMANN, *„Riesen"* 62.

[65] Vgl. A. LEMAIRE, in: *AchHist* VI 201ff.

[66] Aramäisches TSHR' ZY MLK' „die Barke des Königs" entspricht exakt demotischem *tꜣ shr.t pr-ꜥꜣ* im sog. Ersten Setna-Roman (III 23. 24. 28; IV 8–9. 13. 14 und öfter).

[67] Vgl. den Vorbericht von K.-TH. ZAUZICH, *Enchoria* 8/2, 1978, 36.

[68] G. POSENER, *Le papyrus Vandier*, Le Caire 1985; deutsche Übersetzungen von H.-W. FISCHER-ELFERT, *BiOr* 44, 1987, 5ff.; F. KAMMERZELL, in: *TUAT* III 973ff.

[69] S. auch die Übersetzung von I. KOTTSIEPER, in: *TUAT* III 320ff.

[70] Vgl. D. METZLER, in: D. AHRENS (Hrsg.), *ΘΙΑΣΟΣ ΤΩΝ ΜΟΥΣΩΝ. Studien zu Antike und Christentum. Festschrift für Josef Fink zum 70. Geburtstag*, Köln – Wien 1984, 97ff. und Taf. 5,1.

[71] Er wird auf einer akkadischen Tontafel aus Uruk aus dem Jahr 165 erwähnt (erwähnt von KOTTSIEPER, a.a.O. 322).

[72] P. Rylands 9, V 20 – VI 3, s. VITTMANN, *P. Rylands 9*, 130f. und Kommentar 393.

[73] Man denkt hier unwillkürlich an Herodots Erzählung von Kambyses und Kroisos (III 36).

[74] Vgl. K.-Th. Zauzich, in: *Folia Rara Wolfgang Voigt (...) dedicata*, Wiesbaden 1976, 180ff. Der Name des Ahikar ist in den Schreibungen *ỉḥjkl, ỉḥjgl* erhalten, vgl. *Demot. Nb.* 38.

[75] E. Lipiński, *CdE* 50, 1975, 93ff

[76] Vgl. Muchiki, *Eg. Proper Names* 73. Denselben Namen (*Bỉk-rn=f* „Diener seines [eines Gottes] Namens") trug jener König der 24. Dynastie, der in griechischer Überlieferung als Bokchoris bekannt ist.

[77] Vgl. dazu unten S. 153.

[78] So m.E. plausibel E. Lipiński *OLP* 8, 1977, 107f. *TAD* IV, LXIII (Namenindex) bietet dagegen *Absali* „DN rejected".

[79] S. oben S. 14.

[80] Die Namen lauten in aramäischer Wiedergabe TB', Tochter der TḤPY; TMNḤ' „die Treffliche" ist mitsamt dem Artikel von äg. *tỉ mnḫt* entlehnt. Vgl. auch MNḤH < *mnḫ* in der weiter unten im Haupttext besprochenen Vatikan-Stele.

[81] Vgl. A. Lukaszewicz, *ZPE* 77, 1989, 195f.; D. Delia, *JARCE* 29, 1992, 181ff.

[82] Die betreffenden Termini sind NM'TY = *nỉ mỉ'tjw* „die Gerechtfertigten" und ḤSY = *ḥzj* „Gelobter", d.h. „seliger Toter".

[83] Derartige Darstellungen des Trauergeleits mit Götterstandarten begegnen in der Spätzeit auch auf Stelen, Särgen und Papyri, vgl. K. Jansen-Winkeln, *ZÄS* 128, 2001, 134 Abb. 1 und dazu 140 mit Anm. 17–20.

[84] Hamm 5773.

[85] Vgl. die demotische Inschrift auf dem Opfertisch Louvre D 58, die dementsprechend mit den Worten *tỉ ḥtp(.t)* beginnt: Vleeming, *Short Texts*, Nr. 261, 1.

[86] ŠMYTY läßt sich am einfachsten als lautgetreue Wiedergabe von *Šmtj / Šsmtt* (vgl. *Demot. Nb.* 968; d.i. die Göttin Smithis, gesprochen [šmīti], als Personenname) erklären (*TAD* versteht den Namen dagegen als Aramäisch und vokalisiert „Shumieti"). Es ist keinesfalls nötig, daß der Name derselbe sein muß wie das ŠMTY in *TAD* C3.28, Z. 92 (Edfu, ptolemäisch), das im Zusammenhang eher semitisch zu interpretieren ist.

[87] W. Kornfeld, *WZKM* 71, 1967, 9ff. mit Tafeln. Für die zugehörigen Inschriften vgl. *TAD* D18.16–18.

[88] Datierungvorschlag von E. Lipiński, *CdE* 50, 1975, 104, Anm. 1.

[89] Vgl. Kapitel III mit Anm. 111.

[90] Vgl. Thompson, *Memphis* 88ff.

[91] J. Naveh, *JNES* 27, 1968, 317ff. Vgl. in diesem Sinne auch M. L. Folmer, *The Aramaic Language in the Achaemenid Period. A Study in Linguistic Variation* (= *OLA* 68), Leuven 1995, 181f.; *TAD* IV 299f. (D24.1–9).

[92] S. oben S. 62ff.

[93] Besprochen und abgebildet bei Naveh, a.a.O.

[94] P. R. S. Moorey, *Iraq* 27, 1965, 35ff. und pl. VIII; zur Inschrift 40f. (nach G. R. Driver). Erwähnt bei Benz, *Personal Names* 368 (als „Aramaic? graffito"); ansonsten offenbar zumeist übersehen (fehlt z.B. bei Teixidor, *Bulletin*; in *TAD* IV; Grelot, *Documents* [Anm. 12]).

[95] P. Amherst 63, vgl. I. Kottsieper, *UF* 29, 1997, 385ff. (mit Bibliographie); M. Rösel, *Vetus Testamentum* (Leiden) 50, 2000, 81ff. Die angekündigte Gesamtedition von R. Steiner ist noch nicht erschienen.

[96] Vgl. die Hinweise bei H. Satzinger, *WZKM* 63/64, 1972, 40 und Anm. 2.

[97] G. VITTMANN, in: *Fs Lüddeckens* 245ff. und Taf. 35.

[98] Bei dieser Meinung bleibe ich weiterhin, auch wenn E. CRUZ-URIBE, *JSSEA* 28, 2001, 51f. (Nr. 154) im Anschluß an K.-TH. ZAUZICH, *Enchoria* 13, 1985, 119ff. eine Deutung auf demotischer Grundlage versuchte und in einem Addendum a.a.O. 54 unter dem Eindruck des inzwischen erschienenen Artikels von R. Steiner „the possibility that multiple layers of meaning might be involved" – nämlich gleichzeitig eine demotische und eine aramäische Interpretation! – erwog.

[99] R. STEINER, *JNES* 60, 2001, 259ff. (dort auch weitere Literatur zu dem Graffito).

[100] Zu dem von Steiners Interpretationen mehrfach vorausgesetzten Ausfall eines Aleph im Inneren einer Wortverbindung könnte ergänzend auch auf die Diskussion dieses Phänomens in nordwestsemitischen und altsüdarabischen Personennamen bei W. W. MÜLLER – G. VITTMANN, *Or* 62, 1993, 6ff. hingewiesen werden. Eine Form wie das S. 7 besprochene aramäische 'ḤTBW – als „Schwester des Vaters (?)" erklärt (für das betreffende Denkmal vgl. in diesem Buch Abb. 47) – könnte gar nicht schlecht zu dem *k-p-b-w* im Wadi-Hammamat-Graffito in Parallele gesetzt werden!

[101] Zu diesen Quellen sowie einigen anderen erst seit kurzem bekannten Graffiti in der Region vgl. jetzt *TAD* IV 278f. (D22.28–35).

هوامش الفصل الخامس : مصر والفرس

[1] G. BURKARD, *SAK* 21, 1994, 38.

[2] *Njt-jjtj* „Neith – die Hauptgöttin von Sais – ist gekommen"; vgl. RANKE 181, 25; *Demot. Nb.* 627.

[3] Vgl. die Überblicke bei W. RÖLLIG, *Saeculum* 25, 1974, 11ff.; A. SCHULMAN, *JNES* 38, 1979, 177ff.

[4] El-Amarna-Brief 4; vgl. MORAN, *Lettres* 68.

[5] 1 Könige 3, 1; 7, 8; 9, 16. 24; vgl. KITCHEN, *TIP* 280ff.; sehr zurückhaltend REDFORD, *Egypt* 310f.; SCHIPPER, *Israel* 84ff.; ders., *BN* 102, 2000, 84ff.; grundsätzlich und aus ägyptologischer Sicht optimistischer K. JANSEN-WINKELN, *BN* 103, 2000, 23ff.

[6] Auch als „Behistun"-Inschrift (u.ä.) bekannt (Sigel DB 1); übersetzt von R. BORGER – W. HINZ in *TUAT* I 419ff. (die Passage über die Erfindung der altpersischen Keilschrift in §70 = Col. IV 88ff., die über Kambyses in §10 = Col. I 26ff.). Für den altpersischen Text benutzte man bis vor kurzem R. G. KENT, *Old Persian. Grammar, Texts, Lexicon*, New Haven 1953, 116ff. (mit Übersetzung). Diese Edition ist inzwischen durch R. SCHMITT, *The Bisitun Inscriptions of Darius the Great. Old Persian Text* (= *Corpus Inscriptionum Iranicarum*, part I, vol. I, Texts I), London 1991, überholt. Vgl. auch P. LECOQ, *Les inscriptions de la Perse achéménide*, (Gallimard) 1997, 187ff.

[7] Text und Übersetzung bei POSENER, *Domination perse* 1ff. Deutsche Übersetzung von U. KAPLONY-HECKEL, in: *TUAT* I 603ff. Vgl. auch ASSMANN, *Ägypten* 408ff.; BAREŠ, *Udjahorresnet* 31ff.

[8] Die eingeklammerten Zahlen geben die Zeilen an.

[9] Zu den Titulaturen der Achämeniden nach hieroglyphischen Quellen vgl. jetzt J. M. SERRANO DELGADO, in: J. CERVELLÓ AUTUORI – A.J. QUEVEDO ÁLVAREZ (Hrsg.), *... ir a buscar leña. Estudios dedicados al Prof. Jesús Lopez*, Barcelona 2001, 175ff.

[10] C. THIERS, *BIFAO* 95, 1995, 493ff. (die Udjahorresnet-Passage 498ff.).

[11] ASSMANN, *Ägypten* 435 (Kapitelüberschrift).

[12] H. SCHÄFER, *ZÄS* 37, 1899, 72ff. wollte darin die Ärzteschule von Sais erkennen.

[13] Sinuhe B 28–29, vgl. oben Kapitel IV mit Anm. 36 sowie (in einer Zusammenstellung spätzeitlicher Zitate aus „klassischer" ägyptischer Literatur) R. JASNOW, in: E. TEETER – J. A. LARSON (Hrsg.), *Gold of Praise. Studies on Ancient Egypt in Honor of Edward F. Wente* (= *SAOC* 58), Chicago 1999, 198 („Quotation 11").

[14] *z3 z*, wörtl. „Sohn eines Mannes"; vgl. zu diesem Ausdruck ausführlich H.-W. FISCHER-ELFERT, *Die Lehre eines Mannes für seinen Sohn* (= *Ägyptologische Abhandlungen* 60), Wiesbaden 1999, 299ff. Vgl. auch das spanische „hidalgo" (Angehöriger des niederen Adels), das sich von „hijo de algo" (d.h. „hijo de alguien" „Sohn jemandes") herleitet.

[15] Vgl. J. BLENKINSOPP, *Journal of Biblical Literature* (Atlanta) 106, 1987, 409ff.; ASSMANN, *Ägypten* 410.

[16] G. GODRON, in: *Hommages à François Daumas*, Montpellier 1986, I, 285ff.; G. BURKARD, *SAK* 21, 1994, 46.

[17] R. ANTHES – H. S. K. BAKRY, in: R. ANTHES, *Mit Rahina 1956*, Philadelphia 1965, 98ff.; E. BRESCIANI, *EVO* 8, 1985, 1ff.

[18] Einen anschaulichen, schön bebilderten Bericht gibt M. VERNER, *Forgotten Pharaohs, Lost Pyramids*, Praha 1994, 195ff. Vgl. jetzt BAREŠ, *Udjahorresnet*, demzufolge Udjahorresnet entgegen anderer Meinung tatsächlich hier beigesetzt war (a.a.O. 79ff.).

[19] Für den Hinweis und eine Kopie danke ich W. Huß.

[20] H.-J. THISSEN, *Enchoria* 2, 1972, 137ff.; danach u.a. auch G. BURKARD, *SAK* 21, 1994, 46.

[21] H.-J. THISSEN, *Enchoria* 23, 1996, 146ff.

[22] Zu Tempelzerstörungen und Grabplünderungen unter den Hyksos vgl. neuerdings K.S.B. RYHOLT, *The Political Situation in Egypt during the Second Intermediate Period in Egypt*, Copenhagen 1997, 143ff.

[23] Für die maßgeblichen Quellen (zwei Serapeumstelen und ein Sarkophag) vgl. POSENER, *Domination perse* 30ff. (Nr. 3–5).

[24] J. D. RAY, in: *Cambridge Ancient History*, 2nd ed., vol. 4, Cambridge 1988, 260.

[25] J. DEPUYDT, *JNES* 54, 1995, 119ff. (das Zitat 126). D. DEVAUCHELLE, *Trans* 9, 1995, 68ff. erwägt ebenfalls sehr vorsichtig die Möglichkeit, aus den Daten der Apisstelen einen Apismord herauszulesen, bleibt aber doch eher skeptisch.

[26] R. MERKELBACH, *Mithras. Ein persisch-römischer Mysterienkult*, Königstein 1984, 2. Auflage Weinheim 1994, 34f. und 47ff. (zu Tiridates).

[27] Der traditionellen Rückführung der Mithrasreligion auf altpersische Ursprünge ist allerdings in den letzten Jahren massiv widersprochen worden, vgl. D. ULANSEY, *Die Ursprünge des Mithraskults*, Darmstadt 1998.

[28] Vgl. P. BARGUET, *Le temple d'Amon-Rê à Karnak*, Le Caire 1962, 6; G. BURKARD, *ZÄS* 121, 1994, 94 Anm. 11.

[29] G. VITTMANN, *MDIK* 53, 1997, 263ff. Vgl. auch W. KAISER, ibid. 178.

[30] Vgl. VITTMANN, a.a.O. Dazu paßt sehr schön, daß H.-J. THISSEN, in: *Gs Quaegebeur* II 1048f. jetzt auch den „Meder" im sog. „Lamm des Bokchoris" (P. Wien D 10100, I 22) mit Antiochos IV. identifiziert.

[31] Vgl. oben S. 93ff. und Abb. 44.

[32] W. KAISER, *MDIK* 53, 1997, 180.

[33] J. K. WINNICKI, *JJP* 24, 1994, 149ff.

[34] H. Gauthier – H. Sottas, *Un décret trilingue en l'honneur de Ptolémée IV*, Le Caire 1925, 36 (Z. 22); neue Transkription und Übersetzung bei R. Simpson, *Demotic Grammar in the Ptolemaic Sacerdotal Decrees*, Oxford 1996, 248f.

[35] W. Spiegelberg, *Die sogenannte Demotische Chronik* (...) (= *Demotische Studien* 7), Leipzig 1914, 32f. und Taf. VIII; übersetzt auch bei D. Devauchelle, *Trans* 9, 1995, 75 sowie von E. Bresciani in dem ersten in Anm. 38 genannten Artikel.

[36] S. Vleeming, *The Gooseherds of Hou* (= *Studia demotica* 3), Leuven 1991.

[37] Die Implikationen der Stelle sind mir nicht ganz klar.

[38] E. Bresciani, in: *Méditerranées* 6/7, 103ff. Vgl. auch ihre früheren Ausführungen in *EVO* 6, 1983, 67ff., wo sie diesen Gedanken aber noch nicht geäußert hatte.

[39] Briant, *Histoire* 85.

[40] Man vergleiche hierzu den Bericht Herodots über die Verarmung hellenischer Städte infolge der notwendigen Bewirtungen des Xerxes und der Verpflegung seines Heeres (VII 118–119); hierzu Briant, *Histoire* 413f.

[41] Hierzu grundlegend D. Meeks, in: E. Lipiński (Hrsg.), *State and Temple Economy in the Ancient Near East*, II (= *OLA* 6), Leuven 1979, 605ff. (mit Quellenverzeichnis).

[42] D. Meeks, *Le grand texte des donations au temple d'Edfou* (= *BdE* 59), Le Caire 1972.

[43] Vittmann, *P. Rylands 9*, 563f.

[44] *Urk* II 17, 3 (Z. 9). 12 (Z. 10); 18, 4 (Z. 11). Statt dessen ist das Determinativ des gebundenen Feindes gebraucht.

[45] Vgl. E. Bresciani, in: *Fischer Weltgeschichte*, Bd. 5, Frankfurt 1965, 314.

[46] Zu Nubien und dem Perserreich vgl. R. Morkot, in: *AchHist* VI 321ff.

[47] Papyrus Bibliothèque Nationale 216, Verso, c 7, s. Spiegelberg, *Demotische Chronik* (Anm. 35), 30f. und Taf. VII/VIIa. Spiegelberg schlug für den ersten Teil die Lesung *mwt=f ḥr pꜣ tm'w*(?) „er starb auf der Matte" – im Sinne von „im Lager" vor (a.a.O. 31 Anm. 1), während E. Bresciani, *EVO* 4, 1981, 217ff. bei dem letzten Wort an eine phonetische Schreibung *ṯb* für *ḏbꜣ* „Vergeltung" dachte. Ich habe dagegen Bedenken, außerdem ist vor *mwt=f* sicher weiterhin *n.im=f* – als Schluß der vorangehenden Satzperiode – zu lesen und nicht kausatives *tw=f*. D. Devauchelle, *Trans* 9, 1995, 74 in seiner Übersetzung des ganzen Textes bleibt kommentarlos bei „il mourut sur la natte (?)".

[48] *uvāmr-šiyuš*, DB (d.i. das Sigel für die große Bisitun-Inschrift) I 43.

[49] J. Yoyotte, *RdE* 24, 1972, 216ff.

[50] Brooklyn 37.353; vgl. *Egyptian Sculpture of the Late Period*, Brooklyn 1960, Nr. 64 und pl. 60–61; Publikation der Inschriften K. Jansen-Winkeln, *Or* 67, 1998, 163ff. und Taf. X.

[51] Zu „persischem Mantel" und „persischem Gestus" vgl. V. Laurent, *RdE* 35, 1984, 139ff., wo auch auf die vereinzelten Vorläufer aus der 18. Dynastie hingewiesen wird.

[52] Vor allem New York MMA 30.8.74, s. W. C. Hayes, *The Scepter of Egypt* II, New York 1959, 237 fig. 142; H. Sourouzian, in: *Fs Leclant* I 522f. Nr. 52 und fig. 6d; E.-Ç. Strauss-Seeber, *Die Königsplastik Amenophis' III*, Diss. München 1997, 127ff.

[53] Vgl. H. Koch, *Es kündet Dareios der König ...*, Mainz 1992, Taf. 26 (und hierzu im Text 220).

[54] P. Briant, in: *AchHist* I 163.

[55] G. Posener, *RdE* 37, 1986, 91ff. (die Schreibung ist *q-p-p-šꜣ*-"sitzender Mann").

[56] Eingeleitet durch [*ḏd n.f* (?)] *njswt;* die Formulierung ist allerdings sehr ungewöhnlich.

[57] Posener, a.a.O. Zu den Eunuchen des Perserreichs s. Briant, *Histoire* 279ff. und hier weiter unten.

[58] Spiegelberg, *Demotische Chronik* (Anm. 35) 30f. und Taf. VII/VIIa (Vso c 8ff.).

[59] In griechischer Transkription als σεμ(ε)νουθι = *dm'-ntr* überliefert; vgl. J. Quaegebeur, *AS* 11/12, 1980/81, 227ff.

[60] *ıbjgrm*, aram. 'BYGRN < altpers. **abigarana* „Vertragsstrafe"; vgl. A. Azzoni – S. Lippert, *Enchoria* 26, 2000, 20ff. (lästig ist nur das Schluß *-m* anstelle von *-n*).

[61] Assmann, *Ägypten* 407.

[62] Publikation N. de Garis Davies, *The Temple of Hibis in El Khargeh Oasis*, pt. III: *The Decoration*, New York 1953. Vgl. auch J. Osing, in: S. Israelit-Groll (Hrsg.), *Studies in Egyptology Presented to Miriam Lichtheim*, II, Jerusalem 1990, 751ff.

[63] Vgl. Kapitel I mit Anm. 60.

[63a] Vgl. hierzu M. Ayad, *JSSEA* 28, 2001, 1ff.

[64] Nach R. K. Ritner, *GM* 164, 1998, 85ff. entbehrt zwar die den „Sängerinnen vom Inneren des Amun" zugeschriebene Ehelosigkeit und Jungfräulichkeit einer zureichenden Grundlage, doch hat E. Graefe, *GM* 166, 1998, 109ff. gezeigt, daß Ritners Argumentationen auf schwachen Füßen stehen. E. Teeter, in: *Studies Wente* (Anm. 13) 405ff. hat abermals versucht, die Zölibats- und Keuschheitstheorie zu widerlegen, aber gerade an den entscheidenden Stellen nicht überzeugend. In *Enchoria* 25, 1999, 117 hatte ich bemerkt, daß keinerlei Quellen bekannt sind, die auch einmal einen Mann als Sohn einer „Sängerin vom Inneren des Amun" ausweisen würden – was man doch erwarten würde, wenn diese Damen heiraten und Kinder gebären konnten. Nun nennt Teeter, a.a.O. 407 tatsächlich einen Nesptah, der der Sohn einer „Sängerin vom Inneren des Amun" namens Diesehebsed (*Dj-ıst-ḥb-sd*) sein soll. Wäre das richtig, könnte mindestens in diesem Fall von Keuschheit und Kinderlosigkeit nicht die Rede sein. Prüft man die angegebene Stelle (G. Legrain, *RecTrav* 12, 1912, 173f.) nach, stellt man jedoch fest, daß es genau umgekehrt ist: Diesehebsed ist die Tochter des Nesptah! Offenbar hatte Legrains Anordnung der Genealogien von oben nach unten Anlaß zu dem Mißverständnis gegeben.

[65] Vgl. hierzu A. Lemaire, in: *AchHist* VI 199ff., der aus dem weitgehend zerstörten Namen in Z. 1 den berüchtigten Vidranga herausliest. Diese Ergänzung ist nach der neuesten Edition der Inschrift in *TAD* IV (D17.1) problematisch. Nach Facsimile und Transkription ist der Gottesname in Z. 5 (es folgt ausdrücklich 'LH' „der Gott") ⸢.⸣WPR(bzw. D)NḤTY zu lesen. Das eindeutige NḤTY am Schluß legt natürlich die Analyse als äg. *nḫt* *[nachte] (o.ä.) „stark / gewaltig" sehr nahe, d. h. es handelt sich dann auf jeden Fall um eine *ägyptische* Gottheit. Lemaires Lesung des Zeichens hinter dem W als S ist nach dem Facsimile allerdings nicht möglich, auch wenn nur bei der Lesung mit S eine plausible Identifizierung des Theonyms ("Osiris der Starke") herauszubringen wäre. Zu *nḫt* als Zusatz bei Götternamen vgl. Vittmann, *„Riesen"* 7 Anm. 33.

[66] Zur achämenidischen Religionspolitik vgl. P. Bedford, in: M. Dillon (Hrsg.), *Religion in the Ancient World. New Themes and Approaches*, Amsterdam 1996, 17ff., ferner die Bemerkungen von Nunn, *Motivschatz* 193f.

[67] L. Kákosy, *Acta Antiqua Academiae Scientiarum Hungaricae* (Budapest) 25, 1977, 137ff.

[68] Vgl. W. Spiegelberg, *Sitzungsberichte der Preußischen Akademie der Wissenschaften* (Berlin) 1928, 604ff.; G. R. Hughes, in: *Grammata demotika. Festschrift für Erich Lüddeckens*, Würzburg 1984, 75ff. (argumentiert überzeugend, daß das Dokument aus dem Aramäischen übersetzt wurde!); C. Martin, in: Porten, *Elephantine Papyri* 290ff. (C1 [Berlin 13540]; C3 [Berlin 13539]). Zur Chronologie der Pherendates-Korrespondenz vgl. die Revision von M. Chauveau, *RdE* 50, 1999, 269ff.

[69] Gräzisiert (λεσωνις) aus *jmj-rȝ šn* „Vorsteher der Inspektion" o.ä.; vgl. zusammenfassend VITTMANN, *P. Rylands 9*, X und 290f.

[70] Die demotischen Belege (geschrieben *ḥr-ib-tp*) hat CHAUVEAU, a.a.O. 270 Anm. 7 identifiziert. Zum Titel vgl. nach hieroglyphischen Belegen J. YOYOTTE, *CRAIBL* 1989, 73ff. passim (dort auch zur Verknüpfung mit den Titel *sntj* und *jmj-rȝ ɜḥ*); D. INCONNU-BOCQUILLON, *RdÉ* 40, 1989, 65ff.; J. QUAEGEBEUR, in: *Form und Maß. Festschrift für Gerhard Fecht* (= *ÄAT* 12), Wiesbaden 1983, 368ff.

[71] P. Berlin P 13536 (nicht bei MARTIN, a.a.O.), s. K.-TH. ZAUZICH, *Papyri von der Insel Elephantine* (= *Demotische Papyri Berlin*, Lfg. 3), Berlin 1993.

[72] CHAUVEAU, a.a.O.

[73] Col. II 7–9, Transkription und Übersetzung VITTMANN, *P. Rylands 9*, 118ff.

[74] Vgl. C. A. REDMOUNT, *JNES* 54, 1995, 127ff.; BRIANT, *Histoire* 493ff.; H. STERNBERG-EL HOTABI, *ZÄS* 127, 2000, 157ff.

[75] POSENER, *Domination perse* 48ff.

[76] KENT, *Old Persian* (Anm. 6) 147, Sigel DZc, Z. 7ff.; W. BRANDENSTEIN – M. MAYRHOFER, *Handbuch des Altpersischen*, Wiesbaden 1964, 88 (Nr. 7); LECOQ, *Inscriptions* (Anm. 6) 248.

[77] Dies ist zu koptisch *piero* < *pȝ jtrw ʿȝ* „der große Fluß" = „der Nil" zu stellen.

[78] Gesamtpublikation (mit allen Inschriften) *Cahiers de la Délégation Archéologique Française en Iran* 4, Paris 1974; vgl. auch LECOQ, a.a.O. 246f. (Sigel DSab).

[79] Vgl. P. CALMEYER, in: *AchHist* VI 285ff.

[80] Inschrift von Naqsh-i Rustam, Sigel DNa, Z. 38–47, Text und Übersetzung KENT, *Old Persian* 137f.; neue Übersetzung LECOQ, a.a.O. 220.

[81] *pȝ ʿȝ pȝ wr n nȝ wrw*, vgl. POSENER, *Domination perse* 55, Text Nr. 8 (Stele von Tell el-Maskhuta), Z. 4.

[82] Berlin 7493, M. BURCHARDT, *ZÄS* 49, 1911, 71f. und Taf. VIII,1; BRIANT, *Histoire* 499 (mit Fig. 39). Vgl. auch U. STERNBERG-EL HOTABI, *ZÄS* 127, 2000, 157 und Abb. 3.

[83] Sigel DSf, Text und Übersetzung KENT, *Old Persian* 142ff.; Transkription auch bei BRANDENSTEIN – MAYRHOFER, *Handbuch* (Anm. 76) 87 (Nr. 5). Die von uns zitierte Passage in Z.47–55; vgl. jetzt auch LECOQ, *Inscriptions* (Anm. 6) 236f.

[84] Nr. 1557; vgl. Übersetzung bei J. WIESEHÖFER, *Das antike Persien*, München – Zürich 1994, 118.

[85] Genannt sei lediglich der geflügelte Genius mit Atefkrone in Pasargadae, abgebildet etwa bei KOCH, *Es kündet Dareios der König* 75 Abb. 28.

[86] Zum Abzug von Fachkräften für die Bauprojekte Dareios' I. und der dadurch in Ägypten selbst bewirkten künstlerischen Stagnation vgl. H. STERNBERG-EL HOTABI, *ZÄS* 127, 2000, 155ff.

[87] WIESEHÖFER, *Das antike Persien* 71ff.

[88] Satrapenstele Z. 11, *Urk* II 18. Eine originelle, jedoch unhaltbare Lesung bietet U. KAPLONY-HECKEL, in: *TUAT* I 617 an, indem sie das *wr* hinter *zȝ.f* mit dem folgenden *sjȝ s* zusammenzieht und als Wiedergabe von „(O)arses" auffaßt.

[89] Vgl. BRIANT, *Histoire* 591ff.

[90] Aus einem neuen Fund demotischer Ostraka aus El-Manawīr, deren Publikation M. Chauveau vorbereitet; vgl. einstweilen den Vorbericht von M. CHAUVEAU, *BSFE* 137, 1996, 32ff., bes. 44.

[91] Vgl. hierzu CHAUVEAU, a.a.O. 44ff.

[92] Diodor XIV, 35, 3–5.

[93] P. Bibliothèque Nationale 215, III 18. 20; vgl. SPIEGELBERG, *Demotische Chronik* (Anm. 35), 11 und 17;

Taf. II. Zur „Demotischen Chronik" vgl. jetzt – mit Übersetzung – H. FELBER, in: A. BLASIUS – B. U. SCHIPPER, *Apokalyptik in Ägypten* (= *OLA* 107), Leuven 2002, 65ff.

[94] *rmt Prs* Kanopus-Dekret A3 : B12; P. Kairo JE 68567, 1 (D. DEVAUCHELLE, *RdE* 39, 1988, 208).

[95] Vgl. J. SCHWARTZ, *BIFAO* 48, 1949, 65ff.; speziell zu Artaxerxes III. Ochos jetzt L. MILDENBERG, *ZDPV* 115, 1999, 201ff.

[96] Die Identifizierung von Chababasch mit *Ḫmbswdn* – das *wdn* könnte als Namenszusatz zu verstehen sein – und die Einschätzung als Nubier vertrat zuletzt W. HUSS, *SEL* 11, 1994, 97ff.; vgl. auch ders., *Ägypten in hellenistischer Zeit*, München 2001, 291. L. TÖRÖK, in: *Fontes Hist. Nub.* II 470f. und 500 macht darauf aufmerksam, daß der ägyptische Befund auf libysche Herkunft und unterägyptischen Hintergrund des Chababasch deutet und dessen Identifizierung mit dem Gegner des Nastasen möglich, aber alles andere als sicher ist. Strikt gegen eine Gleichsetzung spricht sich mit guten Gründen R. MORKOT, in: *AchHist* VI 330f. aus. Vgl. auch C. PEUST, *Das Napatanische*, Göttingen 1999, 210.

[97] Neue ausführlich kommentierte Edition O. PERDU, *RdE* 36, 1985, 89ff. Die zitierte Stelle steht in Z. 8–10 (a.a.O. S. 103 und zugehörige Anmerkungen).

[98] Dies impliziert der Titel *ḫrp Srqt*, d.i. ein Spezialist für Schlangenbisse und Skorpionstiche.

[99] F. v. KÄNEL, *BSFE* 88/89, 1980, 31ff.; vgl. auch BRIANT, *Histoire* 878f.

[100] G. LEFEBVRE, *Le tombeau de Petosiris*, Le Caire 1923–1924, Nr. 81; vgl. auch Übersetzung von B. OCKINGA, in: *TUAT* II 532 (bezieht „Herrscher der Fremdländer" im Anschluß an E. Otto auf Philipp Arrhidaios). Zur Interpretation vgl. B. MENU, *BIFAO* 94, 1994, 323ff. und im Anschluß daran BRIANT, *Histoire* 880f. Zu den differenzierten Bezeichnungen für die jeweiligen anonymen Herrscher (Ägypter, Perser, Makedonen) speziell bei Petosiris vgl. B. MENU, *BIFAO* 98, 1998, 247ff.

[101] Wien 20, vgl. jetzt DERCHAIN, *Impondérables* 18; 41; 67ff.; 106 pl. I.

[102] Zu den Haunebut vgl. die grundlegende Dokumentation und Analyse von J. VERCOUTTER, *BIFAO* 46, 1947, 125ff.; *BIFAO* 48, 1949, 107ff. Zur Diskussion vgl. C. VANDERSLEYEN, *Les guerres d'Amosis*, Bruxelles 1971, 139ff.; anders ders., *GM* 103, 1988, 80 („sûrement une population occupant la frange nord du Delta"); J. C. DARNELL, in: *Multi-Cultural Society* 74ff. Vgl. auch (mit weiterer Literatur) H.-FISCHER-ELFERT, *Die Lehre eines Mannes für seinen Sohn* (Anm. 14) 104f.

[103] E. JELÍNKOVÁ-REYMOND, *Les inscriptions de la statue guérisseuse de Djed-ḥer-le-Sauveur* (= *BdE* 23), Le Caire 1956 (Kairo JE 46341); E. J. SHERMAN, *JEA* 67, 1981, 82ff. (Chicago OIM 10589).

[104] Medisch **ḫšaθrapāna* nach R. SCHMITT, in: *Studia linguistica. Festschrift für I. Duridanov* (= *Archiv für bulgarische Philologie* 3), Sofia 1999, 171 Anm. 9. Die Rekonstruktion ohne intervokalisches *v* würde natürlich zu den ägyptischen Wiedergaben wie auch zu aram. ḤŠTRPN in der trilinguen Xanthos-Inschrift besser passen als das bisher in Entsprechung zu altpers. *ḫšaçapāvan-* rekonstruierte medische **ḫšaθrapāvan-*).

[105] Hieroglyphisch *ḫšdrpn* in der Satrapenstele Z. 13, = *Urkunden des ägyptischen Altertums*, II, Leipzig 1904, 19, 7 (vom späteren Ptolemaios I.); demotische Belege (*ḫštrpn, iḫštrpnj*) ERICHSEN, *Demot. Glossar* 369; H. S. SMITH, in: *Multi-Cultural Society* 296 (der auf einem Ostrakon genannte „Satrap" *Pꜣ-dj-ꜣs.t* wird mit dem von Arrian III.5.1ff. genannten, von Alexander zusammen mit Doloaspis eingesetzten Ägypter Petisis identifiziert). Ein weiterer, bisher nicht exakt bestimmter Beleg liegt in der sog. Erzählung vom „Zauberer Naneferkasokar" vor: Im P. Berlin P 13640, 29 ist nämlich nicht *ḫštrpj.w* „Satrapien" zu lesen (so der Hrsg. W. SPIEGELBERG, in: *Studies Presented to F. Ll. Griffith*,

London 1932, 173; 176 und 179(38), als Wiedergabe von σατραπεία), sondern nach der Tafel (a.a.O. pl. 21) einfach *ḫštrpn.w* „Satrapen"!

[106] *ntj iw Km.t ḫn n=f* P. Berlin 13539, 1; letzte Übersetzung C. MARTIN, in: PORTEN, *Elephantine Papyri* 294 (C3).

[107] Vgl. VITTMANN, *P. Rylands 9*, 778 (zu II 17) mit Verweis auf J. WIESEHÖFER, in: *AchHist* VI 306f. und 308.

[108] Eine umfassende Dokumentation zum Wesirat im 1. Jahrtausend bleibt ein Desiderat.

[109] Zu den „Vorstehern von Oberägypten" (*jmj-rȝ Šmʿw*) in der Spätzeit vgl. G. VITTMANN, *SAK* 5, 1977, 256f. Anm. 39.

[110] Zum Titel *sntj* (griech. entspricht διοιχητής) vgl. die wichtige Arbeit von J. YOYOTTE, *CRAIBL* 1989, 73ff. und ergänzend dazu VITTMANN, *P. Rylands 9*, 296ff.

[111] So YOYOTTE, a.a.O. 78 (es geht um den *Ḥr-wḏȝ* von P. Tebt. Tait 6). Diese Vermutung gewinnt an Wahrscheinlichkeit, wenn man bedenkt, daß im römischen Tebtynis auch die Erinnerung an die gesetzlichen Verfügungen über die Tempel durch Kambyses lebendig war.

[112] Vgl. THOMPSON, *Memphis* 16 mit Verweis auf W. M. F. PETRIE et al., *Meydum and Memphis III*, London 1910, 41. Die aramäischen Texte sind nicht in *TAD* enthalten.

[113] In dem betreffenden Ausdruck stecken etymologisch die „Ohren" des Königs, Sg. *gaušaka*, vgl. PORTEN, *Elephantine Papyri* 136 (B17 = *TAD* A4.5). Zu TŠṬRS = *tȝ šd rsj* vgl. dort Anm. 22.

[114] Zum folgenden vgl. J. WIESEHÖFER, in: *AchHist* VI 305ff. (aramäische Wiedergabe PRTRK).

[115] WIESEHÖFER, a.a.O. 309.

[116] H. S. SMITH – A. KUHRT, *JEA* 68, 1982, 199ff. (*Mjtrḫȝ*; die dort vorgeschlagene Alternativlesung *Šjtrḫȝ* ist samt den entsprechenden Erklärungsversuchen hinfällig).

[117] POSENER, *Domination perse* 41ff., Nr. 6 (*jmj-rȝ mšʿ*); 46f., Nr. 7 (*jmj-rȝ mšʿ wr*); vgl. auch BAREŠ, *Udjahorresnet* 40.

[118] J. A. JOSEPHSON – M. M. ELDAMATY, *Statues of the XXVth and XXVIth Dynasties*, Cairo 1999 (49 Statuen); K. JANSEN-WINKELN, *Biographische und religiöse Inschriften der Spätzeit aus dem Ägyptischen Museum Kairo*, 2 Bände (= *ÄAT* 45), Wiesbaden 2001 (41 Statuen von der 26. Dynastie bis zur Ptolemäerzeit). – Ein – unvollständiges – Verzeichnis von Cachette-Statuen ab der 25. Dynastie in Kairo und in anderen Sammlungen findet sich in B. PORTER – R. MOSS, *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings*. II: *Theban Temples*, Oxford 1972², 153ff.

[119] Bei JANSEN-WINKELN, a.a.O. wird nur für zwei Stücke (Nr. 12 und 13) eine Datierung in der 27. Dynastie vorgeschlagen. Mindestens Nr. 12 ist zweifellos jünger (ca. Mitte 4. Jh.), wie an anderer Stelle (Festschrift H. Satzinger) begründet werden soll.

[120] Vgl. zu diesem Dokument P. BRIANT, in: *AchHist* I 169f.; ders., *Histoire* 623f.

[121] POSENER, a.a.O. 117ff., Nr. 24ff.; vgl. auch K. KOŞCHEL, *AW* 33, 2002, 62ff. mit Abb. 18 und 19.

[122] Dies hat mit Artama (äg. *ȝrtm*, s. u.!) nichts zu tun; vgl. R. SCHMITT, in: *JEA* 81, 1995, 37 unter Verweis auf E. EDEL – M. MAYRHOFER, *Or* 40, 1971, 1f. (*rta-misa*).

[123] Vgl. BRIANT, *Histoire* 279ff. Zur Frage nach der Existenz von Kastraten im alten Ägypten vgl. G. VITTMANN, *ZÄS* 127, 2000, 167ff.; ders., *Enchoria* 27, 2001 (im Druck; Publikation des kursivhieratischen Brieffragments Kairo *CG* 30865) sowie M. DEPAUW (in Vorbereitung für *ZÄS*).

[124] POSENER, *Domination perse* 128 Nr. 33; vgl. auch S. 178.

[125] Berlin 23721; vgl. F. W. v. BISSING, *ZDMG* 84, 1930, 226ff. (die beiden Zitate auf S. 233 und 235); M. MULZER, *BN* 111, 2002, 76ff. (zur Einbeziehung von Tieren in Buße und Totentrauer ausgehend vom AT) und 89 Abb. 1.

[126] I. MATHIESON et al., *JEA* 81, 1995, 23ff. (jetzt Kairo JE 98807).
[127] Vgl. hierzu einen ersten Überblick von H. S. SMITH, in: *Multi-Cultural Society* 295ff.; s. auch P. HUYSE, *JEA* 78, 1992, 287ff. Zu verschiedenen iranischen Namen in ägyptischer Überlieferung vgl. zuletzt J. TAVERNIER, *GM* 186, 2002, 107ff.
[128] *Von Troja bis Amarna. The Norbert Schimmel Collection New York*, Mainz 1978, Nr. 256; s. auch Sotheby's Katalog vom 16. 12. 1992, New York, Nr. 119.
[129] J. DUCHESNE-GUILLEMIN – B. VAN DE WALLE, *Jaarbuch van het vooraziatisch-egyptische genootschap Ex Oriente Lux* (Leiden) 16, 1959–1962, 72ff.; vgl. auch P. BRIANT, in: *AchHist* I 168f. Die Lesung der Inschrift ist im Detail problematisch.
[130] KOCH, *Es kündet Dareios der König* 30f. mit Abb. 14 (Louvre AO 24011).
[131] R. LUNSINGH SCHEURLEER, *RdE* 26, 1974, 83ff.
[132] Vgl. C. TRAUNECKER, *Trans* 9, 1995, 105f. mit pl. V (Brüssel, Sammlung Féron-Stoclet; Louvre E 14699).
[133] J. D. COONEY, *JARCE* 4, 1965, 44ff. und Taf. 26 (Brooklyn 63.37). Der Verfasser bespricht in seinem Artikel weitere persische Objekte aus Ägypten.
[134] Vgl. G. VITTMANN, *WZKM* 86, 1996, 435ff.; R. C. STEINER, *JNES* 59, 2000, 191ff.
[135] G. VITTMANN, *AfO* 28/29, 1991/92, 159f. (*wjspwtr* im demotischen Papyrus Kairo *CG* 31174, 4. 5).
[136] Vgl. oben Anm. 60.
[137] Diese communis opinio wird stark bezweifelt von PEUST, *Das Napatanische* (Anm. 96), 185ff.

هوامش الفصل السادس : الكاريون فى مصر

[1] Die Stelle wird im originalen Wortlaut samt Übersetzung zitiert von KAMMERZELL, *Studien* 114f.; ders., in: *Naukratis* 241.
[2] Vgl. P. W. HAIDER, in: *Wege zur Genese* 72 und Anm. 83 (mit Verweis auf Archilochos Fragm. 40D); vgl. auch ders. (Diskussionsbeitrag), in: *Naukratis* 206.
[3] PORTEN, *Elephantine Papyri* 115ff. (B11 = *TAD* I A6.2).
[4] *TAD* I 96. Nach den kümmerlichen Zeichenresten (vgl. das Facsimile der Urkunde a.a.O. 95 unten rechts bei „C") scheint mir das aber äußerst fraglich. – Zu *bjrj* vgl. die griechische Wiedergabe βᾶρις bei Herodot II 96, 5; 179.
[5] J. B. SEGAL, *Aramaic Texts from North Saqqara*, London 1983, Nr. 26 (nicht in *TAD*).
[6] Zu dieser Stelle vgl. C. MARTIN, *Kadmos* 30, 1991, 173f., der die Publikation des ganzen Dokuments (P. BM 10384 = P. Malcolm) vorbereitet.
[7] Vgl. O. MASSON, in: *Mélanges Émile Benveniste*, Paris 1975, 407ff. (wo auch Yoyottes Interpretation von *Grmnfj* in Kom Ombo Nr. 174 erwähnt wird).
[8] Zum Zenon-Archiv vgl. P. W. PESTMAN, *Greek and Demotic Texts from the Zenon Archive* (= *P. L. Bat.* 20), Leiden 1980; ders., *A Guide to the Zenon Archive* (= *P. L. Bat.* 21), Leiden 1981.
[9] P. Michigan 3134, vgl. D. WILDUNG, *Imhotep und Amenhotep* (= *MÄS* 36), Berlin 1977, 49f.
[10] Vgl. A. B. LLOYD, *JEA* 64, 1978, 107ff.
[11] J. D. RAY, *Kadmos* 37, 1998, 132 (Florenz 2459, 2507, 2536; Louvre C 294).
[12] *Pdrwjhj* (?), Sohn des *Jpdj*. Die Choachyten (äg. *wꜣḥ-mw* und griech. χοαχύτης bedeuten etwa „Wasserspender") waren im Totenkult tätig, vgl. *LÄ* III 1008f.; VI 679ff.; P. W. PESTMAN (Hrsg.),

Les papyrus démotiques de Tsenhor, Leuven 1994, 10ff.; S. P. VLEEMING, in: ders. (Hrsg.), *Hundred-Gated Thebes* (= *P. L. Bat.* 27), Leiden 1995, 241ff.

[13] O. MASSON, in: W. C. BRICE (Hrsg.), *Europa. Studien zur Geschichte und Epigraphik der frühen Aegaeis. Festschrift für Ernst Grumach*, Berlin 1967, 211ff. Die Schriftzeichen entsprechen häufig nicht denen, die in den karischen Inschriften aus Ägypten üblich sind.

[14] O. MASSON – J. YOYOTTE, *Objets pharaoniques à inscription carienne* (= *BdE* 15), Le Caire 1956, 35ff. (Doc. I), pl. IV (b). – Die in dieser Publikation gesammelten karischen Texte werden von den Spezialisten üblicherweise kurz als MY mit folgendem Großbuchstaben (unser Beispiel ist also MY I) zitiert.

[15] Die Umschriften folgen natürlich der neuen Entzifferung (vgl. weiter unten). Die älteren Transkriptionen basieren auf einer völlig anderen Grundlage und sind darum in der neuen Gestalt nicht wiederzuerkennen. So wurde die betreffende Inschrift (also MY I) von Masson „avec certitude" *ri-d-he-a-ḫe* gelesen.

[16] Vgl. S. 76 und Taf. 8.

[17] MASSON – YOYOTTE, a.a.O. 40ff. und pl. V–VII (Sigel MY K); vgl. auch U. HÖCKMANN, in: *Naukratis* 226 und Taf. 42, 1–2.

[18] Zum folgenden vgl. G. VITTMANN, *Kadmos* 40, 2001, 50ff. – Zum Namen vgl. die phönikische Wiedergabe (?) PRM, s. Kapitel III mit Anm. 138.

[19] MASSON – YOYOTTE, a.a.O. 49ff. und pl. V–VII (Sigel MY L)

[20] MASSON – YOYOTTE, a.a.O. 55ff. und pl. VIII (a) (Sigel MY M) (Berlin 13784/5, Kriegsverlust).

[21] „Tochter des ..." ist hier nach demotischer Art durch *t3* (*n*) (vgl. kopt. *ta*) ausgedrückt.

[22] Sigel 4 Š. Die Inschrift ist zu lesen *šarnaiś sb taqbos* „für Šarnai und (seine Frau?) Taqbo", vgl. G. VITTMANN, *Kadmos* 40, 2001, 53.

[23] MASSON – YOYOTTE, *Objets pharaoniques* 11, Doc. a, und pl. VIII(b) (Sigel MY a). Die Inschrift wird jetzt *ioneλś* gelesen.

[24] Vgl. (mit überholten Lesungen) O. MASSON, in: *Hommages à la mémoire de Serge Sauneron*, II (= *BdE* 82), Le Caire 1979, 35ff.; neue Transkriptionen bei I.-J. ADIEGO, in: M. E. GIANNOTTA et al. (Hrsg.), *La decifrazione del cario. Atti del 1° Simposio Internazionale Roma, 3–4 maggio 1993*, Roma 1994, 59.

[25] Transkriptionen der bisher bekannten bzw. transkribierbaren Graffiti bietet I.-J. ADIEGO, in: *La decifrazione del cario* 59f. Kurz zum Publikationsstand O. MASSON, in: *La decifrazione del cario* 191ff.

[26] Diskussionsbeitrag von J. RAY zu O. MASSON, a.a.O. 194.

[27] O. MASSON, *Carian Inscriptions from North Saqqâra and Buhen*, London 1978.

[28] KAMMERZELL, *Studien* 119ff.

[29] MASSON – YOYOTTE, *Objets pharaoniques* 17ff. und pl. I (Sigel MY E). Danach ist die karische Beschriftung sekundär über eine dem ursprünglichen Zweck entfremdete Schenkungsstele gesetzt (anders D. SCHÜRR, *Kadmos* 31, 1992, 155).

[30] MASSON – YOYOTTE, a.a.O. 20ff. und pl. II (Sigel MY F). Zur historischen Bedeutung der Schiffsdarstellung vgl. A. B. LLOYD, *JHS* 95, 1975, 59 und den Diskussionsbeitrag von P. W. HAIDER, in: *Naukratis* 241.

[31] Das im Text stehende *naria* bezieht sich vermutlich auf die Mutter, vgl. D. SCHÜRR, *Kadmos* 31, 1992, 155; F. KAMMERZELL, in: *Naukratis* 238.

[32] G. DARESSY, *ASAE* 3, 1902, 143 (14) und pl. II, fig. 1 (statt *'3* ist *nb* zu lesen). KAMMERZELL, *Stu-*

dien 189 sowie ders., in: *Naukratis* 238 hat einen – freilich sehr hypothetischen – sechs Generationen umfassenden Stammbaum aus karischen und ägyptischen Quellen rekonstruiert.

[33] MASSON – YOYOTTE, *Objets pharaoniques* 28ff. und pl. III; vgl. auch KAMMERZELL, *Studien* 127f. (Sigel MY G).

[34] MASSON – YOYOTTE, a.a.O. 31ff. und pl. IVa; vgl. auch KAMMERZELL, *Studien* 129f. (Sigel MY H).

[35] Die folgenden Verweise M + Zahl beziehen sich auf die laufende Nummer bei MASSON, *Carian Inscriptions*. Die übersichtliche Anlage dieses Werkes macht – im Unterschied zu den *Objets pharaoniques* – separate Quellennachweise überflüssig.

[36] Offenbar das von G. NEUMANN, in: F. BLAKOLMER et al. (Hrsg.), *Fremde Zeiten. Festschrift für Jürgen Borchhardt zum sechzigsten Geburtstag*, I, Wien 1996, 145 identifizierte Ὀρσικλῆς als plausibelstes Beispiel für einen griechischen Karernamen in Ägypten. Die verbreitete Lesung *Nrskr*, auf deren Grundlage dann das Karische emendiert wurde, ist unfundiert (richtig KAMMERZELL, *Studien* 12; 153). Ausgeschriebenes *zı n* in der Filiation ist sehr häufig bezeugt.

[37] Zu Ikonographie und Stil der karisch-ägyptischen Grabstelen vgl. die Anayse von U. HÖCKMANN, in: *Naukratis* 217ff. Es wird dort auch anderes karisches Material herangezogen und abgebildet (wir verweisen darauf nicht in jedem Fall einzeln).

[38] Berlin 19553; vgl. MASSON, *Carian Inscriptions* 64; 91; pl. XXX; HÖCKMANN, a.a.O. 220 mit Anm. 36 und Taf. 40.

[39] Vgl. zu diesem Stück auch HÖCKMANN, a.a.O. 220f. und Taf. 38 (Stele BM 67235).

[40] KAMMERZELL, *Studien* 154ff. („Klasse C").

[41] MASSON – YOYOTTE, *Objets pharaoniques* 9f.; pl. IX.

[42] KAMMERZELL, *Studien* 146ff. Vgl. im Anschluß daran W.-D. NIEMEIER, *BASOR* 232, 2001, 17 („with some probability"). F. KAMMERZELL, in: *Naukratis* 241 begnügt sich dagegen damit, die Brüssler Stele als authentischen karischen Beleg für den Namen Pigres zu zitieren, ohne eine eventuelle Identität der Namenträger anzudeuten.

[43] KAMMERZELL, *Studien* 146.

[44] Ibid. 190.

[45] Ibid. 178f.

[46] Vgl. an neuerer Literatur (auch zur Entzifferungsgeschichte) die Beiträge in *La decifrazione del cario* und – nach der Entdeckung der Kaunos-Bilingue (s.u.) – *Kadmos* 36, 1997; 37, 1998.

[47] D. SCHÜRR, in: *La decifrazione del cario* 121ff.

[48] Vgl. die brillant geschriebene, wenngleich nach B. RIESE, *Die Maya. Geschichte – Kultur – Religion*, München 1995, 131 „(n)icht ganz ausgewogene Forschungsgeschichte" von M. D. COE, *Das Geheimnis der Maya-Schrift*, Reinbek 1995.

[49] K.-TH. ZAUZICH, *Enchoria* 22, 1995, 228 Anm. 3 beansprucht nachdrücklich die Priorität „für den jetzt allgemein anerkannten 'bilinguen' Charakter einzelner Inschriften" sowie für die Identifizierung des karischen *p*-Zeichens und anderer Buchstaben im Jahr 1971.

[50] Vgl. hierzu – im Sinne der neuen Entzifferung – M. MEIER-BRÜGGER, *Kadmos* 37, 1998, 45; N. CAU, *Kadmos* 38, 1999, 43ff. (liest t_2 *i*).

[51] P. FREI – C. MAREK, *Kadmos* 36, 1997, 1ff.; *Kadmos* 37, 1998, 1ff.

[52] I.-J. ADIEGO, *Kadmos* 37, 1998, 57ff. versucht, diesen „Metacharakterismos" dadurch zu erklären, daß die karischen Zeichenformen ursprünglich aus lautlich passenden griechischen kursiven Vorlagen durch Vereinfachung entwickelt, in einer späteren Phase jedoch – im Zuge einer Umformung für den Gebrauch in Monumentalinschriften – an griechische Buchstaben ohne Rücksicht auf deren Lautwert angeglichen worden seien.

[53] G. Neumann, in: *La decifrazione del cario* 23.

[54] I. Hajnal, *Die Sprache* (Wiesbaden) 37, 1995, 12.

[55] In seinem neuen zusammenfassenden Beitrag in *Naukratis* 233ff. gibt Kammerzell in den zahlreichen Textproben doppelte Umschriften nach seinem eigenen System ("K-93") und dem von I. Adiego ("A-93"). Gelegentliche Übersetzungen (S. 247ff.) folgen dem ersteren. Dieses Verfahren erweckt beim unkundigen Leser den Eindruck, daß Kammerzells Transkriptionssystem mindestens genauso viel für sich hat wie das andere, wenn nicht sogar mehr. Dies ist jedoch nicht der Fall: Die neue Kaunos-Bilingue bestätigt in drei Fällen eindeutig die von Kammerzell abweichenden Lesungen des Adiego-Systems (Nr. 3 *d* [nicht *g*]; Nr. 4 *l* [nicht *d'*]; Nr. 22 *n* [nicht *k'*]), und auch in anderen Fällen erweist sich letzteres bei genauerer Prüfung als trag- und leistungsfähiger.

[56] Vgl. G. Vittmann, *Kadmos* 40, 2001, 39ff. (zu *apmen* S. 49) mit einigen weiteren neuen Identifizierungen und einem Index der ägyptisch-karischen Entsprechungen.

هوامش الفصل السابع : مصر والعرب القدماء

[1] Zu Arabern in der assyrischen Quellen s. Eph'al, *Ancient Arabs*.

[2] Diodor I 45, 2; Plutarch, De Iside et Osiride 8; vgl. J. Yoyotte, *Kêmi* 21, 1971, 40ff.; Redford, *Egypt* 347.

[3] Die Stelle (Z. 133–135) wird in Zusammenhang mit der von Plutarch und Diodor überlieferten Anekdote zitiert und interpretiert von Assmann, *Ägypten* 369f.

[4] *a-fa-ra'aytumu l-lāta wa-l-'uzzā / wa-manāta ṯ-ṯāliṯata l-uḫrā* „Habt ihr denn Allāt und al-'Uzzā gesehen / und Manāt, die andere dritte?" Sure 53, 19.

[5] J. Hämeen-Anttila – R. Rollinger, *Journal of Ancient Near Eastern Religions* 1, 2001 (Leiden 2002), 84ff. Wesentliche Argumente sind der sprachgeschichtlich junge Charakter des arabischen Artikels *al*, das Fehlen eines Gottesnamens *'LLT und die Tatsache, daß die herodoteische Überlieferung an den betreffenden Stellen (I 131; III 8) nicht eindeutig ist. Allerdings können die Autoren keinen eigenen Gegenvorschlag anbieten, und daß die Form Alilat – die immerhin als einzige sinnvoll deutbar ist – die falsche ist, ist zwar nicht bewiesen, aber eben auch nicht widerlegt. Der frühe, isoliert dastehende Beleg für den Artikel *al* – wenn die traditionelle Deutung richtig ist – ist allerdings zugegebenermaßen tatsächlich problematisch; vgl. A.F.L. Beeston, *Arabica* 28, 1981, 181 (brieflicher Hinweis von W. Müller, der die gängige Interpretation von „Alilat" nach wie vor für plausibel hält).

[6] Zu diesen Schalen s. I. Rabinowitz, *JNES* 15, 1956, 1ff.; ders., *JNES* 18, 1959, 155f.; Gibson, *Textbook* II 25 (speziell die Inschrift des Qainu, Sohnes des Gašmū); W. C. Delsman, in: *TUAT* II 579 Nr. 3; letzte Edition *TAD* IV 231ff. (D15.1–4).

[7] Neh 2, 19; 6, 1. 2. 6; an letztgenannter Stelle in der authentischen Schreibung Gašmū.

[8] Zu Heroonpolis vgl. ausführlich E. Kettenhofen, *OLP* 20, 1989, 75ff.

[9] Die Angabe bei B. Doe, *Südarabien*, Bergisch Gladbach 1970, 66, daß sich das Stammesgebiet der Minäer „vom Jemen bis hin nach Ḥaḍramaut erstreckt habe", ist nach Auskunft von W. W. Müller nicht zutreffend.

[10] Vgl. W. W. Müller, „Weihrauch", in: *Paulys Realencyclopädie der Classischen Altertumswissenschaft*, Supplementband XV, München 1978, 701ff.; A. Avanzini (Hrsg.), *Profumi d'Arabia. Atti del con-*

vegno [Pisa, Oktober 1995], Roma 1997 (hierin W. W. MÜLLER, „Namen von Aromata im antiken Südarabien", 193ff.); B. VOGT, in: W. DAUM et al., *Im Land der Königin von Saba, Kunstschätze aus dem antiken Jemen*, München 1999, 205ff.

[11] J. K. WINNICKI, *AS* 22, 1991, 189. Meine eigenen Zusätze sind durch spitze Klammern gekennzeichnet.

[12] Sigel M 338 = RES 3427; vgl. C. ROBIN, in: *Fs Leclant* IV 291ff. und Fig. 8; W. W. MÜLLER, in: *TUAT* II 627f.; vgl. auch G. VITTMANN, in: *Gs Quaegebeur* II 1241ff.

[13] Hier ohne Aleph geschrieben!

[14] Die Bedeutung von LMN oder GMN – eine sichere Entscheidung zwischen diesen beiden Alternativen ist bislang nicht gelungen – ist ungewiß. P. SWIGGERS, in: *Fs Lipiński* 342 schlägt dafür LMN vor, das er – und dieser bemerkenswerte Vorschlag ist neu – mit kopt. *limēn* „portrait, image" (Etymologie ungeklärt) gleichsetzt.

[15] Die Übersetzung folgt weitgehend der von W. MÜLLER, a.a.O.

[16] ROBIN, in: *Fs Leclant* IV 294f.

[17] G. VITTMANN, in: *Gs Quaegebeur* II 1242.

[18] TMNḤH, vgl. HOFTIJZER – JONGELING, *Dict.* II 659 unter mnḥḥ (= *KAI* 269, 1). – SWIGGERS, in: *Fs Lipiński* 340 leitet TMH̱ von äg. *tmꜣ*, kopt. *tmē* „Matte" ab, was völlig ausgeschlossen ist, da das Ḫ natürlich nicht unter den Tisch fallen darf.

[19] Sigel M 27 = RES 2271; ROBIN, in: *Fs Leclant* IV 286 und fig. 1–4. Die Inschrift ist jetzt unter dem Siglum Ma'īn 7 neu behandelt von F. BRON im *Inventaire des inscriptions sudarabiques*, Tome 3: *Ma'īn*, Paris – Rome 1998, 45ff. (*non vidi*).

[20] Sigel M 247 = RES 3022; ROBIN, a.a.O. 289f. und fig. 6; W. W. MÜLLER, in: *TUAT* I, 663ff.

[21] Nach MÜLLER, a.a.O. 664, [1] (f) bezieht sich 'S²R eher auf die in Gen 25, 3 erwähnten nordarabischen Aššurīm als auf Assur bzw. Assyrien.

[22] Zu der paläographisch fundierten Datierung vgl. ROBIN, a.a.O. 289; K. SCHIPPMANN, *Geschichte der altsüdarabischen Reiche*, Darmstadt 1998, 38f.

[23] Vgl. SCHIPPMANN, a.a.O. 39.

[24] Vgl. für den betreffenden Beleg und einen weiteren Kapitel V, Anm. 29–30.

[25] Vgl. ROBIN, *Fs Leclant* IV 296.

[26] G. COLIN, *BIFAO* 88, 1988, 33ff.; ROBIN, a.a.O.

[27] Liste bei W.H.M. LIESKER – A.M. TROMP, *ZPE* 66, 1986, 85ff. Zu Arabern und anderen Semiten in römischen Papyri vgl. H. HARRAUER, *Corpus Papyrorum Raineri* XIII, Wien 1987, 42.

[28] Vgl. LIESKER – TROMP, a.a.O. 87 Nr. 16.

[29] Strabo I, 1, 3; vgl. auch I, 2, 34 und öfter.

[30] Der Name ist übrigens immer noch lebendig: 1999 wurde von einer deutschen Mutter ein „Wael" geboren, und der ägyptische Vater trägt denselben Namen.

[31] Vgl. E. LÜDDECKENS, *ZÄS* 115, 1988, 52ff. (A, 1–2; B, 2–3); W. W. MÜLLER, ibid. 84f.; G. VITTMANN, in: *Gs Quaegebeur* II 1248. – Die Originalformen der zitierten Namen und Titel lauten *Wjlw*, *'wmꜣjlw*, *Ta-iꜣ.t*, *hgr n pꜣ tw*, *bꜣk* („Diener").

[32] Vgl. RANKE 231, 12; *Demot. Nb.* 766 (mit weiterer Literatur).

[33] G. POSENER, *RdE* 21, 1969, 148ff.

[34] W. SPIEGELBERG, *Die demotischen Papyri Loeb*, München 1931, Nr. 13, 10 (*nꜣ hkr.w*).

[35] F. DE CENIVAL, *Cautionnements démotiques du début de l'époque ptolémaïque*, Paris 1973, Nr. 59, 4

(*hgr 'Išwr*; Lesung berichtigt von H.-J. Thissen, *Enchoria* 4, 1974, 168). Der Mann ist *Ḥr* Sohn des *P3-dj-ḥr-p3-r'*.

[36] G. Vittmann, *ZÄS* 117, 1990, 81f. (BM 35464, 16–19).

[37] Vgl. P. Högemann, *Alexander der Große und Arabien* (= *Zetemata* 82), München 1985, 120ff.; J. K. Winnicki, *AS* 22, 1991, 187.

[38] Winnicki, a.a.O. 175ff.

[39] Winnicki, a.a.O. 184. Der betreffende Ausdruck lautet *p3 tš Jrm* (?).

[40] Winnicki, a.a.O. 183.

[41] K. Winnicki, *JJP* 20, 1990, 157ff.

[42] Grammatik mit Chrestomathie und Glossar: J. Cantineau, *Le Nabatéen*, 2 Bände, Paris 1930–1932; Neudruck Osnabrück 1978.

[43] DY BDPN' MṢRYT. – Zu den nabatäischen Inschriften in Ägypten vgl. Literatur bei G. Lacerenza, *SEL* 13, 1996, *112 und Anm. f3.

[44] F. Briquel-Chatonnet – L. Nehmé, *Semitica* (Paris) 47, 1998, 81ff.

[45] N. Aimé-Giron, *ASAE* 39, 1939, 343ff. (alle Graffiti beginnen charakteristischerweise mit ŠLM „Frieden!").

[46] Eine neue Edition derselben bietet B. Sass, *The Genesis of the Alphabet and Its Development in the Second Millennium B. C.* (= *ÄAT* 13), Wiesbaden 1988. Vgl. auch W. Hinz, *ZDMG* 141, 1991, 16ff. mit recht eigenwilligen Deutungen sowie J. Tropper, *AW* 32, 2001, 353ff.

[47] C. Robin, *BIFAO* 95, 1995, 109ff. und fig. 12 (ich übernehme seine Transkription dieses Ortsnamens).

[48] Vgl. H. P. Roschinski, *Bonner Jahrbücher* (Köln) 180, 1980, 164ff.; M. C. A. Macdonald – G. M. H. King, in: *The Encyclopaedia of Islam*, New Edition, X, Leiden 2000, 436ff.

[49] F. V. Winnett – W. L. Reed, *Ancient Records from North Arabia*, Toronto 1970, hier 106 Nr. 37: BH MṢRYT (**bāha miṣrīyat*).

[50] H. P. Roschinski, a.a.O. 170.

[51] Vgl. zu all dem J. Kahl, *GM* 122, 1991, 33ff. (mit Quellennachweisen).

[52] J. F. Quack, *RdE* 44, 1993, 141ff. (mit Korrekturen *RdE* 45, 1994, 197). Auch wenn die These, die Ägypter hätten dieses Alphabet von den Arabern übernommen, nicht zutrifft, bleibt Quacks Artikel trotzdem sehr lehrreich.

[53] Diese Reihenfolge ist epigraphisch gesichert; vgl. bereits A.K. Irvine – A.F.L. Beeston, *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* (London) 18, 1988, 35ff. (*non vidi*).

[54] Ich hatte mich Quacks Ergebnissen allzu voreilig in *ZÄS* 125, 1998, 73 und *Gs Quaegebeur* II 1243 Anm. 80 angeschlossen.

[55] J. Tropper, *UF* 28, 1996, 619ff.; vgl. auch ders., *AW* 32, 2001, 353ff. Der *halaḥam*-Typus ist bereits für das 13. Jh. (Bet-Schemesch-Tafel; Alphabettafel aus Ugarit) bezeugt, und ungefähr um diese Zeit wurde nach Tropper auch Ägypten damit bekannt. In Ägypten gab es keine einzige feste Alphabetfolge, sondern mehrere variierende Traditionen.

[56] Zum folgenden vgl. W. W. Müller – G. Vittmann, *Or* 62, 1993, 1ff. Gleichzeitig und unabhängig davon hat sich zu den Namen der Ägypterinnen der „Hierodulenlisten" C. Robin, in: *Fs Leclant* IV 297ff. mit teilweise abweichenden Deutungen geäußert.

[57] BDR „Vollmond", THYW „Sie möge leben!", 'ḪTMW „Schwester der Mutter" o. ä. (Var. ḪTMW; vgl. Müller – Vittmann, a.a.O. 6ff. und zu solchen Namen und ihrer Schreibung in alt-

semitischer Überlieferung auch J. Renz, *ZDPV* 115, 1999, 129f. Anm. 18), 'MTŠMS „Dienerin der Sonne".

58 THBT (*Ta-ḫbs* „Die der Sterne") – auch als Name einer Frau aus Gaza auftretend – und (zweimal) TB' Tabi, ein Hypokoristikon.

59 Minäisch 'MT''T, nabatäisch 'MT'YSY; 'BDŠR in einer Inschrift aus Taima. Zu diesen Namen vgl. Müller – Vittmann, a.a.O. 9 mit Verweisen auf phönikische, punische und aramäische Parallelen und W. W. Müller, *WdO* 32, 2002, 267. Vgl. auch G. Wagner, *BIFAO* 76, 1976, 277ff. und für Isis in Petra M. Lindner, *ZDPV* 104, 1988, 84ff.

60 W. Daum et al., *Im Land der Königin von Saba* (Anm. 10) 312 (Siglum 66M).

61 Vgl. W. W. Müller – S. F. Al-Said, *BN* 107/108, 2001, 109ff.

62 Vgl. Gibson, *Textbook* II 30; B. Aggoula, *Syria* 62, 1985, 61ff.; deutsche Übersetzung W. C. Delsman, in: *TUAT* II 580 (A).

63 Zu den Hagritern vgl. oben und Anm. 32–35. Die Gegenargumente von F. Hoffmann, *Ägypter und Amazonen*, Wien 1995, 91 Anm. 417, der aus *hkr, hgr* in dem betreffenden literarischen Text wieder ein iranisches Fremdwort mit der Bedeutung „Eilbote" (> griech. ἄγγαρος) machen möchte, haben mich nicht überzeugt. – Das altnordarabische Königreich Lihyan, das enge Beziehungen zu den Ptolemäern unterhielt, wird mehrfach in einer noch unpublizierten fragmentarischen demotischen Erzählung aus Tebtynis erwähnt (P. Carlsberg 459; die Kenntnis dieses Textes verdanke ich Kim Ryholt).

64 *ȝwskj pȝ wr pȝ tȝ ȝlbjn* W. Spiegelberg, *Demotische Texte auf Krügen* (= *Demotische Studien* 5), Leipzig 1912, 16f. (Krug A, I 16; a.a.O. 9ff. die indische Version nach dem I. Buch des Pañcatantra). Vgl. auch F. Hoffmann, *Ägypten. Kultur und Lebenswelt in griechisch-römischer Zeit*, Berlin 2000, 67f. Zum sekundären *n* in *ȝlbjn* ließe sich auf die Beispiele bei J. Osing, *GM* 40, 1980, 48f. verweisen.

65 Nach M. Betrò, in: B. Virgilio (Hrsg.), *Studi ellenistici* 12, Pisa – Roma 1999, 115ff. Spiegelberg, a.a.O. 34 (59) hatte in *ȝwskj* an eine Zusammensetzung mit altarabisch *aus* „Geschenk" gedacht, was in dem angenommenen „arabischen" Kontext auch durchaus nahelag; es ließ sich aber keine Gottesbezeichnung ermitteln, die zu dem verbleibenden *-kj* passen würde (vgl. Betrò, a.a.O. 119).

هوامش الفصل الثامن : اليونانيون والمصريون قبل العصر الهلينستي

1 Freilich ist es die Ausnahme, daß der Ägyptologe alle drei Versionen bewältigt. Ausreichende Griechischkenntnisse sind leider rar geworden, Demotisch war ohnehin schon immer die Domäne einiger weniger Spezialisten, und die – am meisten in Mitleidenschaft gezogene – hieroglyphische Fassung repräsentiert weder sprachlich noch graphisch den gewohnten mittelägyptischen Standard ...

2 Auch *a₃-ku-pi-ti-jo* umschrieben. Vgl. Chadwick, *Documents* 537 (Glossar; der Text hat das Siglum KN Db 1105). Zu dem gleichbedeutenden (?) Namen *mi-sa-ri-jo* vgl. unten und Anm. 14.

3 Genannt seien vor allem die aufsehenerregenden Funde minoischer Malerei aus der Zeit des frühen Neuen Reiches in Tell ed-Dabʿa (Ostdelta). Dazu und zu anderen Aspekten dieser Beziehungen vgl. generell die von M. Bietak herausgegebene Zeitschrift *Ägypten und Levante*. Vgl. auch N. Lutz, *Der Einfluß Ägyptens, Vorderasiens und Kretas auf die mykenischen Fresken*, Frankfurt 1994; W. V.

Davies – L. Schofield (Hrsg.), *Egypt, the Aegean and the Levant. Interconnections in the Second Millennium BC*, London 1995; J. Vercoutter, *RdÉ* 48, 1997, 219ff. Einen Quellenkatalog bietet C. Lambrou-Phillipson, *Hellenorientalia*, Göteborg 1990.

[4] Alle Belege bei B. Snell, *Lexikon des frühgriechischen Epos*, I, Göttingen 1955, 260ff. unter Αἰγύπτιος, Αἴγυπτος. Zu Ägypten in den homerischen Epen vgl. R. Bichler – W. Sieberer, in: *Wege zur Genese* 126 und Anm. 46 (Ilias); 143 (Odyssee).

[5] Zu diesem Terminus vgl. A. Dihle, *Die Griechen und die Fremden*, München 1994, 8ff.; R. S. P. Beekes, *Glotta* 73, 1995/96, 12ff. (Interpretation als ursprünglich vorgriechische Volksbezeichnung).

[6] Odyssee IV 477; XIV 257f.

[7] Zum folgenden vgl. F. Solmsen, *Isis among the Greeks and Romans*, Cambridge (Mass.) – London 1979, 18 sowie J. M. Davison, in: *DE Special Number* 1, 1989, 61ff. (nimmt Entstehung der Io-Legende unter ägyptischem Einfluß in der Kuschitenzeit an).

[8] Herodot II 153 (und zur Verschmelzung von Io und Isis II 41). Auch Aischylos, Hiketiden 41 spricht vom „Jungstier des Zeus".

[9] Manetho, Fr. 50,102 (Waddell) bzw. F. Jacoby, *Die Fragmente der griechischen Historiker*, III c 1, Leiden 1958, 92:10 (= Nr. 609, F 10: 231). Vg. dazu J. Dillery, *ZPE* 127, 1999, 94ff.

[10] Manetho, Fr. 53a; 53b (Waddell) bzw. Jacoby, a.a.O., 109:19 (= Nr. 609, F 28: p.293).

[11] Vgl. W. Röllig, in: *Reallexikon der Assyriologie* 8, Berlin 1993–1997, 264ff.

[12] Ägyptisch-arabisch *maṣr*, dies auch speziell für Kairo. *miṣr* (Pl. *amṣār*) bezeichnete ursprünglich einen militärischen Außenposten in einer Grenzregion und entwickelte später die Bedeutung „große Stadt".

[13] S. oben Kapitel VII, S. 186 mit Anm. 20.

[14] Vgl. S. Hiller, *Ä&L* 6, 1996, 91 und Anm. 100 (Text KN F841).

[15] U. Luft (Hrsg.), *The Intellectual Heritage of Egypt. Studies Presented to László Kákosy* (= *StudAeg* 14), Budapest 1992, 403ff. (Ableitung von ägyptischem *nꜣ-jtrw-ꜥꜣ*). – Der Singular ist *pꜣ jtrw ꜥꜣ* „der (große) Fluß" (> koptisch *piero*), vgl. die altpersische Wiedergabe *pirāva* (s. Kapitel V, S. 136 mit Anm. 77). Vgl. auch hebräisch *jᵉʼor* < *jtrw* (ohne *ꜥꜣ* „groß") und akkadisch *jaruʼu* (mit *ꜥꜣ*) als Bezeichnung des Nil.

[16] *Demot. Nb.* 629 (*Njlws*).

[17] Θῆβαι Αἰγύπτιαι Ilias IX 381f., in Vers 383 mit einem berühmt gewordenen Beinamen als „hunderttorig" (ἑκατόμπυλοι) bezeichnet; Odyssee IV 126f.

[18] Vgl. E. Otto, in: *LÄ* I 1108. Zum etymologisch ungeklärten Namen Djeme vgl. K. Vandorpe, in: S. P. Vleeming, *Hundred-Gates Thebes* (= *Papyrologica Lugduno-Batava* 27), Leiden 1995, 222f.

[19] H.-J. Thissen, *Rheinisches Museum für Philologie* (Frankfurt) 145, 2002, 46ff. Zugunsten dieser Aktivierung einer literarischen Reminiszenz könnte man übrigens auch auf den späteren Gebrauch von αἴθιοψ für dunkelhäutige Menschen verweisen, der wieder an die Verhältnisse in mykenischer Zeit anknüpft; vgl. hierzu die Angaben oben in Anm. 5.

[20] Zur Interpretation vgl. G. Hölbl, *Or* 50, 1981, 186ff. Vgl. die umfangreiche Arbeit von Nancy J. Skon-Jedele, *„Aigyptiaka": A Catalogue of Egyptian and Egyptianizing Objects Excavated from Greek Archaeological Sites, ca. 1100–525 B.C., with Historical Commentary*, vier Bände, Dissertation Pennsylvania 1994. Generell ist für die Aegyptiaca des zentralen und östlichen Mittelmeers auf die einschlägigen Arbeiten von Günther Hölbl zu verweisen. Eine Typologie der Skarabäen erarbeitete

A. F. Gorton, *Egyptian and Egyptianizing Scarabs. A Typology of steatite, faience and paste scarabs from Punic and other Mediterranean sites*, Oxford 1996.

[21] J. Boardman, *Kolonien und Handel der Griechen*, München 1981, 131f.

[22] Vgl. in diesem Sinne S. Pernigotti, *Ocnus* (Bologna) 1, 1993, 126; ders., in: E. Acquaro (Hrsg.), *Alle soglie della classicità. Il Mediterraneo tra tradizione e innovazione. Studi in onore di Sabatino Moscati*, Pisa–Roma 1996, 356ff. A. Möller, *Naukratis*, Oxford 2000, 33 tendiert zu derselben Meinung, läßt aber die Möglichkeit offen, daß es sich bei den von Gyges gesandten Söldnern und den von Herodot erwähnten Piraten um zwei Gruppen gehandelt habe.

[23] Vgl. Boardman, *Kolonien und Handel der Griechen* 134.

[24] Vgl. W. M. F. Petrie, *Tanis II* (= *EEF* 5), London 1888; ders., *Ten Years Digging in Egypt*, London 1891, 50ff.; Boardman, *Kolonien und Handel der Griechen* 156ff. (trennt Daphnai und Stratopeda); Schipper, *Israel* 282f.

[25] Vgl. Boardman, a.a.O. 56 und besonders R. Wenning, in: *Naukratis* 257ff.

[26] Vgl. J. Renz, *Die althebräischen Inschriften*, I, Darmstadt 1995, 353ff.; zur Interpretation des Begriffs etwa auch W.-D. Niemeier, *BASOR* 322, 2001, 18.

[27] Vgl. Schipper, *Israel* 232f.; Haider, in: *Wege zur Genese* 69; 71; 75; Niemeier, a.a.O. 22f.; Wenning, a.a.O. 260ff.

[28] Vgl. S. Pernigotti, in: *Studi in onore di Sabatino Moscati* (Anm. 22), 355ff.

[29] Vgl. H. De Meulenaere, *BIFAO* 63, 1965, 19ff.; S. Pernigotti, *Ocnus* 1, 1993, 128; G. Vittmann, in: *WZKM* 89, 1999, 259f. Die Statue ist jetzt katalogisiert als Kairo CG 48637; s. J. A. Josephson – M. M. Eldamaty, *Statues of the XXVth and XXVIth Dynasties*, Cairo 1999, 87ff. und pl. 37. Der betreffende Titel ist *sšm ḫswt*, was mit dem vorher genannten *ḫrp ḫswt* synonym ist.

[30] Vgl. Boardman, a.a.O. 135 und 55 Abb. 20; Niemeier, a.a.O. 19f. mit Fig. 3.

[31] Alkaios 350 (Voigt); vgl. Boardman, a.a.O. 56f.; Vittmann, „*Riesen*" 39f.; Niemeier, a.a.O. 18; Wenning, a.a.O. 260.

[32] A. Bernand – O. Masson, *Revue des Études Grecques* (Paris) 70, 1957, 1ff.; *Fontes Hist. Nub.* I 286ff. Nr. 42; P. W. Haider, in: *Naukratis* 202ff. (mit Klarstellung, daß sich zwei Gruppen unterscheiden lassen, die an zwei verschiedenen Stellen angebracht wurden und sich auf zwei verschiedene Phasen des Nubienfeldzugs Psammetichs II. beziehen); Facsimiles 212ff.

[33] Zum Nubienfeldzug Psammetichs II. vgl. Pernigotti, *I Greci* 53ff. (mit weiterer Literatur); Haider, in: *Wege zur Genese* 105ff.; ders., in: *Naukratis* 202ff. (S. 215 Abb. 6 Tabelle zur Kommandostruktur); H. Hauben, in: *Fs Huß* 53ff.

[34] Identifizierung ungeklärt; vgl. hierzu (mit Literatur) Haider, in: *Wege zur Genese* 108 und Anm. 256; Hauben, a.a.O. 57f.

[35] Zum karischen Namen Pelekos vgl. unten mit Anm. 45. Zu einer „wörtlichen" Übersetzung „Axt, Sohn des Niemand" (wie in *Fontes Hist. Nub.* I 288 (a) und Anm. 77; M.P.J. Dillon, *ZPE* 118, 1997, 128ff.; H. Hauben, in: *Fs Huß* 73ff.) besteht m.E. keine Veranlassung, auch wenn wir uns durch diese Weigerung in die Schar der „Übersetzer ohne Humor" (O. Murray, *Das frühe Griechenland*, München 1998[6], 290) einreihen müssen.

[36] Vgl. die Dokumentation von S. Pernigotti, *SCO* 17, 1968, 251ff.; s. auch ders., *SEAP* 9, 1991, 1ff.; P.-M. Chevereau, *Prosopographie des cadres militaires égyptiens de la Basse Époque*, Antony 1985, 88f. (doc. 114).

[37] Zu den sog. „schönen Namen" (*rn nfr*) der Spätzeit vgl. H. De Meulenaere, *Le surnom égyptien à la Basse Époque*, Istanbul 1966 (Potasimto dort Nr. 34; Amasis Nr. 3); neue Nachträge und Konkor-

danzen ders., in: H. GYŐRY (Hrsg.), *Mélanges offertes à Edith Varga*, Budapest 2001, 381ff.

38 Vgl. Kapitel V Anm. 102.

39 CHEVEREAU, a.a.O. 89f. (doc. 115).

40 Zu den verschiedenen Deutungen vgl. S. PERNIGOTTI, in: *Méditerranées* 6/7, 98; ders., *I Greci* 70 (legt sich in weiser Zurückhaltung nicht fest); HAIDER, in: *Wege zur Genese* 107f. (Oberbefehlshaber der griechischen Söldner, dem Potasimto unterstellt); ders., in: *Naukratis* 205 und Diagramm 215 (schiebt nunmehr zwischen Psammatichos und Potasimto den Offizier Bakenrenef ein); HAUBEN, in: *Fs Huß* 70f. (als Koordinator; mit den beiden Zitaten).

41 HAUBEN, a.a.O. 56f. Anm. 20.

42 CHEVEREAU, *Prosopographie* (Anm. 36), doc. 114 (Potasimto / Neferibrenebqen); 117 (Haubens Kandidat Hor / Psammetich); 186 (Bakenrenef / Anchneferibre; vgl. Anm. 40); 187 (Iufaa / Neferibremerneith) (hinter dem Schrägstrich jeweils der sog. „schöne Name").

43 HAIDER, in: *Wege zur Genese* 107f., der Anm. 253 die Beurteilung von BOARDMAN, *Kolonien und Handel der Griechen* 137 oben („kaum mehr als jene wertlosen, wichtigtuerischen Kritzeleien, mit denen Soldaten und andere Leute unweigerlich alle dafür geeigneten Mauern und Denkmäler entstellen") indirekt zurückweist.

44 Vgl. PERNIGOTTI, *Ocnus* 1, 1993, 125ff. (hier 129); ders., *I Greci* 62f.

45 Vgl. KAMMERZELL, *Studien* 16ff.; O. MASSON, *SMEA* 34, 1994, 137ff.

46 P. DUPONT – J. CL. GOYON, in: *Atti sesto congr. intern. eg.* I 153ff. Zur griechischen (und zyprischen) Keramik aus Theben-West vgl. auch ASTON, *Egyptian Pottery* 48ff. und jetzt S. WEBER, in: *Naukratis* 139ff.

47 BUHL, *Sarcophagi* 33f. (Beschreibung) und 31 Fig. 7; vgl. auch unten Anm. 50.

48 Vgl. oben Kapitel III mit Abb. 22 und Taf. 5.

49 F. LL. GRIFFITH, *JEA* 3, 1916, 143; vgl. auch H. DE MEULENAERE, *BiOr* 17, 1960, 32; S. PERNIGOTTI, *Ocnus* 1, 1993, 132; ders., *I Greci* 98.

50 Vgl. jetzt S. GRALLERT, in: *Naukratis* 183ff. mit der plausibel scheinenden Annahme, daß der ägyptische Name des Inhabers nicht der Geburtsname ist, sondern ein sekundär erworbener Zweitname (S. 186).

51 Vgl. H. D. SCHNEIDER, *Shabtis*, Leiden 1977, I, 165f. Ein Exemplar befindet sich im Martin von Wagner-Museum Würzburg (H 407a; vgl. Taf. 22a).

52 Stockholm 98–101, s. P. LUGN, *Ausgewählte Denkmäler aus ägyptischen Sammlungen in Schweden*, Leipzig 1922, 37f. und Taf. XXV.

53 Vgl. O. MASSON – J. YOYOTTE, *Epigraphica Anatolica* (Bonn) 11, 1988, 171ff.; C. AMPOLO – E. BRESCIANI, *EVO* 11, 1988, 237ff.; PERNIGOTTI, *Ocnus* 1, 1993, 132ff.; ders., *I Greci* 90ff.; HAIDER, in: *Wege zur Genese* 100ff.; ders., in: *Naukratis* 200f. und 211 Abb. 1; HAUBEN, in: *Fs Huß* 71 und Anm. 86.

54 S. PERNIGOTTI, in: *Méditerranées* 6/7, 1996, 99; ders., *I Greci* 95f.

55 HAIDER, a.a.O. 200.

56 H. RANKE, *ZÄS* 44, 1907, 42ff. (Berlin 17700; mit überholter Lesung des Namens).

57 Vgl. BOARDMAN, *Kolonien und Handel der Griechen* 168 mit Abb. 167; L. H. JEFFERY, *The Local Scripts of Archaic Greece*, revised edition, Oxford 1990, 348 und 415 Nr. 10 (ergänzt den Namen zu [Σμυϱ?]δης) mit pl. 67. Zu zwei sehr kleinen Fragmenten zweier weiterer ägyptischer Steinstatuetten aus Milet vgl. G. HÖLBL, *Archäolog. Anzeiger* (Berlin) 1999, 346f. mit Abb. 2.

58 Zur griechischen Keramik aus Tell Defenne vgl. S. WEBER, in: *Naukratis* 131ff. (auch zu den Situ-

len) mit Taf. 20, 1–4; L. Wriedt Sørensen, ibid. 151ff.; Möller, *Naukratis* (Anm. 22) 145f. (zu den Situlen).

[59] Jeremia 44, 1; Herodot II 159,2. Zum Ort vgl. E. D. Oren, *BASOR* 256, 1984, 7ff.

[60] Vgl. den in Anm. 46 genannten Artikel von Dupont – Goyon.

[61] K.-Th. Zauzich, in: *Multi-Cultural Society* 361ff.

[62] H. O. M. Zaghloul, *Frühdemotische Urkunden aus Hermupolis*, Cairo 1985, Nr. 1–3 (Ariston, in demotischer Wiedergabe *irstn*, in Nr. 1). Zur Datierung vgl. H. J. Thissen, *Enchoria* 18, 1991, 112 und Anm. 9; zur Person jetzt auch Pernigotti, *I Greci* 97.

[63] A. B. Lloyd, *JEA* 58, 1972, 268ff; 307f.; *JHS* 95, 1975, 45ff.; *JEA* 63, 1977, 142ff.; *JHS* 100, 1980, 195ff.

[64] Vgl. D. Kurth, *SAK* 8, 1980, 153ff.

[65] Zum Gebrauch von *kbnt* in der Spätzeit vgl. J. C. Darnell, in: *Multi-Cultural Society* 67ff.; anders L. Bradbury, *JARCE* 33, 1996, 37ff., wonach das entscheidende die Bauart ist. Auf die funktionelle Analogie zwischen *kbnt* („Byblos"-Schiff) und „Tarschisch-Schiff" hat P. W. Haider, in: *Wege zur Genese* 88 Anm. 151 aufmerksam gemacht.

[66] H. T. Wallinga, in: *Achaemenid History* VI 179ff.

[67] Zu den von uns nur gestreiften Ereignisse des 5. und 4. Jh. (von Inaros bis Kallias), für die die griechischen Schriftsteller die wichtigste Informationsquelle darstellen, vgl. immer noch am bequemsten F. K. Kienitz, *Die politische Geschichte Ägyptens vom 7. bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende*, Berlin 1953, 70ff.

[68] Βαλσαμων kommt von B'LŠM' „Baal hat gehört". Zu diesen Graffiti s. die Publikation von O. Masson in C. Traunecker et al., *La chapelle d'Achôris à Karnak*, II, *Texte*, Paris 1981, 251ff. (Balsamon hier Nr. 1). Vgl. auch G. Vittmann, *WZKM* 89, 1999, 260f.

[69] Vgl. an Literatur der letzten Jahre Haider, in: *Wege zur Genese* 59ff.; J. C. Waldbaum, *BASOR* 305, 1997, 1ff.; Möller, *Naukratis* 45; 50f.; Niemeyer, *BASOR* 322, 2001, 11ff.

[70] Vgl. Boardman, *Kolonien und Handel der Griechen* 132 (dort auch das Zitat). Speziell für Samos vgl. U. Jantzen, *Ägyptische und orientalisierende Bronzen aus dem Heraion von Samos* (= *Samos* VIII), Bonn 1972.

[71] Boardman, *Kolonien und Handel der Griechen* 133. Noch weiter mit der Datierung des Kolaios hinauf (um 650) geht nach Mitteilung von U. Höckmann B. Freyer-Schauenburg, *Madrider Mitteilungen* (Berlin) 7, 1966, 89ff.

[72] Möller, *Naukratis* 54ff., wo sich auch die nötigen Quellennachweise finden.

[73] A. Möller, in: *Naukratis* 13ff. (das Zitat S. 13; dort auch der griechische Text); dies., *Naukratis* 183f. – Zur Vermeidung von Mißverständnissen sei darauf aufmerksam gemacht, daß sich Verweise auf „Möller, in: *Naukratis*" auf die Akten der Mainzer Naukratis-Tagung beziehen (vgl. Abkürzungsverzeichnis), während mit „Möller, *Naukratis*" die Oxforder Monographie der Verfasserin (vgl. Anm. 22) gemeint ist.

[74] Jacoby, *Fragmente griechischer Historiker* III c 1, 4:14ff. (Nr. 608, F. 8); vgl. zur Interpretation Möller, in: *Naukratis* 19 (mit dem griechischen Text).

[75] Zum folgenden vgl. Möller, *Naukratis* 192ff.

[76] Möller, in: *Naukratis* 12.

[77] Zitiert nach H. Scurla (Hrsg.), *Reisen in Nippon. Berichte deutscher Forscher des 17. und 19. Jahrhunderts aus Japan*, Berlin 1982[5], 40f. – NB. Manche Leser werden sich vielleicht aus früher Ceram-Lektüre daran erinnern, daß derselbe Engelbert Kaempfer (1651–1716) als einer der ersten Rei-

senden der Neuzeit über die altpersischen Monumente berichtet und die erste – recht tüchtige! – Kopie eines längeren Keilschrifttextes hinterlassen hat; vgl. C. W. CERAM, *Götter, Gräber und Gelehrte im Bild*, Hamburg 1957 (und spätere Auflagen) 196; 200f. (mit zwei Abbildungen).

78 MÖLLER, *Naukratis* 291 Fig. 1; eine ähnliche Planskizze gibt dieselbe Autorin in *Der Neue Pauly. Enzyklopädie der Antike*, Bd. 8, Stuttgart – Weimar 2000, 747. Zur Topographie von Naukratis vgl. jetzt ausführlich MÖLLER, *Naukratis* 94ff. und Fig. 2–6.

79 B. MUHS, *JARCE* 31, 1994, 99ff.

80 Vgl. BOARDMAN, a.a.O. 144 Abb. 139. Zur Keramik aus Naukratis vgl. *Naukratis* passim; MÖLLER, *Naukratis* 119ff.; 217ff.

81 BOARDMAN, a.a.O. 155 (mit dem Identifizierungsvorschlag); dagegen D.W.J. GILL, *JHS* 106, 1986, 184ff.; MÖLLER, *Naukratis* 177f. Was Phanes betrifft, so ist nach MÖLLER, a.a.O. 179(6) eine Entscheidung unmöglich.

82 Zu Archedike und Rhodopis vgl. Herodot II 135 und BOARDMAN, a.a.O. Abbildung des attischen Skyphosfragments mit der Inschrift ['Aϱ]χεδίχη bei MÖLLER, *Naukratis*, pl. 3d. Zum Thema vgl. HAIDER, in: *Wege zur Genese* 103; MÖLLER, a.a.O. 55. Nebenbei bemerkt, ist Rhodopis die Heldin eines frühen Romans von Nagib Mahfuz (*Rādubīs*).

83 Dafür vgl. WH. M. DAVIS, *GM* 35, 1979, 13ff.; ders., *GM* 41, 1980, 7ff. Dagegen A. MÖLLER, in: *Naukratis* 6 Anm. 28; dies., *Naukratis* 161ff. Nach Beobachtungen von U. Höckmann (briefliche Mitteilung) ist die Votivkleinplastik aus Naukratis eindeutig zyprisch, doch ist die Entscheidung zwischen Import und Produktion durch zyprische Handwerker in Naukratis nach wie vor ungeklärt

84 F. DE SALVIA, *EVO* 12, 1989, 127 spricht geradezu von „un'antica e ricca 'koiné' figurativa e religiosa cipro-egizia"; vgl. in diesem Sinne auch ders., *SEAP* 12, 1993, 68 sowie ders., *DE Special Number* 1, 1989, 81ff.

85 MÖLLER, in: *Naukratis* 6.

86 Apollos: A. BERNAND, *Le delta égyptien d'après les textes grecs*, 1. *Les confins libyques* (= *MIFAO* 91), Le Caire 1970; 761f. Nr. 31 und pl. 40,4 (danach deutlich Θαλινο, nicht Θλαινο). Teaos: a.a.O. 762 Nr. 32 (= *RdE* 35, 1984, pl. 10 fig. 4). Jünger (4. Jh.) ist BERNAND, a.a.O. 763 Nr. 33, pl.40,5 – das ist alles!

87 *Nt.w-krd*, vgl. H. DE MEULENAERE, in: *LÄ* IV 360f. (mit Deutung „L'établissement de Keredj"); J. YOYOTTE, *ACF* 92, 1991/92, 641f. A. B. LLOYD, *Herodotus Book II. Commentary 99–182* (= *EPRO* 43, 3), Leiden 1988, 222 hat den Gedanken an eine ägyptische Etymologie zu Unrecht als „patently absurd" abgelehnt. An griechischen Ursprung des Namens glaubt auch – im Einklang mit ihrer Ablehnung einer ägyptischen Siedlung – MÖLLER, *Naukratis* 185. – L. BRADBURY, *JARCE* 33, 1996, 58f. stellt die ägyptische Form von „Naukratis", die nubische Stadt Karoi, Ugarit (!) und Kar, den *heros eponymos* der Karer, allesamt zu akkad. *kārum* „Handelsstation": originell, aber sehr bedenklich ...

88 *Pr-mrjt* und *Bdd*, vgl. J. YOYOTTE, *RdE* 34, 1982/83, 129ff.

89 MÖLLER, in: *Naukratis* 5ff.; dies., *Naukratis* 117ff.

90 Vgl. M. LICHTHEIM, in: *Studies in Honor of George R. Hughes* (= *SAOC* 39), Chicago 1976, 139ff. (mit Übersetzung der ganzen Inschrift und älterer Literatur).

91a Vgl. hierzu J. YOYOTTE, *Égypte Afrique & Orient* 24, 2001, 24ff.

91 Vgl. B. GUNN, *JEA* 29, 1943, 55f.; dagegen K. JANSEN-WINKELN, *Or* 67, 1998, 168ff.

92 D. WILDUNG, *AW* 27, 1996, 1f. Der ursprünglich in Lyon befindliche Hauptteil wurde publiziert

von P. TRESSON, *Kêmi* 4, 1931–1933, 126ff. Vgl. auch G. POSENER, *Revue de Philologie*, IIIe sér. (Paris), 21, 1947, 117ff.

93 Petersburg [nicht Moskau!] 18499, R. EL-SAYED, *Documents relatifs à Saïs et ses divinités* (= *BdE* 69), Le Caire 1975, 53ff. (mit einigen Fehlern und Ungenauigkeiten, z.B. beim Namen des Vaters des Stifters), Nr. 4, und pl. VIII, hier Z. 2–3; vgl. J. YOYOTTE, *ACF* 92, 1991/92, 643f.

94 Problematisch ist, daß *ḫ* (in *Grḫs*) in der Wiedergabe eines griechischen Namens absolut ungewöhnlich – und an sich auch unpassend – wäre. Eventuell hängt die Verwendung von *ḫ* für griech. Koppa mit dem bereits für diese Zeit nachweisbaren Wandel von /ḫ/ in *ḫꜣ*' „legen" > /k/ (kopt. *kô*) zusammen. – Vgl. auch MÖLLER, in: *Naukratis* 10 (favorisiert zu Recht Korakos gegenüber dem von O. Masson bei YOYOTTE, a.a.O. vorgeschlagenen Korax, sieht aber – für eine Nichtägyptologin natürlich verzeihlich! – das phonetische Problem nicht).

95 Berlin 7780, s. H. DE MEULENAERE, *RdE* 44, 1993, 16ff.; YOYOTTE, a.a.O. 643; MÖLLER, in: *Naukratis* 10 (erwägt zu Unrecht immer noch einen Bezug auf Mendes).

96 Kairo *CG* 1230, bearbeitet von DERCHAIN, *Impondérables* 42f.; 69ff.; 107 (Reproduktion der aufstellungsbedingt nicht im Original nachprüfbaren Inschrift nach dem *Catalogue Général*). Originale Transkription von „Horemheb": *Ḥr-m-ḥb*.

97 C. VANDERSLEYEN, *Les guerres d'Amosis*, Bruxelles 1971, 153 bezweifelt, daß der Vatersname griechisch ist, da die von Vercoutter angenommene Entsprechung Καρεώτης auf einem Irrtum beruht. Somit könne Horemheb auch „simplement un Asiatique, Syrien ou Phénicien" sein. *Qꜣrds* ist aber sicher griechisch Κράτης (auch demotisch belegt; vgl. *Demot. Nb.* 986); das Aleph hinter dem *q* ist hier rein graphisch zu verstehen und braucht keinen Vokal anzudeuten.

98 Vgl. S. 70; 185f. und meinen Beitrag in *Gs Quaegebeur* II 1231ff.

99 J. YOYOTTE, *RdE* 34, 1982/83, 148f. Ders., *ACF* 95, 1994/95, 671ff. vertritt jetzt entschieden die Meinung, daß der Horemheb von Kairo CG 1230 lediglich nach dem vergöttlichten Mann benannt, aber nicht mit ihm identisch war.

100 K. JANSEN-WINKELN, *ZÄS* 124, 1997, 108ff. (Kairo T 1/6/24/6).

101 *wjnn ms n Kmj*, vgl. K. GOUDRIAAN, *Ethnicity in Ptolemaic Egypt*, Amsterdam 1988, 126ff.

102 HAIDER, in: *Wege zur Genese* 104.

103 Zu diesem rege diskutierten Thema vgl. J.C. WALDBAUM, *BASOR* 305, 1997, 1ff. (wo die Frage S. 5 auf den Punkt gebracht wird: „how many sherds make a Greek?"); HAIDER, in: *Wege zur Genese* 59ff.; NIEMEIER, *BASOR* 322, 2001, 11ff.; BOARDMAN, ibid. 33ff.

104 Vgl. K. SMOLÁRIKOVÁ, in: *Naukratis* 163ff.

105 Vgl. HAIDER, in: *Wege zur Genese* 104.

106 Herodots Zeugnis wird ernst genommen von KUHLMANN, *Ammoneion* 90ff. Dagegen schlägt J. OSING, in: *Gs Quaegebeur* II 1447f. vor, Herodots Samier mit dem libyschen Stamm der *Šmn*, *Šn* (in der sog. Kleinen Dachla-Stele) zu identifizieren.

107 A. B. LLOYD, *JHS* 89, 1969, 79ff.

108 Zu *Pꜣ-wrš* als Bezeichnung des Min und dem Anklang an „Perseus" vgl. S. SAUNERON, *RdE* 14, 1962, 53ff.

109 Zu derartigen, bisweilen toposhaften Überlieferungen vgl. J. GÓMEZ ESPELOSÍN, in: L. A. GARCÍA MORENO – A. PÉREZ LARGACHA (Hrsg.), *Egipto y el exterior. Contactos e influencias* (= *Aegyptiaca Complutensia* 3), Alcalá 1997, 163ff.

110 Speziell zum (befürworteten) Aufenthalt Platons in Ägypten vgl. B. MATHIEU, *ASAE* 71, 1987, 153ff.

111 Vgl. E. HORNUNG, *Das esoterische Ägypten. Das geheime Wissen der Ägypter und sein Einfluß auf das*

Abendland, München 1999; J. ASSMANN, *Weisheit und Mysterium. Das Bild der Griechen von Ägypten*, München 2000.

[112] Vgl. knapp (mit den beiden Zitaten) MURRAY, *Das frühe Griechenland* 292f.; wesentlich ausführlicher BOARDMAN, *Kolonien und Handel der Griechen* 168ff. Speziell für die ägyptischen Einflüsse auf die griechische Architektur vgl. G. HÖLBL, *Jahreshefte des Österreich. Archäolog. Inst.* (Wien) 55, 1984, 1ff. und jetzt M. BIETAK (Hrsg.), *Archaische Griechische Tempel und Altägypten*, Wien 2001. Die zuletzt genannte Arbeit zeigt, daß die Frage dieser Einwirkungen differenzierter gesehen muß: Nach E. ØSTBY, a.a.O. 17ff. ist zwar die Anregung, Tempel in Stein zu erbauen, ägyptischen Impulsen verpflichtet, nicht aber die vielmehr im mykenischen Erbe wurzelnde architektonische Ausgestaltung.

[113] Vgl. W. BURKERT, *Die orientalisierende Epoche in der griechischen Religion und Literatur*, Heidelberg 1984; D. R. WEST, *Some Cults of Greek Goddesses and Female Daemons of Oriental Origin* (= *AOAT* 33), Neukirchen-Vluyn 1995; R. ROLLINGER, in: *Wege zur Genese* 156ff.; R. RIBICHINI et al. (Hrsg.), *La questione delle influenze vicino-orientali sulla religione greca. Stato degli studi e prospettive della ricerca. Atti del Colloquio Internazionale Roma, 20–22 maggio 1999*, Roma 2001.

[114] R. DREW GRIFFITH, *SMEA* 39, 1997, 219ff. Der Artikel enthält eine Reihe weiterer origineller, phantasievoller Vorschläge, z.B. daß Homers stehende Redensart ἔπεα πτερόεντα, wörtl. „gefiederte Worte" von der Schreibung von *mꜣ'-ḫrw* „wahr an Stimme, gerechtfertigt" mit der Feder für den ersten Bestandteil des Ausdrucks herrührt; die „geflügelten Worte" wären also eigentlich Worte eines Heroen, eines μάκαρ (vgl. unsere weiteren Ausführungen und die folgende Anmerkung).

[115] Vgl. DREW GRIFFITH, a.a.O. 230f. und Anm. 45 mit Hinweis auf ihren Artikel in *Glotta* 72, 1994, 20ff., wo für die Wiedergabe von äg. *ṯ* durch κτ auf die angebliche Entsprechung δάκτυλος „Dattel" = aram. DQL „Palme" verwiesen wird (handelt es sich denn nicht einfach um einen Spezialgebrauch des griechischen Wortes für „Finger"?!). Daß νίτρον eine (anerkannte) archaische Übernahme von demselben äg. *nṯrj* ist, erwähnt die Autorin jedoch durchaus.

[116] Vgl. R. MERKELBACH, *ZPE* 128, 1999, 3ff.

[117] Zu Hekataios von Milet im Vergleich mit Herodot vgl. S. M. BURSTEIN, in: A. LOPRIENO (Hrsg.), *Ancient Egyptian Literature*, Leiden etc. 1996, 593ff.; zu Herodot von Abdera S. M. BURSTEIN, in: *Multi-Cultural Society* 45ff.

[118] Vgl. den dreibändigen Kommentar von A. B. LLOYD, *Herodotus Book II*, Leiden 1975 und 1988; ders., in: *Hérodote et les peuples non grecs*, Genève 1990, 215ff.; C. OBSOMER, in: *Gs Quaegebeur* II 1423ff. Eine eingehende, in bestimmten Punkten methodisch aber übers Ziel schießende detaillierte Zurückweisung der von O. K. Armayor und D. Fehling angeführten „Liar School" unternahm W. K. PRITCHETT, *The Liar School of Herodotos*, Amsterdam 1993.

[119] Vgl. BURSTEIN, a.a.O. 593f.

[120] Vgl. in diesem Sinne zweifelnd O. K. ARMAYOR, *JARCE* 15, 1978, 59ff. Zu dem analogen Ergebnis, daß Herodot auch nicht in Babylon gewesen sein könne, kommt R. ROLLINGER, *Herodots babylonischer Logos*, Innsbruck 1993 (anders PRITCHETT, a.a.O. 235ff.). Auch A. SCHLÖGL, *Herodot*, Reinbek 1998 (in den preisgünstigen und leicht lesbaren rororo-Biographien) gehört zu denen, die Herodots Reisetätigkeit weitestgehend in Abrede stellen; vgl. auch den in Anm. 123 zitierten Aufsatz von P. W. Haider.

[121] K. MEISTER, in: *Der Neue Pauly. Enzyklopädie der Antike*, Bd. 5, Stuttgart – Weimar 1998, 472.

[122] Vgl. auch Herodot II 123, 1 und zum Prinzip des λέγειν τὰ λεγόμενα PRITCHETT, a.a.O. 285f.;

Der Neue Pauly, a.a.O.; ironisch-kritisch SCHLÖGL, *Herodot* 132f.

[123] P. W. HAIDER, in: *Althistorische Studien (...). Festschrift für F. Hampl*, Stuttgart 2001, 127ff. (das Zitat 144).

[124] Vgl. R. BICHLER – R. ROLLINGER, *Herodot*, Hildesheim 2000, 161f.

[125] G. LORENZ, in: *Althistorische Studien* 82.

[126] Nach II 100 sollen allerdings die Priester dem Herodot die Namen von 330 Königen aus einem Buch vorgelesen haben.

[127] Vgl. hierzu PRITCHETT, a.a.O. 73ff.; H.-G. NESSELRATH, *Museum Helveticum* (Basel) 56, 1999, 1ff.

[128] Vgl. F. DE SALVIA, *EVO* 12, 1989, 125ff.; ders., *DE Special Number* 1, 1989, 81ff.; ders., *SEAP* 12, 1993, 65ff.

[129] Die zitierte Stelle trifft freilich auch dadurch, daß sie den Ägyptern lange ungebrochene Traditionen als hochgeschätztes Ideal zuschreibt, etwas Wahres, vgl. (mit Zitat dieser Stelle) ASSMANN, *Stein und Zeit* 303f. Dagegen ist die Einleitung zum 16. Traktat des Corpus Hermeticum, in der die gesamte griechische Philosophie von einem Ägypter als Wortgeklingel abgetan wird, eine Fälschung; vgl. H.-J. THISSEN, *SAK* 27, 1999, 380 Anm. 55 mit Literatur.

[130] Vgl. oben Kapitel VI, S. 176 mit Anm. 45.

[131] G. LACAZE – O. MASSON – J. YOYOTTE, *RdE* 35, 1984, 137 Anm. 34 (a) und pl. 11.

[132] K. SMOLÁRIKOVÁ, *GM* 141, 1994, 81ff. (aus dem Grab des Udjahorresnet). Zu archaischer ostgriechischer Keramik aus dem unlängst entdeckten Grab des Iufaa in Abusir vgl. dies., in: *Naukratis* 163ff.

[133] P. GALLO – O. MASSON, *BIFAO* 93, 1993, 265ff.

[134] G. LACAZE – O. MASSON – J. YOYOTTE, *RdE* 35, 1984, 132ff.; vgl. auch M. MARTIN, *BIFAO* 97, 1997, 181ff.

[135] Vgl. Kapitel III, S. 55 mit Anm. 46.

[136] Das *pi* ist in Ligatur geschrieben. Um die zum Griechischen passende Lesung *Prpj* zu erhalten, muß man freilich annehmen, daß dreimal ein falsches Vogelzeichen geschrieben worden ist, denn eigentlich steht ja *Prtj* da! – Zum Namen vgl. das analog gebildete Armapiya, s. oben S. 97.

[137] O. MASSON, *RdE* 29, 1977, 53ff. und pl. 2.

[138] Vgl. Abb. 82 (Stele M 7).

[139] Vgl. G. VITTMANN, *Enchoria* 24, 1997/98, 95.

[140] Vgl. oben S. 151.

[141] Vgl. oben S. 100.

[142] O. MASSON, *RdE* 29, 1977, 61ff. und pl. 2; vgl. auch U. HÖCKMANN, in: *Naukratis* 226 und Taf. 42, 3–4.

[143] W. SPIEGELBERG, *JEA* 12, 1926, 34ff. (*pꜣ jḥ n Ḥp*).

[144] Mit diesem **Pa-n-ḥp* (die Dokumente kennen nur das zitierte *Pa-ḥp*) könnten die Namensformen *Pa-n-ꜣs.t* Πανησις, Φανησις als Variante zu *Pa-ꜣs.t* Πανησις „Der der Isis" verglichen werden (*Demot. Nb.* 354).

[145] O. MASSON, *RdE* 29, 1977, 57ff. und pl. 3 (Kairo JE 36571). Vgl. die oben S. 162 erwähnte Petersburger karische Isis!

[146] Das Rho hat dieselbe Form wie im vorhin zitierten Namen Πιϱαπια nach der alten Kopie von Vansleb.

[147] Vgl. G. HÖLBL, in: *Fs Leclant* III 271ff.

[148] Publikation der beiden genannten Denkmäler: G. WAGNER, in: *Fs Leclant* III 485ff.; PH. DER-

CHAIN, *CdE* 37, 1962, 188ff. (auf der Statuette in Verviers erscheint das Prädikat in der Form ἀνέστησαν).

[149] O. MASSON, *RdE* 29, 1977, 63ff. und pl. 4 (Berlin 2458).

[150] *Sammelbuch der griechischen Inschriften aus Ägypten* V, Wiesbaden 1955, Nr. 8306. Die Inschrift, soweit erhalten, beginnt mit ...]οδομαῖς Τᾶνον θεὸν ἱδρύσαντο.

[151] Aufgenommen in G. RONCHI, *Lexicon theonymon rerumque sacrarum et divinarum ad Aegyptum pertinentium quae in papyris ostracis titulis graecis latinisque in Aegypto repertis laudantur*, V, Milano 1977, 1081.

[152] Vgl. P. GALLO – O. MASSON, *BIFAO* 93, 1993, 272 Anm. 24.

[153] Publiziert von G. LEFEBVRE, *Le tombeau de Petosiris*, 3 Bände, Le Caire 1923–1924.

[154] Hierzu vgl. immer noch CH. PICARD, *BIFAO* 30, 1931, 201ff.

[155] H.-G. NESSELRATH, *Poetica* (München) 28, 1996, 283 Anm. 22.

[156] Vgl. hinsichtlich der Kunst etwa J. FISCHER, *Gnomon* (München) 66, 1994, 165ff.; K. LEMBKE, *MDIK* 55, 1999, 299ff.; für die Literatur zuletzt H.-J. THISSEN, *SAK* 27, 1999, 369ff. Alle diese Autoren beziehen mit vollem Recht gegen eine einseitig ägyptozentrische Betrachtungsweise Stellung.

هوامش الفصل التاسع : تأملات متممة وموجزة

[1] A. ZIVIE, in: *Gs Quaegebeur* I 287ff.

[2] Vgl. P. GALLO – O. MASSON, *BIFAO* 93, 1993, 271 Anm. 19 und pl. III fig. 8 (Stockholm 11422).

[3] *ḫꜣswt* sind eigentlich die „Wüstengebiete", „Bergländer", früh aber auch schon die „Fremdländer" sowie deren Bewohner. *ḫꜣstj* ist eine sog. Nisbe zum Singular *ḫꜣst*, bedeutet also wörtlich „der zum Wüstengebiet / zum Bergland / zum Fremdland Gehörige."

[4] Vgl. H. DE MEULENAERE, *Cahier de Recherches de l'Institut de Papyrologie et d'Égyptologie de Lille* (Lille) 13, 1991, 54 und Anm. 10.

[5] Vgl. hierzu G. VITTMANN, *WZKM* 89, 1999, 259f.

[6] A. M. BLACKMAN, *JEA* 27, 1941, 84 und pl. X/XI (Z. 10); vgl. SCHIPPER, *Israel* 114f.

[7] Vgl. VITTMANN, a.a.O. 268 (speziell für Theben).

[8] R. A. CAMINOS, *The Chronicle of Prince Osorkon*, Rome 1958, 142 und 144 (q).

[9] R. A. CAMINOS, *JEA* 50, 1964, 76 und pl. X (Z. 27); 94f.

[10] "Large Egyptian Tablets" (abgekürzt LET), Vso 12–18; vgl. H.-U. ONASCH, *Die assyrischen Eroberungen Ägyptens* (= *ÄAT* 27), Wiesbaden 1994, I 108f. (zusammenhängende Transkription und Übersetzung); II 78f. (synoptische Transkription).

[11] A. DIHLE, *Die Griechen und die Fremden*, München 1994, 101.

[12] Der bisher erst ab der Ptolemäerzeit belegte Ausdruck (vgl. W. ERICHSEN, *Demotisches Glossar*, Kopenhagen 1954, 80) ist nunmehr bereits für das Ende der Ersten Perserzeit bezeugt: In demotischen Ostraka aus El-Manawir in der Oase Charga vom Ende des 5. Jahrhunderts wird nach Stateren (einmal, in O 620, 5, heißt es *sttr n wj<nn>* „io<nischer> Stater") gerechnet, vgl. vorläufig M. CHAUVEAU, *Trans* 20, 2000, 137ff.

[13] Zur *Ḥꜣw-nbw*-Frage vgl. Kapitel V, S. 143 mit Anm. 102.

[14] Vgl. J. OSING, *GM* 40, 1980, 48f. und besonders ders., in: I. GAMER-WALLERT – W. HELCK (Hrsg.), *Gegengabe. Festschrift für Emma Brunner-Traut*, Tübingen 1992, 273ff. (hier 278f. zu der Stelle im Kanopus-Dekret). Die zitierte Stelle aus dem Kanopus-Dekret zeigt übrigens eindeutig,

daß *wꜣḏ-wr / wadj-wer* – wie auch in anderen Texten – sehr wohl das Meer bezeichnen kann (bekanntlich liegt Zypern im Mittelmeer). Dies festzuhalten wäre überflüssig, wenn nicht von bestimmten Seiten immer wieder hartnäckig behauptet würde, daß *wꜣḏ-wr* (ebenso wie *jm*) grundsätzlich nie „Meer" bedeutet; vgl. z.B. C. VANDERSLEYEN, *GM* 103, 1988, 75ff.; und dazu kritisch J. F. QUACK, *OLZ* 97, 2002, 453ff.

[15] OSING, a.a.O. 279 Anm. 22.

[16] Vgl. P. W. HAIDER, in: *Wege zur Genese* 98 (zur „Präsenz ionischer und karischer Söldner und spezialisierter Waffenschmiede in Festungen wie Tahpanhes").

[17] Zumindest ist kein stichhaltiger Grund zu erkennen, warum 'SPMT Sohn des PPṬ'WNYT (gesprochen etwa Espmēt / Pefṭe'auneit „Er gehört dem (heiligen) Stab" – ein in Elephantine häufiger Personenname – und „Sein Lebensodem ist in den Händen der Neith") kein Ägypter gewesen sein sollte.

[18] Speziell für die aramäisch-ägyptischen Grabstelen, die hier übrigens informativer sind als die – wenngleich zahlreicheren – karischen, vgl. die in der Bibliographie zu Kapitel IV genannten Beiträge von H. Donner und B. Porten – J. Gee.

[19] Vgl. hierzu G. POSENER, *RdE* 22, 1970, 204f.

[20] Zur – letztlich ungeklärten – Frage nach der ethnischen Zugehörigkeit des Siamun vgl. KUHLMANN, *Ammoneion* 83ff. (das Zitat 83). Zu den Darstellungen des Siamun in seinem Grabe vgl. a.a.O. Taf. 37–38 und Farbtaf. I–II.

[21] Ihr Name war *Šmrbj*, wie oben S. 74 vermerkt. Der Anfang sollte dem Element ŠMR „bewahren" entsprechen; vgl. den häufigen Männernamen ŠMRB'L (BENZ, *Personal Names* 181 und 421). Wahrscheinlich handelt es sich um eine Abkürzung (der Name des Stifters, Pa'al'aštart, wird in den hieroglyphischen Inschriften der Stele teils phonetisch exakt transkribiert, teils abgekürzt zu *P'rj*, wobei nach ägyptischem Usus *r* für /r/ und – wie hier /l/ steht).

[22] Vgl. oben Kapitel V mit Anm. 124.

[23] J. ASSMANN, in: M. SCHUSTER (Hrsg.), *Die Begegnung mit dem Fremden*, Stuttgart – Leipzig 1996, 85.

[24] Text bei *KRI* II 251; übersetzt z.B. bei S. SCHOTT, *Altägyptische Liebeslieder*, Zürich 1950², 98. Vgl. auch ASSMANN, a.a.O.

[25] G. T. MARTIN, *The Tomb of Hetepka and Other Reliefs and Inscriptions from the Sacred Animal Necropolis North Saqqâra 1964–1973*, London 1979, 74ff.; vgl. auch U. HÖCKMANN, in: *Naukratis* 224 und zur Teilnahme von fremden Söldnern am Apiskult a.a.O. 224ff.

[26] Ich entnehme das Zitat von H.J. THISSEN, *ZPE* 97, 1993, 241.

[27] Vgl. oben S. 64; 161f.; 199; G. VITTMANN, *Kadmos* 40, 2001, 51f.

[28] Vgl. zu all diesem ASSMANN, a.a.O. 82ff. und 93ff. Der *locus classicus* über die Verständigungsschwierigkeiten zwischen Nord und Süd findet sich in der sog. Satirischen Streitschrift (P. Anastasi I [ed. Fischer-Elfert], XXVIII 6; zitiert von ASSMANN, a.a.O. 83).

[29] P. Rylands 9, XI 4; XVI 19; vgl. VITTMANN, *P. Rylands 9*, 150f. und 172f.; Kommentar 463f. und 532.

[30] Für China vgl. z.B. W. BAUER (Hrsg.), *China und die Fremden*, München 1980, 71 (dort auch das – natürlich auf die entsprechenden Verhältnisse bezogene – Zitat).

[31] S. SAUNERON, *Kush* (Khartoum) 7, 1959, 63ff. (zu Setne 2, III 6).

[32] Vgl. u.a. A. LOPRIENO, *Topos und Mimesis. Zum Ausländer in der ägyptischen Literatur* (= *Ägyptologische Abhandlungen* 48), Wiesbaden 1988.

[33] Vgl. E. SWAN HALL, *The Pharao Smites his Enemies* (= *MÄS* 44), Berlin 1986.

[34] Vgl. etwa die an einen Pfahl gebundenen Feinde auf zwei spätzeitlichen Kosmetiklöffeln bei M. PERRAUD, *BIFAO* 99, 1999, 369ff., die in Text und Bild angedeutete, jenseitig orientierte Feindvernichtungssymbolik der Sandalen (hierzu W. VAN HAARLEM, *JEA* 78, 1992, 294f.) oder die ebenso jenseitsbezogenen Darstellungen gefesselter Ausländer auf der Unterseite des Fußteils ptolemäer- und römerzeitlicher Kartonagesärge (W. K. SIMPSON, *ZÄS* 100, 1973, 50ff.).

[35] Vgl. P. HAIDER, in: *Wege zur Genese* 106; ders., in: *Naukratis* 203.

[36] So versteht H. GOEDICKE, *MDIK* 37, 1981, 188 und 196f. (v) die Stelle (Z. 12). Zu der betreffenden Stele (Goedickes Bearbeitung a.a.O. 187ff. weist verschiedene Mängel auf, aber seine Auffassung der zitierten Passage verdient Beachtung) vgl. PERNIGOTTI, *I Greci* 53ff. mit Fig. 5 und weiterer Literatur).

[37] Vgl. den bereits in Kapitel V, Anm. 10 zitierten Artikel von C. THIERS, *BIFAO* 95, 1995, 493ff.

[38] E. G. TURNER, *JEA* 60, 1974, 239ff. und pl. LV.

[39] J. ASSMANN, *Ägypten. Eine Sinngeschichte*, Darmstadt 1996, 435.

[40] Zu Fremden als Religions- und Kultfeinden vgl. J. WINNICKI, *JJP* 24, 1994, 149ff.

[41] ASSMANN, a.a.O. 437 (533 Anm. 61 mit Verweis auf R. GIVEON, *Les bédouins Shosou des documents égyptiens*, Leiden 1971, 168f.).

[42] ASSMANN, a.a.O. 437 und 533 Anm. 64 (P. Salt 825, VII 5).

[43] U. VERHOEVEN, *Das saitische Totenbuch der Iahtesnacht*, Bonn 1993, Teil 1, 304 und Anm. 4 (Übersetzung und Kommentar); hieroglyphische Transkription in Teil 2, 122* (117,13); Photo in Teil 3, Beilage 28. Es handelt sich um den Vermerk zu Totenbuchkapitel 148.

[44] Zitiert nach T. HOPFNER, *Griechisch-Ägyptischer Offenbarungszauber*, Amsterdam 1924, II 24.

[45] Vgl. Y. KOENIG, *RdE* 38, 1987, 105ff. (mit dem zitierten Begriff im Untertitel); H.-J. THISSEN, in: D. MENDEL – U. CLAUDI (Hrsg.), *Ägypten im afro-orientalischen Kontext. Gedenkschrift P. Behrens*, Köln 1991, 369ff.; F. HOFFMANN, *Ägypten. Kultur und Lebenswelt in griechisch-römischer Zeit. Eine Darstellung nach den demotischen Quellen*, Berlin 2000, 213.

[46] Vgl. z.B. die bei H. M. EL-SHAMY, *Folktales of Egypt*, Chicago – London 1980, 38ff. übersetzte Version.

[47] I. E. S. EDWARDS, *Oracular Amuletic Decrees of the Late New Kingdom*, London 1960, 10 und pl. III/IIIA (Sigel L.1, Verso 33–37) und für die anderen Stellen 124 (Index) s.v. *ḫtrw*.

[48] R. O. FAULKNER, *The Papyrus Bremner-Rhind* (= *Bibliotheca Aegyptiaca* 3), Bruxelles 1933, 34:8–10; Übersetzung ders., *JEA* 23, 1937, 11.

[49] Vgl. K. HENSCHEL, *Geister, Magier und Muslime*, München 1997, 178ff. (mit einem längeren Beispiel).

[50] Vgl. LOPRIENO, *Topos und Mimesis* (Anm. 32) 7 Anm. 29; P. HASENFRATZ, *Zeitschrift für Religions- und Geistesgeschichte* (Leiden) 42, 1990, 193; relativierend H. BUCHBERGER, *WdO* 20/21, 1989/90, 19ff.; vgl. auch hier unten Anm. 55.

[51] Zu „Mensch" als Selbstbezeichnung von Völkern vgl. V. A. NIKONOV, in: *Beiträge zur Namenforschung* (Heidelberg) 25, 1990, 29f. (zuerst 1970 in Russisch erschienen).

[52] Großer Sonnenhymnus des Echnaton; vgl. J. ASSMANN, *Ägyptische Hymnen und Gebete*, Zürich – München 1975, 219. Zur Vorstellung von Thot als Schöpfer der Sprachen vgl. J. ČERNÝ, *JEA* 34, 1948, 121f.

[53] Das ist natürlich ebenso wie die Bezeichnung „die Menschen, das Vieh des Re" in der Lehre für Merikare eine Metapher auf derselben Ebene wie das Bild vom „guten Hirten".

[54] Zur Charakterisierung dieser Völker im Pfortenbuch auf Grund von Wortspielen vgl. zuletzt

K. JANSEN-WINKELN, *Altorientalische Forschungen* (Berlin) 25, 1998, 374ff.

[55] Zu *rmṯ* in Bezug auf Ausländer vgl. K. JANSEN-WINKELN, in: E.A. BRAUN-HOLZINGER – H. MATTHÄUS (Hrsg.), *Die nahöstlichen Kulturen und Griechenland an der Wende vom 2. zum 1. Jahrtausend v.Chr. Kolloquium (...) Mainz, 11.–12. Dezember 1998*, Möhnesee 2002, 136 u. Anm. 80; K. A. KITCHEN, *RdE* 36, 1985, 178 und Anm. 2; beide Autoren mit Verweis auf die Belege bei A. AMER, *JEA* 71, 1985, 67 Anm.8 (Beispiele aus dem Neuen Reich).

[56] A. H. GARDINER, *Geschichte des alten Ägypten*, Stuttgart 1965, 477 (englische Originalausgabe unter dem Titel *Egypt of the Pharaos*, Oxford 1961, 427).

اختصارات

ACF	*Annuaire du Collège de France*, Paris
AchHist	*Achaemenid History*, Leiden I: H. SANCISI-WEERDENBURG *(Hrsg.), Sources, Structures and Synthesis. Proceedings of the Groningen 1983 Achaemenid History Workshop*, Leiden 1987 III: A. KUHRT – H. SANCISI-WEERDENBURG (Hrsg.), *Method and Theory. Proceedings of the Groningen 1985 Achaemenid History Workshop*, Leiden 1988 VI: H. SANCISI-WEERDENBURG – A. KUHRT (Hrsg.), *Asia Minor and Egypt: Old Cultures in a New Empire. Proceedings of the Groningen 1988 Achaemenid History Workshop*, Leiden 1991 VIII: H. SANCISI-WEERDENBURG et al. (Hrsg.), *Continuity and Change. Proceedings of the last Achaemenid History Workshop April 6–8, 1990 – Ann Arbor, Michigan*, Leiden 1994
ÄAT	*Ägypten und Altes Testament*, Wiesbaden
Ägypten und der östliche Mittelmeerraum	M. GÖRG – G. HÖLBL (Hrsg.), *Ägypten und der östliche Mittelmeerraum im 1. Jahrtausend v. Chr. Akten des Interdisziplinären Symposions am Institut für Ägyptologie der Universität München 25.–27. 10. 1996* (= *ÄAT* 44), Wiesbaden 2000
Ä&L	*Ägypten und Levante. Internationale Zeitschrift für ägyptische Archäologie und deren Nachbargebiete*, Wien
AfO	*Archiv für Orientforschung*, Graz / Horn
AOAT	*Alter Orient und Altes Testament*, Kevelaer – Neukirchen-Vluyn
AS	*Ancient Society*, Leuven
ASAE	*Annales du Service des Antiquités de l'Égypte*, Le Caire
ASSMANN, *Ägypten*	J. ASSMANN, *Ägypten. Eine Sinngeschichte*, München – Wien und Darmstadt 1996
ASSMANN, *Stein und Zeit*	J. ASSMANN, *Stein und Zeit. Mensch und Gesellschaft im alten Ägypten*, München 1991
ASTON, *Egyptian Pottery*	D. ASTON, *Egyptian Pottery of the Late New Kingdom and Third Intermediate Period (Twelfth – Seventh Centuries B.C.)* (= *Studien zur Archäologie und Geschichte Altägyptens* 13), Heidelberg 1996
Atti sesto congr. intern. eg.	*Atti del Sesto Congresso Internazionale d'egittologia*, Torino 1992
AV	Deutsches Archäologisches Institut Abteilung Kairo, *Archäologische Veröffentlichungen*, Mainz
AW	*Zeitschrift für Archäologie und Kulturgeschichte*, Mainz
BAREŠ, *Udjahorresnet*	L. BAREŠ, *Abusir IV: The Shaft Tomb of Udjahorresnet at Abusir*, Prague 1999
BASOR	*Bulletin of the American Schools of Oriental Research*, Boston
BdE	*Bibliothèque d'Étude*, Le Caire
BENZ, *Personal Names*	F. L. BENZ, *Personal Names in the Phoenician and Punic Inscriptions* (= *Studia Pohl* 8), Rome 1972
BES	*Bulletin of the Egyptological Seminar*, New York
BiAeg	*Bibliotheca Aegyptiaca*, Bruxelles
BIFAO	*Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, Le Caire
BiOr	*Bibliotheca Orientalis*, Leiden
BN	*Biblische Notizen*, Bamberg

Briant, *Histoire*	P. Briant, *Histoire de l'empire perse*, Paris 1996
BSEG	*Bulletin de la Société d'Égyptologie Genève*, Genève
BSFE	*Bulletin de la Société Française d'Égyptologie*, Paris
Buhl, *Sarcophagi*	M.-L. Buhl, *The Late Egyptian Anthropoid Stone Sarcophagi*, København 1959
CdE	*Chronique d'Égypte*, Bruxelles
Chadwick, *Documents*	J. Chadwick, *Documents in Mycenaean Greek*, Cambridge 1973²
CIS	*Corpus inscriptionum semiticarum*, Paris 1881ff.
Commerce	N. Grimal – B. Menu (Hrsg.), *Le Commerce en Égypte ancienne* (= *BIFAO* 121), Le Caire 1998
CRAIBL	*Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, Paris
DE Special Number 1	*Proceedings of Colloquium „The Archaeology, Geography and History of the Egyptian Delta in Pharaonic Times." Wadham College 29–31 August, 1988, Oxford* (= *Discussions in Egyptology*, Special Number 1), Oxford 1989
Demot. Nb.	E. Lüddeckens et al., *Demotisches Namenbuch*, Wiesbaden 1980–2000
Derchain, *Impondérables*	P. Derchain, *Les impondérables de l'hellénisation. Littérature d'hiérogrammates* (= *Monographies Reine Élisabeth* 7), Brepols 2000
Die Phönizier	S. Moscati (Hrsg.), *Die Phönizier*, o.J.
EEF	Egypt Exploration Fund, London
Enchoria	*Enchoria. Zeischrift für Demotistik und Koptologie*, Wiesbaden
Eph'al, *Ancient Arabs*	I. Eph'al, *The Ancient Arabs. Nomads on the Borders of the Fertile Crescent 9th – 5th Centuries B.C.*, Jerusalem 1984
EPRO	*Études préliminaires aux réligions orientales dans l'Empire Romain*, Leiden
Erichsen, *Demot. Glossar*	W. Erichsen, *Demotisches Glossar*, Kopenhagen 1954
EVO	*Egitto e Vicino Oriente*, Pisa
Fontes Hist. Nub.	T. Eide et al., *Fontes Historiae Nubiorum*, 4 Bände, Bergen 1994-2000
Fs Huß	K. Geus – K. Zimmermann (Hrsg.), *Punica – Libyca – Ptolemaica. Festschrift für Werner Huß* (= *OLA* 104), Leuven u.a. 2001
Fs Leclant	*Hommage à Jean Leclant*, 4 Bände (= *BdE* 106), Le Caire 1994
Fs Lipiński	K. van Lerberghe – A. Schoors (Hrsg.), *Immigration and Emigration Within the Ancient Near East. Festschrift E. Lipiński* (= *OLA* 65), Leuven 1995
Fs Lüddeckens	H.-J. Thissen – K.-Th. Zauzich (Hrsg.), *Grammata demotika. Festschrift für Erich Lüddeckens*, Würzburg 1984
Gibson, *Textbook*	J. C. K. Gibson, *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions*, 3 Bände, Oxford 1971–1982 (zitiert nach Nummer)
Glotta	*Glotta. Zeitschrift für griechische und lateinische Sprache*, Göttingen
GM	*Göttinger Miszellen. Beiträge zur ägyptologischen Diskussion*, Göttingen
GOF IV	*Göttinger Orientforschungen*, IV. Reihe: Ägypten, Wiesbaden
Gs Quaegebeur	W. Clarysse et al. (Hrsg.), *Egyptian Religion. The Last Thousand Years. Studies Dedicated to the Memory of Jan Quaegebeur*, 2 Bände (= *OLA* 84/85), Leuven 1998
Hoffmann, *Inaros*	F. Hoffmann, *Der Kampf um den Panzer des Inaros* (= *Mitteilungen aus der Papyrussammlung der Österreichischen Nationalbibliothek*, Neue Serie, 26), Wien 1996
Hoftijzer – Jongeling, *Dict.*	J. Hoftijzer – K. Jongeling, *Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions* (= *Handbuch der Orientalistik*, 1. Abtlg., Bd. 21), Leiden – New York – Köln 1995
JA	*Journal Asiatique*, Paris
JANES	*The Journal of the Ancient Near Eastern Society of Columbia University*, New York
JAOS	*Journal of the American Oriental Society*, New Haven
JARCE	*Journal of the American Research Center in Egypt*, Boston
JCS	*Journal of Cuneiform Studies*, Boston
JEA	*Journal of Egyptian Archaeology*, London
JHS	*Journal of Hellenic Studies*, London
JJP	*The Journal of Juristic Papyrology*, Warsaw

JNES — *Journal of Near Eastern Studies*, Chicago

JSSEA — *Journal of the Society for the Study of Egyptian Antiquities*, Toronto

Kadmos — *Kadmos. Zeitschrift für vor- und frühgriechische Epigraphik*, Berlin – New York

KAI — H. Donner - W. Röllig, *Kanaanäische und aramäische Inschriften*, 3 Bände, Wiesbaden 1966–1973 (zitiert nach Nummer)

Kammerzell, *Studien* — F. Kammerzell, *Studien zu Sprache und Geschichte der Karer in Ägypten* (= *GOF* IV 27), Wiesbaden 1993

Kêmi — *Kêmi. Revue de philologie et d'archéologie égyptiennes et coptes*, Paris

Kitchen, *TIP* — K. A. Kitchen, *The Third Intermediate Period in Egypt*, 2. Auflage, Warminster 1986

KRI — K. A. Kitchen, *Ramesside Inscriptions, Historical and Biographical*, 8 Bände, Oxford 1975-1990

Kuhlmann, *Ammoneion* — K. Kuhlmann, *Das Ammoneion* (= *AV* 75), Mainz 1988

LÄ — W. Helck – W. Westendorf (Hrsg.), *Lexikon der Ägyptologie*, 7 Bände, Wiesbaden 1975-1992

LingAeg — *Lingua Aegyptia. Journal of Egyptian Language Studies*, Göttingen

MÄS — *Münchner Ägyptologische Studien*, Berlin

MDIK — *Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts*, Abteilung Kairo, Mainz

Méditerranées 6/7 — B. Menu (Hrsg.), *Égypte pharaonique: pouvoir, société* (= *Méditerranées* 6/7), Paris 1996

MIFAO — *Memoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, Le Caire

Momenti precoloniali — *Atti del Convegno Internazionale „Momenti precoloniali nel Mediterraneo Antico"*, Roma 1988

Moran, *Lettres* — W. L. Moran, *Les lettres d'El-Amarna*, Paris 1987

Muchiki, *Eg.Proper Names* — Y. Muchiki, *Egyptian Proper Names and Loanwords in North-West Semitic*, Atlanta 1999

Multi-Cultural Society — J. H. Johnson (Hrsg.), *Life in a Multi-Cultural Society. Egypt from Cambyses to Constantine and Beyond* (= *SAOC* 51), Chicago 1992

Naukratis — U. Höckmann – D. Kreikenbom (Hrsg.), *Naukratis. Die Beziehungen zu Ostgriechenland, Ägypten und Zypern und archaischer Zeit. Akten der Table Ronde in Mainz, 25.–27. November 1999*, Möhnesee 2001

Nunn, *Motivschatz* — A. Nunn, *Der figürliche Motivschatz Phöniziens, Syriens und Transjordaniens vom 6. bis zum 4. Jahrhundert v.Chr.* (= *OBO Series Archaeologica* 18), Freiburg Schweiz – Göttingen 2000

OBO — *Orbis Biblicus et Orientalis*, Freiburg Schweiz – Göttingen

OLA — *Orientalia Lovaniensia Analecta*, Leuven

OLP — *Orientalia Lovaniensia Periodica*, Leuven

Or — *Orientalia*, Rom

P. L. Bat. — *Papyrologica Lugduno-Batava*, Leiden

Pernigotti, *I Greci* — S. Pernigotti, *I Greci nell'Egitto della XXVI dinastia*, Imola 1999

Porten, *Elephantine Papyri* — B. Porten (Hrsg.), *The Elephantine Papyri in English*, Leiden – New York – Köln 1996

Posener, *Domination perse* — G. Posener, *La première domination perse* (= *BdÉ* 11), Le Caire 1936

RA — *Revue d'Assyriologie et d'archéologie orientale*, Paris

Ranke — H. Ranke, *Die ägyptischen Personennamen*, 2 Bände, Glückstadt - Hamburg 1935 und 1952

RB — *Revue biblique*, Paris

RdE — *Revue d'Égyptologie*, Paris

RecTrav — *Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie égyptiennes et assyriennes*, Paris

Redford, *Egypt* — D. B. Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Princeton 1992

RSF — *Rivista di studi fenici*, Roma

SAK — *Studien zur altägyptischen Kultur*, Hamburg

SAOC	*Studies in Ancient Oriental Civilization*, Chicago
Schipper, *Israel*	B. U. Schipper, *Israel und Ägypten in der Königszeit. Die kulturellen Kontakte von Salomo bis zum Fall Jerusalems* (= *OBO* 170), Freiburg Schweiz – Göttingen 1999
SCO	*Studi Classici e Orientali*, Pisa
SEAP	*Studi di Egittologia e di Antichità Puniche*, Pisa
SEL	*Studi epigrafici e linguistici sul Vicino Oriente antico*, Verona
Serapis	*Serapis. The American Journal of Egyptology*, Chicago
SMEA	*Studi Micenei ed Egeo-Anatolici*, Roma
Spiegelberg, *Petubastis*	W. Spiegelberg, *Der Sagenkreis des Königs Petubastis*, Leipzig 1910
StudAeg	*Studia Aegyptiaca*, Budapest
TAD	B. Porten – A. Yardeni, *Textbook of Aramaic Documents from Ancient Egypt*, 4 Bände, Jerusalem – Winona Lake 1986–1999
Teixidor, *Bulletin*	J. Teixidor, *Bulletin d'épigraphie sémitique (1964–1980)*, Paris 1986
Thompson, *Memphis*	D. J. Thompson, *Memphis Under the Ptolemies*, Princeton 1988
Trans	*Transeuphratène. Recherches pluridisciplinaires sur une province de l'Empire Achéménide*, Paris
TUAT	O. Kaiser (Hrsg.), *Texte aus der Umwelt des Alten Testaments*, Gütersloh 1982ff.
UF	*Ugarit-Forschungen*, Neukirchen-Vluyn, ab Bd. 27 Münster
Vittmann, „*Riesen*"	G. Vittmann, „*Riesen*" *und riesenhafte Wesen in der Vorstellung der Ägypter* (= *Veröffentlichungen der Institute für Afrikanistik und Ägyptologie* 71), Wien 1995
Vittmann, *P. Rylands 9*	G. Vittmann, *Der demotische Papyrus Rylands 9*, 2 Bände (= *ÄAT* 38), Wiesbaden 1998
Vleeming, *Short Texts*	S. P. Vleeming, *Some Coins of Artaxerxes and Other Short Texts in the Demotic Script* (…) (= *Studia demotica* 5), Leuven etc. 2001
Von Sinuhe bis Nebukadnezar	A. Jepsen (Hrsg.), *Von Sinuhe bis Nebukadnezar. Dokumente aus der Umwelt des Alten Testaments*, Stuttgart – München 1975
WdO	*Welt des Orients*, Göttingen
Wege zur Genese	C. Ulf (Hrsg.), *Wege zur Genese griechischer Identität. Die Bedeutung der früharchaischen Zeit*, Berlin 1996
WZKM	*Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes*, Wien
ZÄS	*Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde*, Berlin / Leipzig
ZDMG	*Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft*, Leipzig, später Wiesbaden und Stuttgart
ZDPV	*Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins*, Leipzig, später Wiesbaden
ZPE	*Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*, Bonn

المراجــع

(مختارات)

الفصل الأول : مصر والليبيون

H. GOEDICKE, „Psammetik I. und die Libyer", *MDIK* 18, 1962, 26-49

E. GRAEFE, „Der libysche Stammesname *p(j)dj / pjt* im spätzeitlichen Onomastikon", *Enchoria* 5, 1975, 13–17

B. HARING, „Libyans in the Late Twentieth Dynasty", in: R.J. DEMARÉE – A. EGBERTS (Hrsg.), *Village Voices*, Leiden 1992, 71–80

–, „Libyans in the Theban region, 20th dynasty", in: *Atti sesto congr. intern. eg.* II 159–165

K. JANSEN-WINKELN, „Der Beginn der libyschen Herrschaft in Ägypten", *BN* 71, 1994, 78–97

–, „Gab es in der altägyptischen Geschichte eine feudalistische Epoche?", *WdO* 30, 1999, 7–20

–, „Die Fremdherrschaften in Ägypten im 1. Jahrtausend v. Chr.", *Or* 69, 2000, 1–20

–, „Der thebanische 'Gottesstaat'", *Or* 70, 2001, 153–182

–, „Ägyptische Geschichte im Zeitalter der Wanderungen von Seevölkern und Libyern", in: E.A. BRAUN-HOLZINGER – H. MATTHÄUS (Hrsg.), *Die nahöstlichen Kulturen und Griechenland an der Wende vom 2. zum 1. Jahrtausend v. Chr. Kolloquium (...) Mainz, 11.–12. Dezember 1998*, Möhnesee 2002, 123–142

K. KUHLMANN, *Das Ammoneion. Archäologie, Geschichte und Kultpraxis des Orakels von Siwa* (= *AV* 75), Mainz 1988

A. LEAHY (Hrsg.), *Libya and Egypt c1300–750*, London 1990

–, „The Libyan Period in Egypt: An Essay in Interpretation", *Libyan Studies* (London) 16, 1985, 51–65

–, „'May the King Live': The Libyan Rulers in the Onomastic Record", in: A. B. LLOYD (Hrsg.), *Studies (...) in Honour of J. Gwyn Griffiths*, London 1992, 146–163

J. OSING, „Libyen, Libyer", in: *LÄ* III, 1980, 1015–1033

S. RICHARDSON, „Libya Domestica: Libyan Trade and Society on the Eve of the Invasions of Egypt", *JARCE* 36, 1999, 149–164

R. K. RITNER, „The End of the Libyan Anarchy in Egypt", *Enchoria* 17, 1990, 101–108

D. STOCKFISCH, „Bemerkungen zur sog. 'libyschen Familie', in: M. SCHADE-BUSCH (Hrsg.), *Wege öffnen. Festschrift für Rolf Gundlach* (= *ÄAT* 35), Wiesbaden 1996, 315–325

J. YOYOTTE, „Les principautés du Delta au temps de l'anarchie libyenne", in: *Mélanges Maspero* I/4 (= *MIFAO* 66), Le Caire 1961, 121–181

الفصل الثانى : علاقات مصر بآشور وبابل

P. ALBENDA, „Egyptians in Assyrian Art", *BES* 4, 1982, 5–23

J. v. BECKERATH, „Ägypten und der Feldzug Sanheribs im Jahre 701 v.Chr.", *UF* 24, 1992, 3–8

A.C.V.M. BONGENAAR – B.J.J. HARING, „Egyptians in Neo-Babylonian Sippar", *JCS* 46, 1994, 59–72

R. BORGER, *Die Inschriften Asarhaddons, Königs von Assyrien* (= *Beiheft zum AfO* 9), Graz 1956

–, „Historische Texte in akkadischer Sprache", in: *TUAT* I 354–410

–, *Beiträge zum Inschriftenwerk Assurbanipals: Die Prismenklassen A, B, C=K, D, E, F, G, H J und T sowie andere Inschriften*, Wiesbaden 1996

G. COLIN, „L'Égypte pharaonique dans la chronique de Jean, évêque de Nikiou", *RdE* 46, 1995, 43–54

E. EDEL, „Amasis und Nebukadnezar II.", *GM* 29, 1978, 13–20

–, *Neue Deutungen keilschriftlicher Umschreibungen ägyptischer Wörter und Personennamen*, Wien 1980

M. ELAT, „The Economic Relations of the Neo-Assyrian Empire with Egypt", *JAOS* 98, 1978, 20–34

I. Eph'al, „The Western Minorities in Babylonia in the 6th–5th Centuries B.C.: Maintenance and Cohesion", *Or* 47, 1978, 74–90
–, *The Ancient Arabs. Nomads on the Borders of the Fertile Crescent 9th – 5th Centuries B.C.*, Jerusalem 1984
G. Fecht, „Zu den Namen ägyptischer Fürsten und Städte in den Annalen des Assurbanipal und der Chronik des Asarhaddon", *MDIK* 16, 1957, 112–119
L. Gestermann, „Die Plünderung Thebens durch assyrische Truppen – Eine Randbemerkung aus ägyptologischer Sicht", in: *Dankesgabe für Heinrich Schützinger* (= *Hallesche Beiträge zur Orientwissenschaft* 29), Halle (Saale) 2000, 63–80
L. A. Heidorn, „The Horses of Kush", *JNES* 56, 1997, 105–114
H. Klengel, *Syria 3000 to 300 B.C. A Handbook of Political History*, Berlin 1992
D. Kahn, „The Inscription of Sargon II at Tang-i Var and the Chronology of Dynasty 25", *Or* 70, 2001, 1–18
A. Mazar, *Archaeology of the Land of the Bible 10,000–586 B.C.E.*, New York 1992
H.-U. Onasch, *Die assyrischen Eroberungen Ägyptens*, 2 Teile (= *ÄAT* 27), Wiesbaden 1994
D. Picchi, *Il conflitto tra Etiopi ed Assiri nell'Egitto della XXV dinastia*, Imola 1997
J. N. Postgate – B.K. Ismail, *Texts from Nineveh* (= *Texts in the Iraq Museum* IX), o.J./o.O. (ca. 1993), passim (hierin A. Leahy, „The Egyptian Names", 56–62)
D. B. Redford, *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times*, Princeton 1993
B. U. Schipper, *Israel und Ägypten in der Königszeit. Die kulturellen Kontakte von Salomo bis zum Fall Jerusalems* (= *OBO* 170), Freiburg Schweiz – Göttingen 1999
A. Spalinger, „An Egyptian Motif in an Assyrian Text", *BASOR* 223, 1976, 64–67
–, „Egypt and Babylonia: a Survey (c. 620 B.C. – 550 B.C.)", *SAK* 5, 1977, 221–244
–, „The Foreign Policy of Egypt Preceding the Assyrian Conquest", *CdE* 53, 1978, 22–47
H. Verreth, „The Egyptian Eastern Border Region in Assyrian Sources", *JAOS* 119, 1999, 234–247
D. J. Wiseman, „Some Egyptians in Babylonia", *Iraq* 28, 1966, 154–158
R. Zadok, „Some Egyptians in First-Millennium Mesopotamia", *GM* 26, 1977, 63–68
–, „Egyptians in Babylonia and Elam During the 1st Millennium B.C.", *LingAeg* 2, 1992, 139–146
J. Zeidler, „Einige neue keilschriftliche Entsprechungen ägyptischer Personennamen", *WdO* 25, 1994, 36–56

الفصل الثالث : مصر والفينيقيون

S. Aufrère, „Un prolongement méditerranéen du mythe de la Lointaine à l'époque tardive", in: *Commerce* 19–39
J. Baines, „On *Wenamun* as a Literary Text", in: J. Assmann – E. Blumenthal, *Literatur und Politik im pharaonischen und ptolemäischen Ägypten* (= *BdE* 127), Le Caire 1999, 209–233
M. Botto, „L'attività economica dei fenici in oriente tra il IX e la prima metà dell'VIII sec. A.C.", *EVO* 11, 1988, 117–154
E. Bresciani, „Presenze fenicie in Egitto", *EVO* 10, 1987, 69–78, auch abgedruckt in: *Momenti precoloniali* 257–265
G. Bunnens, „La mission d'Ounamon en Phénicie. Point de vue d'un non-égyptologue", *RSF* 6, 1978, 1–16
C. Butterweck et al., „Phönizische Grab-, Sarg- und Votivinschriften", in: *TUAT* I 582–620
J. N. Carreira, „Hermopolitan traditions in Philo Byblius' Phoenician History", in: *Atti sesto congr. intern. eg.* II 69–76
R. de Spens, „Droit international et commerce au début de la XXIe dynastie. Analyse juridique du rapport d'Ounamon", in: *Commerce* 105–126
H. Donner – W. Röllig, *Kanaanäische und aramäische Inschriften*, 3 Bände, Wiesbaden 1966–1973
J. Elayi, „La place de l'Égypte dans la recherche sur les Phéniciens", *Trans* 9, 1995, 11–24
M. Fantar, „Présence égyptienne à Carthage", *Fs Leclant* III 203–211
I. Gamer-Wallert, *Ägyptische und ägyptisierende Funde von der Iberischen Halbinsel* (= *Tübinger Atlas des Vorderen Orients*, Beihefte, B 21), Wiesbaden 1978
J. C. K. Gibson, *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions*, vol. 3: *Phoenician Inscriptions*, Oxford 1982
T. C. Gouder – B. Rocco, „Un talismano bronzeo da Malta contenente un nastro di papiro con iscrizione fenicia", *Studi Magrebini* 5, 1975, 1–18

E. Gubel, „Das libyerzeitliche Ägypten und die Anfänge der phönizischen Ikonographie", in: *Ägypten und der östliche Mittelmeerraum* 69–100

G. Hölbl, „Egyptian Fertility Magic within Phoenician and Punic Culture", in: A. Bonanno (Hrsg.), *Archaeology and Fertility Cult in the Ancient Mediterranean*, Malta 1986, 197–205 und 334–356

–, *Ägyptisches Kulturgut im phönikischen und punischen Sardinien* (= *EPRO* 102), Leiden 1986, 352f.

–, *Ägyptisches Kulturgut auf Malta und Gozo*, Wien 1989

–, „Ägyptische Kunstelemente im phönikischen Kulturkreis des 1. Jahrtausends v.Chr.: Zur Methodik ihrer Verwendung", *Or* 58, 1989, 318–325

J. Kamlah, „Zwei nordpalästinische 'Heiligtümer' der persischen Zeit und ihre epigraphischen Funde", *ZDPV* 115, 1999, 163–190

W. Kornfeld, „Neues über die phönikischen und aramäischen Graffiti in den Tempeln von Abydos", *Anzeiger der Österreichischen Akademie der Wissenschaften*, phil.-hist. Kl., 115 (1978), Wien 1979, 193–200

V. Krings (Hrsg.), *La civilisation phénicienne et punique. Manuel de recherche* (= *Handbuch der Orientalistik*, 1. Abteilung, 20. Band), Leiden – New York – Köln 1995

A. Leahy, „Egypt as a Bronzeworking Centre (1000–539 BC)", in J. Curtis (Hrsg.), *Bronze-working Centres of Western Asia, c. 1000–539 B.C.*, London 1988, 297–309

J. Leclant, „Les relations entre l'Égypte et la Phénicie du voyage d'Ounamon à l'expédition d'Alexandre", in W. A. Ward (Hrsg.), *The Role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations*, Beirut 1968, 9–31

–, „Carthage et l'Égypte", in: *Actes du III^e congrès international des études phéniciennes et puniques, Tunis, 11–16 novembre 1991*, Tunis 1995, I, 41–50 (*non vidi*)

A. Lemaire, „Divinités égyptiennes dans l'onomastique phénicienne", in: *Studia Phoenicia*, IV: C. Bonnet et al. (Hrsg.), *Religio Phoenicia*, Namur 1986, 87–98

P. Magnanini, *Le iscrizioni fenicie dell'oriente. Testi, traduzioni, glossari*, Roma 1973

G. Markoe, *Phoenician Bronze and Silver Bowls from Cyprus and the Mediterranean*, Berkeley – Los Angeles – London 1985

P.K. McCarter, „An Inscribed Phoenician Funerary Situla in the Art Museum of Princeton University", *BASOR* 290–291, 1993, 115–120

A. O. Meza, „An Egyptian Statuette in Petra", in: *Proceedings of the Second International Congress of Egyptologists Cambridge, 3–9 September 1995* (= *OLA* 82), Leuven 1998, 775–783

S. Moscati, *Die Phönizier*, o.J. (deutsche Ausgabe des Begleitbandes zur großen Phönikerausstellung Venedig 1988)

Y. Muchiki, *Egyptian Proper Names and Loanwords in North-West Semitic*, Atlanta 1999

J. Padró, „Le rôle de l'Égypte dans les relations commerciales d'orient et d'occident au premier millénaire", *ASAE* 71, 1987, 213–222

–, „Les relations commerciales entre l'Égypte et le monde phénico-punique", in: *Commerce* 41–58

S. Pernigotti, „Una rappresentazione religiosa egiziana su uno scarabeo con iscrizione fenicia", in: *Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici*, II, Roma 1983, 583–587

–, „Aspetti dei rapporti tra la civiltà fenicia e la cultura egiziana", in: *Momenti precoloniali* 267–276

S. Ribichini, „Divinità egiziane nelle iscrizioni fenicie d'Oriente", in: G. Benigni et al. (Hrsg.), *Saggi fenici*, Roma 1975, 6–14

G. Scandone, „Testimonianze egiziane in Fenicia dal XII al IV sec. A.C.", *RSF* 12, 1984, 133–163

G. Vittmann, „Zu den in den phönikischen Inschriften enthaltenen ägyptischen Personennamen", *GM* 113, 1989, 91–96

P. Wagner, *Der ägyptische Einfluß auf die phönizische Architektur*, Bonn 1980

M. Weippert, „Eine phönizische Inschrift aus Galiläa", *ZDPV* 115, 1999, 191–200

K.-Th. Zauzich – W. Röllig, „Eine ägyptische Schreiberpalette in phönizischer Umgestaltung", *Or* 59, 1990, 320–332

P. Briant, „Une curieuse affaire à Éléphantine en 410 av. n.è.: Widranga, le sanctuaire de Khnûm et le temple de Yahweh", in: *Méditerranées* 6/7, 1996, 115–135

P. Briant – R. Descat, „Un registre douanier de la satrapie d'Égypte à l'époque achéménide", in: *Commerce* 59–104

A. Cowley, *Aramaic Papyri of the Fifth Century B.C.*, Oxford 1923

H. Donner, „Elemente ägyptischen Totenglaubens bei den Aramäern Ägyptens", in: *Religions en Égypte hellénistique et romaine. Colloque de Strasbourg 16–18 mai 1967*, Paris 1969, 35–44

M. L. Folmer, *The Aramaic Language in the Achaemenid Period. A Study in Linguistic Variation* (= *OLA* 68), Leuven 1995

P. Grelot, *Documents araméens d'Égypte*, Paris 1972

W. Kornfeld, „Aramäische Sarkophage in Assuan", *WZKM* 61, 1967, 9–16

–, „Jüdisch-aramäische Grabinschriften aus Edfu", *Anzeiger der Österreichischen Akademie der Wissenschaften* 110, 1973, 123–37

–, *Onomastica Aramaica aus Ägypten*, Wien 1978

I. Kottsieper, „Die Geschichte und die Sprüche des weisen Achiqar", in: *TUAT* III 320–347

E. G. Kraeling, *The Brooklyn Museum Aramaic Papyri*, New Haven 1953

J. M. Lindenberger, *Ancient Aramaic and Hebrew Letters*, Atlanta 1994

H. Lozachmeur, „Un nouveau graffito araméen provenant de Saqqara", *Semitica* 48, 1999, 147–149

J. Mélèze Modrzejewski, *The Jews of Egypt. From Rameses II to Emperor Hadrian*, Princeton 1997

Y. Muchiki, *Egyptian Proper Names and Loanwords in North-West Semitic*, Atlanta 1999

J. Naveh, „Aramaica dubiosa", *JNES* 27, 1968, 317–325

C. von Pilgrim, „Textzeugnis und archäologischer Befund: Zur Topographie Elephantines in der 27. Dynastie", in: H. Guksch – D. Polz (Hrsg.), *Stationen. Beiträge zur Kulturgeschichte Ägyptens Rainer Stadelmann gewidmet*, Mainz 1998, 485–497

B. Porten, *Archives from Elephantine: The Life of an Ancient Jewish Military Colony*, Berkeley – Los Angeles 1968

–, „The Identity of King Adon," *Biblical Archeologist* (Missoula) 44, 1981, 35–52

–, „Aramaic-Demotic Equivalents: Who is the Borrower and Who the Lender?", in: *Multi-Cultural Society* 259–264

– (Hrsg.), The Elephantine Papyri in English, Leiden – New York – Köln 1996

–, in: W. W. Hallo (Hrsg.), *The Context of Scriptures. Canonical Compositions, Monumental Inscriptions, and Archival Documents from the Biblical World*, Leiden etc., II, 2000, 163; 175–176; 185–191 [Inschriften]; III, 2002, 116-217 [Papyri und Ostraka]

–, „Egyptian Names in Aramaic Texts", in: K. Ryholt (Hrsg.), *Acts of the Seventeenth International Conference of Demotic Studies*, Copenhagen 2002, 283–327

B. Porten - J. Gee, „Aramaic Funerary Practices in Egypt", in: P. M. M. Daviau et al. (Hrsg.), *The World of the Aramaeans II. Studies in History and Archaeology in Honour of Paul-Eugène Dion* (= *Journal for the Study of the Old Testament Supplement Series* 325), 2001, 270–307

B. Porten – A. Yardeni, *Textbook of Aramaic Documents from Ancient Egypt*, 4 Bände, Jerusalem – Winona Lake 1986–1999

J. F. Quack, „Ein demotischer Ausdruck in aramäischer Transkription", *WdO* 23, 1992, 15–20

E. Sachau, *Aramäische Papyrus und Ostraka aus einer jüdischen Militär-Kolonie zu Elephantine*, Leipzig 1911

J. B. Segal, *Aramaic Texts from North Saqqâra with Some Fragments in Phoenician*, London 1983

G. Vittmann, „Semitisches Sprachgut im Demotischen", *WZKM* 86, 1996, 435–447

–, „Ägyptische Onomastik der Spätzeit im Spiegel der nordwestsemitischen und karischen Nebenüberlieferung", in: M. P. Streck – S. Weninger, *Altorientalische und semitische Onomastik* (= *AOAT* 296), Münster 2002, 85–107

S. P. Vleeming – J. W. Wesselius, *Studies in Papyrus Amherst 63*, vol. I, Amsterdam 1985

K.-Th. Zauzich, „Ägyptologische Bemerkungen zu den neuen aramäischen Papyri aus Saqqara", *Enchoria* 13, 1985, 115–118

M. Ayad, „Some Thoughts on the Disappearance of the Office of the God's Wife of Amun", *JSSEA* 28, 2001, 1–14
P. Bedford, „Early Achaemenid Monarchs and Indigenous Cults: Toward the Definition of Imperial Policy", in: M. Dillon (Hrsg.), *Religion in the Ancient World. New Themes and Approaches*, Amsterdam 1996, 17–39
R. S. Bianchi, „Perser in Ägypten", in: *LÄ* IV, 1982, 943–951
E. Bresciani, „La satrapia d'Egitto", *SCO* 7, 1958, 132–187
–, „Ägypten und das Perserreich", in: *Fischer Weltgeschichte*, Bd. 5, Frankfurt 1965, 311–329; Anmerkungen 390–393
–, „The Persian Occupation of Egypt", in: *Cambridge History of Iran*, II, Oxford 1985, 502–528
–, „Cambyse, Darius I et le droit des temples égyptiens", in: *Méditerranées* 6/7, 1996, 103–113
P. Briant, „Ethno-classe dominante et populations soumises dans l'empire achémenide: Le cas d'Égypte", in: *AchHist* III 136–173
–, *Histoire de l'empire perse de Cyrus à Alexandre*, Paris 1996
–, „Inscriptions multilingues d'époque achéménide: le texte et l'image", in: *Le décret de Memphis. Colloque de la Fondation Singer-Polignac à l'occasion de la célébration du bicentenaire de la découverte de la Pierre de Rosette*, Paris 1999, 91–115
G. Burkard, „Medizin und Politik: Altägyptische Heilkunst am persischen Königshof", *SAK* 21, 1994, 35–57
–, „Literarische Tradition und historische Realität: Die persische Eroberung Ägyptens am Beispiel Elephantine", *ZÄS* 121, 1994, 93–106; *ZÄS* 122, 1995, 31–37
Cahiers de la Délégation Archéologique Française en Iran 4, 1974 (Publikation der Susa-Statue Dareios' I.)
P. Calmeyer, „Ägyptischer Stil und reichsachaimenidische Inhalte auf dem Sockel der Dareios-Statue aus Susa/Heliopolis", in: *AchHist* VI 285–303
M. Chauveau, „La chronologie de la correspondance dite «de Phérendatès»", *RdE* 50, 1999, 269–271
J. D. Cooney, „Persian Influence in Late Egyptian Art", *JARCE* 4, 1965, 39–48
L. Depuydt, „The Story of Cambyses's Mortal Wounding of the Apis Bull (ca 523 B.C.E)", *JNES* 54, 1995, 119–126
D. Devauchelle, „Un Perse dans l'Égypte ptolémaïque", *RdE* 39, 1988, 208
–, „Le sentiment anti-perse chez les anciens Égyptiens", *Trans* 9, 1995, 67–80
–, „Un problème de chronologie sous Cambyse", *Trans* 15, 1998, 9–17
G. Godron, „Notes sur l'histoire de la medicine et l'occupation perse en Égypte", in: *Hommages à François Daumas*, Montpellier 1986, I, 285–297
I. Hofmann, „Kambyses in Ägypten", *SAK* 9, 1981, 179–199
T. Holm-Rasmussen, „Collaboration in Early Achaemenid Egypt", in: *Studies in Ancient History and Numismatics Presented to Rudi Thomsen*, Aarhus 1988, 29–38
G. R. Hughes, „The So-Called Pherendates Correspondence", in: *Grammata demotika. Festschrift für Erich Lüddeckens*, Würzburg 1984, 75–86
W. Huss, „Ägyptische Kollaborateure in persischer Zeit", *Tyche. Beiträge zur Alten Geschichte, Papyrologie und Epigraphik* (Wien) 12, 1997, 131–143
P. Huyse, *Iranische Namen in den griechischen Dokumenten Ägyptens* (= *Iranisches Personennamenbuch*, Band V, Faszikel 6a), Wien 1990
–, „Die Perser in Ägypten. Ein onomastischer Beitrag zu ihrer Erforschung", in: *AchHist* VI 311–320
–, „'Analecta Iranica' aus den demotischen Dokumenten von Nord-Saqqara", *JEA* 78, 1992, 287–293
J. H. Johnson, „The Persians and the Continuity of Egyptian Culture", in: *AchHist* VIII 149–159
–, „Ethnic Considerations in Persian Period Egypt", in: E. Teeter – J. A. Larson (Hrsg.), *Gold of Praise. Studies on Ancient Egypt in Honor of Edward F. Wente* (= *SAOC* 58), Chicago 1999, 211–222
F. von Kaenel, „Les mésaventures du conjurateur de Serket Onnophris et de son tombeau", *BSFE* 88/89, 1980, 31–45
R. G. Kent, *Old Persian. Grammar, Texts, Lexicon*, New Haven 1953
H. Koch, *Es kündet Dareios der König ... Vom Leben im Persischen Großreich*, Mainz 1992
P. Lecoq, *Les inscriptions de la Perse achéménide. Traduit du vieux perse, de l'élamite, du babylonien et de l'araméen*, (Gallimard) 1997
A. B. Lloyd, „The Inscription of Udjaḥorresnet. A Collaborator's Testament", *JEA* 68, 1982, 166–180

–, „Egypt, 404–332 B.C.", *Cambridge Ancient History*, VI, 2nd edition, Oxford 1994, 337–360
–, „Cambyses in Late Tradition", in: *The Unbroken Reed. Studies (...) in Honour of A. F. Shore*, London 1994, 195–204
I. Mathieson et al., „A Stela from the Persian Period from Saqqara", *JEA* 82, 1995, 23–41
B. Menu, „Les carrières des égyptiens à l'étranger sous les dominations perses; les critères de justification, leur évolution et leurs limites", *Trans* 9, 1995, 81–90; auch abgedruckt in: B. Menu, *Recherches sur l'histoire juridique, économique et sociale de l'ancienne Égypte*, II (= *BdE* 122), Le Caire 1998, 255–264
R. Morkot, „Nubia and Achaemenid Persia: Sources and Problems", in: *AchHist* VI 321–336
G. Posener, *La première domination perse en Égypte. Recueil d'inscriptions hiéroglyphiques* (= *BdE* 11), Le Caire 1936
–, „De nouveau sur Kombabos", *RdE* 37, 1986, 91–96
J. D. Ray, „Egypt: Dependence and Independence (425–343 B.C.)", in: *AchHist* I 79–95
–, „Egypt 525–404 B.C.", in: *Cambridge Ancient History*, IV, 2nd edition, 1988, 254–286 und (Bibliographie) 833–839
C. A. Redmount, „The Wadi Tumilat and the 'Canal of the Pharaohs'", *JNES* 54, 1995, 127–135
J. Schwartz, „Les conquérants perses et la littérature égyptienne", *BIFAO* 48, 1949, 65–80
K. Sethe, „Spuren der Perserherrschaft in der späteren ägyptischen Sprache", in: *Nachrichten von der Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen*, phil.-hist. Kl. 1916, 112–133
H. S. Smith, „Foreigners in the Documents from the Sacred Animal Necropolis, Saqqara", in: *Multi-Cultural Society* 295–301
W. Spiegelberg, „Drei demotische Schreiben aus der Korrespondenz des Pherendates, des Satrapen Darius' I., mit den Chnum-Priestern von Elephantine", *Sitzungsberichte der Preußischen Akademie der Wissenschaften*, Jg. 1928, Berlin 1928, 604–622
H. Sternberg-el Hotabi, „Politische und sozio-ökonomische Strukturen im perserzeitlichen Ägypten", *ZÄS* 127, 2000, 153–167
J. Tavernier, „Zu einigen iranischen Namen aus Ägypten", *GM* 186, 2002, 107–111
C. Traunecker, „Un portrait ignoré d'un roi perse: La tête «Strasbourg 1604»", *Trans* 9, 1995, 101–117
Chr. Tuplin, „Darius' Suez Canal and Persian Imperialism", in: *AchHist* VI 237–283
G. Vittmann, „Ein altiranischer Titel in demotischer Überlieferung", *AfO* 38/39, 1991/92, 159–160
V. Wessetzky, „Fragen zum Verhalten der mit den Persern zusammenarbeitenden Ägypter", *GM* 124, 1991, 83–89
J. Wiesehöfer, „*Prtrk, rb ḥyl', sgn* und *mr'*. Zur Verwaltung Südägyptens in achaimenidischer Zeit", in: *AchHist* VI 305–309
–, *Das antike Persien. Von 550 v.Chr. bis 650 n.Chr.*, Zürich 1993 und München 1994
J. Yoyotte, „Les inscriptions hiéroglyphiques. Darius et l'Égypte", *JA* 260, 1972, 253–256
A. P. Zingarelli, „La política religiosa de Cambises en Egipto", *Revista de Estudios de Egiptología* (Buenos Aires) 5, 1994, 87–94

الفصل السادس : الكاريون فى مصر

I. Adiego, „Les identifications onomastiques dans le déchiffrement du carien", in: Giannotta et al., *Decifrazione* (s.u.), 27–63 (hierin Appendix S. 59–63 „Inscriptions cariennes en transcription")
P. Frei – C. Marek, „Die karisch-griechische Bilingue von Kaunos. Eine zweisprachige Staatsurkunde des 4. Jh.s v.Chr.", *Kadmos* 36, 1997, 1–89
–, „Die karisch-griechische Bilingue von Kaunos. Ein neues Textfragment", *Kadmos* 37, 1998, 1–18
P. Gallo – O. Masson, „Une stèle 'hellénomemphite' de l'ex-collection Nahman", *BIFAO* 93, 1993, 265–276
M. E. Giannotta et al. (Hrsg.), *La decifrazione del cario. Atti del 1° Simposio Internazionale Roma, 3–4 maggio 1993*, Roma 1994
U. Höckmann, „'Bilinguen'. Zu Ikonographie und Stil der karisch-ägyptischen Grabstelen des 6. Jhs. v.Chr. Methodische Überlegungen zur griechischen Kunst der archaischen Zeit in Ägypten", in: *Naukratis* 217–232
F. Kammerzell, *Studien zu Sprache und Geschichte der Karer in Ägypten* (= *GOF* IV 27), Wiesbaden 1993
–, „Die Geschichte der karischen Minderheit in Ägypten", in: *Naukratis* 233–255
A. B. Lloyd, „Two Figured Ostraca from North Saqqâra", *JEA* 64, 1978, 107–112

C. MARTIN, „The Carians in Egypt. The Demotic Evidence", *Kadmos* 30, 1991, 173–174
O. MASSON, „Le nom des cariens dans quelques langues de l'antiquité", in: *Mélanges Émile Benveniste*, Paris 1975, 407–414
–, *Carian Inscriptions from North Saqqâra and Buhen* (= *Texts from Excavations*, 5th memoir), London 1978
–, „Karer in Ägypten", in: *LÄ* III, Wiesbaden 1978, 333–337
–, „Remarques sur les graffites cariens d'Abou Simbel", in: *Hommages à la mémoire de S. Sauneron*, II (= *BdE* 82), Le Caire 1979, 35–49
–, „Les inscriptions cariennes du tombeau de Montouemhat (Thèbes)", in: GIANNOTTA et al., *La decifrazione del Cario* (s.o.), 191–194
O. MASSON – J. YOYOTTE, *Objets pharaoniques à inscription carienne* (= *BdE* 15), Le Caire 1956
J. D. RAY, „The Carian Inscriptions from Egypt", *JEA* 68, 1982, 181–198
–, „New Names in Carian", in: GIANNOTTA et al., *La decifrazione del Cario* (s.o.), 195–206
–, „Aegypto-Carica", *Kadmos* 37, 1998, 125–136
D. SCHÜRR, „Zur Bestimmung der Lautwerte des karischen Alphabets 1971–1991", *Kadmos* 31, 1992, 127–156
–, „Bastet-Namen in den karischen Inschriften Ägyptens", *Kadmos* 35, 1996, 55–71
D. J. THOMPSON, *Memphis Under the Ptolemies*, Princeton 1988, Kapitel „Caromemphites", S. 93–95
G. VITTMANN, „Ägyptisch-Karisches", *Kadmos* 40, 2001, 39–59
–, „Ägyptische Onomastik der Spätzeit im Spiegel der nordwestsemitischen und karischen Nebenüberlieferung" (vg. Literatur zu Kapitel IV)

الفصل السابع : مصر والعرب القدماء

A. AVANZINI, „Brevi osservazioni sui rapporti tra cultura sudarabica e le culture vicine", *EVO* 11, 1988, 185–193
– (Hrsg.), *Profumi d'Arabia. Atti del convegno*, Roma 1997
A. F. L. BEESTON, „Further Remarks on the Zayd-'il Sarcophagus Text", *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* (London) 14, 1984, 100–102
F. BRIQUEL-CHATONNET – L. NEHMÉ, „Graffitti nabatéens d'Al-Muwayḥ et de Bi'r al-Ḥammāmāt (Égypte)", *Semitica* (Paris) 47, 1998, 81–88
G. COLIN, „À propos des graffites sud-arabiques du ouadi Hammâmât", *BIFAO* 88, 1988, 33–36
I. EPH'AL, *The Ancient Arabs. Nomads on the Borders of the Fertile Crescent 9th – 5th* Centuries B.C., Jerusalem 1984
Iscrizioni sudarabiche, vol. I: *Iscrizioni minee*, Napoli 1974
W. H. M. LIESKER – A.M. TROMP, „Zwei ptolemäische Papyri aus der Wiener Papyrussammlung", *ZPE* 66, 1986, 79–89 (mit Liste von Arabern in den ptolemäischen Papyri)
E. LÜDDECKENS, „Ein demotischer Papyrus aus Mittelägypten", *ZÄS* 115, 1988, 51–61
W. W. MÜLLER, „Weihrauch", in: *Paulys Realencyclopädie der Classischen Altertumswissenschaft*, Supplementband XV, München 1978, 701–777
–, „Zu den in demotischen Urkunden in den Schreibungen *wjlw* und *'wmtjlw* belegten semitischen Namen", *ZÄS* 115, 1988, 84–85
W. W. MÜLLER – G. VITTMANN, „Zu den Personennamen der aus Ägypten stammenden Frauen in den sogenannten 'Hierodulenlisten' von Ma'īn", *Or* 62, 1993, 1–10
F. J. QUACK, „Ägyptisches und südarabisches Alphabet", *RdE* 44, 1993, 141–151 (mit Korrekturen *RdE* 45, 1994, 197)
I. RABINOWITZ, „Aramaic Inscriptions of the Fifth Century B.C.E. from a North-Arab Shrine in Egypt", *JNES* 15, 1956, 1–9
–, „Another Aramaic Record of the North-Arabian Goddess Han-Ilat", *JNES* 18, 1959, 155–156
C. ROBIN, „L'Égypte dans les inscriptions de l'Arabie méridionale préislamique", in: *Fs Leclant* IV 285–301
A.M. A.H. SAYED, „Reconsideration of the Minaean Inscription of Zayd'il bin Zayd", *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* (London) 14, 1984, 93–99
P. SWIGGERS, „A Minaean Sarcophagus Inscription from Egypt", in: *Fs Lipiński* 335–343
J. TROPPER, „Ägyptisches, nordwestsemitisches und altsüdarabisches Alphabet", *UF* 28, 1996, 619–632
J. K. WINNICKI, „Zustrom und Ansiedlung der Nomaden vom Nordosten Ägyptens im Niltal in der griechisch-römischen Zeitperiode", *JJP* 30, 2000, 165–178

الفصل الثامن : اليونانيون والمصريون قبل العصر الهلينستي

C. Ampolo – E. Bresciani, „Psammetico re d'Egitto e il mercenario Pedon", *EVO* 11, 1988, 237–253

O. K. Armayor, „Did Herodotus ever go to Egypt?", *JARCE* 15, 1978, 59–73

J. Assmann, *Weisheit und Mysterium. Das Bild der Griechen von Ägypten*, München 2000

A. Bernand, *Le delta égyptien d'après les textes grecs*, 1. *Les confins libyques*, 3ème partie (= *MIFAO* 91, 3), Le Caire 1970, 575–863 (Kapitel „Naucratis")

A. Bernand – O. Masson, „Les inscriptions grecques d'Abou Simbel", *Revue des Études Greques* (Paris) 70, 1957, 1–46

J. Boardman, *Kolonien und Handel der Griechen. Vom späten 9. bis zum 6. Jahrhundert v.Chr.*, München 1981

S. M. Burstein, „Images of Egypt in Greek Historiography", in: A. Loprieno (Hrsg.), *Ancient Egyptian Literature. History and Forms*, Leiden etc. 1996, 591–604

W. D. E. Coulson – A. Leonard, Jr., *Cities of the Delta*, I: *Naukratis* (= *ARCE Reports*, 4), Malibu 1981

W. D. E. Coulson et al., *Ancient Naukratis*, vol. II, pt. I: *The Survey at Naukratis*, Oxford 1996

J. C. Darnell, „The *Kbn.wt* Vessels of the Late Period", in: *Multi-Cultural Society* 67–89

Wh. Davis, „Ancient Naukratis and the Cypriotes in Egypt", *GM* 35, 1979, 13–23

–, „The Cypriotes at Naukratis", *GM* 41, 1980, 7–19

F. De Salvia, „Cultura egizia e cultura greca in età pre-ellenistica: attrazione e repulsione", *EVO* 12, 1989, 125–138

–, „The Cypriotes in the Saite Nile Delta: The Cypro-Egyptian Religious Syncretism", in: *DE Special Number* 1, 1989, 81–118

–, „Cipro, Grecia e l'"Egittizzante cipriota'", *SEAP* 12, 1993, 65–75

P. Dupont – J. Cl. Goyon, „Amphores grecques archaïques de Gurna: à propos d'une publication récente", in: *Atti sesto congr. intern. eg.* I 153–166

P. Gallo – O. Masson, „Une stèle 'hellénomemphite' de l'ex-collection Nahman", *BIFAO* 93, 1993, 265–276

E. A. Gardner, *Naukratis* II (= *EEF* 6), London 1888

J. Gómez Espelosín, „La ruta de los sabios. Tópico y verdad del viaje a Egipto a lo largo de la cultura griega", in: L. A. García Moreno – A. Pérez Largacha (Hrsg.), *Egipto y el exterior. Contactos e influencias* (= *Aegyptiaca Complutensia* 3), Alcalá 1997, 163–185

P. W. Haider, „Griechen im Vorderen Orient und in Ägypten bis ca. 590 v.Chr.", in: C. Ulf (Hrsg.), *Wege zur Genese griechischer Identität. Die Bedeutung der früharchaischen Zeit*, Berlin 1996, 59–115

–, „'Das Buch vom Fayum' und seine Historisierung bei Herodot", in: P.W. Haider – R. Rollinger (Hrsg.), *Althistorische Studien im Spannungsfeld zwischen Universal- und Wissenschaftsgeschichte. Festschrift für Franz Hampl gedacht zum 90. Geburtstag*, Stuttgart 2001, 127–155

–, „Epigraphische Quellen zur Integration von Griechen in die ägyptische Gesellschaft der Saïtenzeit", in: *Naukratis* 197–215

H. Hauben, „Das Expeditionsheer Psamtiks II. in Abu Simbel (593/92 v.Chr.)", in: *Fs Huß* 53–77

U. Höckmann – D. Kreikenbom (Hrsg.), *Naukratis. Die Beziehungen zu Ostgriechenland, Ägypten und Zypern in archaischer Zeit. Akten der Table Ronde in Mainz, 25.–27. November 1999*, Möhnesee 2001

G. Lacaze – O. Masson – J. Yoyotte, „Deux documents memphites copiés par J. M. Vansleb au XVII[e] siècle", *RdE* 35, 1984, 127–137

Leonard Jr., A., *Ancient Naukratis. Excavations at a Greek Emporium in Egypt*, Pt. I: *The Excavations at Kom Ge'if* (= *Annual of the American School of Oriental Research* 54), o.O., 1997

–, *Ancient Naukratis. Excavations at a Greek Emporium in Egypt*, Pt. II: *The Excavations at Kom Hadid* (= *Annual of the American School of Oriental Research* 55), o.O., 2001 (*non vidi*)

M. Lichtheim, „The Naucratis Stela Once Again", in: *Studies in Honor of G. R. Hughes* (= *SAOC* 39), Chicago 1976, 139–146

A. B. Lloyd, „Triremes and the Saite Navy", *JEA* 58, 1972, 268–279

–, „The So-called Galleys of Necho", *JEA* 58, 1972, 307–308

–, „Were Necho's Triemes Phoenician?", *JHS* 95, 1975, 45–61

–, *Herodotus Book II. Introduction* (= *EPRO* 43, 1), Leiden 1975

–, *Herodotus Book II. Commentary 1–98* (= *EPRO* 43, 2), Leiden 1975

–, *Herodotus Book II. Commentary 99–182* (= *EPRO* 43, 3), Leiden 1988

–, „Herodotus on Egyptians and Libyans", in: *Hérodote et les peuples non grecs* (= *Entretiens sur l'antiquité classique* 35), Genève 1990, 215–253

U. Luft, „Νεῖλος. Eine Anmerkung zur kulturellen Begegnung der Griechen mit den Ägyptern", in: U. Luft (Hrsg.), *The Intellectual Heritage of Egypt. Studies Presented to László Kákosy* (= *StudAeg* 14), Budapest 1992, 403–410

D. Mallet, *Les premiers établissements des grecs (VII^e et VI^e siècles)* (= *Mémoires publiés par les membres de la Mission Archéologique Française au Caire* 12), Paris 1893

O. Masson, „Quelques bronzes égyptiens à inscription grecque", *RdE* 29, 1977, 53–67

O. Masson – J. Yoyotte, „Une inscription ionienne mentionnant Psammétique Ier", *Epigraphica Anatolica* (Bonn) 11, 1988, 171–179

A. Möller, *Naukratis. Trade in Archaic Greece*, Oxford 2000

–, „Naukratis – griechisches *emporion* und ägyptischer 'port of trade'", in: *Naukratis* (s. Abkürzungsverzeichnis!) 1–25

B. Muhs, „The Great Temenos of Naukratis", *JARCE* 31, 1994, 99–113

O. Murray, *Das frühe Griechenland*, 6. Auflage München 1998

Naukratis, s. Abkürzungsverzeichnis

H.-G. Nesselrath, „Herodot und der griechische Mythos", *Poetica* (München) 28, 1996, 275–296

–, „Dodona, Siwa und Herodot – ein Testfall für den Vater der Geschichte", *Museum Helveticum* (Basel) 56, 1999, 1–14

C. Obsomer, „Hérodote et les prêtres de Memphis", in: *Fs Quaegebeur* II 1423–1442

E. D. Oren, „Migdol. A New Fortress on the Edge of the Eastern Nile Delta", *BASOR* 256, 1984, 7–44

S. Pernigotti, „Greci in Egitto e Greci d'Egitto", *Ocnus* (Bologna) 1, 1993, 125–137

–, „Les rapports entre les Grecs et l'Égypte à l'Époque Saïte: les aspects juridiques et institutionnels", in: *Méditerranées* 6/7, 1996, 87–101

–, „La 'legione straniera' nell'Egitto della XXVI dinastia", in: E. Acquaro (Hrsg.), *Alle soglie della classicità. Il Mediterraneo tra tradizione e innovazione. Studi in onore di Sabatino Moscati*, Pisa – Roma 1996, 355–363

–, *I Greci nell'Egitto della XXVI dinastia*, Imola 1999

–, „I rapporti tra i Greci e l'Egitto in età saitica: gli aspetti giuridici e istituzionali", *Ricerche di Egittologia e di Antichità Copte* (Imola) 3, 2001, 29–44 (geringfügig revidierte Originalfassung des in französischer Übersetzung in *Méditerranées* 6/7, 1996, 87–101 veröffentlichten Beitrags [s.o.])

W. M. F. Petrie et al., *Naukratis* I (= *EEF* 3), London 1886, 2. Aufl. 1888

–, *Tanis* II (= *EEF* 5), London 1888

–, *Ten Years Digging in Egypt*, London 1891 (Neudruck Chicago 1976)

Ch. Picard, „Les influences étrangères au tombeau de Petosiris: Grèce ou Perse?", *BIFAO* 30, 1931, 201–227

D. Piekarski, *Die Keramik aus Naukratis im Akademischen Kunstmuseum Bonn* (= *Bonner Sammlung von Aegyptiaca* 4), Wiesbaden 2001 (*non vidi*; vgl. *GM* 189, 2002, 111f.)

G. Posener, „Les douanes de la Méditerranée dans l'Égypte Saïte", *Revue de Philologie* (Paris), III^e sér., 21, 1947, 117–131

W. K. Pritchett, *The Liar School of Herodotos*, Amsterdam 1993

K. Smoláriková, „Chios-Keramik in Abusir", *GM* 141, 1994, 81–88

O. Masson, „Les graffites chypriotes alphabétiques et syllabiques", in: C. Traunecker et al., *La chapelle d'Achôris à Karnak*, II, Texte, Paris 1981, 251–284

M.S. Venit, *Greek Painted Pottery from Naukratis in Egyptian Museums*, Indiana 1988

G. Wagner, „Une des plus anciennes mentions d'Isis en grec. À propos d'une inscription inédite", in: *Fs Leclant* III 485–489

H. T. Wallinga, „Polycrates and Egypt: the Testimony of the *samaina*", in: *AchHist* VI 179–197

S. Weber, „Archaisch ostgriechische Keramik aus Ägypten außerhalb von Naukratis", in: *Naukratis* 127–150

G. Wirth, „Hellas und Ägypten: Rezeption und Auseinandersetzung im 5. bzw. 4. Jht. v.Chr.", in: *Ägypten und der östliche Mittelmeerraum* 281–319
J. Yoyotte, „L'Amon de Naukratis", *RdE* 34, 1982/83, 129–136
–, „Naucratis, ville égyptienne", *ACF* 92, 1991/92, 634–644
–, „Les contacts entre Égyptiens et Grecs (VII^e^ – II^e^ siècles av. J.-C.): Naucratis, ville égyptienne (1992–1993, 1993–1994)", *ACF* 94, 1993/94, 679–692; *ACF* 95, 1994/95, 669–682
–, „Le second affichage du décret de l'an 2 de Nekhtnebef et la découverte de Thônis-Héracléion", *Égypte Afrique & Orient* N° 24, Décembre 2001, 24–34

الفصل التاسع : تأملات متممة وموجزة

J. Assmann, „Zum Konzept der Fremdheit im alten Ägypten", in: M. Schuster (Hrsg.), *Die Begegnung mit dem Fremden. Wertungen und Wirkungen in Hochkulturen vom Altertum bis zur Gegenwart*, Stuttgart – Leipzig 1996, 77–99 [auch abgedruckt in J. Assmann, *Herrschaft und Heil. Politische Theologie in Altägypten, Israel und Europa*, München – Wien 2000, 217–242 mit Anm. 461–515 auf S. 316–320]
A. Loprieno, *Topos und Mimesis. Zum Ausländer in der ägyptischen Literatur* (= *Ägyptologische Abhandlungen* 48), Wiesbaden 1988
P. Vernus, „Les étrangers dans la civilisation pharaonique", *Bulletin du Cercle lyonnais d'égyptologie Victor Loret* (Lyon) 8, 1994, 49–65
A. Zivie, „Une stèle tardive récemment découverte dans la zone du Bubasteion à Saqqara", in: *Gs Quaegebeur* I 287–294

مراجع إضافية
(معظمها لكتب ومقالات نشرت بعد ظهور الطبعة الألمانية)

الفصل الأول: مصر والليبيون.

F. COLIN, „Les fondateurs du sanctuaire d'Amon à Siwa", in: *Studies Dedicated to the Memory of Jan Quaegebeur*, I (= *OLA* 84), Leuven 1998, 329-355.

K. WINNICKI, „Der libysche Stamm der Bakaler im pharaonischen, persischen und ptolemäischen Ägypten", in: *Ancient Society* 36, 2006, 135-142.

الفصل الثاني: علاقات مصر بآشور وبابل.

I. EPH^{c}AL, „Esarhaddon, Egypt, and Shubria", in: *Journal of Cuneiform Studies* 57, 2005, 99-111.

I. HUBER, „Von Affenwärtern, Schlangenbeschwörern und Palastmanagern: Ägypter im Mesopotamien des ersten vorchristlichen Jahrtausends", in: *Festschrift für Peter W. Haider*, Stuttgart 2006, 303-329.

D. KAHN, „King of Kush and the Assyrians", in: *Journal of the Society for the Study of Egyptian Antiquities* 31, 2004, 109-128.

D. KAHN, „The Assyrian Invasions of Egypt (673-663 B.C.) and the Final Expulsion of the Kushites", *Studien zur altägyptischen Kultur* 34, 2006, 251-267.

K. RYHOLT, „The Assyrian Invasion of Egypt in Egyptian Literary Tradition. A Survey of the narrative source material", in: *Assyria and Beyond. Studies Presented to Mogens Trolle Larsen*, Leiden 2004, 483-510.

الفصل الثالث: مصر والفينيقيون.

J. W. BETLYON, „Egypt and Phoenicia in the Persian Period: Partners in Trade and Rebellion", in: *Studies in Honor of Donald B. Redford*, Leiden – Boston 2004, 455-477.

J. S. HOLLADAY, „Judaeans (and Phoenicians) in Egypt in the Late Seventh to Sixth Centuries B.C.", in: *loc. cit.*, 405-438.

I. MÜLLER-WOLLERMANN, „Wandel durch Handel. Levantinischer Einfluss auf Ägypten", in: *Die Außenwirkung des späthethitischen Kulturraumes* (= *Alter Orient und Altes Testament* 323), Münster 2004, 443-451.

K. SCHIPPER. *Die Erzählung des Wenamun. Ein Literaturwerk im Spannungsfeld von Politik, Geschichte und Religion* (= *Orbis Biblicus et Orientalis* 209). Fribourg – Göttingen 2005

A. THIEM, „Die ägyptisch-phönizischen Beziehungen im 1. Jt. v.Chr.", in: S. FREDE, *Die phönizischen anthropoiden Sarkophage*. II. Mainz 2002, 217-242.

E. F. WENTE, „The Report of Wenamun", in: W. K. SIMPSON, *The Literature of Ancient Egypt*, third edition. New Haven – London 2003, 116-124.

الفصل الرابع: الوثائق الآرامية.

I. KOTTSIEPER, „Aramäische Briefe aus Ägypten", in: *Texte aus der Umwelt des Alten Testaments*, Neue Folge 3: Briefe, Gütersloh 2006, 360-377.

C. VON PILGRIM, „Tempel des Jahu und 'Straße des Königs' – ein Konflikt in der späten Perserzeit auf Elephantine", in: *Ägypten – Tempel der Gesamten Welt. Studies in Honour of Jan Assmann*, Leiden – Boston 2003, 303-317.

T. MURAOKA – B. PORTEN, *A Grammar of Egyptian Aramaic*, Leiden etc. 1998.

B. PORTEN, „The Prophecy of Hor bar Punesh and the Demise of Righteousness. An Aramaic Papyrus in the British Library", in: *Festschrift für Karl-Theodor Zauzich* (= *Studia Demotica* 6), Leuven etc. 2004, 427-466.

الفصل الخامس: مصر والفرس.

J. BOARDMAN, *Persia and the West: An Archaeological Investigation of the Genesis of Achaemenid Persian Art*, London 2000 (= *Die Perser und der Westen. Eine archäologische Untersuchung zur Entwicklung der achämenidischen Kunst*, Mainz 2003).

G. VITTMANN, „Iranisches Sprachgut in ägyptischer Überlieferung", in: *Das Ägyptische und die Sprachen Vorderasiens, Nordafrikas und der Ägäis* (= *Alter Orient und Altes Testament* 310), Münster 2004, 129-182.

الفصل السادس: الكاريون فى مصر.

I. J. ADIEGO, *The Carian Language*, Leiden – Boston 2007

الفصل السابع: مصر والعرب القدماء.

سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر فى ضوء النقوش العربية القديمة، الرياض ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

الفصل الثامن: اليونانيون والمصريون قبل العصر الهلينستى.

Ägypten – Griechenland – Rom. Abwehr und Berührung, Frankfurt 2005

Fremdheit – Eigenheit. Ägypten, Griechenland und Rom. Austausch und Verständnis (= *Städel-Jahrbuch*, Neue Folge 19), Stuttgart 2004

J. HAIDER, „Kontakte zwischen Griechen und Ägyptern und ihre Auswirkungen auf die archaisch-griechische Welt", in: R. ROLLINGER – C. ULF, *Griechische Archaik. Interne Entwicklungen – Externe Impulse*, Berlin 2004, 447-491.

K. SMOLÁRIKOVÁ, *Abusir VII. Greek Imports. Graeco-Egyptian Relations During the First Millennium B.C.*, Praha 2002

C. TIETZE, „Fragment eines griechischen Bauwerks", in: C. TIETZE, *Rekonstruktion und Restaurierung in Tell Basta* (= *Arcus* 6), Potsdam 2003, 95-100.

الفصل التاسع: تأملات متممة وموجزة.

G. VITTMANN, „Zwischen Integration und Ausgrenzung. Zur Akkulturation von Ausländern im spätzeitlichen Ägypten", in: *Festschrift für Peter W. Haider*, Stuttgart 2006, 561-595.

جدول زمنى للحوادث[1]

مصر		آشور / بابل / فارس		(إسرائيل) يهوذا[2]	
		الحكام الأشوريون			
الأسرة ٢٢					
شوشنق الأول	حوالى ٩٤٥-٩٢٥	آشوردان الثانى	٩٣٥-٩١٢	سليمان حوالى	٩٦٥/٤-٩٢٦/٥
أوسركون الأول	حوالى ٩٢٥-٨٩٠	أدادنيرارى الثانى	٩١١-٨٩١	رحبعام	٩٢٦-٩١٠[3]
تاكيلوت الأول	حوالى ٨٩٠-٨٧٧	توكولتى نينورتا الثانى	٨٩٠-٨٨٤	أبيام	٩١٠-٩٠٨
شوشنق الثانى	حوالى ٨٧٧-٨٧٥	آشورناصربال الثانى	٨٨٣-٨٥٩	أسا	٩٠٨-٨٦٨
أوسركون الثانى	حوالى ٨٧٥-٨٣٧	شلمانصر الثالث	٨٥٨-٨٢٤	يهوشافاط	٨٦٨-٨٤٧
				يورام	٨٥٢/٤٧-٨٤٥
				عثليا	٨٤٥-٨٤٠
شوشنق الثالث	حوالى ٨٣٧-٧٩٨	شمشى أداد الخامس	٨٢٣-٨١١	يهوأحاز	٨٤٠-٨٠١
شوشنق الثالث (أ)	حوالى ٧٩٨-٧٨٥	أدادنيرارى الثالث	٨١٠-٧٨٣	أمصيا	٨٠١-٧٧٣
پامى	حوالى ٧٨٥-٧٧٤	شلمانصر الرابع	٧٨٢-٧٧٢	عزريا/عزيا	٧٧٣-٧٣٦(؟)
شوشنق الخامس	حوالى ٧٧٤-٧٣٦	آشوردان الثالث	٧٧١-٧٥٥	يوثام	٧٥٩/٦-٧٤٤/١
		آشورنيرارى الخامس	٧٥٤-٧٤٥	أحاز	٧٤٤/١-٧٢٩/٥
		تيجلاتبيلسر الثالث	٧٤٤-٧٢٧		

---

(١) وُضعت بيانات التواريخ وفقا لمراجع تاريخية عديدة، نوجزها على النحو التالى:

- بالنسبة إلى مصر حتى عام ٣٣٢ ق. م:

J. v. BECKERATH, *Chronologie für des pharaonischen Ägypten* (= *MÄS* 46), Berlin 1997.

لكن فيما يتصل ببداية الأســـرة الخامسة والعشرين، انظر على وجه الخصوص: D. KAHN, *Or* 70, 2001, 18

- بالنسبة إلى المقدونيين والبطالمة (لا يؤخذ مرجع J. v. Beckerath بعين الاعتبار فى هذا الشأن على الإطلاق):

I. SHAW (Hrsg.), *The Oxford History of Ancient Egypt*, Oxford 2000.

- بالنسبة إلى الحكام الأشوريين والبابليين:

H. KLENGEL, *Syria 3000 to 300 B.C. A Handbook of Political History*, Berlin 1992; *The Cambridge Ancient History*, second edition, vol. III, part 2: *The Assyrian and Babylonian Empires (...) from the Eighth to Sixth Centuries B.C.*, Cambridge 1991.

- بالنسبة إلى حكام يهوذا:

H. DONNER, *Geschichte des Volkes Israel und seiner Nachbarn in Grundzügen*, 2 Teile, Göttingen 1984 und 1995.

(٢) يمكن الاستغناء عن قائمة ملوك الدولة الشمالية (إسرائيل) بعد انقسامها عقب وفاة سليمان.

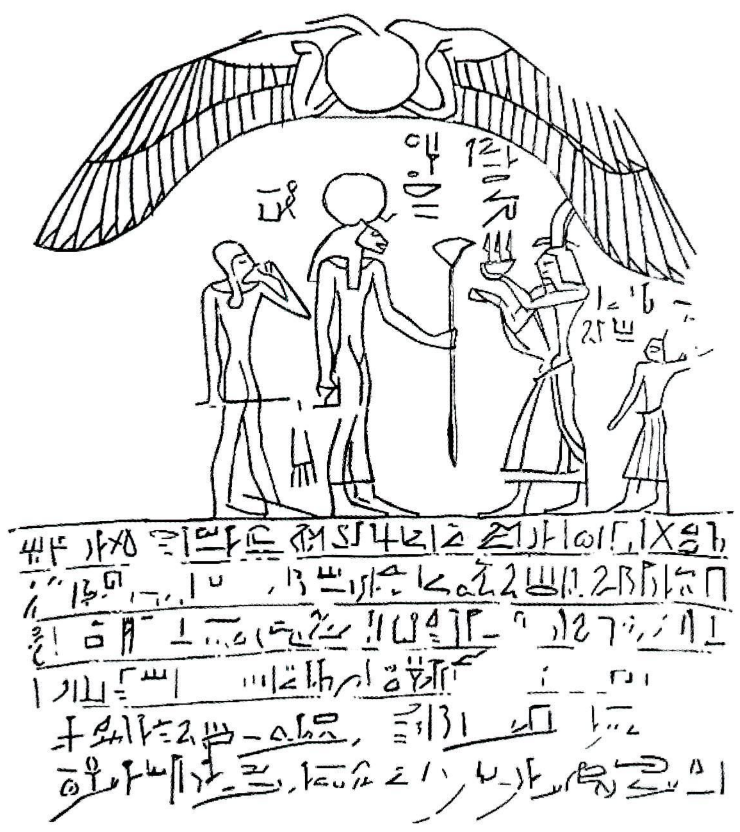
(٣) التواريخ التقليدية المبينة بالنسبة إلى رحبعام وشوشنق الأول لا تتفق والترتيب التزامنى للأحداث والشخصيات التاريخية التوراتية (سفر الملوك الأول، ١٤، ٢٥: حملة شيشق فى العام الخامس لرحبعام)؛ لذا، قارن شيپر، إسرائيل، صفحة ١٢٠، وما يليها (SCHIPPER, *Israel* 120f.) فيما يتصل بتلك المشكلة التى لم تجد حلاً حتى الآن.

مصر		آشور / بابل / فارس		(إسرائيل) يهوذا	
الأسرة ٢٣					
فرع مصر العليا					
تسعة حكام	حوالى ٨٧٠-٧٣٠				
حكام الدلتا					
بتوبلستيس الثانى	حوالى ٧٥٦-٧٣٠				
يوبوت الثانى	حوالى ٧٥٦-٧٢٥				
أوسركون الرابع	حوالى ٧٣٠-٧٢٢				
الأسرة ٢٤ (فى سايس)					
تفنخت	حوالى ٧٣٣-٧٢٦/٥				
بوكوريس	٧٢٦/٥-٧٢٠	شلمانصّر الخامس	٧٢٦-٧٢٢		
الأسرة ٢٥					
بيى / بيعنخى	حوالى ٧٣٤-٧٢١				
(فى كوش منذ ٧٥٣)					
شاباكا	٧٢٠-٧٠٧/٦	سرجون الثانى	٧٢١-٧٠٥	حزقيا	٧٢٨/٥-٧٠٠/٦٩٧
(فى كوش منذ ٧٢١)					
شابتاكا	٧٠٧/٦-٦٩٠	سيناخريب	٧٠٤-٦٨١	منسّى	٦٩٦-٦٤٢
تاهرقا	٦٩٠-٦٦٤	أسرحدون	٦٨٠-٦٦٩		
تانواتأمانى	٦٦٤-٦٥٦				
الأسرة ٢٦					
بسمّاتيك الأول	٦٦٤-٦١٠	أشُوربانيبال	٦٦٨-٦٢٧	أمون	٦٤١-٦٤٠
		أشُور-إتل-إيلانى	٦٢٦-٦٢٣		
		سين-شار-إشكون	٦٢٣-٦١٢		
		سقوط نينوى	٦١٢		
		أشور أوباليط الثانى	٦١١-٦٠٩	يوشيا	٦٣٩-٦٠٩
		الحكام البابليون			
نيخو الثانى	٦١٠-٥٩٥	نابوبولاسّر	٦٢٥-٦٠٥	يهوأحاز	٦٠٩
				يهوياقيم	٦٠٨-٥٩٨
				يهوياكين	٥٩٨/٧
بسمّاتيك الثانى	٥٩٥-٥٨٩	نبوخذنصر الثانى	٦٠٤-٥٦٢	صدقيا	٥٩٨/٧-٥٨٧/٦
أبريس	٥٨٩-٥٧٠			سقوط أورشليم ٥٨٦	
أمازيس	٥٧٠-٥٢٦	(أربعة ملوك عابرين ٥٦١-٥٥٦)			
		نابونيد	٥٥٥-٥٣٩		
		سقوط بابل	٥٣٩		

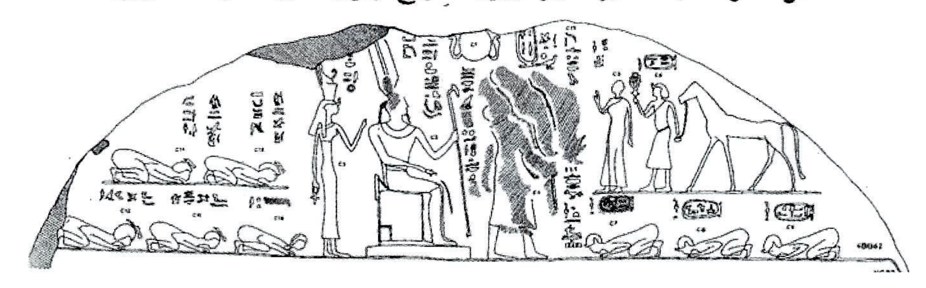
مصـــــــــر		آشُور / بابل / فارس		(إسرائيل) يهوذا
		الحكام الفرس		
بسمُاتيك الثالث	٥٢٥-٥٢٦	قورش الثانى	٥٣٠-٥٥٩	
			(منذ ٥٣٩ فى بابل)	
الأسرة ٢٧ (احتلال الفرس الأول)				
قمبيز	٥٢٢-٥٢٥	قمبيز	٥٢٢-٥٢٩	
داريوس الأول	٤٨٦-٥٢٢			
إكسيركسيس	٤٦٥-٤٨٦			
أرتاكسيركسيس الأول	٤٢٤-٤٦٥			
داريوس الثانى	٤٠٤-٤٢٤			
أرتاكسيركسيس الثانى	٤٠١-٤٠٤	أرتاكسيركسيس الثانى	٣٥٨-٤٠٤	
الأسرة ٢٨				
أميرتايوس	٣٩٩-٤٠١/٤٠٤			
الأسرة ٢٩				
نفريتيس الأول	٣٩٣-٣٩٩			
بسموتيس	٣٩٢/٣٩٣			
هكوريس	٣٨٠-٣٩٣			
نفريتيس الثانى	٣٨٠			
الأسرة ٣٠				
نختانبو الأول	٣٦٢-٣٨٠			
تاخوس	٣٦٠-٦٢/٣٦٤			
نختنبو الثانى	٣٤٣-٣٦٠			
الأسرة ٣١ (احتلال الفرس الثانى)				
أرتاكسيركسيس الثالث	٣٣٨-٣٤٣	أرتاكسيركسيس الثالث أوخوس	٣٣٨-٣٥٨	
أرسيس	٣٣٦-٣٣٨			
داريوس الثالث	٣٣٢-٣٣٦			
(ملوك مصريون نظراء)		**نهاية الأخمينيين**	٣٣١	
خبباش	٣٥/٣٣٦-٣٧/٣٣٨			

مصـــــــــر	آشُور / بابل / فارس	(إسرائيل) يهوذا
المقدونيون والبطالمة		
الإسكندر الأكبر	٣٢٣-٣٣٢	
فيليب أرهيدايوس	٣١٧-٣٢٣	
الإسكندر الرابع	٣١٠-٣١٧	(اسميًا حتى ٣٠٥)
بطلميوس الأول سوتر	٢٨٥-٣٠٥	
بطلميوس الثانى فيلادلفوس	٢٤٦-٢٨٥	
بطلميوس الثالث يورجتيس	٢٢١-٢٤٦	
بطلميوس الرابع فيلوپاتور	٢٠٥-٢٢١	
بطلميوس الخامس إبيفانس	١٨٠-٢٠٥	
بطلميوس السادس فيلوميتور	١٤٥-١٨٠	
بطلميوس الثامن يورجتيس	١١٦-١٧٠	
بطلميوس التاسع سوتر	١٠٧-١١٦	
بطلميوس العاشر الإسكندر	٨٨-١٠٧	
بطلميوس التاسع سوتر	٨٠-٨٨	
بطلميوس الحادى عشر الإسكندر	٨٠	
بطلميوس الثانى عشر نيوس ديونيسوس	٥١-٨٠	
كليوپاترا السابعة فيلوپاتور	٣٠-٥١	
بطلميوس الثالث عشر	٤٧-٥١	
بطلميوس الرابع عشر	٤٤-٤٧	
بطلميوس الخامس عشر قيصرون	٣٠-٤٤	

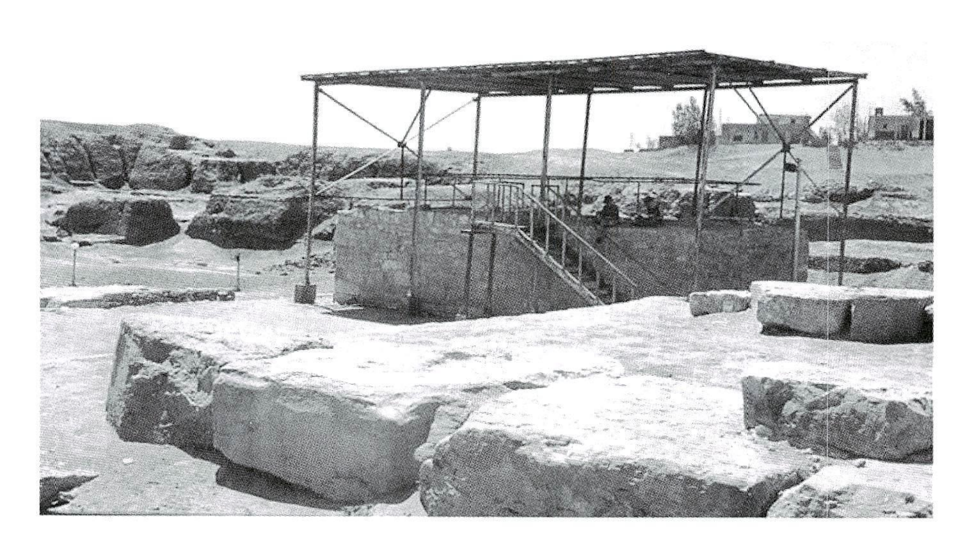
ملحق الأشكال



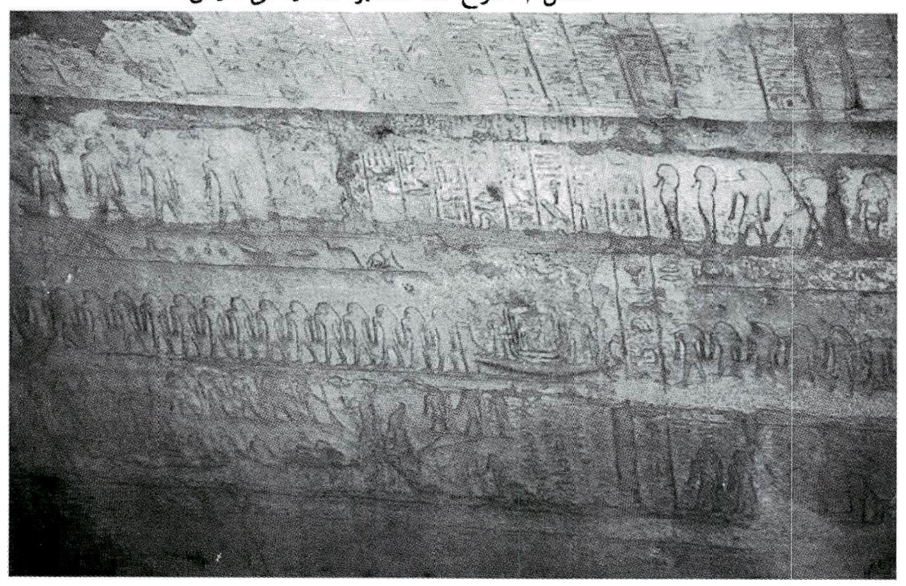
شكل ١ : لوحة هبة «الأمير الكبير لليبيين» آمنروچ تزين رأسه ريشة الزعماء الليبيين.



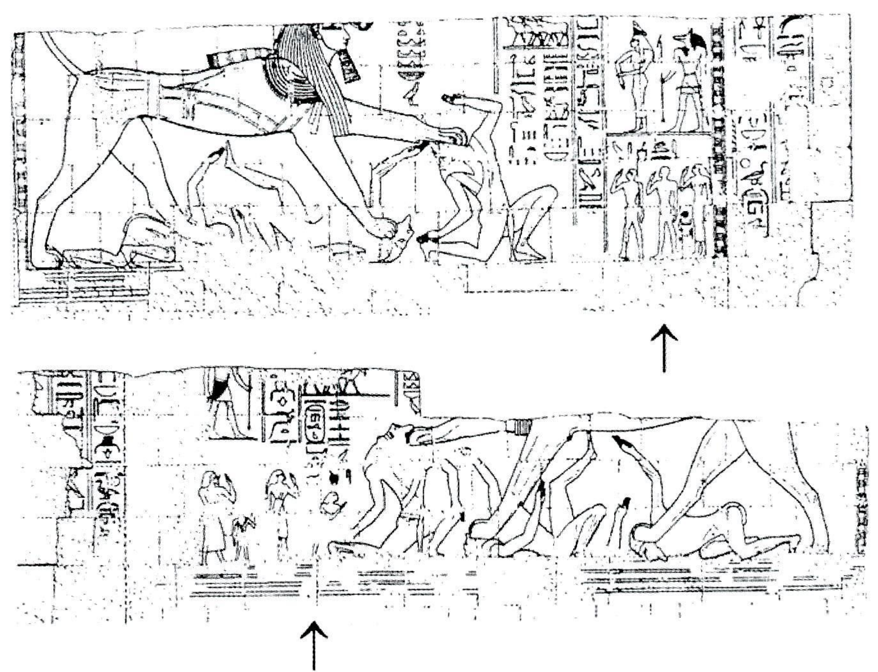
شكل ٢ : الجزء الجملونى من لوحة النصر للغازى الكوشى پيى / پيعنخى: إلى اليمين أربعة حكام محليين بمرتبة «ملك» وهم واقفون، وإلى أعلى نمرود ملك هيرموپوليس يمسك بآلة السيستروم ويسحب بيده اليسرى حصانًا من اللجام، وإلى اليسار خمسة أمراء راكعين، أربعة منهم بريشة الزعماء الليبيين على الرأس، والرجلان فى الصف الأعلى يحملان لقب «زعيم ما الكبير».



شكل ٣ : موقع عند المقابر الملكية فى تانيس.



شكل ٤: مقبرة شوشنق الثالث فى تانيس، الحائط الغربى، قارن:
P. Montet, *La nécropole de Tanis*, III, Paris 1960, pl. XXIX.



شكل ٥: المنظر المعروف باسم «الأسرة الليبية» فى معبد قاوا. وقد ظهر هذا المنظر لأول مرة قبل حوالى ١٨٠٠ سنة (!) بمعبد الشعائر لساحورع فى أبوصير – وفيما بعد فى المنشآت الجنائزية لعديد من الفراعنة الآخرين من الدولة القديمة –، حيث بقى الأشخاص أنفسهم، فنشاهد صبيين يحملان الاسمين «ونى»، و«ويسا»، وامرأة تُدعى خويت-إيتس.

شكل ٦: «الفرعون پسمأتيك، له الحياة والخير والصحة» بكتابة ديموطية (مأخوذة من بردية رايلاندز ١، المؤرخة فى عام ٦٥٤)، وكذلك بعد تحويل علاماتها الآن إلى الهيروغليفية. وقد كُتب الاسم الليبى للملك، كما لو كان يعنى «رجل النبيذ الممزوج» (بمخصص الأبريق).



شكل ٧: لوحة پسمأتيك الأول من سقارة من عام حكمه الحادى عشر (عام ٦٥٤)، وتتضمن تقريراً عن رده للعصاة الليبيين.



شكل ٨: نقش من تمثال داريوس الأول فى سوسه (قارن شكل ٥٨ ب): عدو مهزوم ممثل وهو راكع على حصن يُرمز له بالشكل البيضاوى، وبه نقش نصه «أرض التِمحو»، أى ليبيا.



شكل ٩: منظر على الحائط الشرقى لمعبد أم عبيدة بواحة سيوة: فى أعلى اليمين الحاكم المحلى ونآمون بريشة الزعماء الليبية الملازمة أمام الإله آمون الممثل برأس كبش.



شكل ١٠: نقوش من قاو الكبير عليها منظر «العملاق» الليبى أنتايوس (أى ست) ونفتيس.



شكل ١١: نقوش من جبل برقل (السودان) عليها منظر للآشوريين المهزومين (رسمها ى. ج. ويلكينسون J. G. Wilkinson من القرن التاسع عشر).

شكل ١٢: «شاپاتاكو، ملك أرض ملوخًا» ^{I}شا-پا-تا-كو-و شار4 كور مى-لوخ-خا (^{I}*Šá-pa-ta-ku-u' šar4 KUR Me-luḫ-ḫa*) ، وفقًا لنقش تنك ڤار الإيرانى Tang-i Var (سطر ٢٠).

(90)	^{I}*Ni-ku-ú* LUGAL ^{uru}*Me-em-pi u* ^{uru}*Sa-a-a*	(Necho - Memphis und Sais)
(91)	^{I}LUGAL-*lu-dà-ri* LUGAL ^{uru}*Ṣi-iʾ-nu*	(Šarru-lū-dāri - Tanis)
(92)	^{I}*Pi-šá-an-ḫu-ru* LUGAL ^{uru}*Na-at-ḫu-ú*	(Psenhor - Natho)
(93)	^{I}*Pa-aq-ru-ru* LUGAL ^{uru}*Pi-ša-ap-tú*	(Paqrur - Pi-Sopdu)
(94)	^{I}*Bu-uk-ku-na-an-ni-iʾ-pi* LUGAL ^{uru}*Ḫa-at-ḫi-ri-bi*	(Bakennanef - Athribis)
(95)	^{I}*Na-aḫ-ke-e* LUGAL ^{uru}*Ḫi-ni-in-ši*	(Nahkê - Herakleopolis parva)
(96)	^{I}*Pu-ṭu-biš-ti* LUGAL ^{uru}*Ṣa-aʾ-nu*	(Petubastis - Tanis)
(97)	^{I}*Ú-na-mu-nu* LUGAL ^{uru}*Na-at-ḫu-ú*	(Wenamun - Natho)
(98)	^{I}*Ḫar-si-ia-e-šu* LUGAL ^{uru}*Ṣab-nu-ú-ti*	(Harsiêse - Sebennytos)
(99)	^{I}*Pu-ú-a-a-ma* LUGAL ^{uru}*Pi-in-ṭi-ṭi*	(Pujama - Mendes)
(100)	^{I}*Su-si-in-qu* LUGAL ^{uru}*Pu-ši-ru*	(Schoschenk - Busiris)
(101)	^{I}*Tap-na-aḫ-ti* LUGAL ^{uru}*Pu-nu-bu*	(Tefnachte - Per-ineb)
(102)	^{I}*Bu-uk-ku-na-an-ni-iʾ-pi* LUGAL ^{uru}*Aḫ-ni*	(Bakennanef- Ichenu)
(103)	^{I}*Ip-ti-mur-ṭe-e-šu* LUGAL ^{uru}*Pi-ḫa-at-ti-ḫu-ru-un-pi-ki*	(Nefertemirdis - Terenuthis)
(104)	^{I}*Na-aḫ-ti-ḫu-ru-an-si-ni* LUGAL ^{uru}*Pi-šap-ṭi-ʾa-a*	(Nechthornasenu - Per-Sopdu-en-iati)
(105)	^{I}*Bu-kur-ni-ni-ip* LUGAL ^{uru}*Pa-aḫ-nu-ti*	(Bakenrenef - Pachnuti)
(106)	^{I}*Ṣi-ḫa-a* LUGAL ^{uru}*Ši-ia-a-u-tú*	(Djedher - Siut)
(107)	^{I}*La-mi-in-tú* LUGAL ^{uru}*Ḫi-mu-ni*	(Namert - Hermopolis)
(108)	^{I}*Iš-pi-ma-a-ṭu* LUGAL ^{uru}*Ta-a-a-ni*	(Nespamedu - This)
(109)	^{I}*Ma-an-ti-me-an-ḫe-e* LUGAL ^{uru}*Ni-iʾ*	(Montemhet - Theben)

شكل ١٣ : قائمة أسماء الأمراء من حوليات آشوربانيبال (منشور Prisma A، ٩٠-١٠٩).

قُسّم كل سطر بالقائمة وفقًا للنموذج التالى : «اسم علم»، يليه لقب «ملك»، ثم «اسم مكان»؛ مثال : «نيخو، ملك سايس ومنف» إلخ ؛ قارن أيضًا المقتطفات التى دار النقاش حولها فى صفحة ٦٣ و ٦٤. ولوجال هى «علامة سومرية» Sumerogramm معروفة تعنى «ملك» فى السومرية، لكنها كانت تُنطق شارُّو وما شابه فى الأكّادية، أو فى حالة اقترانها باسم مكان، مثل شار ....، أى «ملك كذا». ومثلما هو شائع فى الكتابة المسمارية، فإن أسماء الأعلام تتصف إلى حدٍّ بعيد بمخصص مميز يسبقها، ويُرمز له طبقًا للطرق العلمية التقليدية بعلامة I مرفوعة قليلاً إلى أعلى. كما يُرمز إلى مسميات المدن التى تلى ألقاب الحكام من خلال مخصص «مدينة» الذى لا يُنطق لكونه مخصصًا، وهو علامة أورو السومرية، أى «مدينة».

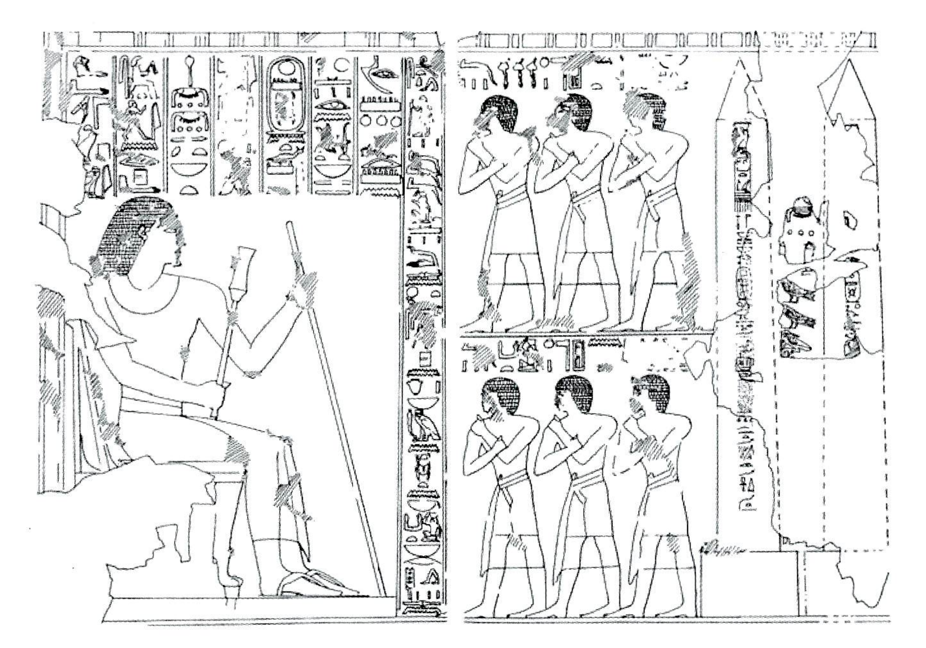
وبما أن العلامات المسمارية غالبًا ما تسمح بقراءات صوتية متشابهة، لكن ليس نادرًا كذلك بقراءات صوتية مختلفة كلية، فإن الدلالة الصوتية تتوجه دائمًا وفقًا لنطق الأسماء المصرية التى يمكن إعادة نقل حروفها الصحيحة. لهذا السبب حُوِّلت الدلالة الصوتية على سبيل المثال فى رقم ٩٩ من پى-إن-دى-دى (*Pi-in-di-di*) إلى پى-إن-طى-طى (*Pi-in-ṭi-ṭi*).

ويُــلاحظ أن السين (*s*) فى النصوص الأشورية فى أغلب الأحوال – ليس دائمًا – تأتى عوضًا عن الشين (*š*) فى المصرية، والعكس بالنسبة إلى الشين الأشورية عوضًا عن السين المصرية.

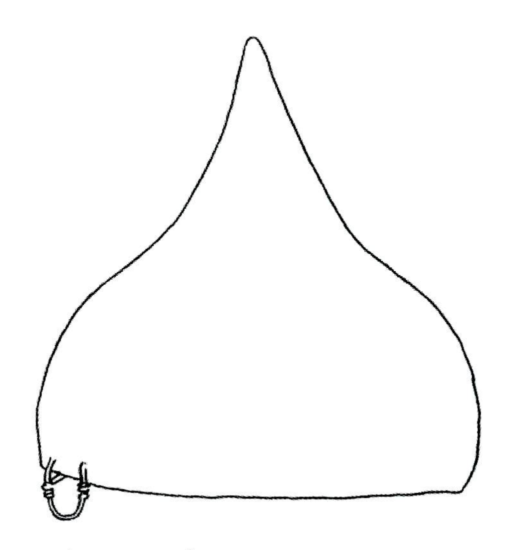
ويُــلاحظ كذلك أن إعـــادة نقل حروف أسماء الأعلام فى معظمها تقليدى، وليس بطريقة صوتية، لهذا السبب تظهر الاختلافات القوية بالنسبة إلى الدلالات الصوتية الأشورية.

وهنــاك دلالة صوتية متصلة للنص المســمــــارى وضبـــط الـــحركات فيه مع تـــرجمة عند أوناش H.-U. ONASCH, *Die assyrischen Eroberungen Ägyptens*, 118 f., 1994 Wiesbaden, 2 Teile (=ÄA 27)

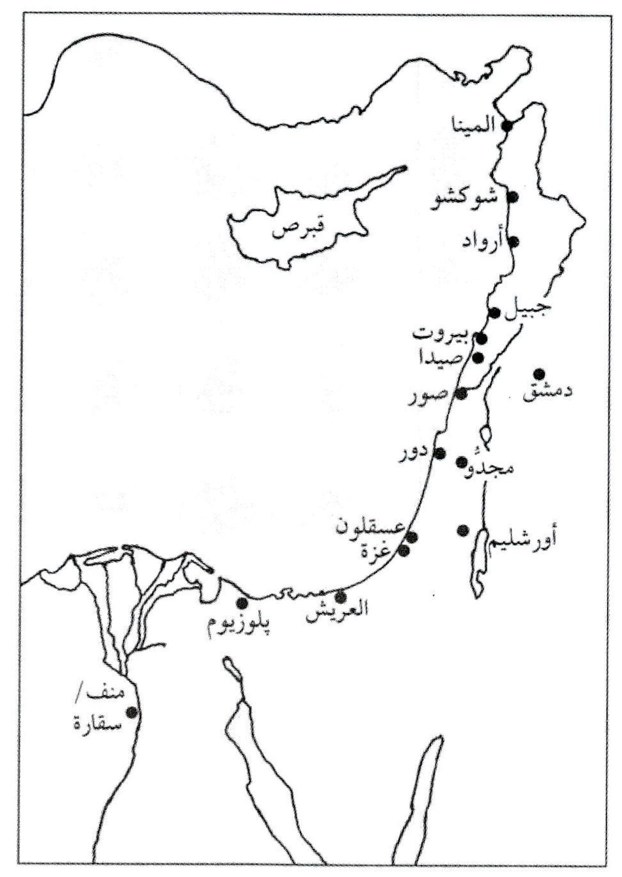
«الغزوات الأشورية لمصر»، جزآن ١٩٩٤، ڤيسبادن (ألمانيا)، ص ١١٨ وما يليها.



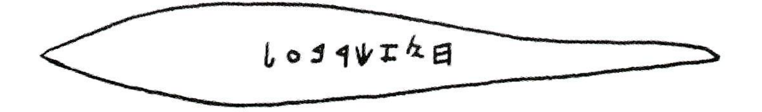
شكل ١٤: منظر من مقبرة پويمرع فى طيبة الغربية يعرض بدقة – وفقًا لرأى شائع – المسلتين اللتين أُقيمتا تحت إشرافه باسم تحوتمس الثالث، ونقلهما أشوربانيپال إلى نينوى.



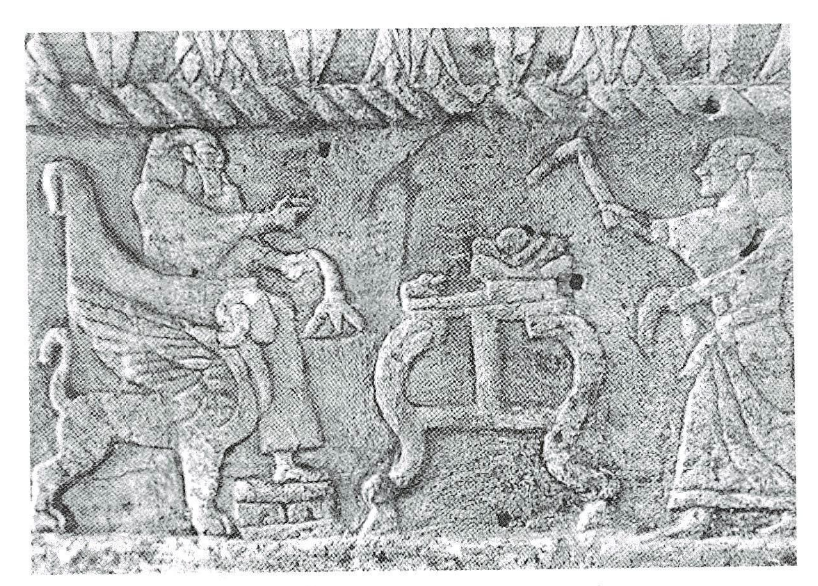
شكل ١٥: خوذة من طيبة الغربية تُنسب على الأرجح للغزاة الأشوريين.



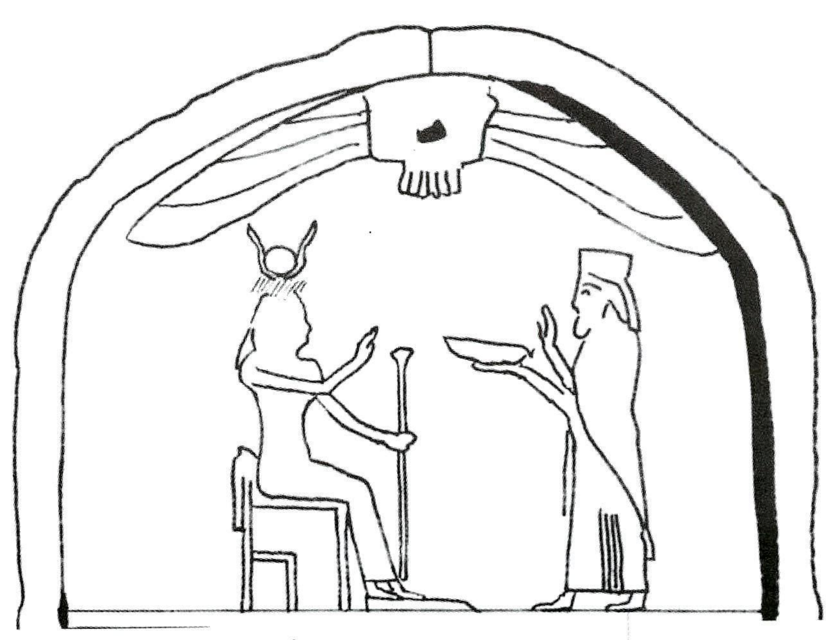
شكل ١٦ : فينيقيا.



شكل ١٧ : نصل سهم عليه نقش فينيقى مبكر يتضمن النقش التالى:
«سهم زكاربعل، ملك آمورُّو» (ḤṢ ZKRB‘L MLK ’MR).



شكل ١٨ : تابوت أحيرام ملك جُبيل.



شكل ١٩ : لوحة يحاوميلك ملك جُبيل.



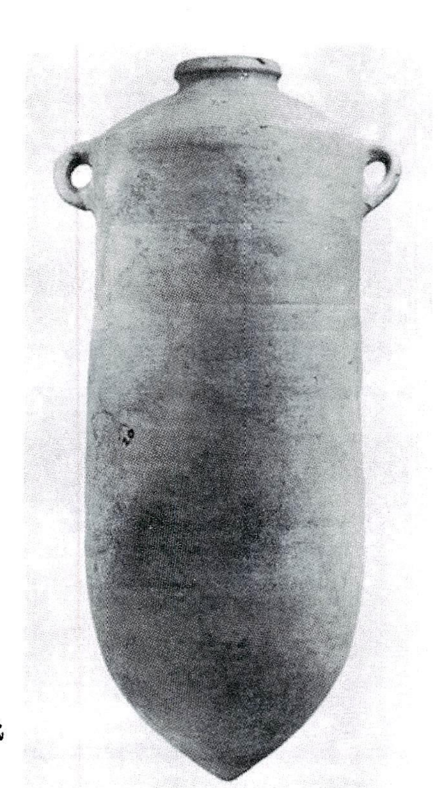
شكل ٢٠ : تمثال أوسركون الأول عليه نقش فينيقى لملك جُبيل إيليبَعَل.



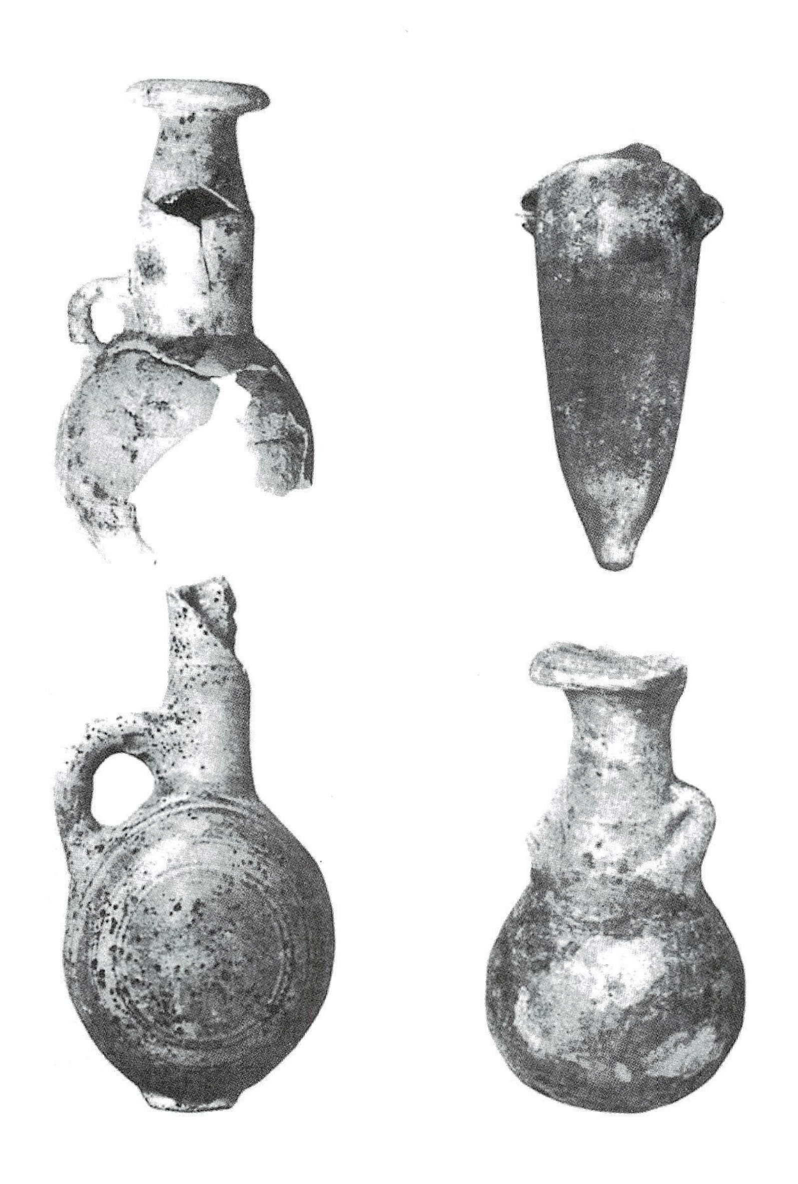
شكل ٢١: تمثال پتيسيه «مبعوث پا-كنعان وفلسطين»، حوالى القرن التاسع. وبغض النظر عن لقبه، فقد كان پتيسيه هذا ينحدر من أصل سامى، كما يتضح من اسم أبيه.



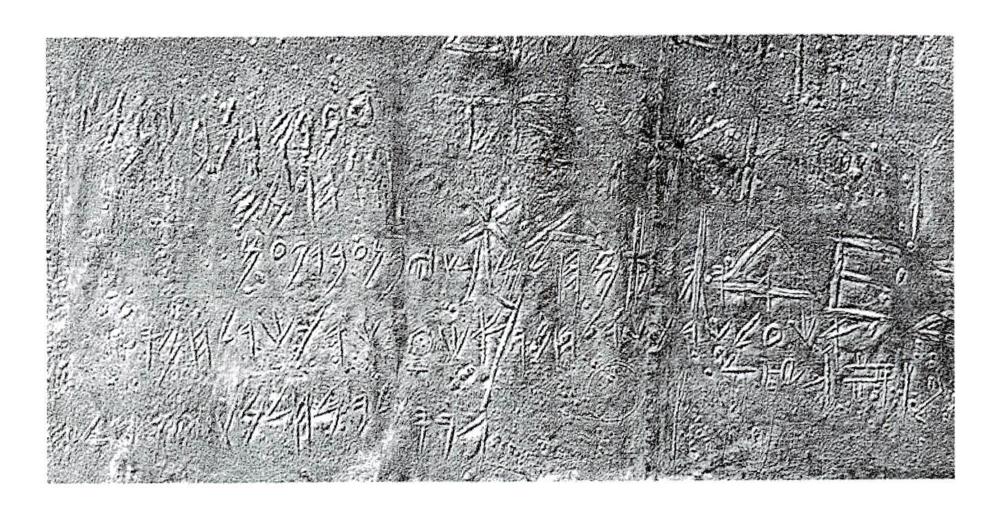
شكل ٢٢: نقوش فينيقية للمدعو تابنيت ملك صيدا عند نهاية القدم لتابوت اغتصبه، وكان يخص فى الأصل قائدًا مصريًا من العصر الصاوى.



شكل ٢٣: آنية فخارية قبرصية فلسطينية من طيبة الغربية.



شكل ٢٤: أوانٍ خزفية فينيقية من هيراكليوپوليس.



شكل ٢٥: نقوش مخربشات فينيقية فى أبوسمبل (وفقًا لرقم CIS I 112). ويُذكر فى رقم CIS I 111 (ليست بالصورة) ربما أمازيس، قائد الفرقة المصرية. وإلى جانب ذلك، خلَّد نفسه «شيپمين ابن پتيسيه» فى نقش بالكتابة الديموطية إلى أسفل اليمين.



شكل ٢٦: ثلاثة من نقوش المخربشات الفينيقية عند «ردهة السلم» بمعبد سيتى الأول فى أبيدوس. ويظهر بالصورة، كيف صَعُب فى أغلب الأحوال استخراج نقوش المخربشات المحفورة حفرًا سطحيًا ضعيفًا (KAI **49:11-13**).

شكل ٢٧ : أطول نقش من المخربشات الفينيقية بمعبد سيتى الأول فى أبيدوس (**KAI 49:34**)، وقد ورد فى الترجمة : «(١) أنا پاعَلأوبَاسته، ابن صيدياتان ابن جرصيد، الصورى، الذى يقيم ... (٢) فى أون مصر (أى فى هليوپوليس مصر) فى عتق عبدميلقارت الهليوپوليتى».

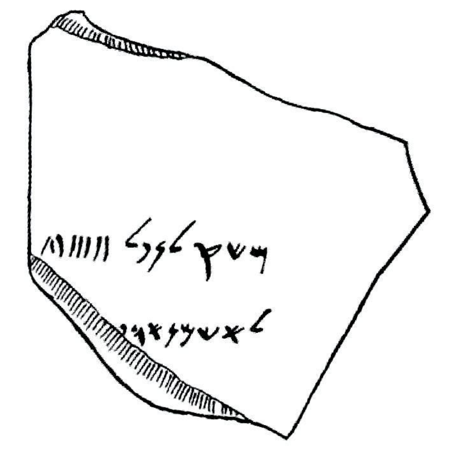


شكل ٢٨ : لوحة من تل دفنة فى أسلوب مصرى شرقى خليط، عليها منظر لإله واقف على ظهر أسد.

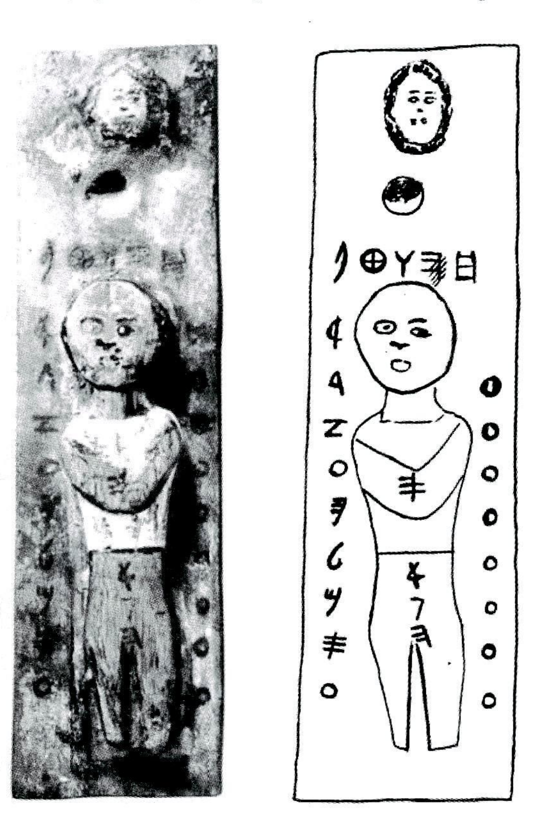


شكل ٢٩: تمثال مصرى على هيئة أبوالهول من سيرابيوم سقارة عليه نقوش فينيقية ويونية حديثة.

شكل ٣٠: نقوش من سقارة على حوض للأضاحى بالطراز الفنى المصرى.



شكل ٣١: شقفة فخارية فينيقية من الحفائر التشيكية فى أبوصير.



شكل ٣٢ أ–ب: لوحة كاتب مصرية بتعديل فينيقى ونقش غامض.



شكل ٣٣: شاهد قبر من سقارة للسورى الفينيقى خعحاب (٢٧٣-٢٠٣).



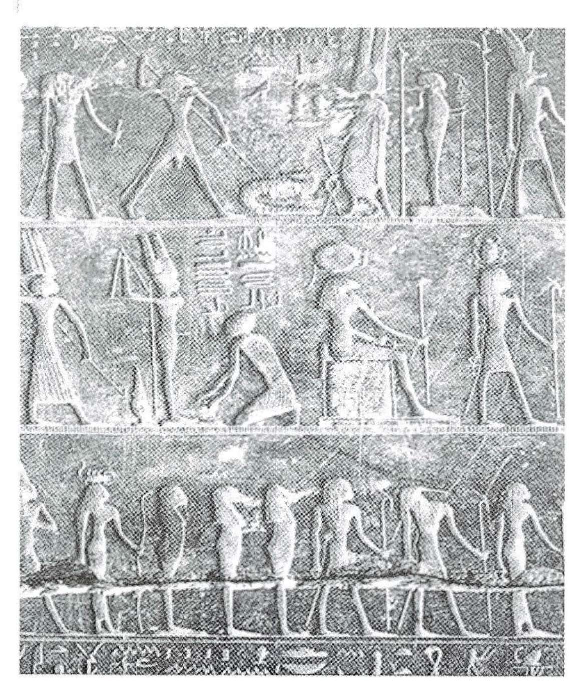
شكل ٣٤: رأس سيدة من تابوت مفقود بالطراز الفني الفينيقي، يعود إلى القرن الخامس، ويُفترض أنه قد عُثِر عليه سويًّا مع لوحة السوري خعحاپ.



شكل ٣٥: منظـر فى مقبرة باديعَشتارت بواحة البحرية، وتظهر بوضوح العناصر الفنية لمنطقة الشرق الأدنى مثل الزى والآنية.



شكل ٣٦: لوحة حورس للفينيقى پعالعَشتارت من منف. عند الجوانب الخارجية فى القسم السفلى المخصص للصور يظهر صاحب اللوحة ماثلاً مرتين - كل منهما على حدة - وهو راكع متعبد أمام إلهة. وعلى الواجهة الأمامية للقاعدة الكبيرة - غير الموجودة بالصورة - التى وُضعت فيها اللوحة، يوجد نقش تفصيلى أمر بوضعه صاحب اللوحة.

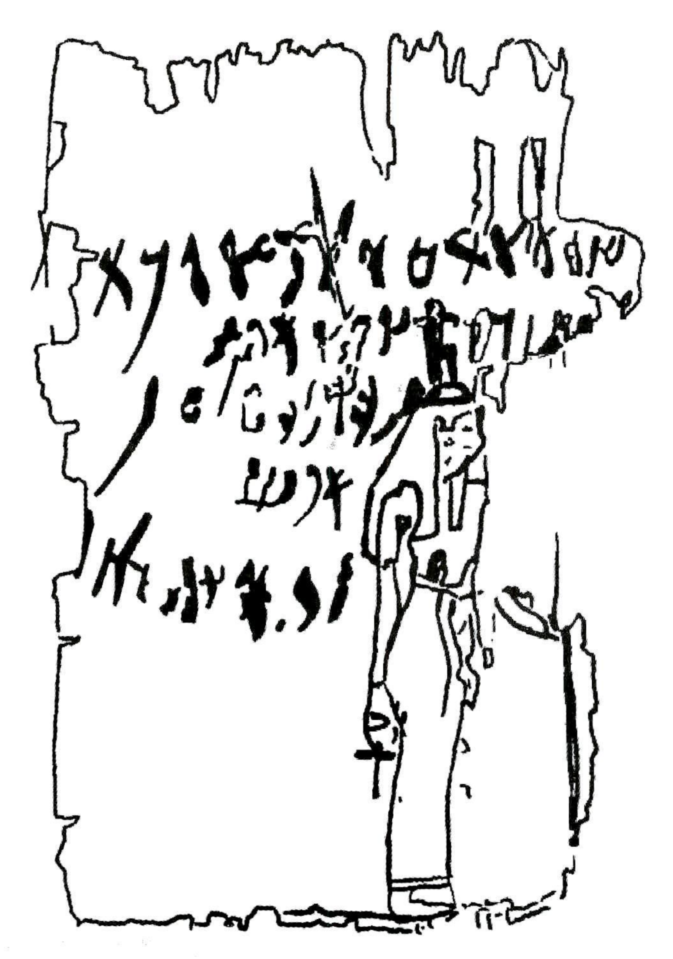


شكل ٣٧: منظر لجزء من الواجهة الخلفية لشكل ٣٦. ففى المنتصف يظهر پعالعَشتارت ماثلاً وهو راكع أمام معبود خصوبة مصرى وإله للبعث على نمط مين - آمون - كاموتف (بعضو ذكرى مُنتصب). ويشهد الأثر شهادة فصيحة على تأليه أجانب لآلهة مصرية.

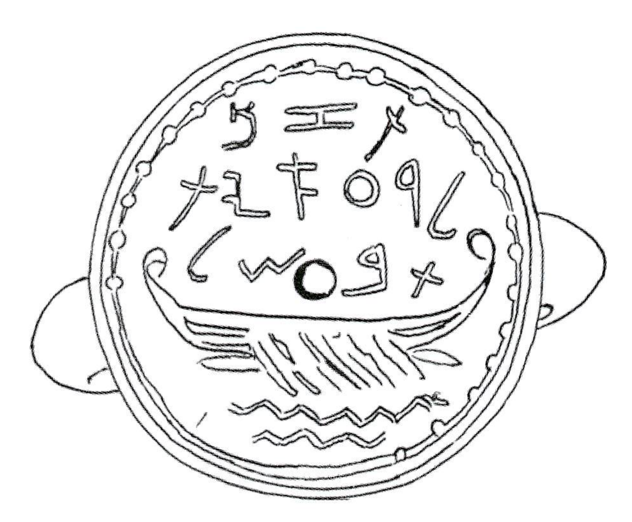


شكل ٣٨ : تمثال برونزى صغير لإيمحوتپ عليه نقش مصرى، نصه «إيمحوتپ ابن پتاح يمنح حياة»، ومتمم له تقريبًا نقش فينيقى جاء فيه «من أجل واحِئيبرع ابن إشمونياتان».

شكل٣٨أ: نقش فينيقى على وعاء برونزى متمصر فى برينستون. «إيزيس تعطى نعمة وحياة لعبد بتاح ابن عبدو» ʼSY TTN ḤN WḤYM LʻBDPTḤ BNʻBDʼ.



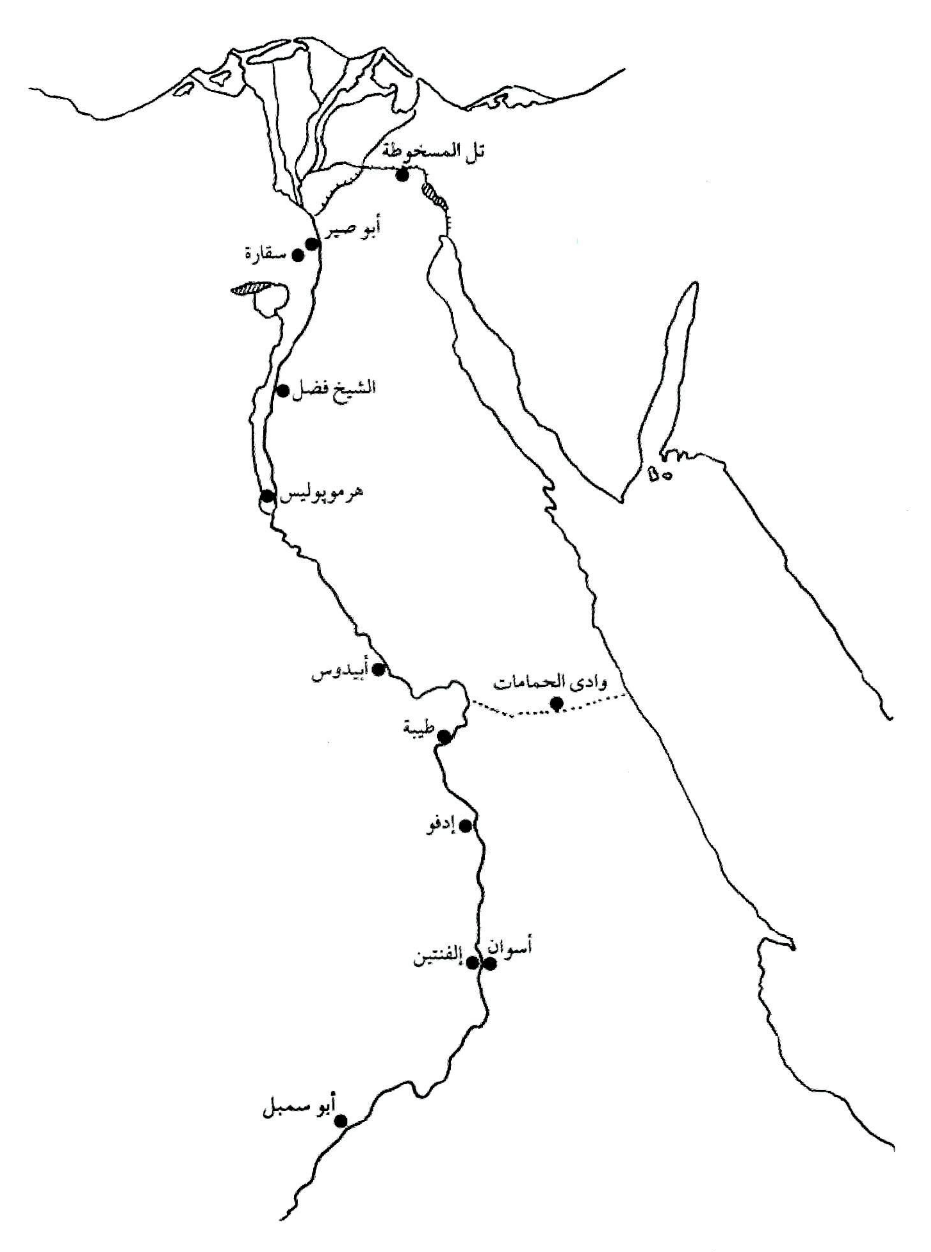
شكل ٣٩: شذرة بردية ذات مظهر سحرى من جزيرة مالطة عليها منظر لإيزيس، إضافة إلى نص فينيقى به الكثير من المشكلات.



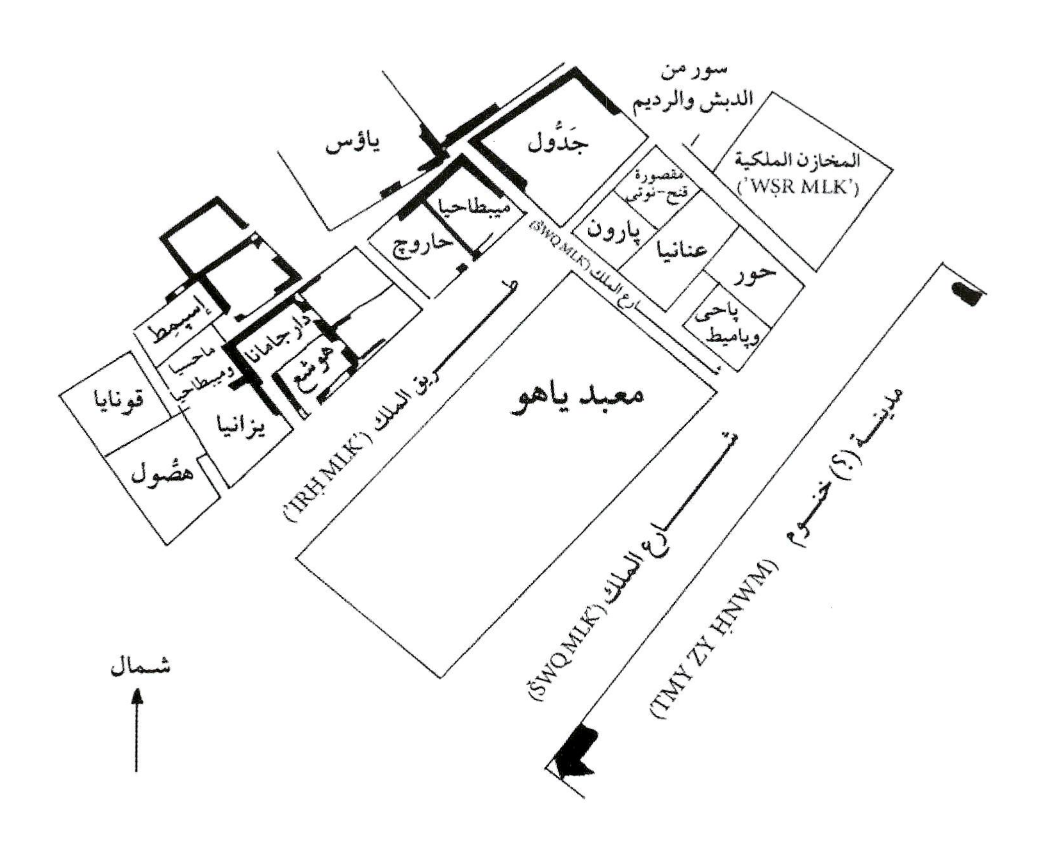
شكل ٤٠: خاتم من تاروس فى جزيرة سردينيا (؟) عليه منظر لزورق فى الطراز الفينيقى وقرص الشمس لرع مع نقش فينيقى صعب الفهم.



شكل ٤١: جعران من سردينيا تظهر فيه عناصر فنية تشير إلى لاهوت هيرموپوليس ونقش صاحبه المدعو «بودشمون ابن حيميلكو» (BD'ŠMN BN ḤMLK).

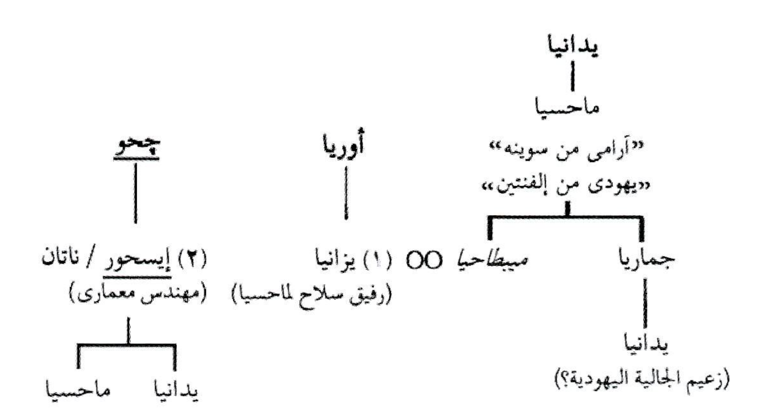


شكل ٤٢ : أماكن مكتشفات النصوص الفينيقية والأرامية فى مصر.

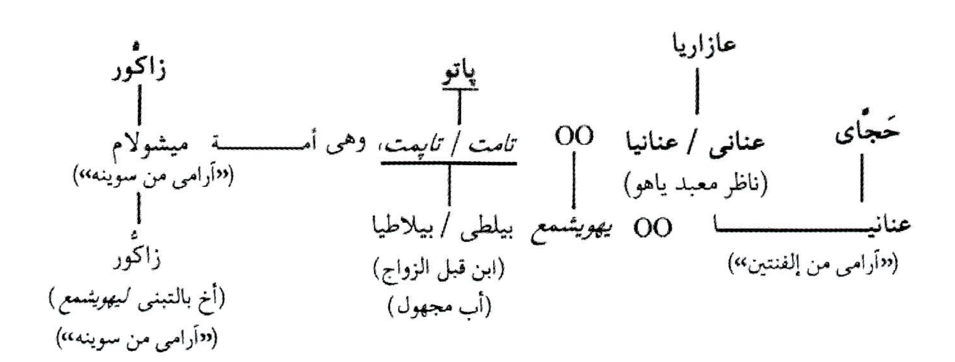


شكل ٤٣: الحى اليهودى الأرامى فى إلفنتين

شكل ٤٤: «خطاب باجواس» من عام ٤٠٧، وهو التماس من زعيم الجالية اليهودية فى إلفنتين إلى حاكم يهوذا الفارسى، وهو من المؤكد يُعَدُّ أشهر شاهد معروف مكتوب بالآرامية من إلفنتين.



شكل ٤٥ : شجرة نسب ميبطاحيا
(أسماء النساء بالحروف المائلة؛ وُضع خط تحت الأسماء المصرية).



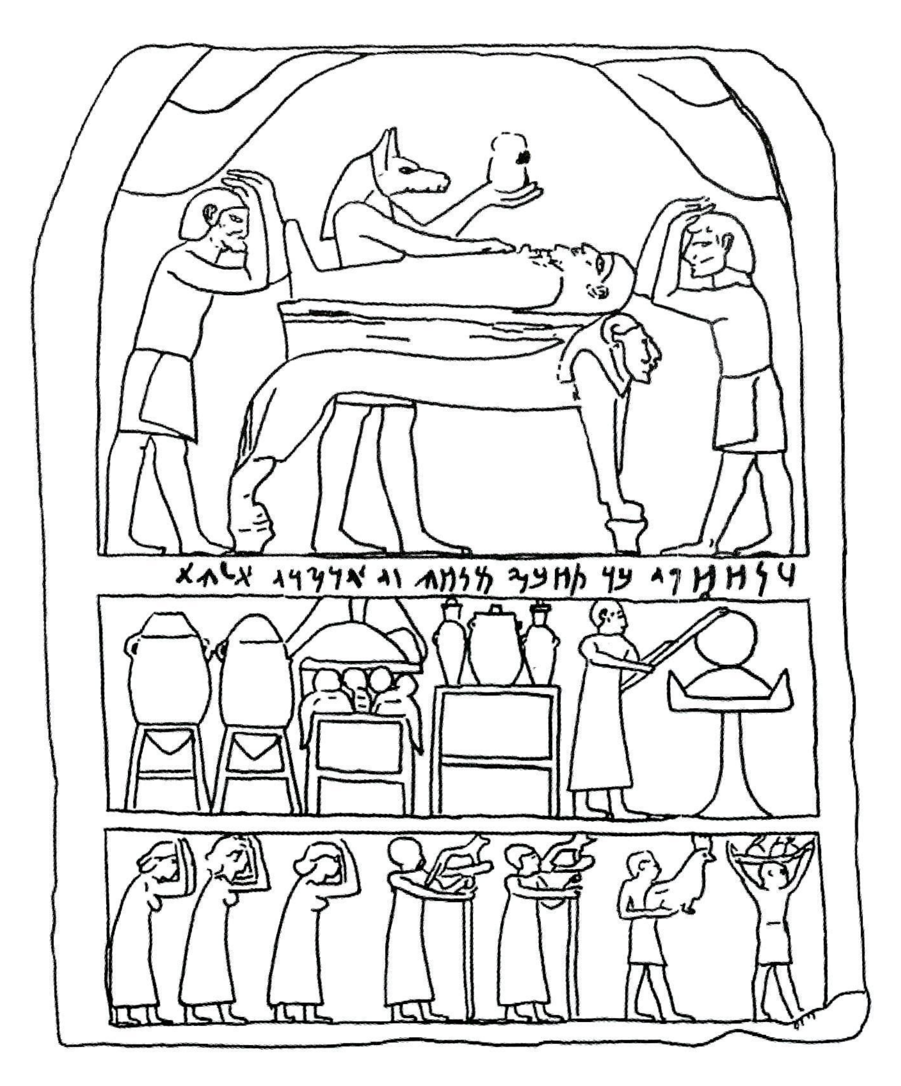
شكل ٤٦ : شجرة نسب عانانيا
(أسماء النساء بالحروف المائلة؛ وُضع خط تحت الأسماء المصرية).



شكل ٤٧: لوحة جنائزية مصرية آرامية غنية بالزخارف من العام الرابع لحكم إكسيركسيس (عام ٤٨٢) لأسرة «من مدينة خاست ثمح» التى يُحدد مكانها أغلب الظن فى بلدة ماريا.



شكل ٤٨: شاهد القبر المصرى الآرامى المعروف باسم Stele von Carpentras «لوحة كارپنتراس»، وفقًا لمكان حفظه الآن. ويُعَدُّ هذا الأثر بسبب نقوشه شاهدًا مهمًا لانصهار تصورات العالم الآخر المصرية لدى الأجانب.



شكل ٤٩ : لوحة جنائزية مصرية آرامية لشخص يُدعى عنخحاپى فى الفاتيكان. وتتوافق مناظر التحنيط والنحيب فى القسم العلوى وكذلك السفلى إلى اليسار والموضوعات الشائعة على هذا النوع من اللوحات؛ لكن يُخص بالذكر حاملو الأعلام فى الصف الأسفل (انظر كذلك لوحة ١٢).



شكل ٥٠: للمقارنة مع شكل ٤٩ ولوحة ١٢ فى الصف الأسفل بالمنتصف، يقدم حاملو الأعلام من الكهنة بمقبرة باباسا فى طيبة (حوالى عام ٦١٠ - ٦٢٥) مثالاً واضحًا.

شكل ٥١: نقش «حاپيمن ابن آخامانيش» على لوحة مصرية أرامية (انظر كذلك لوحة ١٣ أ).



شكل ٥٢ : لوحة متمصرة مفقودة ومجهولة المصدر عليها طائفة من موضوعات غير مألوفة لا يُفاجأ أحد بمحتوياتها من أجانب. وبلا شك فإن النقش الآرامى لاسم شميتي (ŠMYTY) الذى وُضع عن قصد أمام منظر الملك يشير إلى اسم صاحبة اللوحة. وفيما يبدو أنها كانت أجنبية باسم مصرى تُدعى «سميتيس».





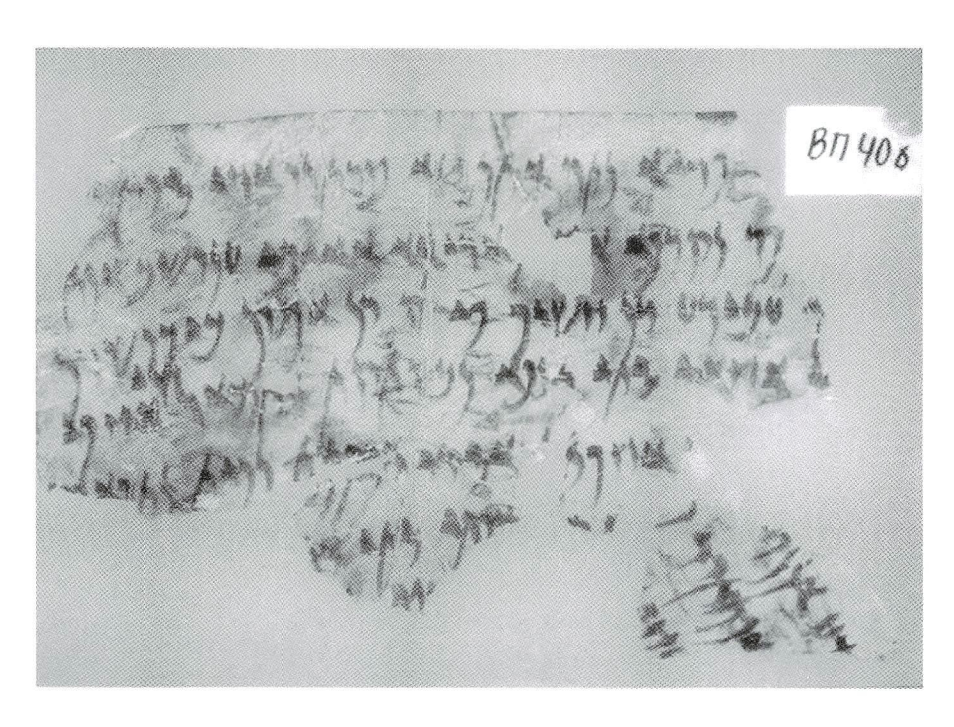
شكل ٥٣ أ-ب: تابوتان متمصران من محيط معبد إيزيس فى أسوان.

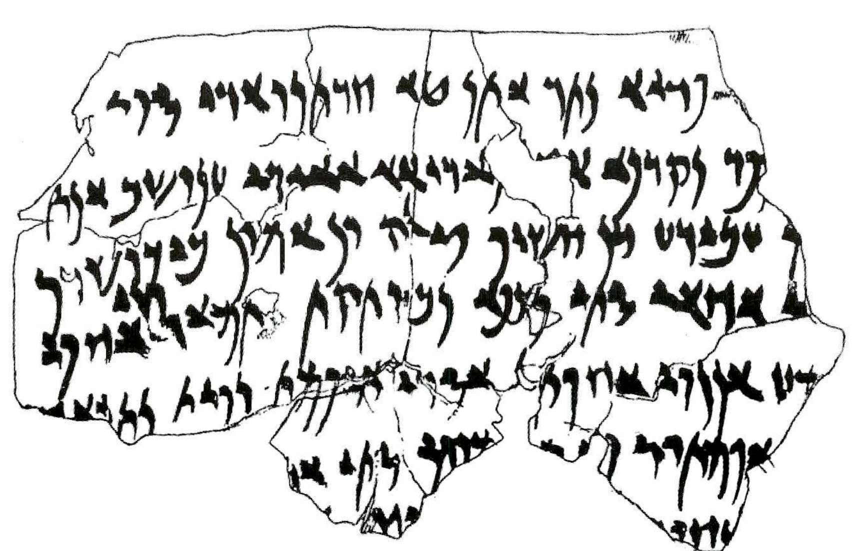




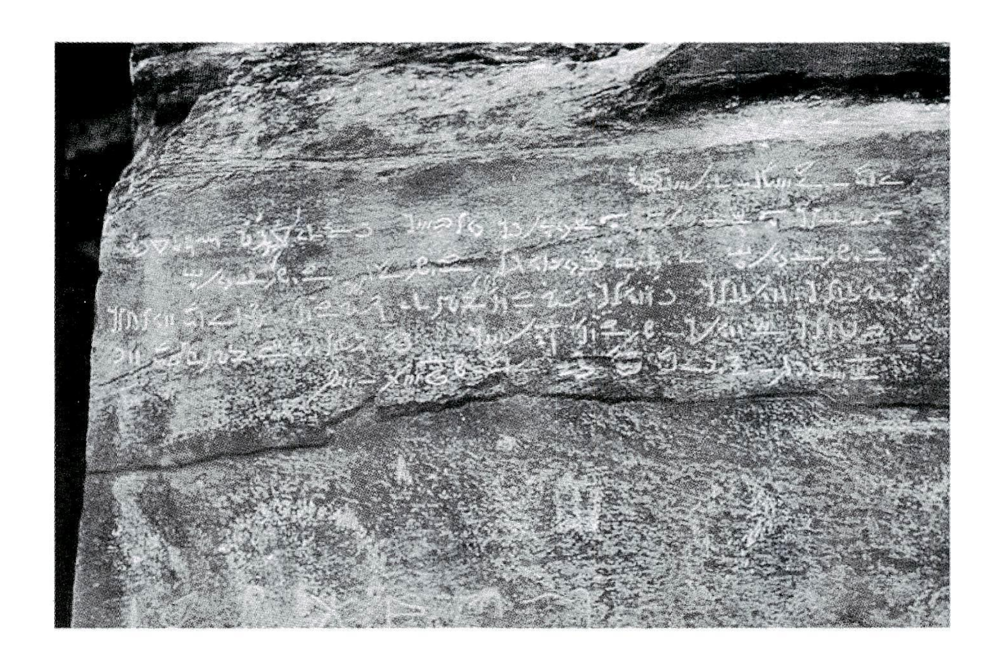
شكل ٥٤ أ-ب: زخارف غير مألوفة (مناظر عمال!) مِن التابوت الحجرى المتمصر لشخص يُدعى حُور (مصدره مثل شكل ٥٣ أ-ب).

شكل ٥٥: عمود رقم ٧ من بردية أمهرست ٦٣ الكبيرة (P. Amherst **63**) بالكتابة الديموطية، أى كما هو مألوف من اليمين إلى اليسار، وبعلامات معظمها «أبجدية»، لكن باللغة الأرامية. وفى كل روحة وغدوة يتكرر هنا فاصل الكلمات ذو الجزأين، وهو سمة مميزة لهذا النص؛ ومن السهل ملاحظته على سبيل المثال، فى نهاية كل الأسطر عدا السطر الأول. وتعنى العبارتان المظللتان: «سيدنا، إلهنا العظيم».

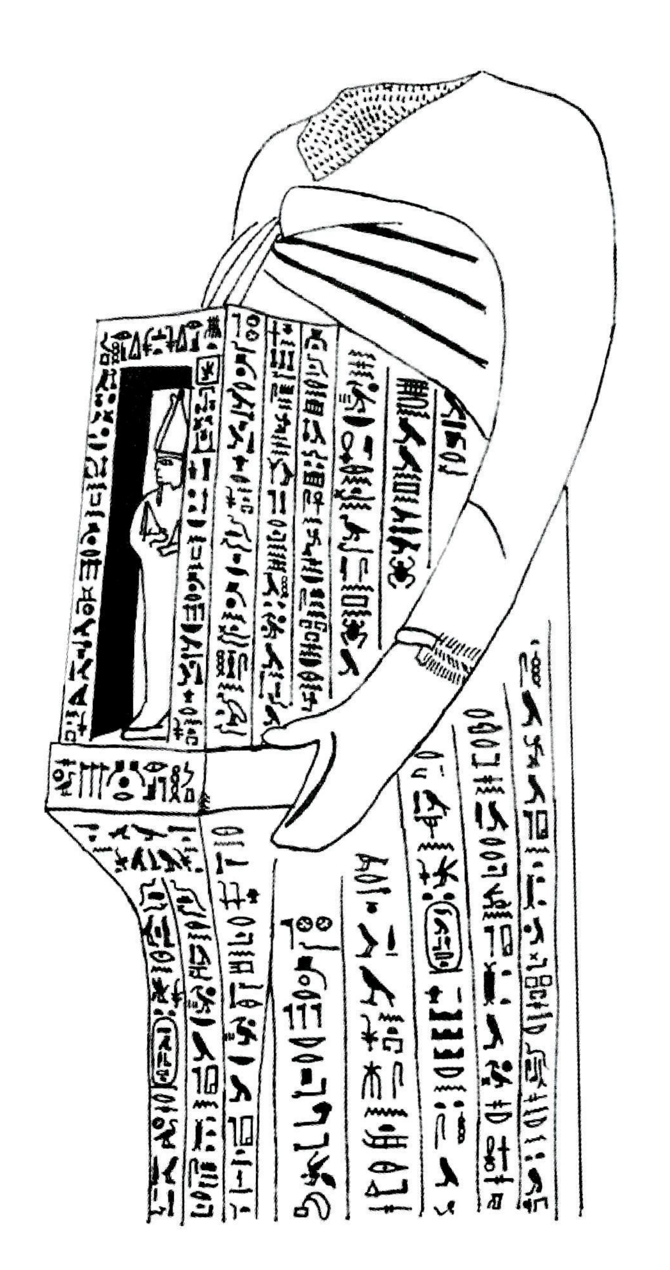




شكل ٥٦ أ–ب: شذرة من مخطوطة جلدية من إلفنتين عليها نص بكتابة آرامية، لكن بلغة غير سامية.



شكل ٥٧: نقش مخربشة ديموطية في وادى الحمامات يتناول تعويذة سحرية للشفاء من لدغة العقرب. بعد العنوان «قول مأثور لدرء أذى عقربٍ» (يُلاحظ استخدام المخصص المناسب فى نهاية السطر الأول) تأتى مجموعة من «كلمات سحرية» غير مفهومة بوصفها تعويذة سحرية حقيقية، قد تحتوى على عناصر آرامية. ومن الناحية العملية، فقد جاء فى الخاتمة: «وعليك تلاوتها إلى (وهذا يعنى «على») إصبع إبهامك، بحيث يُبلّ باللعاب، فتلتئم فتحة الجرح».



شكل ٥٨ أ: تمثال «المتعاون مع المحتل» وچاوررسنت وهو يحمل الناووس.



شكل ٥٨ ب: التمثال الكبير لداريوس الأول المُكتشف فى سوسه عام ١٩٧٢ .

i - y - m : p - t - i - k - r :

a - ϑ - g - i - n : t - y - m

: d - a - r - y - v - u - š :

ḫ - š - a - y - ϑ - i - y :

n - i - y - š - {a -} t - a - y :

č - r - t - n - i - y :

m^u - u - d - r - a - y - i - y :

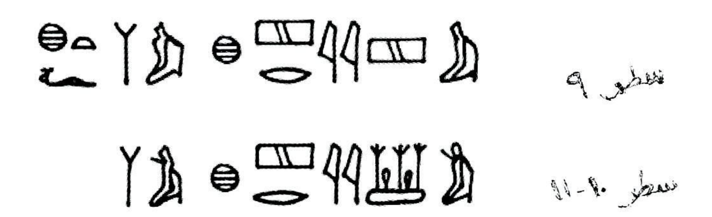
شكل ٥٩: من النقوش الفارسية القديمة على تمثال سوسه لداريوس الأول، نقرأ فى دلالة صوتية متصلة وشارحة (سطر ١-٢):

«هذا هو التمثال من (ال)حجر الذى أمر بعمله الملك داريوس فى مصر».

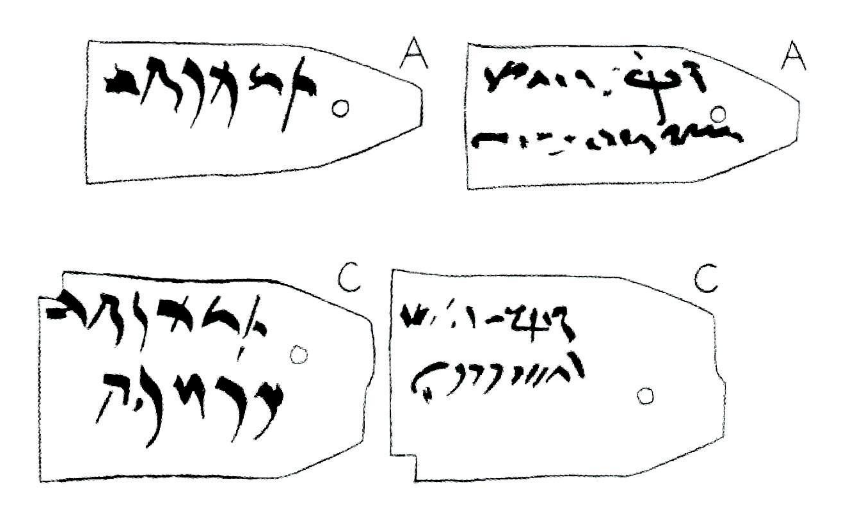
iyam patikara aθa^{n}gaina tayam Dārayavauš ḫšāyaθiya niyaštāya čartanaiy Mudrāyaiy.



شكل ٦٠: لوحة نذرية صغيرة يظهر عليها رجل يُدعى پاديأوزيرپارع، راكعًا مُبجِّلاً الملك المؤله داريوس الذى يُرمز إليه بصقر.



شكل ٦١: «العدو إكسيركسيس» على لوحة الستراپ من العصر البطلمى المبكر. ويُلاحظ هنا أن مجموعتى العلامات لكلمة «عدو» (أو «مارد») ولاسم «إكسيركسيس» تنتهيان بمخصص «عدو مقطوع الرأس».



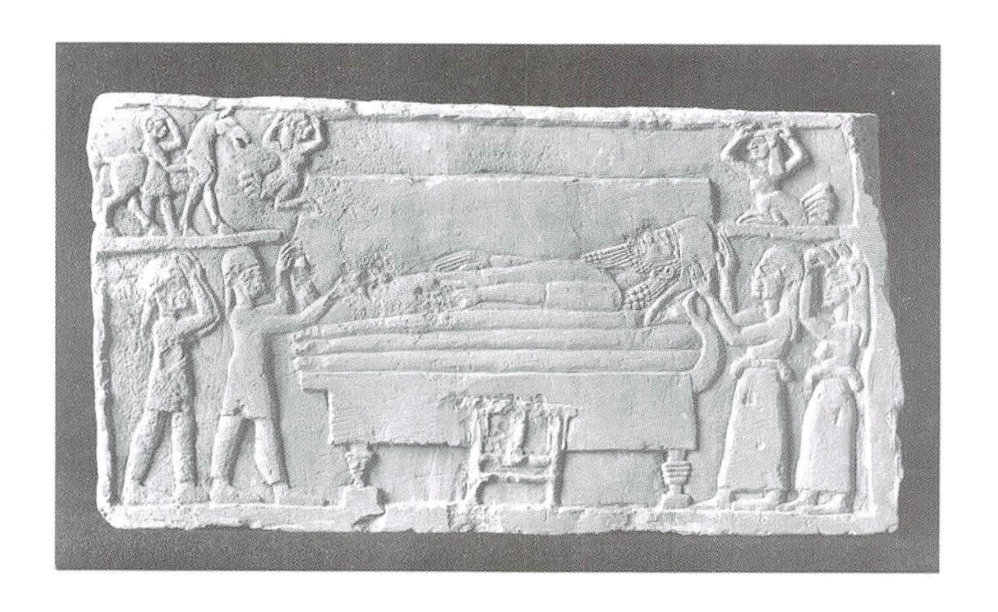
شكل ٦٢ : بطاقتان بالآرامية والديموطية من منف W. M. F. Petrie, *Meydum and Memphis* III, London 1910, pl. XXXIV. وفى علاقة غير نوعية، يُذكر فى النسختين المصورتين اسم المرأة المصرية تا-رمشت-إن-إست (*Tꜣ-rmṯt-n-ꜣst*)، أى «السيدة التى تتبع إيزيس» بالكتابة الديموطية، إضافة إلى صيغته المقابلة بالآرامية ترمنسى (TRMNSY).



شكل ٦٣: نقش مخربشة فى وادى الحمامات (Couyat-Montet 148) من العام الثانى عشر لإكسيركسيس (عام ٤٧٤)، نصها: «صنعها ساريس فارس أثياقاهيا ابن أرتاميسا».

شكل ٦٤: نقش مخربشة فى وادى الحمامات (Couyat-Montet 164) وبه تواريخ الأعوام الثلاثة التى تشير إلى بعثات أثياقاهيا فى تلك المنطقة: العام ٦ من عهد قمبيز (عام ٥٢٤)، والعام ٣٣ من عهد داريوس (عام ٤٨٩)، والعام ١٢ من عهد إكسيركسيس (عام ٤٧٤).

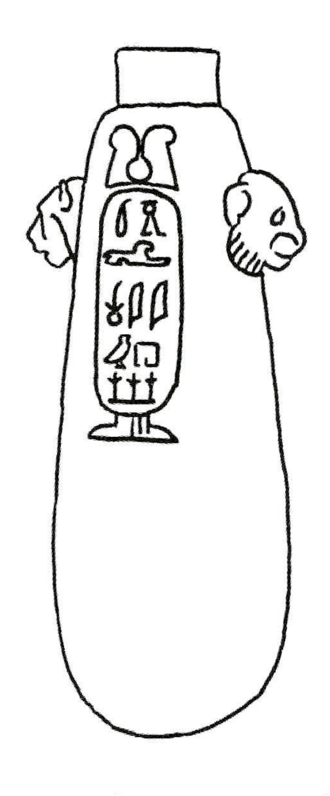




شكل ٦٥ : شاهد قبر من منف من دون نقوش لأحد الوجهاء الفرس. والجدير بالملاحظة بوجه خاص هو الحصان المشارك فى مراسم الحداد بلبدته المقطوعة إلى أعلى اليسار.

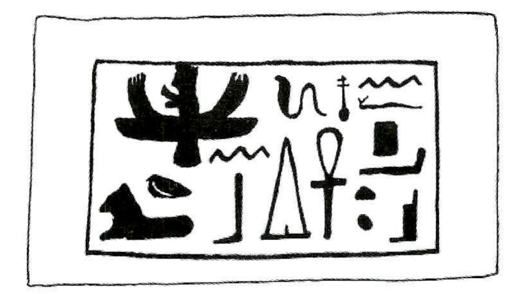


شكل ٦٦: شاهد قبر من سقارة لفارسي يُدعى چدحربس يظهر فيه بوضوح خليط من عناصر زخرفية لمناظر مصرية، وفارسية، وشامية، إضافة إلى نقوش هيروغليفية وديموطية.

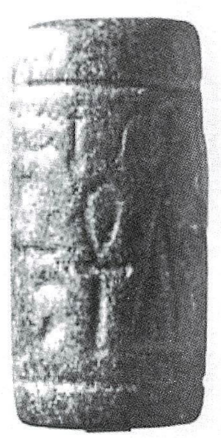


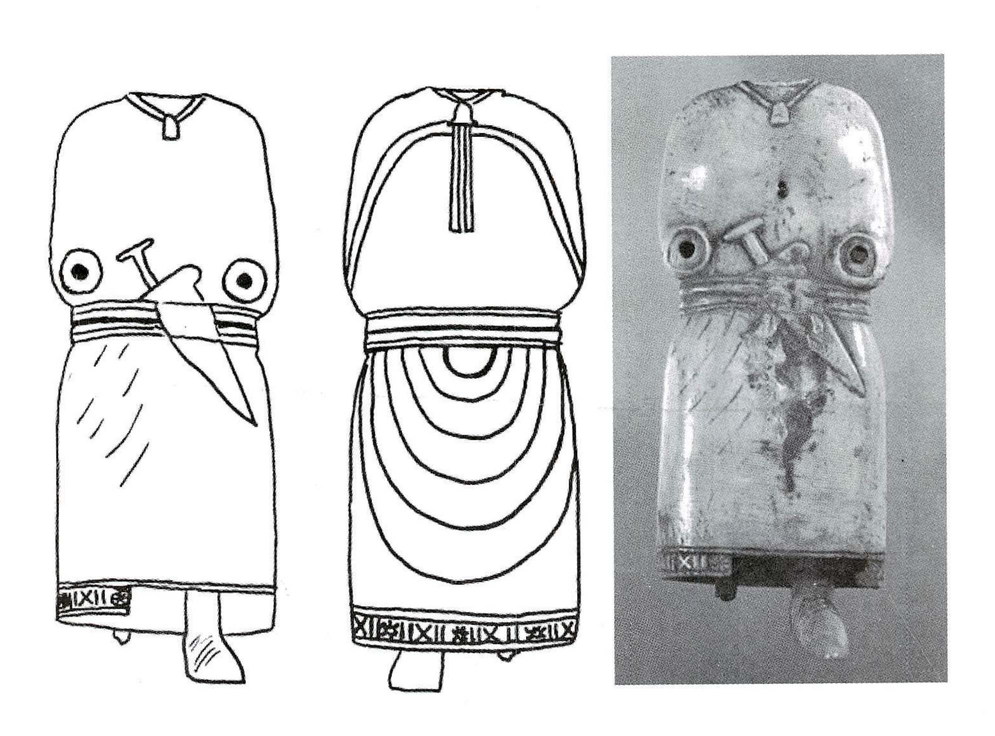
شكل ٦٧: قارورة حجرية صغيرة للدهان ذات لون أزرق مُزجج، عليها خرطوش داريوس الأول، وعلى جانبيها مقبضان بهيئة رأسى أسدين (انظر أيضًا لوحة ١٥ ب).

شكل ٦٨ أ-ب: ختم أسطوانى يحمل المنظر الفارسى القديم لـ«الرجل ذى الأجنحة» لشخص يُدعى پتيسيه.

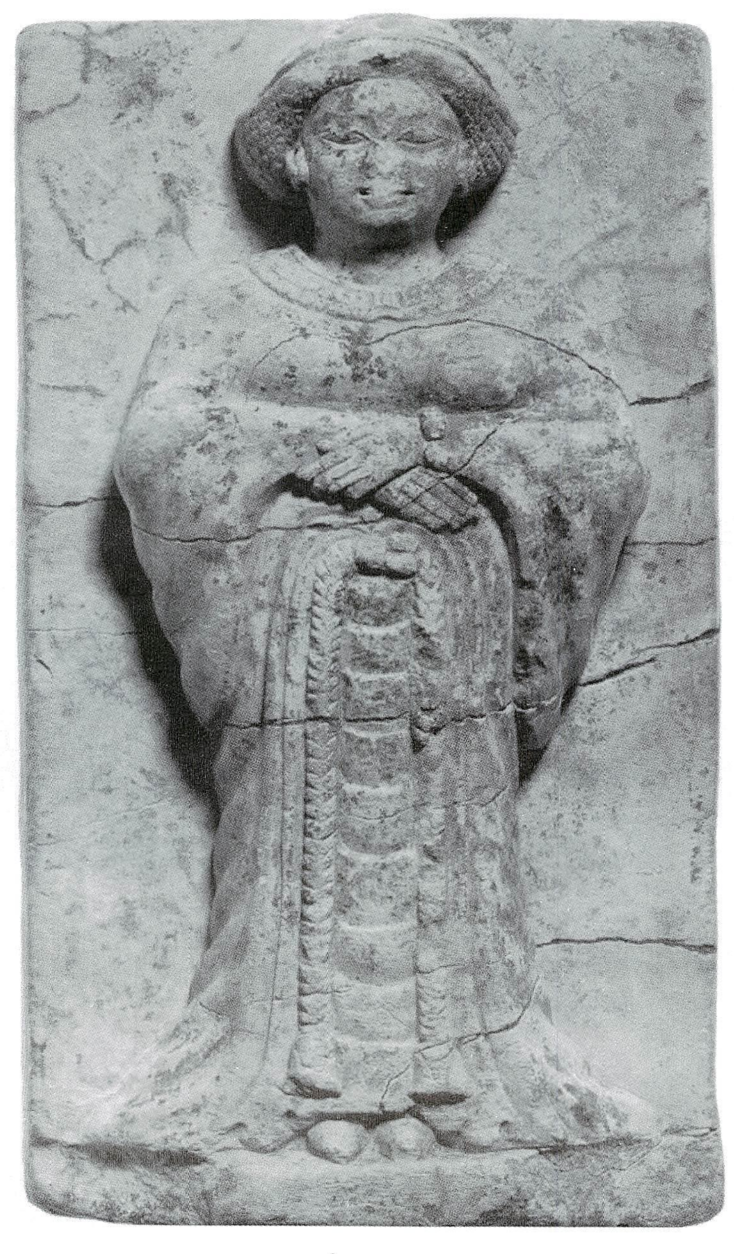




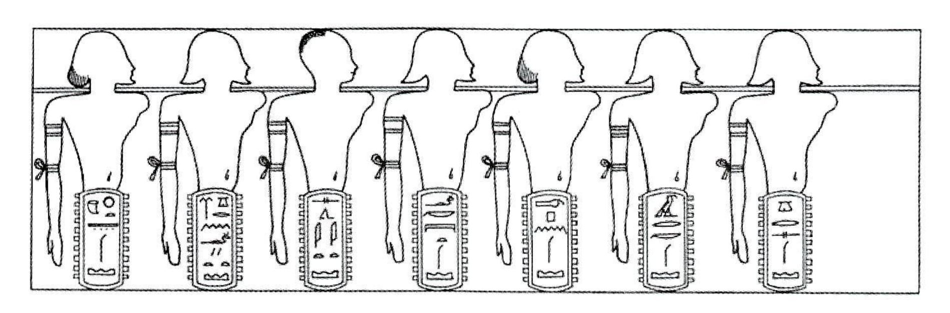


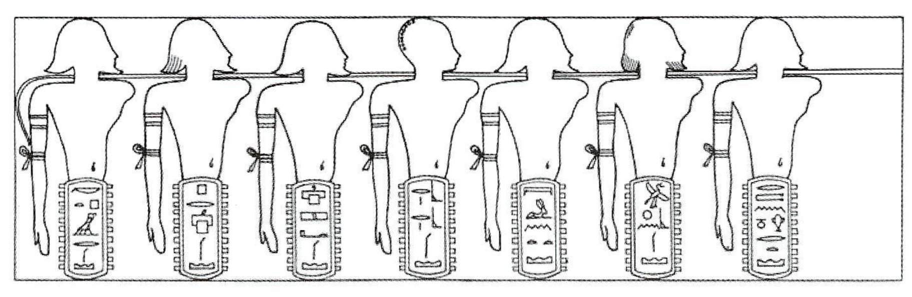


شكل ٦٩: تمثال صغير من العاج من دون رأس لوجيه فارسي بالسيف الصغير المميز (أكيناكس).



شكل ٧٠: تمثال من الحجر الجيرى لسيدة مُتزية بالزى الفارسى (الإلهة آناهيتا؟).

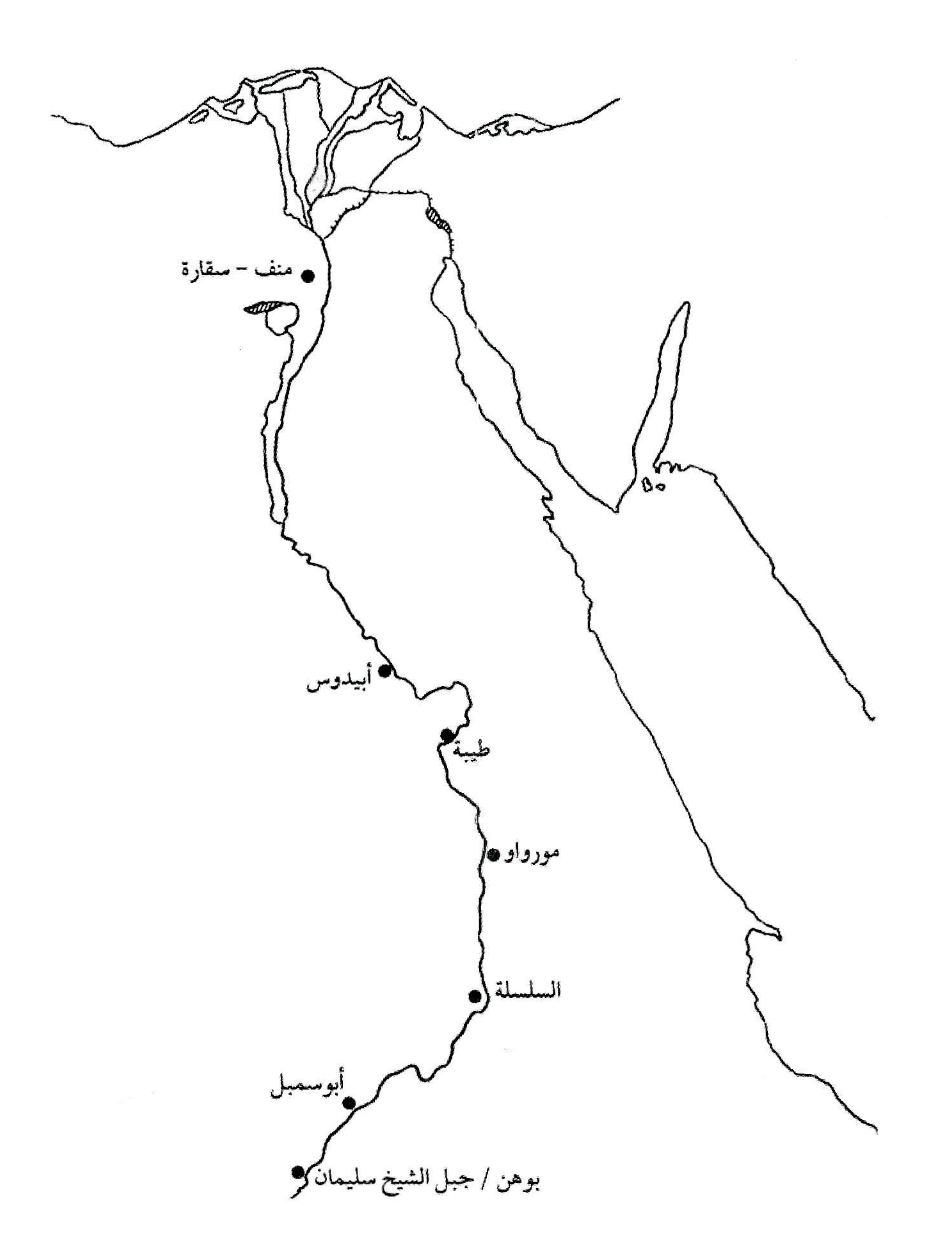




شكل ٧١: قائمة الشعوب الأجنبية فى معبد كوم أمبو (من القرن الأول الميلادى): فى الصف الأعلى، أقصى اليمين نقرأ «جرس»، أى «كاريين»؛ وطبقًا ليويوت Yoyotte، يمكن أن يكون الشكل الثانى من اليسار «جرمنفى» تسمية للكارومنفيين، أولئك الكاريين الذين استوطنوا منف. والصورة الأخيرة من اليسار فى الصف الأسفل تشير إلى «كپتر»، أى كريت («كافتور»)، وإلى جانبها «پرس»، أى فارس. وإلى جانب ذلك، يُلاحظ أن مناطق كثيرة وأسماء شعوب صغيرة قد زالت وهلكت منذ فترة بعيدة وقد وردت فى القائمة بالرغم من ذلك؛ ففى الصف الأعلى أقصى اليسار اسم «ختا»، أى «خاتّى»، وهى «(بلاد) الحيثيين».

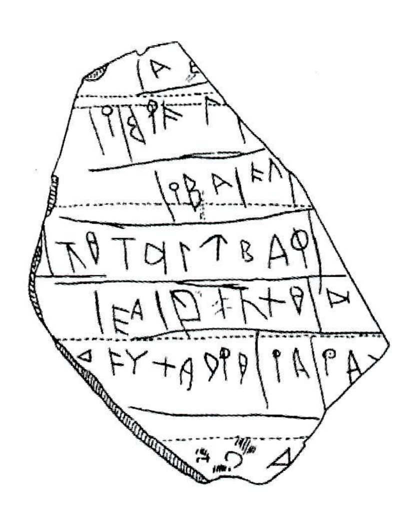


شكل ٧٢: شقفة فخارية من سقارة لمنظر رأس بالخوذة المميزة للكاريين على شكل عُرف الديك.

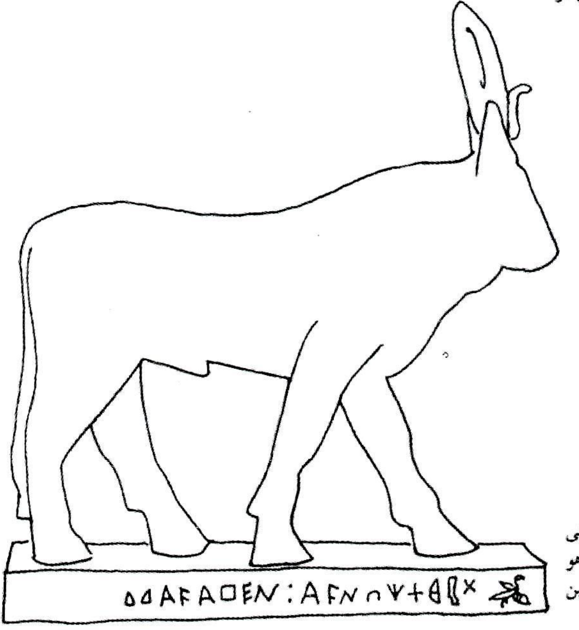


شكل ٧٣: أماكن اكتشافات النقوش الكارية فى مصر.





شكل ٧٤ أ-ب: الشقفة الفخارية «الشديدة الشبه بالكارية» *parakarisch* المعروفة من هُوْ (ديوسبوليس پارڤا).



شكل ٧٥: تمثال أپيس البرونزى عليه نقش ثنائى اللغة. ورد اسم صاحب التمثال ولقبه، وهو «المترجم پاراَيوم (*Paraeúm*)» بالكتابتين الهيروغليفية والكارية.



لوحة ٧٥ أ: تمثال الزَّبَابَة البرونزى ذو البوز المدبب به تجويف عند قاعدته كانت بداخله مومياء الحيوان؛ على واجهته الأمامية جاء فى كتابة كارية اسم صاحبه أوليات (*Úliat*).

ś a r k b i o m

š3-r-k-b-"jom"

شكل ٧٦: مثال لكتابة اسم شخص كارى بالكارية والمصرية: فالمقطع "يُومْ-" (*iom*–) فى الكتابة المصرية استعيض عنه بالمجموعة الهيروغليفية التى تعنى «بحر» أو «يَمْ» (*ym*) فى المصرية القديمة، وتُنطق «يُوم» (*yom*) للتنويه إلى النطق الصحيح.

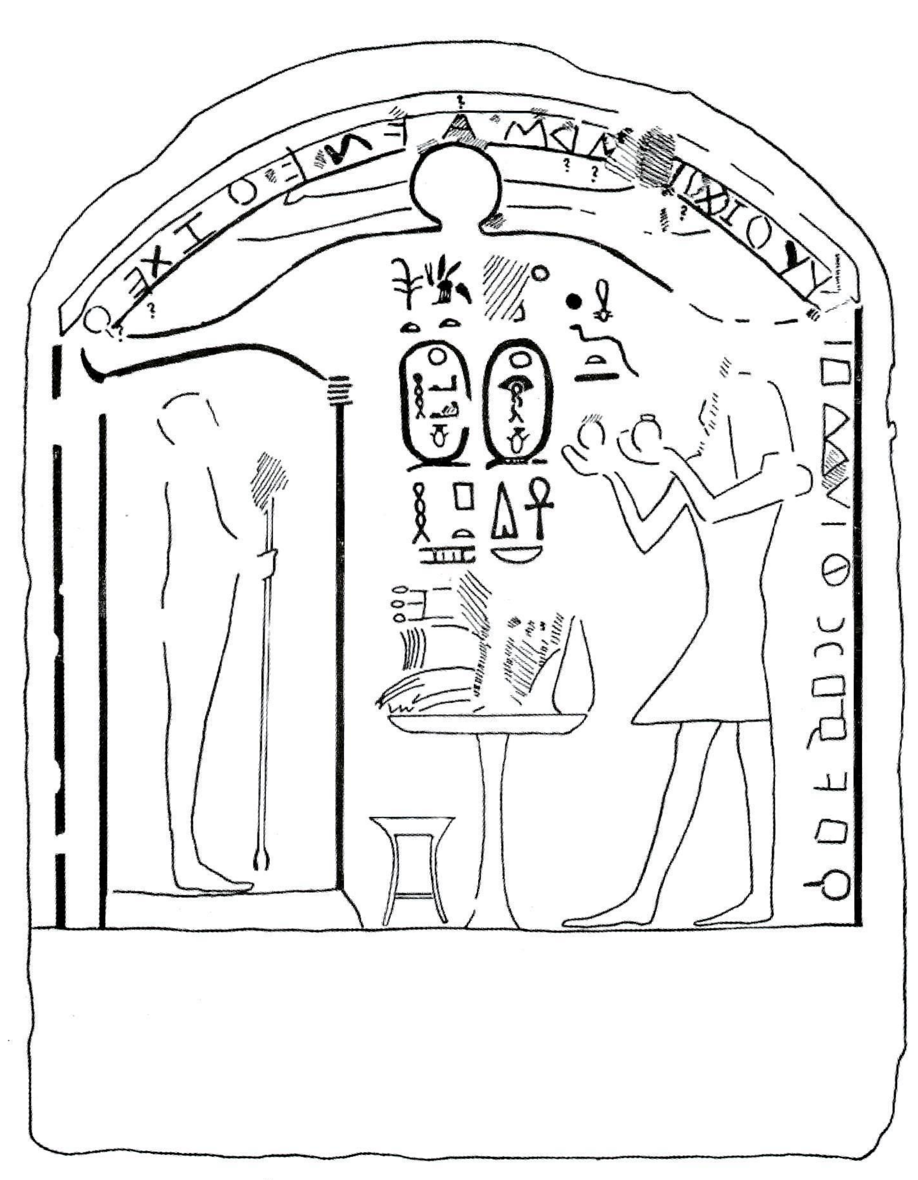


شكل ٧٧ أ–ب: نقش مخربشة كارية بمعبد سيتى الأول فى أبيدوس (رمز Ab.14F). فنقرأ «ن(؟)ينوت تاموسى» *n(?)inut tamosi*، حيث تبدو الكلمة الثانية مصرية وكأنها مطابقة لاسم پتاح موسه، أى «وُلد پتاح». واختصار الحرفين «پت» إلى «ت» يُستدل عليه فى الوثائق بصورة جيدة، أما الحاء، فإنها تبقى فى الكارية بلا نطق بوجه عام.

شكل ٧٨: نقش مخربشة كارية فى أبوسمبل (رمز AS3): پيسماشك (*pismaśk*) | شارنوس (*šarnúś*) ونسموس (*wnsmos*) (نسخة منقولة طبق الأصل من كتاب لپسيوس «آثار من مصر والنوبة»، الجزء السادس، لوحة ٩٩، Lepsius, *Denkmäler aus Ägypten und Nubien,* VI, Taf **99**، إلا أن الكاف (*k*) قد قُرئت بصورة غير دقيقة!). وفى بداية النقش جاء اسم پسمَّاتيك الذى حمله أيضًا كاريون.



شكل ٧٩: نقش مخربشة كارية فى مقبرة مونتومحات فى طيبة (رمز Š **60** .Th):
«دبيكس (*dbiks*) | كبيومس (*kbioms*) | ودون (*údún*) | سب أسبست (*sb aśbśr*) | أويم (*eúm*)» (علامة | هى فاصل للكلمات). وتشير كل من الكلمتين الأولى والثانية إلى اسم شخص، وهو الاسم المتأغرق إيدبيجازيس ابن كِبيوموس؛ وكلمة 'سب' هى رابطة بمعنى «و»؛ وكلمة «ودون» مأخوذة من «ودوين» ουδουν فى اللغة الپسيدية، وفُسر معناها بتحفظ بوصفها رمزًا (.Acc Sg)، بمعنى «تقديس، نقش، بناء»، أو ما شابه، وتبقى الكلمتان الأخيرتان غامضتين كلية (انظر .M. Janda, in: *La decifrazione del cario,* **182** f).



شكل ٨٠: لوحة كارية مصرية من السيرابيوم فى سقارة عليها منظر الملك أپريس (٥٧٠–٥٨٩) وهو يقدم القرابين لپتاح.



شكل ٨١: شاهد قبر بنقوش كارية ومصرية عليه منظر ردئ لسفينة إغريقية. وجاء الاسم المصرى لصاحب اللوحة، وهو «پسمثك-عوى-نَيت» (*Psmtk-ʿwy-Nyt*)، فجاء بالنقش الكارى على الهامش الأيمن بصيغة پسمشكونَيت (*psmškúneit*)، وكذلك فى النقش الهيروغليفى على الجانب الأيمن الضيق باللوحة (غير موجود على الصورة).

شكل ٨٢: نقوش كارية وهيروغليفية من سقارة على شاهد قبر من دون زخارف:

قراءة النص الكارى:

(١) *Arlišś* (٢) *Ursχleś* (٣) *Kiδbsiś*.

ترجمة النص الكارى:

«(لوحة) أرليش (*Arliš*)، (ابن) أورسخله (*Ursχle*) (= أورسيكله(س؟) ((Orskle(s)؟)، (ابن) كيدبسى (*Kiδbsi*)».

قراءة النص الهيروغليفى:

(١) *ȝrskr n zȝ* *ʾIrš* (٢) *ʾIḥ zȝ* (؟) ... (يتوقف النص).

ترجمة النص الهيروغليفى:

«إيرش (= Arliš)، ابن أرسكر (= *Ursχle*)، ابن إيعح (؟)».



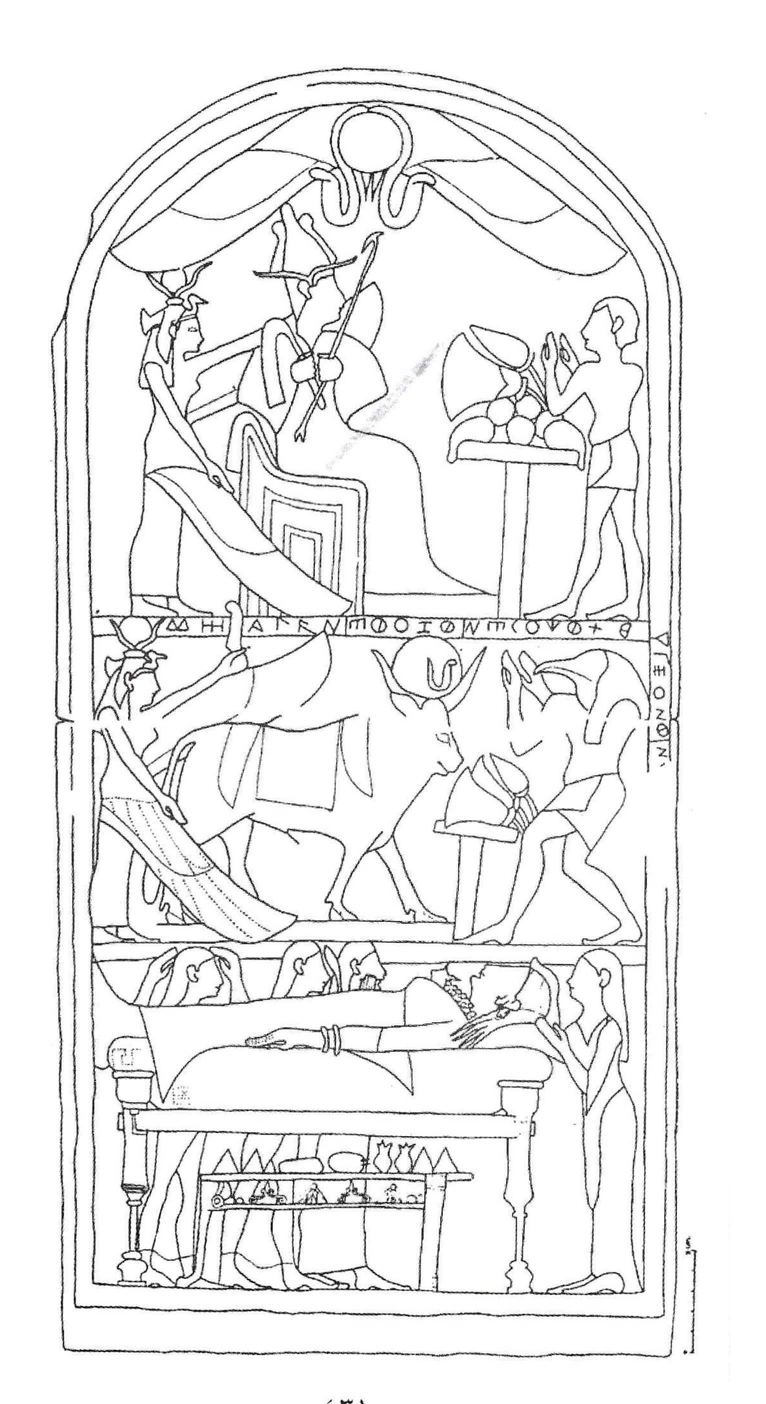
شكل ٨٣: شاهد قبر كارى من سقارة عليه عناصر زخرفية مصرية؛ وفيما يتعلق بالأشخاص فهى تشير إلى عناصر زخرفية لشرق بلاد اليونان.



شكل ٨٤: لوحة جنائزية من أبوصير عليها منظر دفن (Prothesis) بأسلوب فنى خليط مشابه لشكل ٨٣. ويُلاحظ أن الشخص الثانى من اليسار يمسك بمشرط يوجهه إلى رأسه لقطع جبهته، وهى بذلك إشارة إلى ما ورد عند هيرودوت عن عادة الحداد الكارية؛ قارن أيضًا شكل (٨٦ أ-ب).



شكل ٨٦ أ-ب: لوحة جنائزية متمصرة من سقارة عليها ثلاثة أقسام من المناظر. ومن اللافت للانتباه فى الصف الأوسط إلى اليمين هيئة الجسم لتحوتى أثناء الوقوف المخالفة كلية للمعايير الفنية المصرية التقليدية. وفضلاً عن ذلك، يُلاحظ صور الأشخاص إلى اليسار من الصف السفلى، وهم رافعون المشارط إلى أعلى فى اتجاه الرأس؛ قارن شكل ٨٤ والتفسيرات المتصلة بذلك.





شكل ٨٥: لوحة جنائزية متمصرة من سقارة عليها ثلاثة أقسام من المناظر.



شكل ٨٧: لوحة نموذجية كارية لها شكل الباب الوهمى (رمز **M14**) تتضمن نصاً يقول *Artauś upe*، أى «لوحة أرتاو *Artau*»، وأرتاوس (؟) هو الصيغة اليونانية الصوتية المطابقة.



شكل ٨٨: لوحة نموذجية كارية (رمز **M16**) مماثلة لشكل ٨٧.

قراءة النص الكارى:

(١) *tduśol* (٢) *kbos* (٣) *śamsqi*‌| ...

ترجمة النص الكارى:

«تدوسول ابن كبو ...».

والكلمتان الأولى والثانية تشيران إلى اسم صاحب اللوحة واسم أبيه، لكن الكلمة الرابعة والأخيرة على الحافة الخارجية اليمنى تبقى مجهولة المعنى.

الأبجدية الكارية من دون العلامات غير المقروؤة فى الوطن الأم

رقم	الأشكال	قراءة	تأكدت صحة قراءته من خلال نقش ثنائى اللغة
1	A ʎ	a	x
3	C	d	x
4	Δ	l	x
5	₣ E	ù	x
6	F [	r	x
7	I	λ (= /ld/)	
8	⊟	? (MY K :مرة واحدة)	
9	⊕	q	
10	Γ Λ	b	x
11	N N	m	
12	O	o	
13	ᒋ	مرادف الرقم ٣؟	
14	♀	t	
15	d ᗡ 9	š (t₂ فى كاريا)	
17	M	s	x
18	T	?	
19	Y V	u	
20	Φ	ñ (فقط فى كاريا)	
21	X +	χ	
22	Ψ Ψ	n	x
24	M	p	
25	Φ ⊖	ś	
26	θ ᒣ ᑕ	i	x
27	□	e	
28	⍑	w أو ü	
29/30	∇ ∇ Y	k	x
31	⩓	δ (= /nd/)	
32	ᙏ	ú	
33	⧖	?	
35	)(	ζ (= /st/)	
37	⩙	γ (= /ng/)	
38	╫	í	
40	↑ ·i·	τ	
41	⁞	مرادف الرقم ٢٨؟	
42	6	ŕ	
43	⅁	μ (= /mb/)	

D. SCHÜRR, *Kadmos* 31, 1992, 151; I.-J. ADIEGO, in: *La decifrazione del cario*, Roma 1994, 29f. (أُخذت العلامات ونُقحت على أساس والبحوث العلمية الجديدة)

psmškúneit (MY F) =

[hieroglyphs]

(äg.) *Psmṯk-(m-) ꜥwj-Njt*

pdneít qüri-ś.χi (MY M) =

[hieroglyphs]

(äg.) *Pꜣ-dj-njt zꜣ Kꜣrr*

apmen (= M 36)

(äg.) *Ḥp-mn*

أمثلة:

١ ← TIENÚKŠMSP

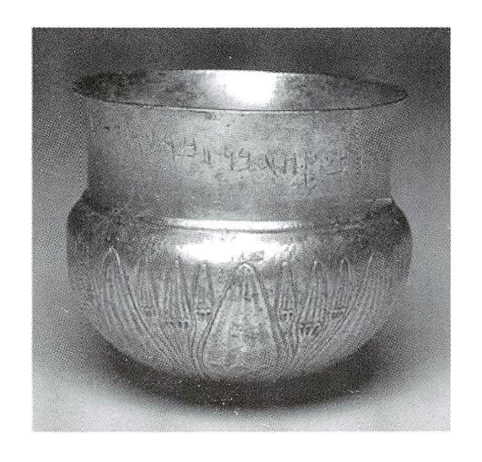
٢ ← IXŚIRÜQTÍENDP

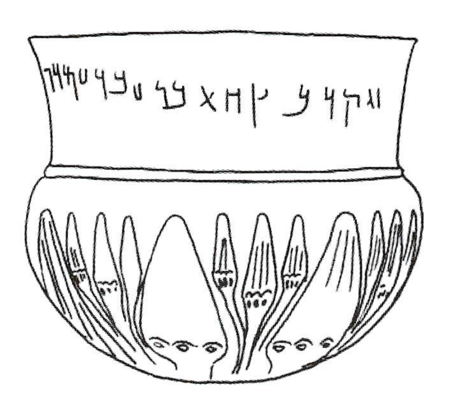
٣ ← NEMPA

شكل ٨٩: جدول الكتابة الكارية.

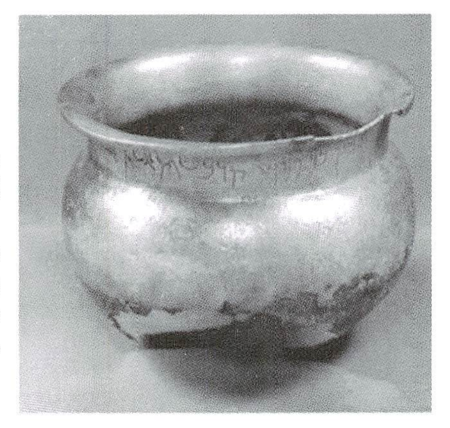
ΔΕΜΘVΔΑΜ	*lúsiklas*	Λυσικλῆς
ΔΕΜΘVFAPAM	*lúsikrat$_2$as*	Λυσικράτης
OPOΨO	*ot$_2$ono-*	Ἀθηναι-

شكل ٩٠: الأثر الثنائى اللغة بالكارية واليونانية المكتشف قبل سنوات قليلة فى كاونوس يبرهن على صحة أحدث القواعد للتطابقات الصوتية بالنسبة إلى مجموعة من الحروف؛ قارن الجدول، شكل ٨٩.

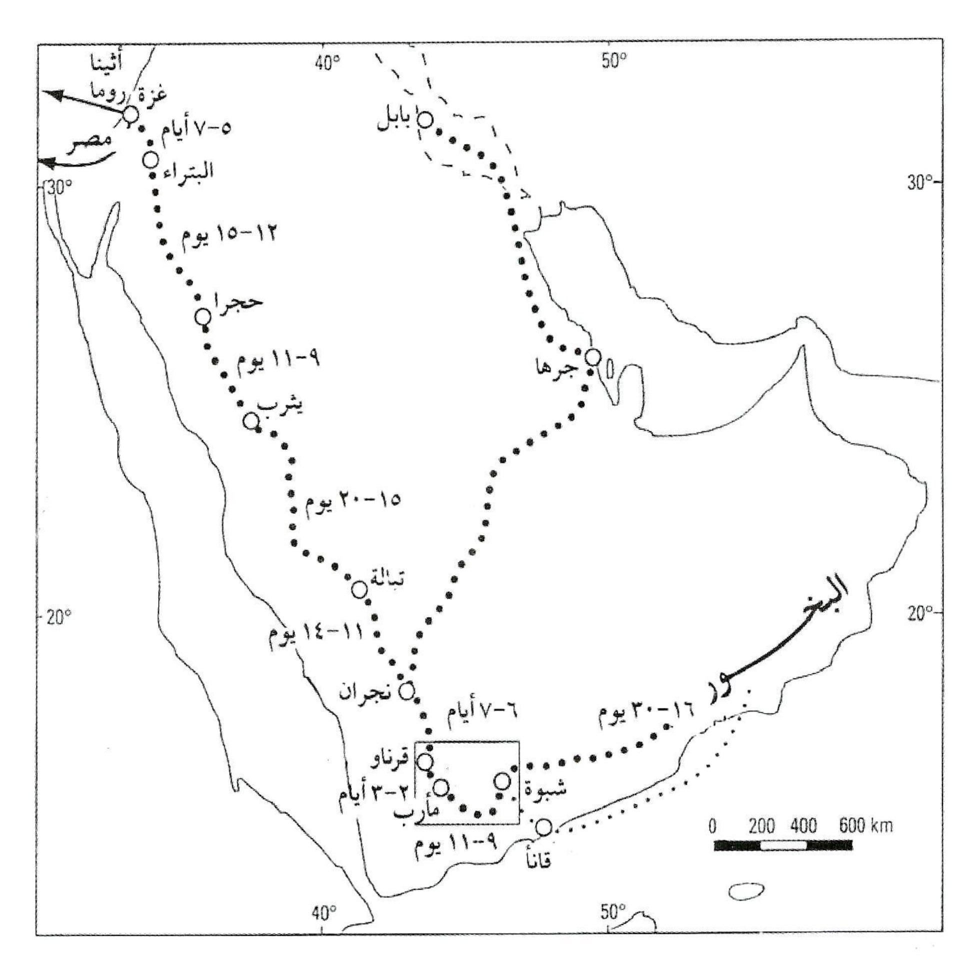




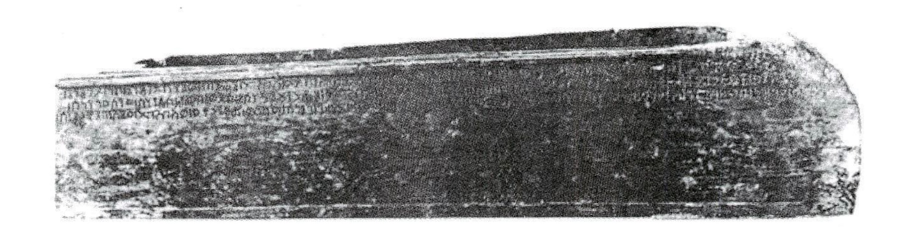
شكل ٩١ أ-ب: إناء نذرى من الفضة من معبد فى تل المسخوطة، عليه زخارف نباتية ونقش بالكتابة واللغة الآرامية، نصه:
ZY QRB ṢḤ' BR 'BD'MRW LHN'LT
«ما قدمه صحا ابن عبدعمرو قربانًا لهانئيلات».



شكل ٩١ ج: أنية نذرية من الفضة من المصدر نفسه، مثل شكل (٩١ أ-ب) عليها النقش الآرامى التالى:
ḤRBK BR PSRY QRB LHN'LT 'LHT'
«حربك ابن پاأوسير، قدم(ه) قربانًا للإلهة هانئيلات». ومن الملاحظ (وهى ليست المرة الأولى) تداخل الثقافات. فصاحب القربان وكذلك الشخص الذى عُهد إليه بتقديمه كانا من عرب القيدارية، وأسماؤهما مصرية، أما الكتابة واللغة فهى آرامية!



شكل ٩٢: طريق البخور فى الجزيرة العربية.



شكل ٩٣: تابوت المعينى زيدئيل من سقارة، الذى يعود تاريخه إلى العصر البطلمى. يتحدث النقش بالتفصيل عن صاحب التابوت الذى كان يزود المعابد المصرية بالبخور والمر. وقد دُفن وفق العادات المصرية، بل أُرقد فى حماية أوزيريس-أبيس.

شكل ٩٤: بعض التعبيرات والفقرات التى تشير إلى الخلفية التاريخية المتصلة بمصر.

أولاً: من نقوش تابوت زيدئيل:

(١) 𐩸𐩥𐩨 ḎWB (d.h. Ḏ-W(ʿ)B)

(١) 𐩰𐩨𐩹𐩩𐩩 | 𐩰𐩡𐩰𐩡𐩩 | 𐩣𐩻𐩧 ʾBYTT ʾLʾLT MṢR

(١) 𐩩𐩡𐩣𐩹𐩺 | 𐩨𐩬 | 𐩩𐩡𐩣𐩹𐩺 TLMYṮ BN TLMYṮ

(٢) 𐩢𐩩𐩢𐩧 ḤTḤR

(٣) 𐩰𐩺𐩧𐩢𐩯 ʾṮRḤF

(٣) 𐩫𐩹𐩢𐩫 KYḤK

(١) «الذى هو من (كهنة) الوعب»، أى «ذ(و) و(ع)ب».

(١) «معابد (حرفيًا: بيوت) آلهة مصر».

(١) «بطلميوس بن بطلميوس».

(٢) «(شهر) هاتور».

(٣) «أوزيريس-أبيس».

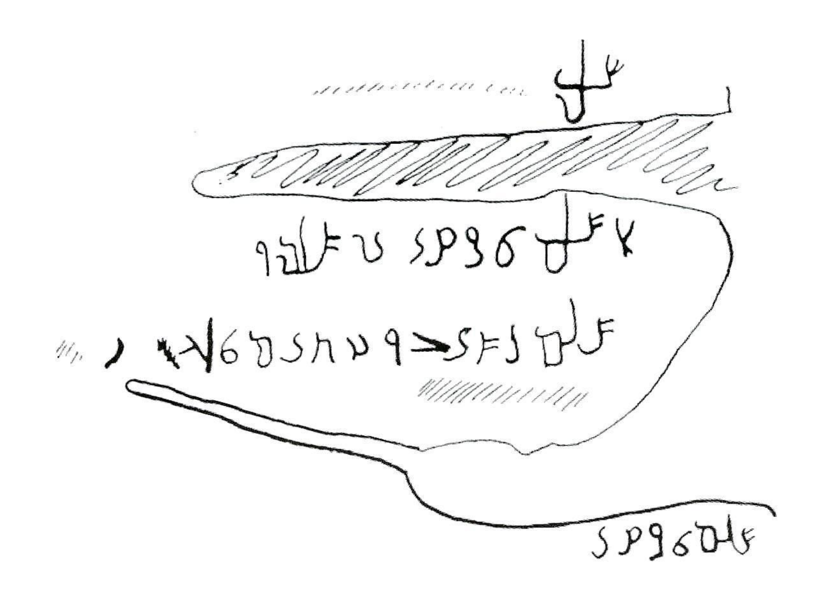
(٣) «(شهر) كيهك».

ثانيًا: من نقوش براقش (رمز M 247, 2):

𐩨𐩬 | 𐩥𐩪𐩶 | 𐩣𐩻𐩧 | 𐩨𐩣𐩧𐩴 | 𐩫𐩥𐩬 | 𐩨𐩹𐩬 | 𐩣𐩸𐩹 | 𐩥𐩣𐩻𐩧

BN WSṬ MṢR B-MRD KWN BYN MḎY W-MṢR

«فى وسط مصر خلال الحرب التى كانت بين ماذاى (ميديا) ومصر»،
(«عندما قامت الآلهة بإنقاذهم وبضاعتهم»)



شكل ٩٥: نقش مخربشة نبطية من الجانب الغربى لخليج السويس:

(١) «سلام!» (ŠLM).
(٢) «سلام! أفصا ابن سالمو» (ŠLM ’PṢY BR ŠLMW).
(٣) «سلام! نوشايجو ابن تايم اللاهى فى [هناء]» (ŠLM NŠYGW BR TYM’LHY B[ṬB]).
(٤) [...] ([...]).
(٥) «سلام! أفصا»(ŠLM ’PṢ’).

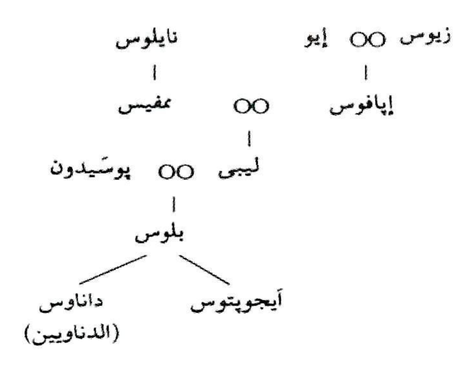
شكل ٩٦: نقش مخربشة ثمودية من الصحراء الشرقية.
قراءة السطرين من اليمين إلى اليسار:
WDD ʿGG YʿGB | WḌ(?)BRT «أحب عجَّاج يَعْجَب وضَبيرات».
قراءة السطر الأول من اليسار إلى اليمين، والثانى من اليمين إلى اليسار (bustrophedon):
WDD ʿGG YʿGB|T RBḌ(?)W «أحب عجَّاج يَعَجّ، ابنة راباضو».



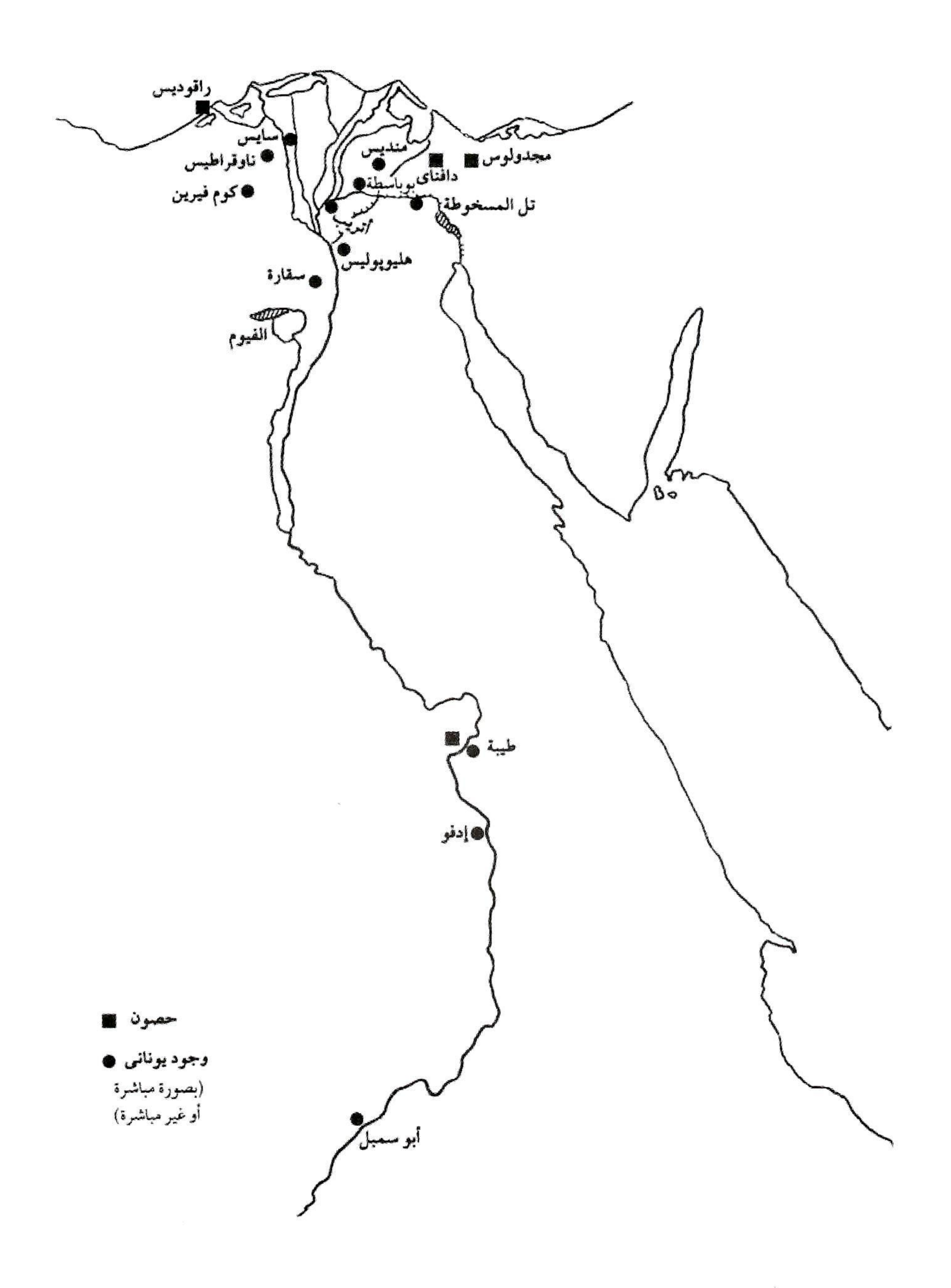
شكل ٩٧ أ: لوحة جنائزية من تيماء (المملكة العربية السعودية) عليها نقوش آرامية تبرهن على إدخال عبادة الإله صالم فى تيماء. وكان صاحب اللوحة يعمل كاهنًا لهذا الإله، ويحمل أبوه الاسم المصرى پتوزيرى.



شكل ٩٧: هذا التمثال المصرى الصغير على هيئة أبوالهول بنقوشه العربية الجنوبية القديمة التى وُضعت لاحقًا عليه بصورة ثانوية، يُذكّر بذلك الأثر المُبيَّن بشكل ٢٩ ذى النقوش الفينيقية (والپونية الحديثة)، ويختلف عنه فقط بأنه فى هذه المرة قد جاءت تلك القطعة بعيداً من مصر – من بلاد اليمن – حيث نُقشت وأُقيمت هناك، نظراً إلى صغر حجمها وإمكانية نقلها من دون جهد.



شكل ٩٨: شجرة نسب الدناويين.



شكل ٩٩: اليونانيون فى مصر خلال الأسرة السادسة والعشرين.

(1) Βασιλέος ἐλθόντος ἐς Ἐλεφαντίναν Ψαμ(μ)ατίχο(υ)
(2) ταῦτα ἔγραψαν τοὶ σὺν Ψαμματίχōι τō̃ι Θεοκλο(ῦ)ς
(3) ἔπλεον, ἦλθον δὲ Κέρκιος κατύπερθε υἱς ὁ ποταμὸς
(4) ἀνίη· ἀλ(λ)ογλόσο(υ)ς δ' ἦχε Ποτασιμτο, Αἰγυπτίο(υ)ς δὲ Ἄμασις
(5) ἔγραφε δ' ἀμὲ Ἄρχōν Ἀμοιβίχο(υ) καὶ Πέλεϙος οὐδάμο(υ).

شكل ١٠٠ : نقش أبوسمبل الكبير من العام ٥٩٣ :

(١) «حين وصل الملك پسم(م)اتيخوس إلى إلفنتين،
(٢) حينئذ كتب هذه (العبارات) هؤلاء الذين مع پسمّاتيخوس ابن ثيوكليس،
(٣) (و)أبحروا، ووصلوا إلى ما بعد كيركيس، بقدر ما النهر
(٤) سمح به. وقاد پوتاسيمتو المتحدثين بلغة أخرى، لكن أمازيس (قاد) المصريين.
(٥) كتب لنا أرخون ابن أمويبيخوس، وپليكوس ابن أويداموس».

شكل ١٠١ : نقوش أخرى لثلاثة من مخربشات أبوسمبل :

(١) Τήλεφός μ' ἔγραφε hoἸαλύσιο[ς]
«تليفوس من لاليوس كتب لي (نقش المخربشة)».

(٢) Πύθōν Ἀμοιβίχου «پوثون ابن أمويبيخوس».

(٣) Πάβις ὁ Ϙολοφόνιος σὺν Ψαμματã
«پابيس من كولوفون مع پسامتّاس»، وهو پسمّاتيخوس ابن ثيوكليس المذكور في نقش المخربشة الكبيرة.



شكل ١٠٢: تمثال أوشابتى من سقارة لشخص يونانى مجهول.

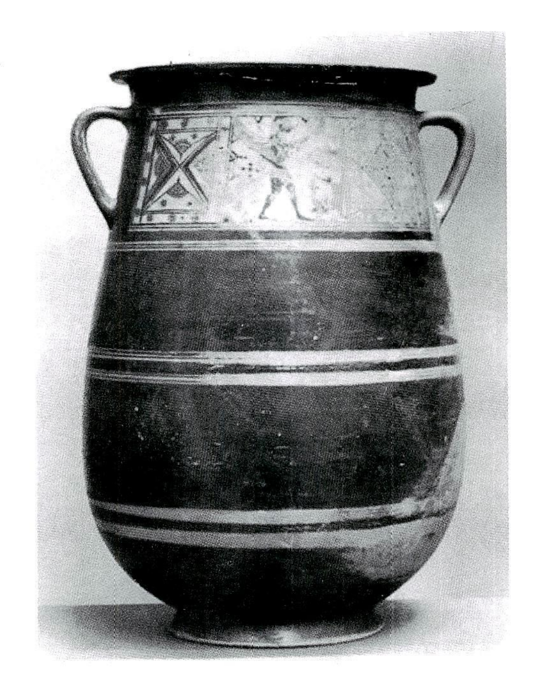


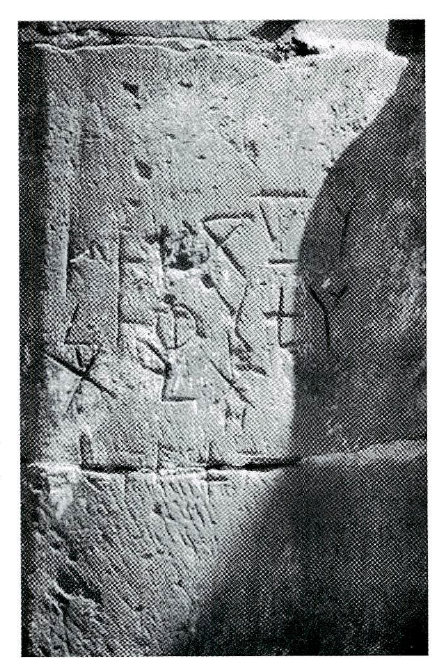
شكل ١٠٣: تمثال بدون ذو الشكل المكعب الجالس القرفصاء عليه نقوش يونانية:

Πήδωμ μ᾽ ἀνέθηκε|ν ὠμφίννεω : ἐξ Αἰγ|ύπτώγαγὼν :Ϙῶι
βα|σιλεὺς ἔδωϘ᾽ ὠιγύπ(5)τιος :
Ψαμμήτιχο|ς : ἀριστήϊια ψίλιό|ν τε χρύσεογ καὶ | πόλιν ἀρετῆς
ἕ|νεκα

انظر ترجمة النص صفحة ٢٤٧. يُقرأ السطر الأول من اليسار إلى اليمين، والثانى من اليمين إلى اليسار، والثالث من اليسار إلى اليمين ثانية bustrophedon، وهكذا. ومن اللافت للانتباه بوجه خاص هو طرق كتابة الـ «ساندهى» Sandhi، وهذا معناه حدوث تغيرات صوتية لصيغة كلمة وفقًا للظرف الصوتى فى إطار جملة، مثل تجانس حرف ν فى اسم Πήδων فى السطر الأول واندماجه المتكرر أمام My وتحوله إلى μ، فعلى سبيل المثال، فإن تعبير ὠμφίννεω هو نفسه ὁ Ἀμφίννεω؛ قارن كذلك كلمة οὑδάμο(υ) المطابقة لكلمة ὁ Εὐδάμο(υ) فى شكل ١٠٠(أ)، وكذلك كلمة ὠιγύπτιος التى تتطابق مع كلمة ὁ Αἰγύπτιος، أى مصر إلخ.

شكل ١٠٤ : الأثر المعروف باسم «وعاء تويفون» (Typhon) من تل دفنة.





شكل ١٠٥ : نقش مخربشة قبرصية على الجدار الخارجى لمقصورة هكر فى الكرنك؛ قارن:

O. Masson in C. C. Traunecker *et al.*, *La chapelle d'Achôris à Karnak*, II, Paris 1981, 279 f., Nr. 53, fig. 8, pl. IV.

(١) ستاساجوراس Στασαγόρας (*sa-ta-sa-ko-ra-se*).

(٢) ابن داموفيلوس ... (؟) ?( )Σε ό Δαμοφίλω أو صديق داموس(?) ό Δάμω φίλος (*o-ta-mo-pi-lo-se*).

(٣) ؟؟؟ (???) (*i-ni-wa*).

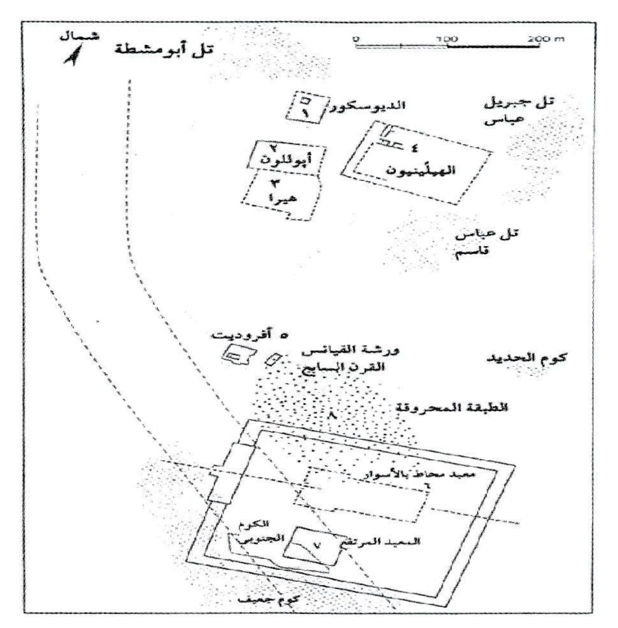
(٤) أوناسيفانتوس Ὀνασίφα(ν)το(ς) (*o-na-si-pa-to*).



شكل ١٠٦: نقوش أخرى لمخربشات قبرصية من مقصورة هكِر فى الكرنك؛ قارن و. ماصُّون O. Masson بالمرجع السابق وفى الموضع نفسه الأرقام ١٦-٢٠.



شكل ١٠٧: منظر لمنطقة ناوقراطيس.



شكل ١٠٨ : رسم تخطيطى لخريطة ناوقراطيس بالمواقع الأثرية من القرن السابع المتأخر حتى القرن الثالث .

بحيرة حديثة (نشأت بسبب ارتفاع المياه الجوفية فى بداية القرن العشرين).

فرع النيل الكانوپى فى الفترة قبل الهلينستية (تصور لما كان عليه فرع النيل وقتذاك).

منشآت المعابد (كوم الحديد هو اسم المكان الحالى):

١ معبد الديوسكور:

معبد ذى أعمدة عند الواجهة من القرن الخامس. وقد عُثر على نقوش نذرية على أوانٍ من القرن السادس.

٢ معبد أپوللون الميليتى:

نقوش نذرية على أوانٍ فخارية منذ القرن السابع المتأخر. تعود مرحلة البناء الأولى إلى عهد أمازيس، ويرجع بدء المرحلة الثانية إلى ما بعد عام ٥٠٠ . بقايا معمارية قليلة من الألباستر.

٣ معبد هيرا الساموسية:

نقوش نذرية على أقداح تمثل هيرا من القرن السابع المتأخر حتى النصف الثانى من القرن السادس .

٤ الهيلّينيون:

وهو بناء به مجموعة من الغرف والممرات. تعود اقدم مرحلة بناء إلى زمن أمازيس من النصف الأول للقرن الخامس، وتعود مرحلة البناء الثالثة إلى العصر البطلمى؛ أوانى نذرية لمعبودات مختلفة و«آلهة اليونان».

٥ معبد أفروديت:

يُعد أقدم بناء يُستدل عليه من خلال اللقى الأثرية، وبخاصة أوانٍ فخارية من جزيرة خيوس منذ الربع الأخير للقرن السابع ، إضافة إلى تماثيل أفروديت صغيرة ذات طراز قبرصى؛ يُشير إلى ثلاث مراحل لبناء المعبد. كما عُثر على مذبح ذو درجات على النمط المصرى.

٦ «معبد يُحاط بالأسوار» Great Temenos:

معبد آمون-باتت البطلمى. يعود تاريخ مدخل البناء من خلال بقايا الأساسات إلى پطلميوس الثانى.

٧ «المعبد المرتفع» High Temple:

يعود إلى العصر الهلينيستى ويميزه رصيف مرتفع على جوانب المعبد الرئيسى، يمكن الوصول إليه من خلال أرصفة خارجية.

٨ «الطبقة المحروقة» Burnt stratum:

وهى طبقة محترقة اكتشفها فلندرز پترى، ويُحتمل أن تأريخها من خلال فخار يونانى يعود إلى القرن السابع .



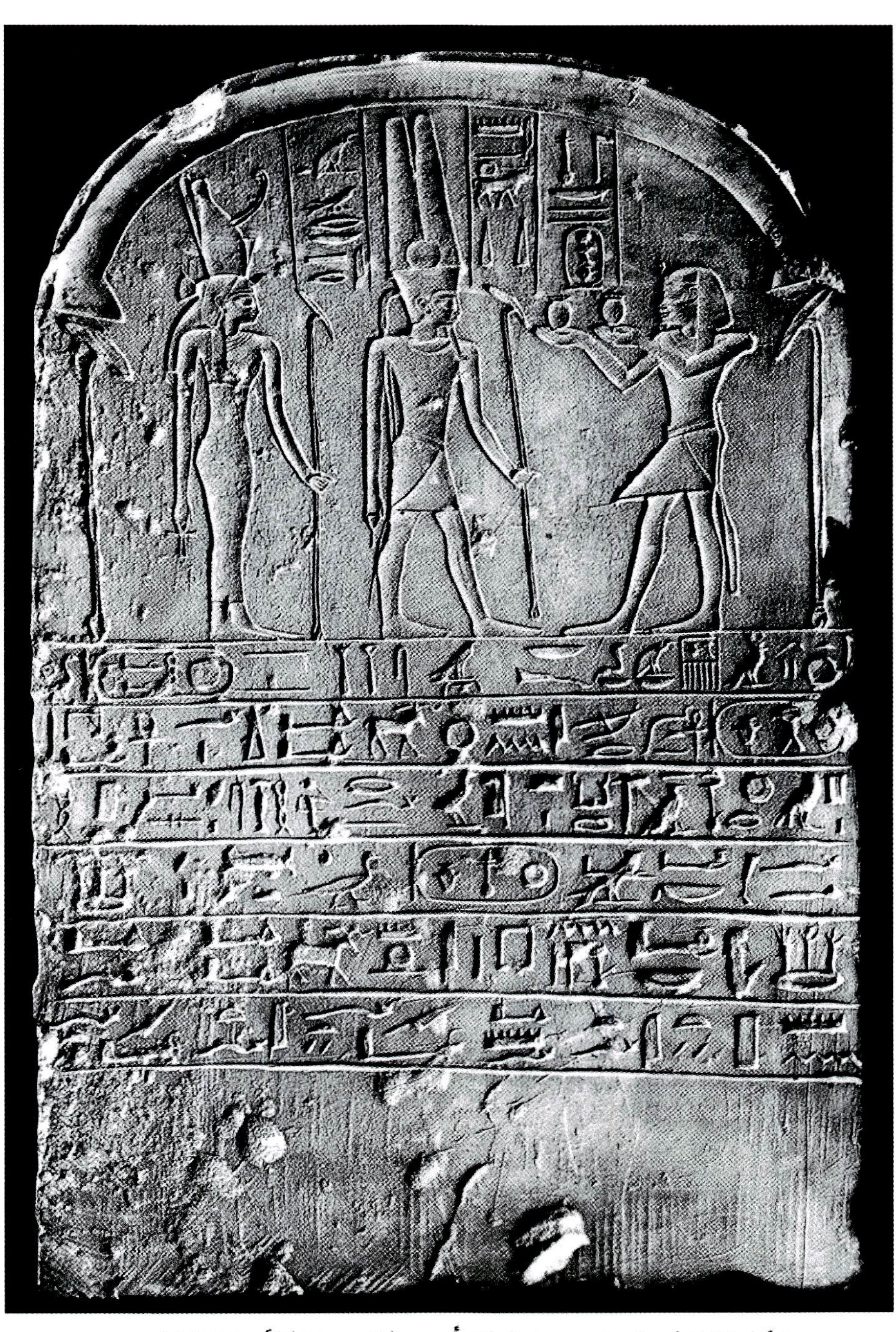
شكل ١٠٩ : تمثال قبرصي من ناوقراطيس ينحدر من القرن السادس.



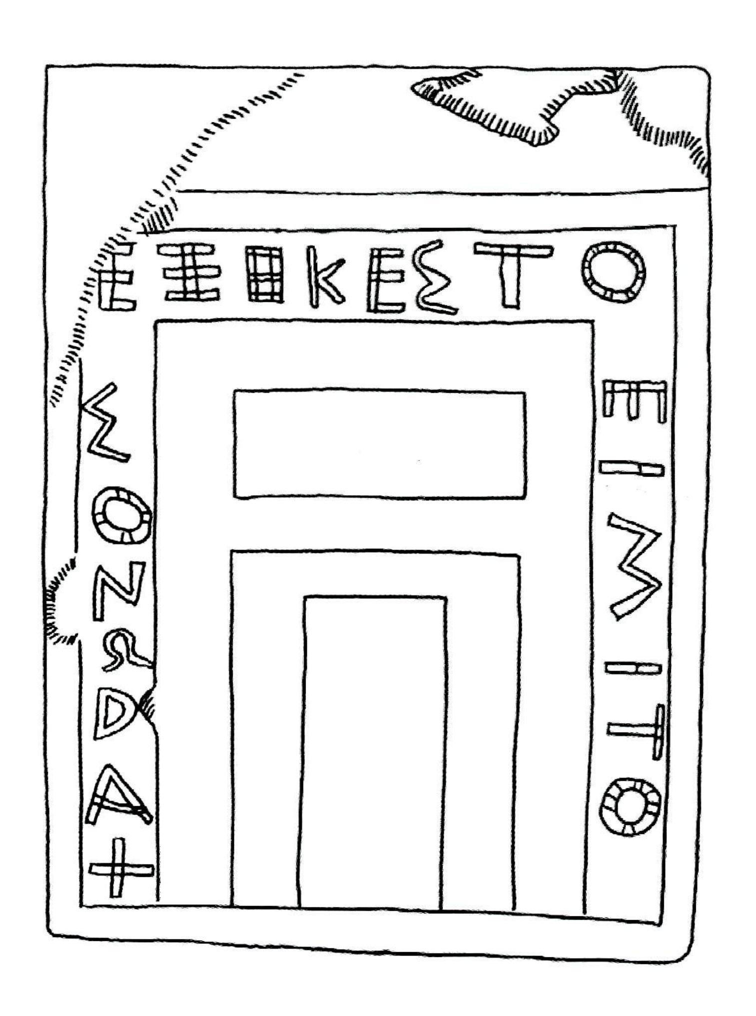
شكل ١١٠: لوحة جنائزية على شكل الباب الوهمى من ناوقراطيس (القرن الخامس) لشخص يُدعى أبوللوس.



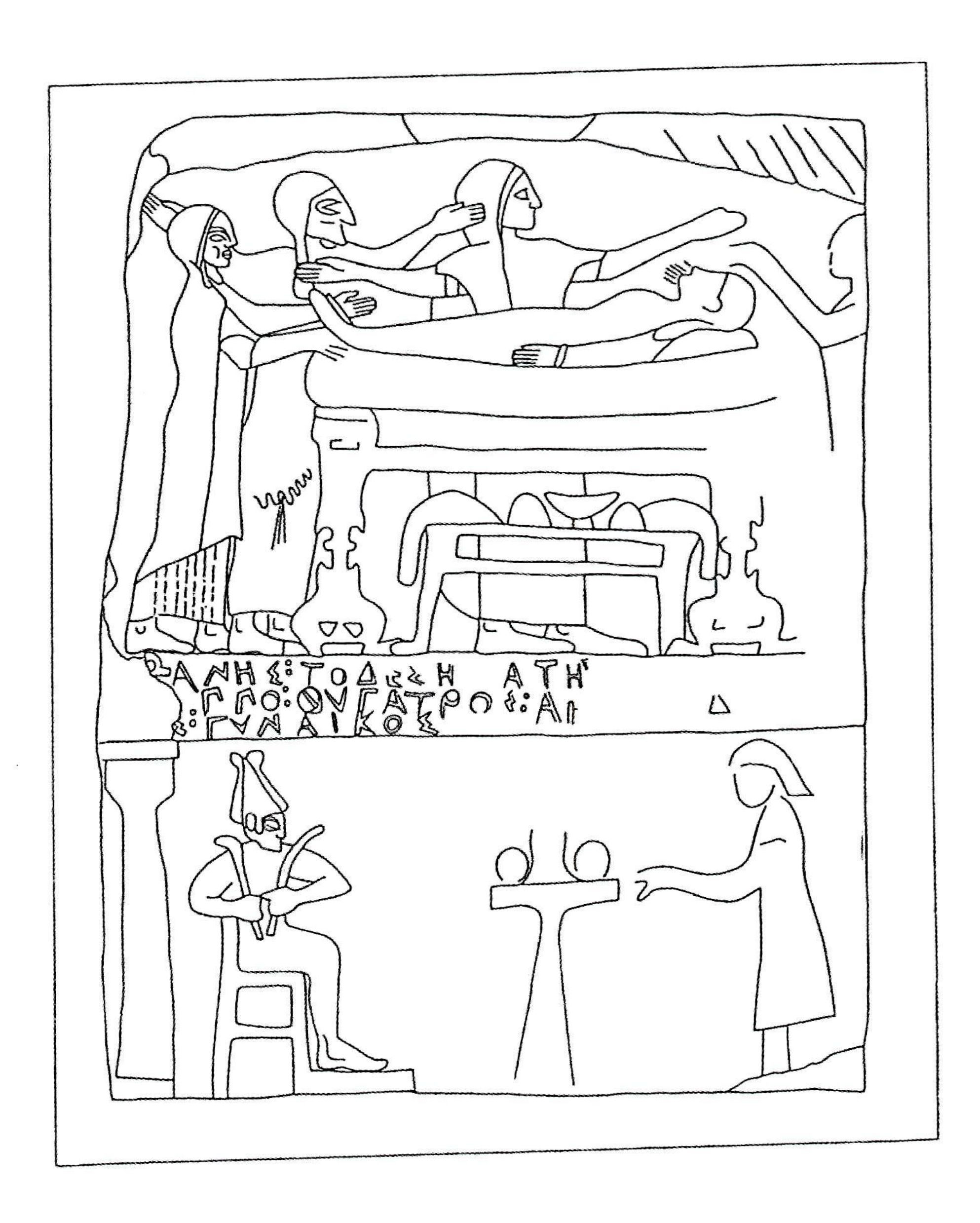
شكل ١١١ : تمثال حامل الناووس (Naophor) للمدعو نِخِتحورحِب الذى عُهد إليه على الأرجح بمراقبة التجارة اليونانية فى ناوقراطيس.



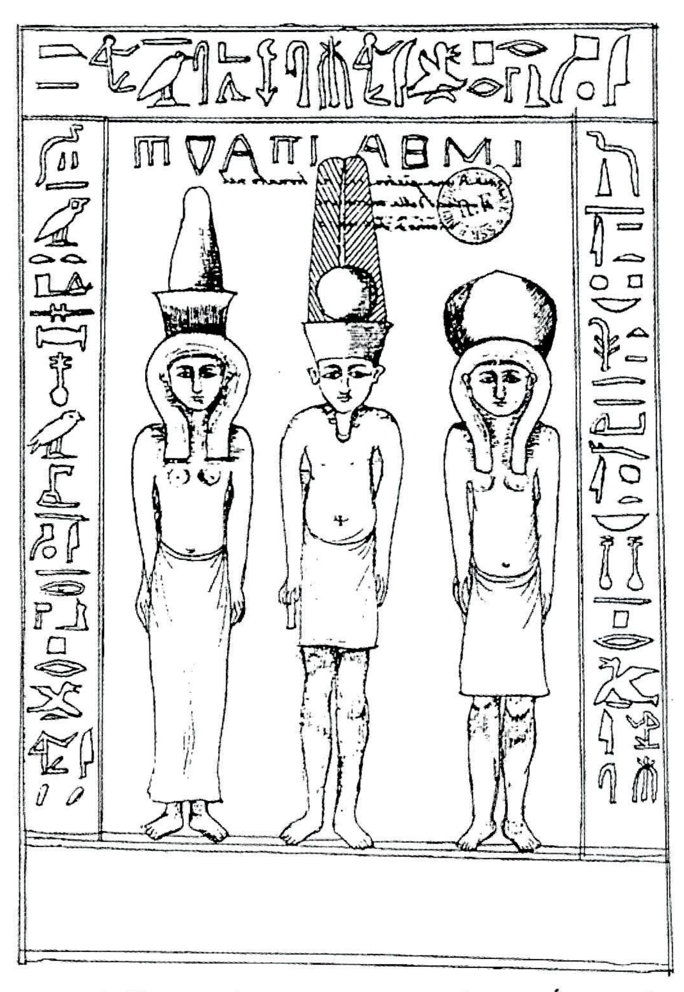
شكل ١١٢: لوحة هبة من عهد الملك أبريس (٥٨٩-٥٧٠) لآمون ناوقراطيس.



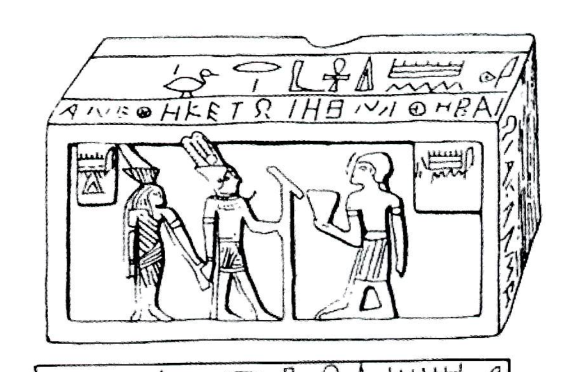
شكل ١١٣: لوحة جنائزية عتيقة من سقارة على هيئة الباب الوهمي لشخص يُدعى إكسيكيستوس.



شكل ١١٤ : شاهد قبر من سقارة لسيدة عليه مناظر دفن.



شكل ١١٥: أثر مفقود (لعله جزء من ناووس لتمثال حامل له؟) عليه نقوش يونانية وهيروغليفية وفقًا لرسم چان ميشيل فانسلب Jean Michel Vansleb (١٦٣٥-١٦٧٩).



شكل ١١٦ : كسوة برونزية لقاعدة خشبية (مفقودة) كان بداخلها تمثال صغير نذره شخص يُدعى ميلانثيوس لـ «زيوس الطيبى».

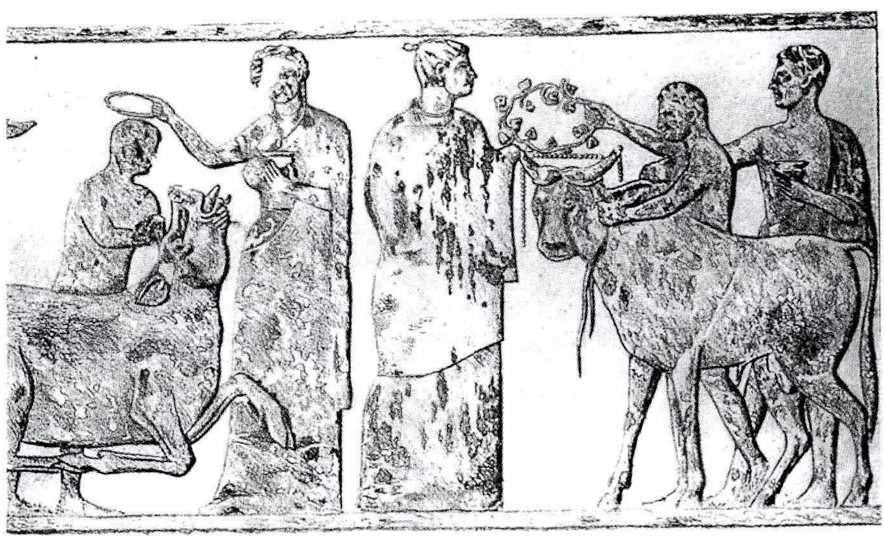


شكل ١١٧ : تمثال آپيس البرونزى من الدلتا (؟) نذره سوكوديس لشخص يُدعى «پانيپى».

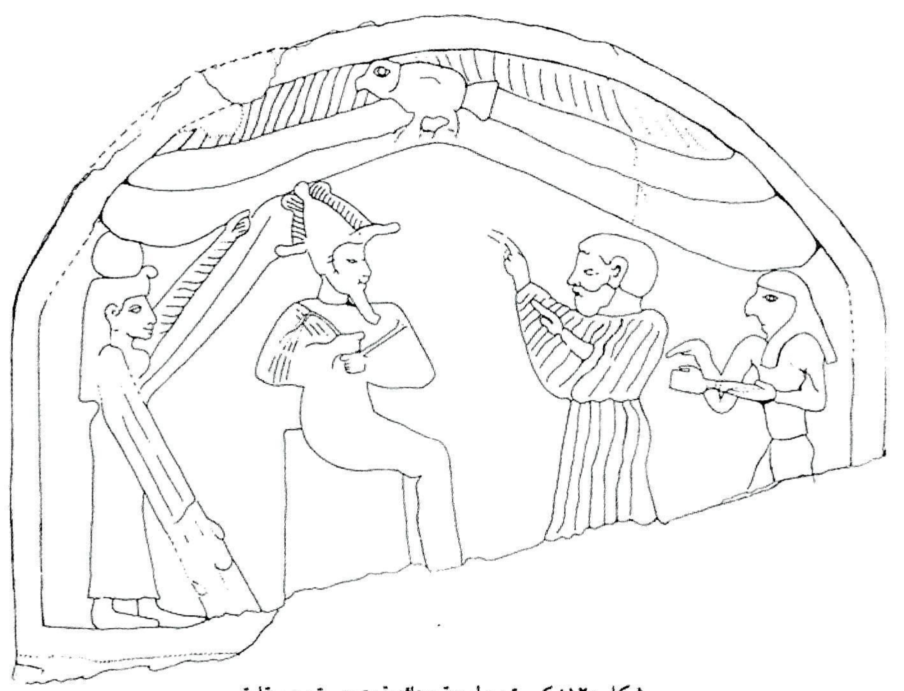


شكل ١١٨ : تمثال برونزى صغير من الطراز المعروف باسم أوزيريس-لونوس نذره زينيس ابن ثيودوتوس لسيلينا!

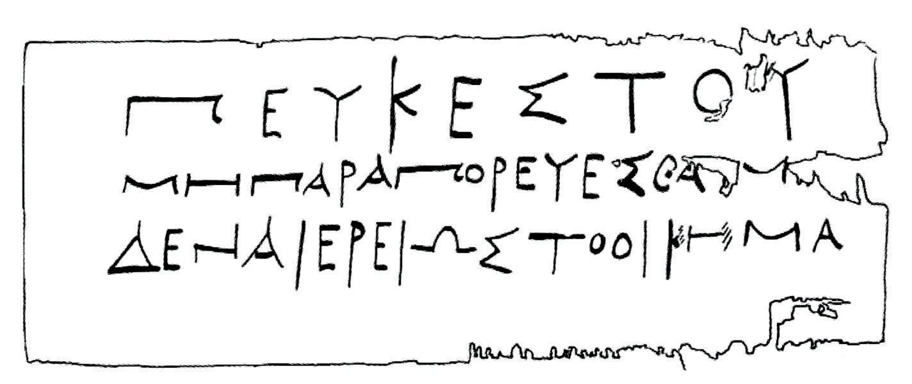




شكل ١١٩ : مناظر مستوحاة من الأسلوب الفنى اليونانى على جدران الصالة الأمامية (البروناووس) بمقبرة پتوزيريس، فى تونا الجبل (هيرموپوليس)، حوالى عام ٣٠٠.



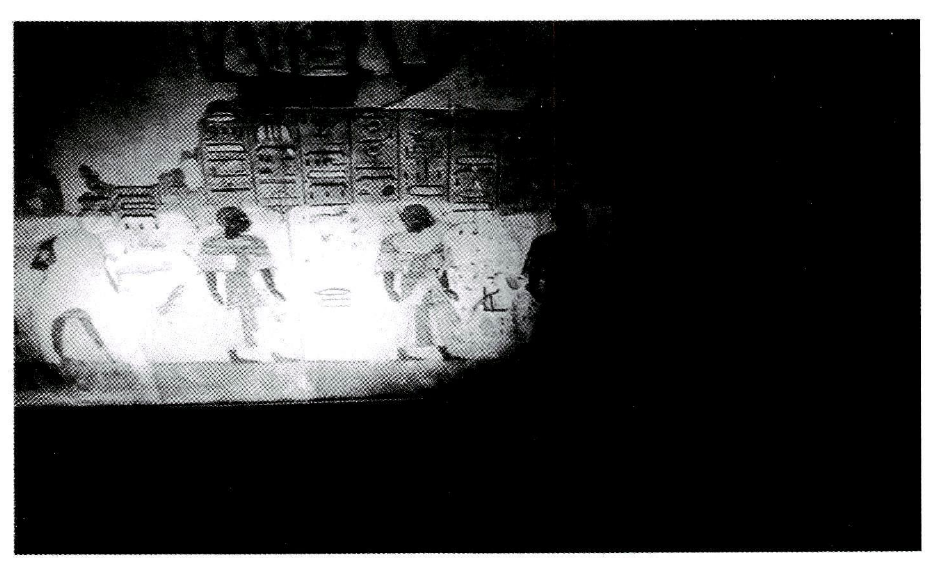
شكل ١٢٠: كسرة من لوحة جنائزية متمصرة من سقارة.



شكل ١٢١: أحد أقدم البرديات اليونانية من مصر. تحتوى الوثيقة على أمر الحاكم پويكستاس إلى قواته بعدم جوازهم دخول أرجاء الأراضى الكهنوتية فى سقارة، حيث عُثر على تلك البردية هناك، إذ يقول:

Πευκέστου· μὴ παραπορεύεσθαι μηδένα· ἱερείως τὸ οἴκημα

«من پويكستاس: لا يجوز لأحد الدخول. (فهو) مكان (أو: الغرف) أحد الكهنة».



شكل ١٢٢: مشهد من الساعة الخامسة من «كتاب البوابات» بغرفة الدفن لمقبرة الملكة تاوسرت (حوالى ١١٨٨-١١٨٦)، حيث يوجد منظر للسلالات البشرية الأربع: مصريون، وآسيويون، ونوبيون، وليبيون، وهم مجتمعون بوصفهم «ماشية رع».

ملحق اللوحات



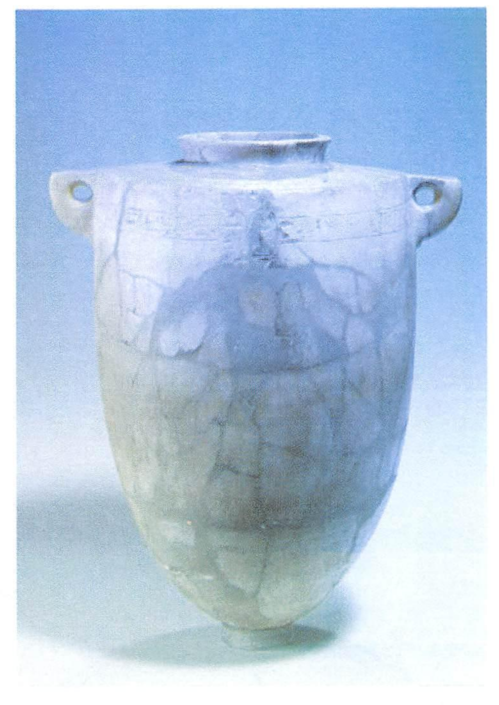
لوحة ١: الأثر المعروف باسم لوحة زينچيرلى Zincirli-Stele، وفيها يمسك الملك الآشورى أسرحدون ابن الحاكم الكوشى تاهَرقا وأميراً فينيقياً بحبل مخزومين من أنفيهما.



لوحة ٢ أ: أشوربانيبال في مصر: جزء من النقوش الجدارية البارزة الكبيرة في نينوى، حيث يظهر اقتياد أسرى الحرب من المصريين والليبيين (والكوشيين؟).



لوحة ٢ ب: نقوش سيتى الأول على الجدار الخارجى لبهو الأساطين الكبير فى الكرنك (الجدار الشمالى، الجانب الشرقى)، ويظهر عليه سكان لبنان وهم يقطعون شجر الأرز من أجل الفرعون.



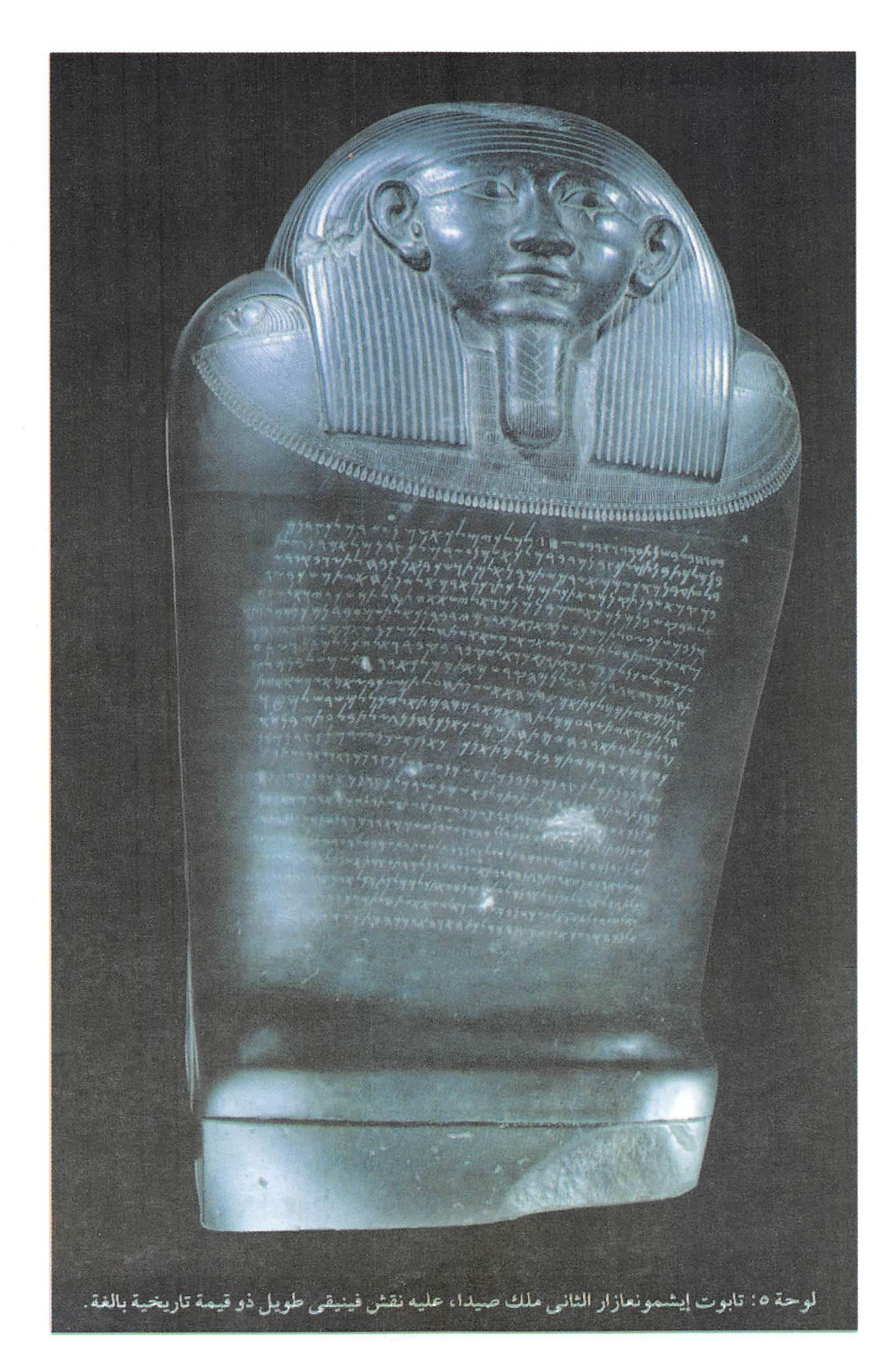
لوحة ٣ أ: آنية من الألباستر اكتشفت في آشور، عليها خراطيش تاكيلوت الثالث ونقش مسمارى يُستنتج منه أنها كانت جزءاً من غنيمة حرب فى صيدا.

لوحة ٣ ب: نقوش شوشنق الأول على الجدار الخارجى الجنوبى لبهو الأساطين الكَبير فى الكرنك، لتمجيد حملته على فلسطين التى وقعت حوالى عام ٩٢٥؛ قارن تقرير سفر الملوك الأول (١٤، ٢٥-٢٦)، وأخبار الأيام الثانية (١٢، ٣-٤).





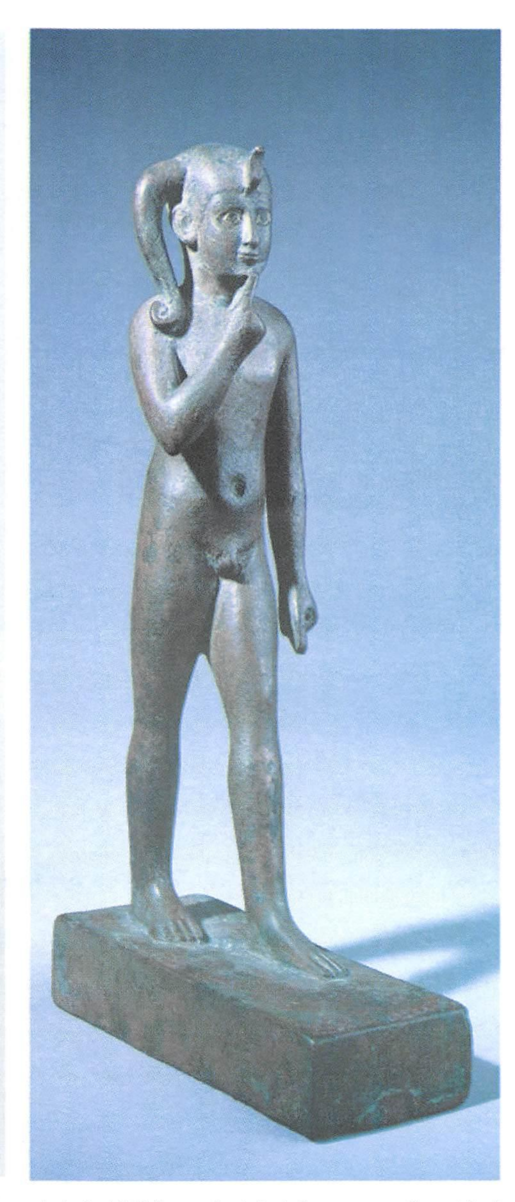
لوحة ٤: تفاصيل من لوحة (٣ ب) بأسماء البلاد المغلوبة العديدة.

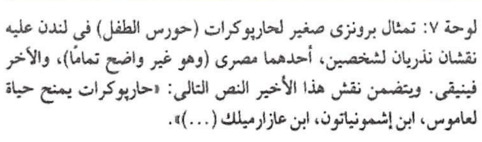


لوحة ٥: تابوت إيشمونعازار الثاني ملك صيدا، عليه نقش فينيقي طويل ذو قيمة تاريخية بالغة.



لوحة ٦: تابوت جبسي مصري من تل المسخوطة بمور، تاريخه إلى الفترة فيما بين حوالي نهاية القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع، والتابوت الذي كان يخص امرأة في الأصل استخدمه ثانية شخص يدعى حدحر، ويحمل أبوه اسماً سامياً.





لوحة ٧: تمثال برونزى صغير لحارپوكرات (حورس الطفل) فى لندن عليه نقشان نذريان لشخصين، أحدهما مصرى (وهو غير واضح تماماً)، والآخر فينيقى. ويتضمن نقش هذا الأخير النص التالى: «حارپوكرات يمنح حياة لعاموس، ابن إشمونياتون، ابن عازارميلك (...)».



لوحة ٨: تمثال برونزى صغير لحارپوكرات فى مدريد عليه نقش نذرى فينيقى، يقول: «حارپوكرات يمنح حياة لخادمه عبدشمون، ابن عَشتارتياتان، ابن ماجون، ابن حنتوس، ابن پتبنيتِ، ابن پشمـ(ه)ه» (الأسماء الثلاثة الأخيرة مصرية).



لوحة ٩ أ: منظر لموقع بيوت الأراميين فى إلفنتين.



لوحة ٩ ب: بقايا من أرضية بالطوب اللبن لمعبد ياهو فى إلفنتين (فى المقدمة).



لوحة ١٠: فسيفساء مونُّوس فى مدينة ترير Trier بألمانيا عليها منظر للحكيم أخيقار (إلى اليسار).



لوحة ١١: لوحة جنائزية مصرية آرامية لسيدة تُدعى تومًا ابنة بكرنف.



لوحة ١٢ : لوحة عنخحاپى المصرية الأرامية فى الفاتيكان، وفيها تتوافق تماماً مناظر التحنيط والنحيب على المتوفى فى الصف الأعلى والأسفل إلى اليسار مع الموضوعات الفنية لمثل هذا النوع من اللوحات؛ لكن يبرز فى القسم السفلى بوجه خاص موكب حاملى الأعلام والشارات (انظر أيضاً شكل ٤٩).



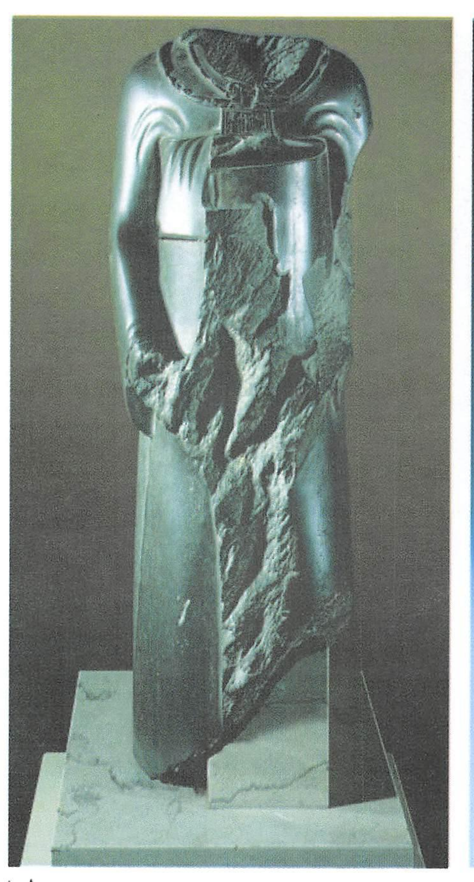
لوحة ١٣ أ: لوحة مصرية آرامية عليها نقش «حا پيمن ابن آخامَنيش».

لوحة ١٣ ب: الأثر المكتشف مؤخرًا تحت الماء فى خليج أبوقير، ويُعَدُّ نسخة طبق الأصل من النصب المعروف باسم لوحة ناوقراطيس فى هيراكليون (ثونيس).





أ



ب

لوحة ١٤ أ: تمثال برونزى من «طراز پازوزو» (تسمية لعفريت آشورى) من تانيس عليه نقش نذرى متآكل باللغة السامية الشمالية الغربية.

لوحة ١٤ ب: تمثال پتاححوتپ «المتعاون مع المحتل».

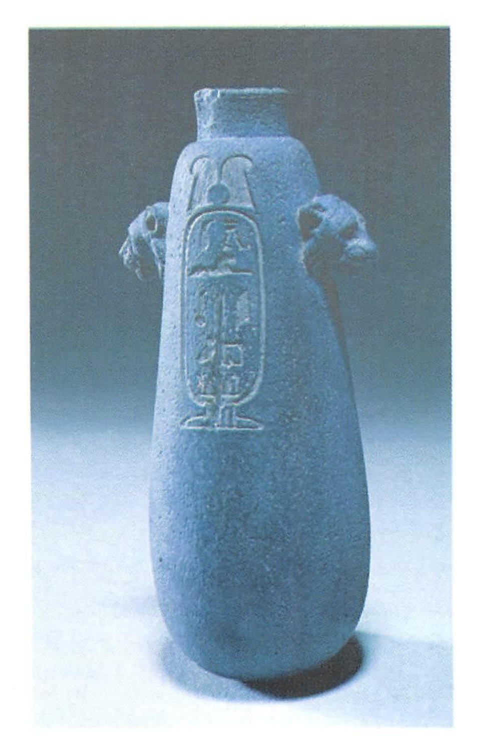
لوحة ١٤ ج: تفاصيل فنية من لوحة (١٤ ب) للقلادة التى تنتهى عند الصدر برأسى جديين، وهو طراز يتسم به فن النحت الفارسى. وفيما يبدو أن القلادة كانت هدية من الملك العظيم إلى موظفه الوفى.



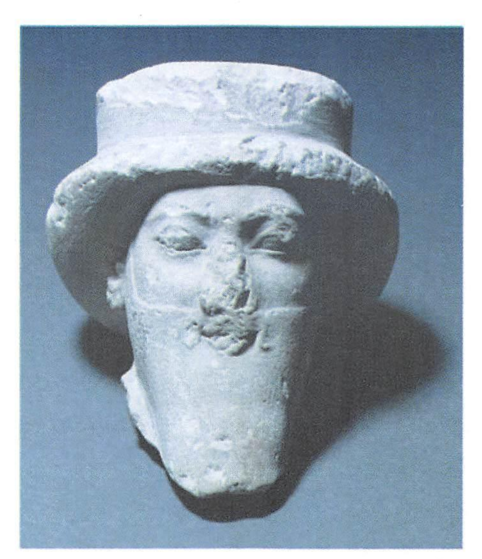
ج



لوحة ١٥ أ: سوار ذهبى فارسى يُقارن من حيث موضوعه الفنى بلوحة ١٤ ج.



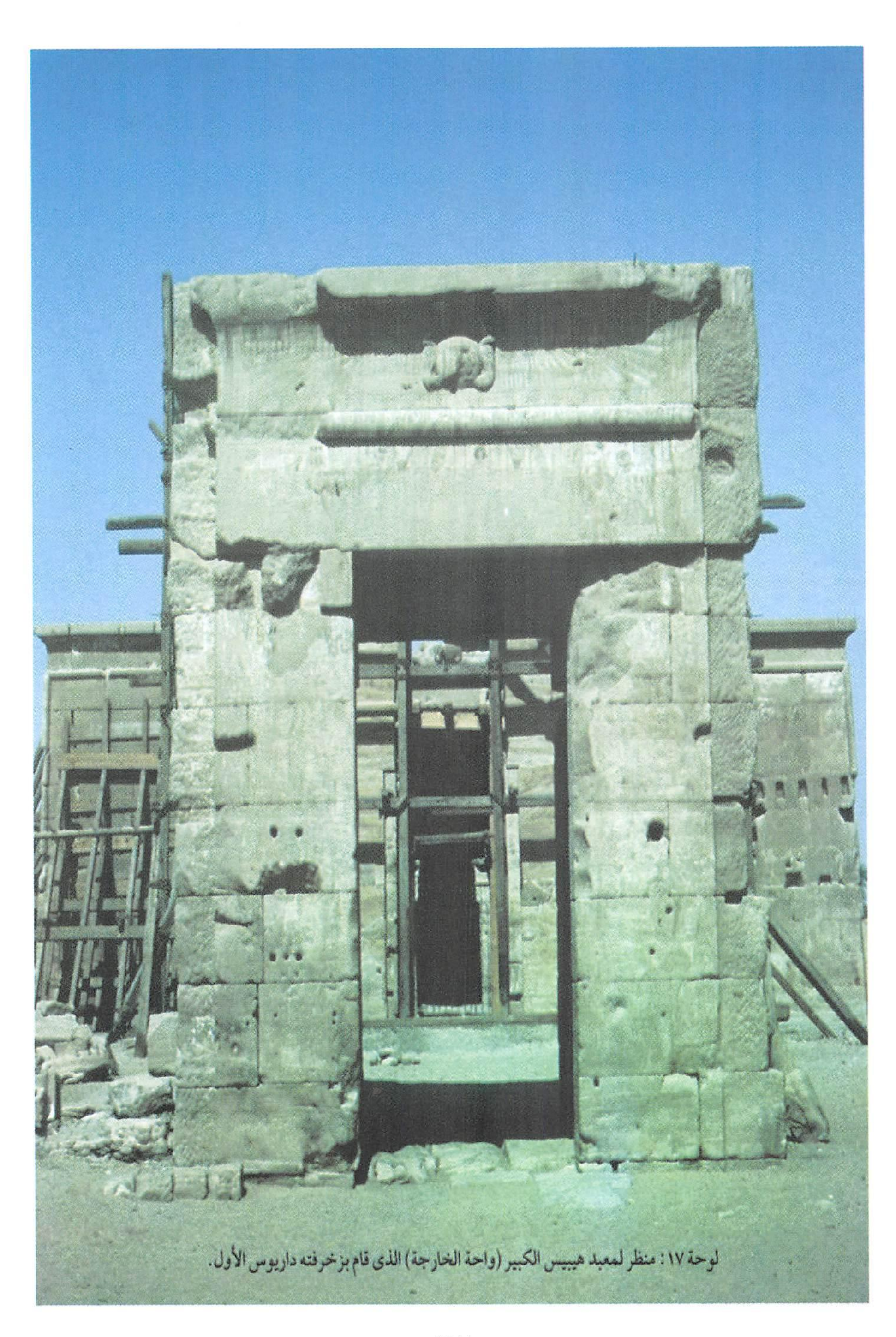
لوحة ١٥ ب: قارورة صغيرة للدهان ذات لون أزرق مزجج، عليها خرطوش داريوس الأول، وعلى جانبيها مقبضان بهيئة رأسى أسدين (انظر أيضًا شكل ٦٧).



لوحة ١٦ أ: رأس تمثال من التراكوتًا لحاكم أخمينى.



لوحة ١٦ ب: تفاصيل زخرفية لبعض المناظر عند بوابة فناء الپروناووس الذى يسبق قدس الأقداس فى معبد هيبيس، حيث يظهر داريوس الأول بتاج مصر السفلى وهو يقدم قربانًا من النبيذ لأربع معبودات جالسات.



لوحة ١٧ : منظر لمعبد هيبيس الكبير (واحة الخارجة) الذى قام بزخرفته داريوس الأول.



لوحة ١٨ أ: كتلة حجرية من الكاب تبرهن على النشاط المعمارى لداريوس الأول فى معبد نِخبت هناك.



لوحة ١٨ ب: نقوش مخربشة «مدير أعمال جميع آثار مصر العليا والسفلى»، المدعو غنمئيبرع، من العام ٢٧ لحكم داريوس الأولَ (عام ٤٩٥) فى وادى الحمامات (Couyat-Montet 193). ويُعَدُّ شكل صور العلامات الهيروغليفية الفريدة من نوعها بالنسبة إلى نقوش المخربشات الكثيرة خاصية مميزة لهذا الموظف كبير المقام.



لوحة ١٩ : تابوت واحِيبرع-إم-آخت ابن ألكسيكليس وزنودُته.







لوحة ٢٠ ب-ج-د: جعارين من ميليتوس تنحدر من إحدى ورش ناوقراطيس قارن ج. هولبل G. Hölbl، معهد الأثار الألمانى، الصحيفة الأثرية Archäologischer Anzeiger لعام ١٩٩٩، صفحة ٣٥٤، شكل ١٠.



لوحة ٢٠ أ: أحد تماثيل الأوشابتى الكثيرة لشخص يُدعى واحِيبرع-إم-آخت.

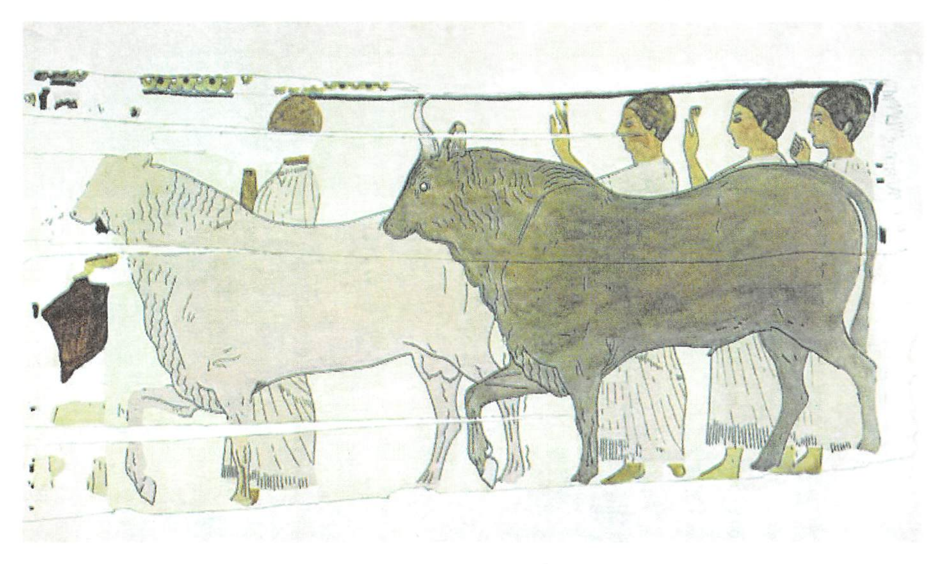


لوحة ٢١ أ-ب: تمثال برونزى صغير للإله أوزيريس عليه نقش نذرى يقول: [«ألكسياد يس] وتابو أقاما تمثالاً لأوزيريس».

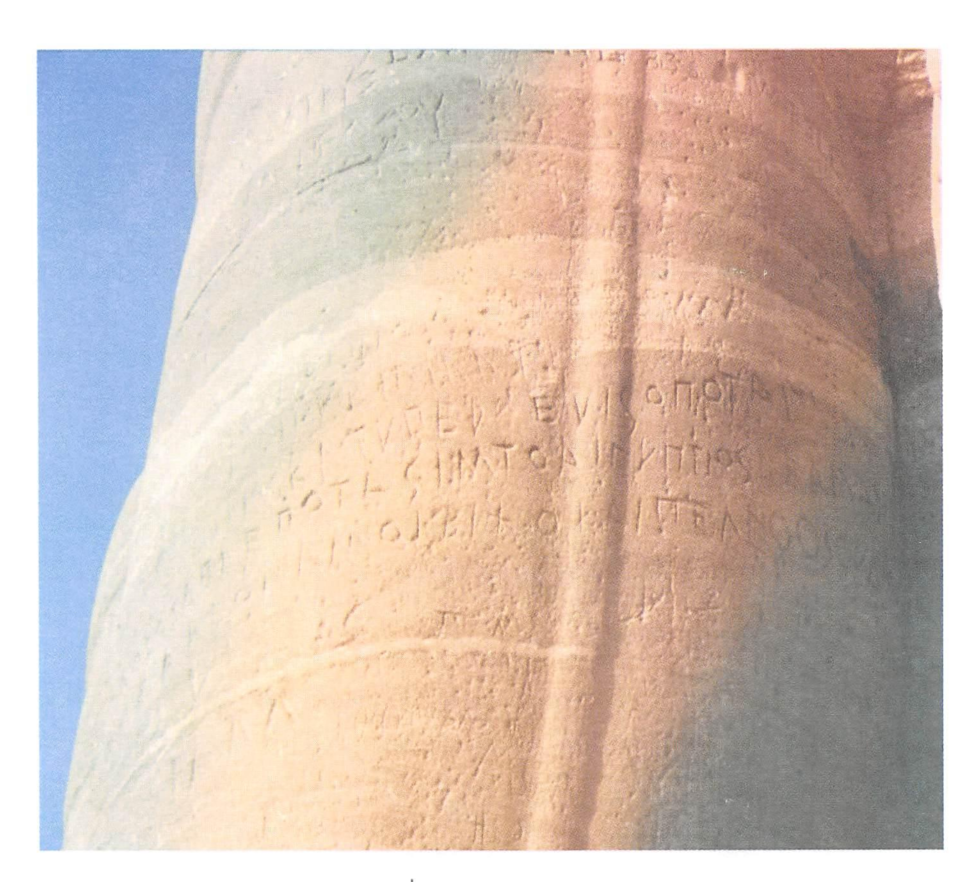
ΑΛΕΞΙΑΔΗ | ΚΑΙΤΑΒΛΑΓ | ΑΛΜΑΤ | ΟΥΣΙΡΙΟΣ
ΑΝΕΣΤΗΣΑ | Ν



لوحة ٢٢ أ: منظر لشخص لم يمكن تحديد هويته عرقيًا عن كثب يُدعى سيأمون بمقبرته بجبل الموتى (سيوة).



لوحة ٢٢ ب: منظر لصورة بألوان مائية على لوحة خشبية (يُرجح من تابوت؟) من سقارة، يظهر فيه اشتراك أربعة أجانب فى موكب ومعهم ثور وبقرة.



لوحة ٢٢: نقش مخربشة من أبوسمبل.



لوحة ٢٤ أ-ب: تمثال يدون.







لوحة ٢٥ أ-ب: قائمة الشعوب الأجنبية فى معبد كوم أمبو.

تعريف بالمؤلف

جونتر ڤيتمان

وُلد جونتر ڤيتمان فى ڤيينا سنة ١٩٥٢، ودرس المصريات والآشوريات والساميات فى جامعتها، ونال درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها عام ١٩٧٧، ثم حصل على شهادة الأستاذية عام ١٩٩٤ فى جامعة ڤورتسبورج بألمانيا، حيث قام بالتدريس فيها، إلى أن عُين بها «أستاذًا خارج الهيئة» سنة ٢٠٠١.

وقد عمل جونتر ڤيتمان فيما بين عامى ١٩٧٨ و١٩٩٩ فى مشروع «كتاب الأسماء الديموطية»، الذى نُــشر فى ١٨ كتيبًا فيما بين عامى ١٩٨٠ و٢٠٠٠ فى ڤيسبادن، وهو يُعَدُّ أحد المشاريع البحثية لأكاديمية العلوم والآداب فى ماينتس بألمانيا. ويعمل المؤلف منذ عام ٢٠٠٠ حتى الآن فى مشروع «بنك معلومات النصوص الديموطية» بالأكاديمية المذكورة سالفًا.

كتبه المنشورة:

- «الكهنة والموظفون فى طيبة خلال العصر المتأخر»، ڤيينا ١٩٧٨ (دكتوراه).
- «عمالقة وكائنات شبه عملاقة فى تصور المصريين القدماء»، ڤيينا ١٩٩٥.
- «البردية الديموطية رايلاندز ٩»، ڤيسبادن ١٩٩٨ (أستاذية).
- «أسلوب المجاز فى اللغة المصرية القديمة»، ڤيينا ١٩٩٩.

فضلاً عن عدد كبير من المقالات المهمة فى هذا الفرع من مجالات المعرفة العلمية المتخصصة.

تعريف بالمترجم

عبدالجواد مجاهد

وُلد عبدالجواد مجاهد فى تـــلا بدلتا النيل سنة ١٩٥٢، ودرس المصريات فى جامعة القاهرة، ثم واصل فى ألمانيا دراسته للآثار المصرية القديمة والآشوريات والساميات، بمعهدى المصريات والاستشراق فى جامعة ڤورتسبورج، حيث نال منها درجة الدكتوراه سنة ١٩٨٦. وعمل فيما بين نهاية عامى ١٩٨٧ و١٩٨٨ أميناً بالمتحف المصرى بالقاهرة، ثم اشتغل بين عامى ١٩٨٩ و١٩٩٥ بمجال التسويق والإرشاد السياحى فى شركات ألمانيـــة متخصصة (فى شتوتجارت Hetzel وهانوفر TUI). وعُيِّن مدرسًا فى جامعة بنى ســـويف عام ١٩٩٦، وأستاذاً مساعدًا فى ٢٠٠١، وبعد نيله الأستاذية فى ٢٠٠٦ عُين أستاذاً بالجامعة نفسها، حيث يرأس الآن قسم التاريخ بكلية الآداب.

ومن منشوراته العلمية: «خطابات ديموطية إلى آلهة من العصر المتأخر حتى العصر الرومانى. بحث فى معرفة العادات الشعبية فى مصر القديمة»، جزآن، ڤورتسبورج ١٩٨٦ (دكتوراه). إضافة إلى ذلك، يقوم بإعداد ترجمة كتابى:

- توماس شنايدر، معجم الفراعنة، دوسلدورف – زيوريخ ١٩٩٤، ١٩٩٦.
- جونتر هولبل، مصر القديمة فى ظل الإمبراطورية الرومانية (ثلاثة أجزاء)، ڤيسبادن ٢٠٠٠ – ٢٠٠٥.

فضلاً عن تحقيق عدد كبير من الوثائق الديموطية والمقالات المنشورة فى المجلات والدوريات الأجنبية المتخصصة.

التصحيح اللغوى: **سهام عبد الوهاب**

الإشــراف الفنى: **حــسن كامــل**